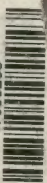




Bibliotheca Alexandrina



0050204

شراشنا

ديوان

صَلْحُ الشَّيْخِ نَوَاسِي

تحقيق

د. عبدالحی دیاب

مراجعة

د. أحمد کمال زکی

الأهـداء

إلى زوجتي ثناء ...
في صمتها العبقري
ونظرتها الشاعرية
المتزجة بالواقع .
إلى الحياة ...

عبد الحى دياب

تَقْدِيرٌ

بقلم

الدكتور احمد كمال ذكي

عندما يؤرخ للشعر العربي المعاصر سيوضع صالِح على الشرنوبى فى مقدمة مرتاديه ، ولن يكون صِغَر سنه بين الرواد إلا دليلا على صدق موهبته .

لقد عاش لا يربط نفسه الطموح بأفقال حياة معينة ، لكنه كان مؤمناً بالشعر من حيث هو رسالة ومن حيث هو أداة تفريج عن كُرْبٍ طالما لاحقته . وما من عمل اضطر إلى توليه — بحكم الظروف — إلا وجعله على الهامش من مشغلياته المعيشية .

كان إنساناً فذاً

وكان فناناً لا يشغل نفسه بأكثر من أنه يريد أن يقول ، وسيقول برغم كل شيء ، وسيسمع الناس منه اليوم أو غداً . ولما مات بكاه معارفه ، وقال بعض النقاد : إنه لو عاش لبذَّ أعلام الشعر المعاصر قاطبة !

ولقد تعرض شعره أكثر من مرة للضياع ، وبذلت أكثر من محاولة لنشر عيونه ، إلا أن المحاولة الحادة فى ذلك هى التى نراها بين أيدينا فى هذا الكتاب — وهو يجمع تراث الراحل جميعه — بلاتدخل قط ودون ترك شيء يدعو مخالفته للعرف والتقاليد .

وقام بالمحاولة صديقنا الناقد الدارس الدكتور عبد الحى دياب يدفعه حماسه وإخلاصه وحُبُّ للشاعر بزغ وهو يطرق مجالس الأدب التى كان يعقدها أمثال العقاد والمعداوى : وهو يقرر أنه لم يتصل بالشاعر فعلا إلا عام ١٩٥٩ وكان يذكر اسمه مع فؤاد بليبل

والمهمشرى والشايب وغيرهم ممن ماتوا وهم في شرح الشباب ، وشجبه المداوى على أن يحتشد له كما اعتاد أن يحتشد لما ينبغي أن يقدر .

وإذ يراه هو واحداً من الذين ظلموا - وما أكثرهم وما أعقد عوالمهم وما أكثر حبه لهذه العوالم - يعقد عزمه على جمع شعره كله . وبدأ بدراسات عنه ظهر بعضها في كتابه « مع الشعراء المعاصرين » وكان أمامه إذ ذاك « نشيد الصفاء » مطبوعاً و « ديوان الشرنوبى » الذى أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، يجمع ثمانمائة بيت فقط ، فأبى إلا أن يظفر بالباقي ، وتم له ما أراد بعد طول تحررٍ وتقصص .

وبعد ، فلا أريد فى كلمتى هذه أن أمتدح صنيع دياب من جمع وتحقيق ومراجعة - فالشرنوبى يستحقه - لكنى أريد أن أنه إلى أن تراث الراحل شعراً ونثراً يحتاج إلى أضعاف ما بذله المحقق ، وإن يكن فى الحق يضع الشاعر موضعه الذى هب له ويناقش شاعريته فى إطارها النفسى والاجتماعى مناقشة موضوعية عادلة ، ويقدم عملاً لا أظن إلا أنه يستحق عليه كل تقدير .

هَذَا الدِّيَّوَانُ

ديوان الشرنوبى على احدى عشرة كراسة من الكراسات المدرسية العادية ، جعل لكل منها عنوانا وسماها جزءا ، وهى على التوالى : وأصداف الشاطئ عبرات سبحات .. بسطات ، وأتمت مع الجزء الثمانى « الأمواج » فى عام ١٩٤٤ والثالث « نسبات وأعاصير » فى عام ١٩٤٥ والرابع « فى موكب الحرمان » فى عامى ١٩٤٥ - ١٩٤٦ ، والخامس « وطنيات » فى عام ١٩٤٦ والسادس « أقاصيص فى الحب والحياة » فى عام ١٩٤٦ والسابع : « أشعار ورسوم » فى عامى ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، والثامن : « ظلال وألوان » فى عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، والتاسع والعاشر تركهما بغير عنوان ، وقد أنشأهما فى الأعوام التالية ١٩٤٨ - ١٩٥٠ ، والحادى عشر : « مع الريح » فى عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ حتى وفاته .

كتب الشاعر هذه الأجزاء كلها بخطه ما عدا بعض القصائد التى أملاها على ابن عمه فتحى الشرنوبى فى الجزء العاشر .

ومما هو جدير بالذكر أن الشاعر قطع من أول الجزء السادس سبع ورقات كان مكتوباً فيها قصيدتان تحت عنوان « قلبان .. وانتظار » ، فى حين صدر الجزء العاشر بأربعة أبيات تحت عنوان « أنا فى شعرى » وأوصى بأن توضع فوقها صورته .

كما كتب بعض الخواطر الثرية بين قصائد الجزأين الأول والثانى تحت عنوان « أمشاج » وفى الجزء الثالث كتب قطعة نثرية تحت عنوان « صلوات » كما كتب قصيدة من الشعر المرسل تحت عنوان « أطيايف » هى من بحر « الوافر » فى عام ١٩٤٥ ، وبذلك يكون أول من أراد هذا الضرب من الشعر الحر فى مصر ، إن لم يكن فى الشعر العربى بصفة عامة .»

وفي الجزء الرابع قطعة نثرية تحت عنوان « بينى وبين نفسي » و« أفكار » أهداها « إلى لحظات الاشرار المخالدة في تاريخ الظلام » . وفيها اختلط الشعر بالنثر على نحو ما اختلطتا في قطعة أخرى باسم « حيانى » ثم تمثيلية من فصل واحد تحت عنوان : « مطعم التاريخ » .. وفي هذا الجزء أيضا قطعة نثرية بعنوان « لك يامصر » ..

وفي الجزء الخامس من النثر « ظلال وألوان » وقصة بعنوان « ذهب وتراب » وأسطورة من أساطير الواقع على حد تعبيره تحت عنوان « البقر الآدمي » وقصة حب مظلوم تحت عنوان : بنت الحاكم .

ولا يوجد في الأجزاء الأخرى نثر سوى الأمشاج التي كان يدونها بين القصائد ..

وقد قام الشاعر بتقنيح شعره وتعديله ، وأحيانا كان يضرب على قصيدة بأكملها وينقلها في مكان آخر كاملة ناضجة مضيئا إليها أو حاذفا منها ما يرى أنه يحفظ لها وحدتها العضوية كما في قصيدته « كأس » التي كتبها في أول الجزء الرابع .. فقد شطبها ونقلها كاملة في آخر الجزء الثامن .

ووجدت على غلاف الجزء الثامن منه هذه الأبيات كتبها الشاعر بخطه وكانت من شعر عبد العليم خطاب ، وهي تعالج مأساة مثل المأساة التي كان يعيشها شاعرنا الطموح الى الجهد المرفوع عن الدنيا :

واحتارت النفس واظلمت مطامعها حتى مدحت الذى أشبعته هجوا
عبد العليم أسأت الظن في زمن حارت. لياليه في آمالك القصوى
فأنت في بلد ينفى الضعيف بها ويؤخذ الحق من أبنائها سطوا
والشعب قسبان مغبوب ومغتصب لكل سيئة في دينه فتوى
كما وجدت أبياتا أخرى للشاعر نفسه يرى فيها أبا الطيب المتنبي :

أنت الذى سحرت جند الزمان به ياليت شعرى هل تلهو وتسخر في
ما الناس في هذه الدنيا سوى كتب وأنت في الناس كالقرآن في الكتب

وكتب كذلك من شعر خطاب على نفس الغلاف قوله :

عذاب الأهل أو ظلم القريب أحنُّ على من عطف الغريب



وقد نشر من هذا الديوان طائفة من أشعاره في عام ١٩٥٢ تحت هذا العنوان « نشيد الصفاء » وقد جمعها الشعراء صالح جودت وحسن عبد الوهاب وأحمد خميس ، وقد

اختار هؤلاء الشعراء من دواوينه الكثيرة هذه الطائفة من الشعر لنشرها ، وهم آسفون لعدم تمكن الظروف لهم لكي ينشروا كل دواوينه ، واعتبروا نشر « نشيد الصفاء » جهد المقل كما يقول الشاعر صالِح جودت في مقدمته .

« وكم تمنينا لو واتتنا الظروف والوسائل لنشر هذه الدواوين جميعا ، ولكن جهد المقل حملنا على الوفاء بأقل النذر . ذلك أننا نحيرنا من بين هذه الدواوين مالا نزعِم أنه أحسن شعره ، فشره كله جميل » (١)

ويضيف جودت الى ما سبق قوله : « وأجمل آمالنا بعد أن حققنا لروحه الشاعرة بعض أمنيته بنشر هذا الديوان المختار من شعره أن تنهى لنا الظروف لنشر دواوينه جميعا واحدا بعد الآخر حتى نضيف الى سجل الخالدين في العربية شاعرا يستحق البقاء والتمجيد » (٢) .

ومهما يكن من أمر فإن « نشيد الصفاء » على ما بذل فيه من اخلاص هؤلاء الشعراء الذين قدموه الى القراء لا يمثل شاعرنا ، لأنه لايشتمل الا على بعض القصائد التي أنشدها الشرنوبى في أخريات أيامه ، والشاعر لا بد أن يكون ممثلا — فيما نعتد — في شعره كله جيده ورديته ، بل ان رديته قد يكون أدل عليه وعلى شاعريته من جيده ، وأدنى الى التعريف به والفاذ اليه ، لأن موضوع فنه هو موضوع حياته ، والمرء يحيا في أحسن أوقاته ، ويحيا في أسوأ أوقاته ، ولقد تكون حياته في الأوقات السيئة أضعاف حياة في أحسن الأوقات. (٣)

ولقد أحس أستاذنا الراحل الدكتور منثور عدم تمثيل هذا الديوان لشاعرنا حينما قارن بين قصيدته « الوجودية » وبين « الطلاسم » لإيليا أبو ماضي فقال بعد هذه المقارنة :

« ونحن لايمكن أن نبخس حق الشرنوبى في الأصالة والابتكار والصدق وبخاصة في شعره العاطفى الخالص الذى قاله في شكوى الحياة والتبرم بها والاستغاثة بالله » (٤) .

على أننى في دراستى عن شاعرنا التى نشرتها في كتاب « مع الشعراء المعاصرين في مصر » والى استقيتها من ديوان « نشيد الصفاء » أحسست أنها مبتسرة ، وذلك بعد معايشة لشعره كله ، وكان على أن أراجعها في طبعة الكتاب الثانية ..

ومن هنا كان لا بد من أن أتوجه إلى دواوينه كلها لأعمل على إخراجها إلى النور ، لكي تكون تحت يد الدارسين للشعر الحديث فيقفوا على هذا التراث الضخم الذى تركه

(١) مقدمة نشيد الصفاء

(٢) مقدمة نشيد الصفاء د

(٣) راجع : ابن الرومى للعقاد ص ٤ ط الرابعة سنة ١٩٥٧ .

(٤) راجع : الشعر المصرى بعد شوقى بالحلقة الثالثة سنة ١٩٥٨ القاهرة .

شاعرنا وقمت بتحقيقه والتعرف على المواقف التي أنشد فيها قصائده وهي ماتسى غالبا بما « حول النصر » ، ثم جمعت مالم يلونه الشاعر في كراريسه ، والأغنيات التي كان يؤلفها ولم يخلها في تقديره الشعرى برغم أنها جيدة في علم الأغاني ، اذا قيست بمستوى الأغاني المعاصرة . وعلى الرغم من قيمتها فانه كان يتعجب لاحضال الناس بها لأنه كان يرى أنه لن يخلد إلا بشعره !

ثم دونت نثره الأدبي الذي كان يضمه خراطمه الشعرية والذي كان يحمل عنوان « أمشاج » ونثره الذي اتخذ قالب القصة أو التمثيلية ، وغير ذلك من أنواع النثر التي عثرت عليها في تراثه ..



والدارس لشعر الشرنوبى يجد أنه كان يتمتع تجاربه الشعرية - في أغلبها - من لحظات إشراق صوفي يعبر فيها عما يعيش بنفسه وذلك حينما يرصد تجاربه التي قد لا تكون لها صلة بالواقع مثل تجاربه عن فتيات المصيف في بلطيم ، إذ يتخيل في بعضها أن فتاة تحبه وتجلس معه ، ولم يكن هناك فتاة قط .

وقد يتمتع التجربة من أوهامه التي كانت مثار قلق وتوتر عنيفين مثال ذلك مائراه في « أوهام » ثم هناك التجارب التي يستمدّها من قوة روحه وإيمانه كشيد الصفاء : وقد يعيش تجربة بوساطة صديق ما ، وقصيدته في نكبة الملايا نموذج لذلك ، رثى فيها المصابين عن طريق ماحكاه له صديقه محمد العديسى .

لقد كانت حواسه ووجداناته مفتوحة على كل شيء في الحياة يلتقط منها بشاعريته كل ما يصلح موضوعا للشعر سواء أكانت عادية ، أم تجربة جمالية فهو يعيش مأساة كل إنسان يقابله . ومن هنا فهو مع « نبيلة » الخرساء الفاتنة ابنة إحدى الأسرات المخالطة لأسرته في طنطا .. وفي قصيدة أخرى مع « نجوى » صاحبة الكأس الحزين ، تلك الفتاة العربية الجميلة التي كانت تختلف إلى سوق بلطيم كل خميس لقضاء حاجياتها . وكانت تسريح بعد انتهاء السوق أمام منزلهم فراها مرة بعد مرة وأخذ بحمال عينيها .. ومع الفتيات الفقيرات الجميلات اللاتي يمشن في الأكواخ قريبا من المصيف ، وذلك في قصائده من « أحلام الكوخ » . ومع المهنون الذي يمشى مهلهل الثياب ملثا الخطا وفي كنفه قارعة من حديد يقرء بها نفسه والأطفال يحصبون رأسه صائحين (المهنون) وهو يرسل بصره في السماء والأرض صائحا (عطشان ... عطشان) . فتألفته التي تطل على الحياة لا تترك هذا الإنسان دون أن تصوره وتعبّر عنه .

ويعيش تجربة التمثيل في فيلم « فنتة » ، ويلتقي بالممثلين المسرحيين بعد سكنه مع ابراهيم السيد المخرج السينمائي ، ومن هنا نراه يبدع قصيدة عن « الممثل » ويعبر عنه في تأديته للأدوار المختلفة . وهي في نظري من روائع الشعر المعاصر .

وكانت المناسبات من روافد شعره أيضا ، فهو مثلا يجيئ عبد الحميد عبد الحق حينما ينزل إلى بلطيم ، كما يرثي غيره من كبار الوفد آنذاك ولم يقتصر رثاؤه على السياسيين والأهل والأصدقاء ، بل جاوز ذلك إلى المشتغلين بالفن كقصيدته في رثاء « أسمهان » التي انخلع قلبه لمصرها .. وقصيدته في زواج ابنة عمه ، وقصيدته بمناسبة الانعام على أم كلثوم في عيد فنها الذي أقامه لها رجال الفن في مصر ...

وأحيانا تكون القصيدة ثمرة لقراءاته وثقافته كقصيدة « الإنسان والمعرفة » حيث يفنى الإنسان في المعرفة ويخرج منها إلما صغيرا ثم يفنى إلى الأبد .

وهناك شعره الذي ترفده به السياسة في مصر والبلاد العربية والشرقية بصفة عامة ، فهو في مصر يطالب بتقويض النظام الذي كان قائما ، كما في قصيدته الزجلية « يامالك الملك » وهو مع فلسطين كما في النشيد الذي لحنه وغناه قسطندي خوري ، وهو مع الشرق كما في قصيدته « ياشرق » ..

وهناك شعره الذاتي الذي يعبر فيه عن آماله وأمنيته وآلامه وعما يجيش بنفسه في حالة فرحها وحزنها وغضبها ورضائها ، وهبوطها وصخبها وعن كل حالة من الحالات المختلفة التي تعتورها على حسب البواعث المثيرة لنفسه وشاعريته على سواء ..



ومهما يكن من أمر : فإنني أرجو بعكوفي على تراث الشرنوبى أن أقدم أدبيا خلف ما يستحق منا من الجهد والعناء .

وحسبي بهذا العمل المتواضع أن أؤدى ديني على عاتق إزاء شاعر لم أره ولكنني عشته في كل خلجة من خلجاته ، وفي كل باخرة من أحاسيسه .

البيئة العامة

كيف ومتى عاش صالح على الشرنوبى ؟

ما أبعاد بيئته السياسية والاجتماعية والفكرية ؟

إن الإجابة عن ذلك ضرورة جدا للتعرف إلى بيئة الشاعر الخاصة وإلى تكوينه الفنى وإلى أسلوبه فى التعبير . ولقد ولد فى السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٢٤ وهى فترة كانت من الخطورة بحيث تحتاج الى شئء من البسط والتنويه .

الحياة السياسية :

لكى نتحدث عن البيئة السياسية التى عاش فيها الشرنوبى ، لابد أن نذكر أن نظام الحكم فى مصر كان فرديا قبل أن تضع لها دستورا .

ومن ناحية أخرى فإن شكل الحكومة فى مصر والشرق لم يكتسب شيئا من التجارب المتتابة التى استهدفت تكوين الحكومة الصالحة فى كل من فرنسا وإنجلترا وغيرهما من البلاد الأوروبية ، وذلك يرجع — كما يقول العقاد — الى جمود ناشئ من عدم إسهام الشعب فى اختيار حكوماته المتوالية . (١)

على أنه كثيرا ما قامت محاولات ثورية للتخلص من نظام الحكم الفردى الذى كان يرين على مصر والمصريين على سواء ، فقامت ثورة عرابى فى مصر عام ١٨٨٢ حينما شعر الوطن بالوحدة القومية تحمل محل القبلية فى الحياة الاجتماعية ، ولقد استهدفت هذه الثورة استبدال حكم نابى عن طريق الانتخاب بين المواطنين بالحكم الفردى الذى كان سائدا حينذاك . ولم يكتب لهذه الثورة النجاح . وأسفر إخفاقهما عن إطلاق الحاكم المتجبر — على أعنف ما يكون التجبر — يده فى البلاد حتى مطلع هذا القرن العشرين ، وتتابع الأحزاب فى الظهور منها : الحزب الذى كان يعمل لحساب الانجليز ، وكانت جريدة «المقطم» لسان حاله ، ومنها حزب الحديو ، وكانت جريدة «المؤيد» لسان حاله وكان هذا الحزب يدين بالولاء لتركيا عن عقيدة دينية .. وثمة حزب ثالث وهو الحزب الوطنى ، وكان يدعو لتركيا فى الوقت الذى كان يطلب فيه الاستقلال التام لمصر ، ويتضح ذلك من قول مصطفى كامل : «حقا إن سياسة التقرب من الدولة العلية لأحكام السياسات وأرشدها» . (٢)

وفى عام ١٩٠٧ أنشئء حزب الأمة ، عقب مغادرة «كرومر» للبلاد ، وقد شهد كرومر مولد هذا الحزب وأثنى على رجاله الذين يرغبون — من وجهة نظره — فى التعاون مع الأوربيين على إدخال المدنية الأوربية فى مصر (٣) ، وكانت صحيفة «الجريدة» هى التى تنطق بلسانه ، وقد آل تحريرها فيما بعد الى أحمد لطفى السيد ، وكانت أهداف هذا الحزب

(١) عباس العقاد : خلاصة اليومية ص ٦١ ط أدبى سنة ١٩١٢ مطبعة الهلال ..

(٢) عبد الرحمن الراضى : مصطفى كامل ص ٣٥٠ ط ثانية القاهرة .

(٣) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد ، ترجمة عباس محمود ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

تتمثل في الدستور أولاً ، ويعني هذا تنازل الخديو والأتراك الحاكمين عن الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها للممثلين الحقيقيين للقوى الوطنية وهؤلاء الممثلون هم زعماء حزب الأمة كما كانوا يفهمون ..

أما الجلاء فلم يكن في نظر هؤلاء الزعماء إلا تالياً للدستور ، وقد رفض هؤلاء الزعماء فكرة الوحدة الاسلامية ، ومن هنا ثاروا على التراث الفكري العربي القديم ونقلوه ، واتخلوا الثقافة الأوروبية بدلاً منه ..

وفي تصورنا أنه على الرغم من أن زعماء حزب الأمة كانوا يمثلون الطلائع الفكرية - لأنهم يستهدفون تحرير الفرد والمجتمع على سواء ، فإن تأثيرهم لم يصل الى مدى بعيد ، ولم يتجاوز دائرة محدودة في الآفاق المصرية ، وذلك لاعتبارهم المجتمع الأوربي والثقافة الأوروبية مثلاً أعلى ينبغي أن يحتلّيه المصريون .

على أية حال كان لهذا الحكم أثر مدمر على نفوس المصريين اذ شاع في الناس سيئات الحكم الفردي ، فمن تجنيد إجباري لفرقة العمال ، إلى اعتقال متكرر لشبهة وغير شبهة ، وإلانات تفرض لعل من الملل المخترعة تبرعاً للصليب الأحمر ، أو ترفيها عن المرضى والجرحى في الحرب العالمية الأولى ، أو مساعدة على مشروع كائنا ما كان من مختلف المشروعات ، وأصبح كل طلب انذاراً بالتهمة المحكوم فيها بغير استئناف ، أو إنذاراً بالسداد في غير تردد ولا مساومة . (١)

ولقد ظلت مصر في حرب عوان بينها وبين المستعمر الغاصب فتألفت وزارات ، وسقطت وزارات ، ولكن هذه وتلك لم تستطع حكم البلاد ، وكثيراً ما مرت فترات حالكة على البلاد كانت فيها بغير حكومة ، وحينئذ رضع المستعمر الى إجراء مفاوضات بينه وبين ممثلي الأمة ، وعلى الرغم من الفتن والدسائس التي كان يبثها العدو الغاصب بين سياسيين ذلك العهد الذين كانوا يتفاوضون معه . فإن المفاوضات أسفرت عن استقلال داخل تمثل في وضع دستور لمصر وأعلن في ١٩ من ابريل سنة ١٩٢٣ . وبمقتضى هذا الدستور انتقل حكم البلاد الى المصريين الذين كانوا قد تصدعت وحدتهم . وهي وحدة واجهوا بها المستعمر في ثورة ١٩١٩ ، وتمثلت في وقوف الشعب خلف الوفد المصري بزعامة سعد زغلول . لقد تصدعت هذه الوحدة بسبب انفصال جماعة عن الوفد المصري ألفوا بعد ذلك حزب الأحرار الدستوريين الذي أسس في أكتوبر سنة ١٩٢٢ .

(١) الدكتور عبد الحى دياب : عباس العقاد ناقداً ص ٦٣

ومن جانب آخر اجتهد القصر في الاحتفاظ ببعض مزايا الحكم لنفسه ، فألف حزب الاتحاد ، ثم حزب الشعب ، واندمج كلاهما في حزب الاتحاد الشعبي .

والمتتبع للسياسة المصرية يرى أن ثورة ١٩١٩ على الرغم من أنها كانت تمثل نجاح فكرة القومية ، وذلك بتوحد القوى الوطنية ، وتمييزها عن هذا التوحد واليقظة في هذه الثورة ، وعلى الرغم من أنها أسفرت عن الاستقلال الداخلي ووضع دستور للبلاد وتنصيب ملك . على الرغم من هذا وذلك فإن المحتلين ظلوا يمسكون بأسباب الحكم ، وظلت القوات المعتدية تجرم على أنفاس الأرض المصرية . وراح المستعمر يضرب المصريين بعضهم ببعض وأشاع الفتن والفسائس بين الناس على اختلاف طبقاتهم ، وكان من الطبيعي أن يحس المفكرون في ظل هذا الاستقلال السطحي باليأس وتحتل المشكلة السياسية أكبر قدر من اهتمام المفكرين . وظل الحال على هذا المنوال حتى قامت ثورة ٢٣ من يولييه سنة ١٩٥٢ فكانت تنويها لكفاح شعب أراد أن يعيش .

الحياة الاجتماعية :

على أن الدعوة الوطنية عند زعماء الأحزاب كانت تتمثل في اتجاهين يخضعان بدورهما لمبادئ الأحزاب السياسية نفسها ..
وعلاصة ما يقال في الاتجاه الأول : عدم فصل الدين عن الدولة كما يتمثل في مبادئ الحزب الوطني :

ويتمثل الاتجاه الثاني في عدم اختلاط الدعوة الوطنية بالترعة الدينية ويتضح ذلك من مبادئ حزب الأمة وباقي الأحزاب الأخرى التي كانت تدعو إلى استقلال مصر تحت السيادة المصرية لا السيادة العثمانية . (١)

ومعنى هذا أن مفكرى حزب الأمة والأحزاب الأخرى عدا الحزب الوطنى كان لهم دور الريادة في الإصلاح الاجتماعى ، ويظهر ذلك بوضوح في الدعوة الى تحرير المرأة وفرض الحجاب عنها على نحو ما ظهر عند قاسم أمين . وإن قضية الحجاب والسفور في الواقع قديمة ترجع الى ملك حفى ناصف حيث دعت إلى السفور المحتشم منكراً اختلاط الجنسين . (٢)

الحياة الفكرية :

كان السواد الأعظم من المصريين فيما مضى كثيرى الاعتقاد في كرامات الأولياء

(١) الدكتور عبد الحى دياب : حياس العقاد : ناقداً ص ٦٤ ..

(٢) راجع باحة البادية للأنسة مى زيادة ص ١٢٥ وما بعدها ، مطبعة المتكلف عام ١٩٧٠ ، القاهرة .

مرهق السمع إلى القصص الخرافية حتى صارت هذه الخرافات - وكانوا يسمعونها عن العجائز - تملأ كل مناحي تفكيرهم ، وغدت عالماً كبيراً ملؤه السحر والغمريات التي تدور حولهم في كل مكان يحلون به . (١) وإذا كان في تلك القصص ما يشد الخيال فهي تبعث من غير شك على التراخي والتواكل ، وترك تحقيق الأمانى - ولا سيما بالنسبة للصغار - إلى المصادقة والاتفاق (٢) .

والمتتبع للتطور الفكرى في مصر يرى أن حركة الإصلاح التي قامت على يد جمال الدين الأفغانى ، وحمل مشعلها تلاميذه من بعده كانت ترمى فيما رمت إليه القضاء على تلك الخرافات والشعوذات ، وأخذ كثير من المصريين المثقفين يقيسون من ضوء تلك الحركة قياساً يضيئون به العقول المتخلفة من المصريين . لكن الانحياز سرعان ما أخذوا هذا الضوء الفكرى في مهده بسياساتهم الاستعمارية في الثقافة والتربية ، كالم ينجم من شرهم إلا نقر قليل ممن ارتضعوا لبان هذه الثورة الفكرية في عفوان شبابها .

وليس أدلّ على الهوة السحيقة التي تردت فيها مصر على أيدي هؤلاء المحتلين مافروه سعد زغلول في الجمعية التشريعية في ٣ من مارس سنة ١٩٠٧ ردّاً على اقتراح يتضمن تعليم المواد كلها باللغة العربية ، في المدارس ، وإبطاء التعليم باللغة الإنجليزية ، إذ قال : « اننا لو جعلنا التعليم باللغة العربية ، فانا نكون قد أسأنا الى بلادنا ، لأنه لا يمكن للذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا في كثير من المصالح التي تعتمد في إدارتها على اللغات الأجنبية ، وذلك بالإضافة إلى أننا نصادف في الوقت نفسه صعوبات مادية ، وهي قلة المعلمين الأكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون العربية ، فإذا كنتم توافقون على الاقتراح المقدم اليكم كنتم كنتم تحاول الصعود الى السماء بلا سلّم . (٣) »

ومن هنا غدا موقف المفكرين والأدباء المتطلعين إلى تحقيق الشخصية المستقلة في الفكر والأدب موقفاً عسيراً ، إذ كانوا لا يعتمدون على قوة حقيقية تساندهم في المحاللات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكثيراً ما كان هؤلاء المفكرون والأدباء يحملون أنفسهم معزولين عن الشعب وعن الجمهور القارئ الذي كان وما يزال مشبعاً بالثقافة التقليدية وغير قادر على التجاوب مع هذه الاتجاهات الثورية ..

ولقد واجه هؤلاء المفكرون صعوبة أخرى تتمثل في أن الحضارة الأوربية كانت تنصب أمامهم شائعة ، وهم قد انتهوا إلى الثورة على التراث العربى القديم ، وإلى منافسة

(١) ، (٢) المقاد : خلاصة اليومية ص ١٥ ، ٧٣ ، وعبد الرحمن شكرى : اعترافات شكرى ص ٢١

(٣) الدكتور عبد الحى دياب : عباس العقاد ناقدًا ص ٦٧ .

الحضارة الأوروبية والتفوق عليها . ولكن اندفاعهم في هذه الرغبة الأخيرة قد عا أصالتهم ووقعا فريسة التبعية المطلقة للحضارة الغربية في كثير من الأحيان ، وأصبحت قيمهم ومثلهم لاتنبع من واقعهم العربي قدر ما تنبع من الحضارة الغربية ، وذلك بمحاولتهم فرض قيم الحضارة الغربية ومثلها على الواقع العربي يعيشونه وبذلك أصبح موقفهم محيرا متناقضا ، إذ أنهم يتجهون إلى محاولة الارتباط بالواقع والتأثر - في الوقت نفسه - بالثقافة الأوروبية ولكن هذه المحاولة قد اصطدمت بمن يتمسكون بالتراث العربي القديم من الأدباء من أمثال مصطفى صادق الرافعي الذي خاض معارك ضارية مع المجددين (١) .

وعلى الرغم من تلك المعارك الضارية التي كانت تنشب بين الحين والحين فإن المجددين مضوا في سبيلهم يهاجمون القيم البالية ولا يلوون على شيء . فهاجم على عبد الرازق فكرة الخلافة الاسلامية ، وفي الوقت نفسه هاجم العقاد والملازقي الشعر العربي القديم كما يتمثل في شعر حافظ ابراهيم وشوقي وأضرابهما ، معتمدين في هجومهم على أن هذا الشعر لا يمثل مجتمعهم الحديث ولا واقعهم الذي يعيشونه ، ذلك أنه من نتاج ظروف اجتماعية مختلفة كما أنه لا يعبر من ناحية أخرى عن ذاتية صاحبه وعن أحاسيسه العميقة . وحاولوا تقديم أمثلة حية من شعرهم على الشعر الذي يعبر عن ذاتية صاحبه . (٢)

ومهما يكن من أمر فإن هذه الدعوة قد أكدت الجانب الذاتي في شخصية الشاعر ، وخلصت الشعر الحديث من الخضوع المباشر للشعر العربي القديم مما نجد آثاره المباشرة في شعراء المدرسة الرومانسية من أمثال علي محمود طه وإبراهيم ناجي وشاعرنا الذي نحن بصدد دراسته صالح علي الشرنوبى .. (٣)

تلك هي معالم الصورة التي استوحيناها مما ترسب في نفوسنا من قراءتنا للحيوات السياسية والاجتماعية والفكرية لعصر الشرنوبى . وكان لها أثرها على الناحيتين النفسية والخلقية لدى المصريين .

فمن ناحية الأثر النفسى نرى أن الاستبداد الذي عانى منه المصريون ليأتى الاحتلال ابتعث في نفوسهم سوء الظن ، وبقي هذا الإرث في نفوس الأفراد فيما بعد ، ومن ثم فقد دهمتهم موجة عارمة من اليأس خلطوا من أجلها الى الراحة والاستسلام والتواكل . وانعدمت روح التنافس بينهم .. (٤)

(١) الدكتور عبد المحسن بدر : تطور الرواية العربية الحديثة ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) ، (٣) راجع تطور الرواية العربية الحديثة للدكتور عبد المحسن بدر ص ٤٧ .

(٤) الدكتور عبد الحى دياب : عباس العقاد ناقداً ص ٦٩ .

أما الأثر الخلقى فيتمثل في فقد المصريين للشجاعة الأدبية ، واتصافهم بالرياء والتناق ، وهما يستبعان الغيبة والنميمة ، والجراحة على الناس في غيبتهم كالتزلف إليهم في حضرتهم ، وهذه كلها من علامات الجبن والصفار (١) .

ومن هنا غدا النجاح لدى المصريين — كما يقول عبد الرحمن شكرى — « رهنا بإجادة الملق والدهان ، والرياء والتناق ، والفضة ، والاهتمام بالأشياء الحقيمة والمكر والتطفل وارترقاب القرض الوضيعة ، واتخاذ كل وسيلة مهما كانت ذنيّة لاكتساب ثقة الناس والإلحاح في طلب المنافع وإظهار الحاجة إليهم والتدليل لهم والتهافت عليهم ، وإخفاء مقابحهم مهما عظمت أو إظهارها في مظاهر الحماد والفضائل ، وأن أكسر لهم سلسلة ظهري الفقيرة احتراماً وتجيلاً ، وأن أضحك أو أهش إذا تبسط أحدهم بالفكاهة الغثة الباردة ، وأن أضعهم في منزلة أفلاطون وسقراط إذا اجتهدوا أن يجدوا بالحكمة العالية ، وأن أبتسم إذا ابتسموا وأن أعبس إذا عبسوا وأن أجعل عرضي لهم خرقه أسبح بها أعراضهم النجسة ، كل هذه الصفات ليس عندي منها إلا القليل النادر ، واقتضائها هو سبب من أسباب فشلي في كثير من المساعي » (٢) ، وعلى ما في هذا الوصف من تطرف ومبالغة فقد ألح على الجميع حتى قال شاعرنا في قصيدته «البيث» :

رأيت حظوظ الناس شئى فجاهل	أمير .. وأهل العلم في كفه أسرى
ونابئة فلذ .. يعيش مشرداً	يكابد من أيامه الذل والفقر
فإن مات هبّ الناعون .. فأمطروا	ثراه الجديب القفر مدمهم ثرا
وراحوا يحيون الرميم بذكره	وهيهات أن تجدى على الميت الذكرى
لقد كان يرجو القوت .. لامؤمنا به	فظنوه يرجو المستحيل أو الكفرا
فأيهما أختار لو كنت مثله ؟	لعل يحظ القدم في سعده أخرى

وفي قصيدة « السراب الخالد » يتساءل عن حقيقة وجوده ونهايته . وحقيقة الحياة وما وراءها ، وما غاية الدهر إلى آخر ما ينم عن حيرة وقلق وشكوك تعصر قلبه وعقله معا :

من أنا ؟ من أكون ؟ ما بده وجودى ؟ متى تكون النهايه ؟
ما وراء الحياة ؟ .. ما غاية الدهر ؟ وما كان قبل بدء الروايه ؟
كان من أوجد الورى من تراب وله في الوجود أعظم آيه

(١) راجع : خلاصة اليومية لعباس محمود العقاد ص ٢٥ .

(٢) راجع : اعترافات شكرى ص ٤٢ القاهرة ط أولى سنة ١٩١٦ .

ثم ماذا ؟ .. صمت .. وعي .. وعجز .. وظلام .. وحيرة .. وعمايه .
 وشكوك تعب أيام عمرى وترينى ضلالتى كهـدايه
 ومقادير تستحث خطانا وهى تجرى بنا الى غير غايه
 وتمر الحياة بين سؤال وجواب يزيد جهلى غوايه
 ويفر السجين من قبضة القيد فتنبى عند الختام البدايه
 ثم يسلو على المسدى أبواه وهما كالفقيد .. بعض الحكايبه
 وكان الذى مضى لم يجيء بعد فيستأنف الخناة الجنايه
 كما أن قصيدته التى أنشدتها فى مغارته فى جبل المقطم حينما لجأ إليه بعد ما عز عليه أن يجد
 سكنا بأويه ، أو هكلنا شاء لنفسه حينما رفض الحياة مع الذين يفلتون عن أسى الفقير وعن
 لوعة المشرد المدحور والذين يلغون فى الدم الملهدور من أعصاب الكادحين والأجراء ..
 فى هذه القصيدة نراه يقول لنا إنه لا يجد له نصيرا فى الأرض إلا ضميره الذى أبهسه الملابس
 الرثة الممزقة ، وأبجأه الى القبور حيا يمشى لها على قدميه فيقول وهو يخاطب القاهرة من
 فوق المقطم بجمانة الغفير :

إنى هنا .. ياجنة الحفير أكل جوعى وأضم نيرى
 وليس لى فى الأرض من نصير إلا ضميرى آه من ضميرى
 ألبسى ممزق الستور وجاء بى حيا لى القبور
 أقرأ فى ظلامها مصيرى وأعرف الغاية من مسيرى
 بعد احتراق الأمل الأخير وفرقة الصاحب والعشير

وفى هذه البيئة العامة التى كان يسودها السخط والسأم ، والتى كانت مليئة بالشكوى
 فى الأدب والحياة العامة ، حتى غدت تجربة من التجارب الشعرية فى ذلك الوقت بحيث
 لا يقرع سمعك الا آهة متأوه أو نشيج محزون .

فى هذه البيئة نفسها عاش شاعرنا صالح على الشرنوبى بطموحه وتوثبه وتمردة على القيم
 المألوفة المتعارف عليها فى ذلك العصر ، فى الوقت الذى قد انسد فيه باب الأمل أمام طلاب
 العلا الذين أخذوا يسائلون الأفق من أين يكون منفرج الطريق .

البيئة الخاصة

على الرغم من اعتقادنا أن المقومات الفطرية أقوى من المكتسبة فإننا لانستطيع أن ننفل
 المقومات المكتسبة ، ولأنه لو كانت المقومات الشخصية هبة طبيعية فحسب ، لكنا ضحايا

الظروف وما كان للتربية أى أثر في تكوين العظماء من رجال العلم والأدب والفن ، ولكن أثرها لا ينكر في تكوين الشخصية والعظمة في نفوس العظماء^(١) ، ولم تكن مقومات الشرنوبى الفطرية كل شيء في مقوماته الشخصية ، فقد ربى نفسه تربية لم يرد له والده ولا واحد من أسرته على الرغم من الاطار الدينى الذى أحاطوه به ، وقد استطاع أن يعتق من هذا الاطار إلى عالم أوسع وأرحب هو علم الفن والأدب . كما أنه لم يهتم في تربيته لنفسه بتنمية الفرد فيه حتى تتأصل فيه الفردية بمعنى الإنسانية Individuality ، ولكنه كان مهتما بتنمية الشخصية الذاتية في نفسه Personality ، وذلك واضح في سلوكه وأخلاقه وفكره كما سنبينه فيما بعد .

وبمقتضى هذا الفهم سندلف الى الحديث عن مقومات الشرنوبى الشخصية سواء أكانت فطرية أم مكتسبة ، غير أننا نود أن نشير الى أنه ليس من الممكن بحال من الأحوال على الباحث الناقد أن يفصل بين المقومات الفطرية والمكتسبة . ومن ثم سيكون حديثنا عنهما في خط طولى يربط الخيط التاريخى مابين ولادته ووفاته الى آخر مااستحدث عنه من تلك المقومات الشخصية .

مولده واسرته :

ذكرنا أن الشرنوبى ولد في السادس والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٢٤ ونضيف أن أباه الذى كان يشتغل في تجارة الأسماك لم يتزوج سوى امرأة واحدة أنجب منها ابنه شرنوبى ، وبعد عشر سنين جاء شاعرنا بعد طول ترقب فكان بشير فرح ، وقرر أبوه أن يعلمه العلم الشريف على حد تعبيره في الأزهر ، ليقدم مايرضى الله لإزاء نعمته عليه بالإنجاب مرة ثانية . ثم تتابع الإنجاب وان يكن على فترات تطول أو تقصر ، اذ ولد له بعد صالح بثمانى سنوات ابنه عبد العزيز الذى يعتبر صورة طبق الأصل من صالح في التكوين الجسدى لولاء أن وجهه خال من البثور التى كانت توجد في وجه صالح ، وطلعت الشرنوبى الذى ولد بعد عبد العزيز بستين ، كما ولد له ثلاث بنات .

وقد استقبل ولادة الشرنوبى بيت أنشأه والده على ساحل بحيرة البرلس ويقع في مساحة لا تقل عن ٤٠٠ متر مربع ، وهو مكون من ثلاثة أديار ، الأول خصصه والده للضيوف وإقامة شعائر الدين في رمضان ، والثاني كان يقيم فيه والده وأخوه الأكبر شرنوبى . أما الطابق الثالث فكانت تقيم فيه بقية أفراد الأسرة . وكل دور منها يشتمل على جناحين محتوياتهما .

(١) محمد عطية الإبراشي : الشخصية ص ١٠ ، ١١ ..

وكان الركن المخصص لشاعرنا من الطابق الثالث يطل على بحيرة البرلس ، وعلى أبراج الحمام أقيمت فوق بعض المحلات التجارية التي يمتلكها والده . وحينما يصعد الداخل إلى الطابق الأول تطالع هذه الجملة « مرحبا بالزائرين » كتبها الشاعر رحمه الله على الحائط المقابل للدُرج بخطه الجميل .

كان ذلك البيت نموذجاً للبيت المصري في القرن التاسع عشر ، من حيث أن بعض نوافذه تطل على الشارع وبعضها الآخر على فناء البيت . ومن حيث الإحكام ومناة البناء وارتفاع السقف ، واتساع الحجرات والأفنية والممرات والملحقات من دورات المياه وغيرها . وكان والده معروفاً بالشدة والصرامة ، شديداً في الحق ، رابط الخاش حينما تخزبه الأمور ، متجعلاً بالصبر حينما تمتحنه المحن والخطوب ، وكان مع هذا كله تقياً ورعاً تظهر عليه أمارات الوقار منذ صغره ، إذ كان الناس في بلطيم يطلقون عليه منذ نعومة أظفاره لقب « الشيخ علي » وكان وفاءً للحقوق مؤدياً للصلوات في أوقاتها . كما تتصف والدته بالشدة على الأسرة فلا تقبل تراخياً في عمل ، ولا اعوجاجاً في سلوك ، وكانت تأخذ نفسها بالشدة في أداء الصلوات والصدقات .

ولم تكن التزعة الدينية مقصورة على والديه ، بل كانت أسرة شرنوبى تشركهما في التدين والتقرب إلى الله ، إذ كانوا يتقربون إلى الله ببناء المساجد ، حتى أن جدهم شرنوبى عبد الله قد جلد أكثر مساجد بلطيم من نفقته الخاصة ، ومنها مسجد سيدى حسن الرقاعى وهو من المجاهدين في « برمال » ، وسيدى يوسف البهلول وهو من مجاهدى الفتح الإسلامى ، وسيدى فتح الأسمر أستاذ قايتباى ، وظل الشيخ علي والد شاعرنا وإخوته الكبار ينفقون عليها جميعاً - وخاصة محمود ودسوق - من نفقتهم الخاصة .

والذى يغلب على اعتقادنا أن هذه النشأة الدينية ليست غريبة على البيئة المصرية لا سيما في الأقاليم ، لأن التزعة الدينية في هذه الأقاليم تسود كل بيت ، وتكمن في نفس كل فرد . ومن ثم فإن تقديرنا لعبقرية الشاعر الفنية يزداد بمعرفتنا لنشأته الأولى بين هاتيك التقاليد التي لا تتيح للفرد خروجا عليها إلا في قالب منها .

أما الشرنوبى فانه يرجع إلى عبد الله محمد عبد اللطيف جحا سنجق سرى وقد جاء مع حملة محمد علي ونزل ببولاك الدكرور ، وكان عبد الله ملتزماً بالبحيرة (البرلس) في عهد محمد علي ، وبعد أن انتهى نظام الالتزام اشتغل أولاده الأربعة في تجارة الأسماك ولوازم مراكب الصيد وكان أكبرهم شرنوبى عبد الله ، وأنجب هذا تسعة رجال وثلاث سيدات ، إذ كان من دأبه أن يتزوج من كل بلد يحس أن فيها خطراً على مراكبه الممتدة

على شواطئ البرلس والتي تقع في نحو ٤٠٠٠ ألف فدان بفرض تأمين مواصلاته التجارية وكان من أولاده محمود ودسوقي وأحمد والحاج على شرنوبى والد شاعرنا صالح . وأما أمه فهي من أسرة الرمادى التى تقطن « محلة البرج » بالحلة الكبرى وتشتهر بالزراعة ، وجده لأمه يدعى ابراهيم الدسوقي الرمادى وجدته لوالدته من الأتراك المتصرين . وكانت تتكلم التركية ، وتطلق العربية ولكنة غريبة .

مهد طفولته :

درج الشاعر فى بلطيم وكانت ولا تزال تتمتع بطبيعة أوربية ساحرة إذ تحيط بها المياه من كل جانب فى البحر المتوسط من جهة ، وبحيرة البرلس من جهة أخرى ، وبحر « تيرة » من جهة ثالثة ، وقد شيدت مساكنها على ربوات عالية بحيث لا يطل المرء من مسكنه حتى يرى المياه أو المزارع من النخيل والأشجار المثمرة وغيرها ..

أما المناخ فمتقلب بين الصفو والغمام وهده الرياح وتقلباتها حتى تصل إلى حد العواصف الهوجاء ، والجو ممطر فى أكثر الأحيان ، بعد أن يسبق المطر الأنواء التى يتعرف عليها سكان هذا الثغر الجميل لا سيما الصيادون منهم . فكل شيء فى بلطيم جديد مع كل الفئاة ، ومع كل خطوة بخطوها المرء ، ومن هنا كان الشرنوبى لا يفتأ ينتزه فى مزارعها وعلى ساحل البحيرة . أو على شريط الدلتا بحيث يكون بحر « تيرة » ذو المياه العذبة على يمينه والمزارع الخضر من النخيل على يساره ، لا سيما وقت الأصيل أو فى الليالى القمرية ولطالما جلس شاعرنا على شريط الدلتا وهو مأخوذ بحمال النخيل ، ويتسمّع إلى خفيف سفعه والريح تداعب وجناته .

كما كان يجلس هناك على أعلى ربوة فى بلطيم بجوار مسجد سيد فتح الأسمر مطلا على مقابر المدينة وهى متدرجة فى الرمال وعلى مد البصر المزارع من الجهة البحرية والبحيرة من الجهة القبلية ، وكانت هذه الجلسة تطول فى بعض الأحيان حتى تستغرق اليوم كله دون أن يتناول شيئا من الطعام ، بل يكتفى عنه بالتأمل فى الطبيعة التى تبدو من خلالها بلطيم كالعروس المجلوة ليلة الزفاف ، وكان يشعر فى جلسته هذه أو تلك بالوحدة والانفصال عن علم الناس . وما أكثر ما أوحى إليه تلك المناظر المتعارضة المتناقضة بالقداية المحاطة بالأسرار العميقة فى النفس والشعور تلك القداية التى تحبسها ولا تحيط بها ، فتملأ الأعماق والشعور ، وتتحدى القوى وتسبب أغوار العظمة فى مكان النفس حتى تأتى بالعظام والتضحيات .

وكان يتمتع فى البيت بإعزاز والدته له ، لأنه أول مولود رزقت به بعد أن انقطع حملها بعد ولادتها لأخيه الأكبر شرنوبى ، ولذلك كانت تحاف عليه من الحسد وتضع

في أذنيه قرطا وتطيل شعره . وكانت تخاف عليه من شروده وهو جالس في البيت ، إذ تزوغ نظراته وهو يتأمل الأشياء ويتفحصها ، وكم حاولت ألا يسير بمفرده في نزهاته أو يجلس منفردا ، فتروح تناديه وهو شارد عما حوله - وهى بجواره - ولكنه لا يسمع نداءها . وقد دفعها خوفها عليه كذلك أن تسميه « يونس » وتناديه به بدلا من صالح الاسم الرسمي . ومن هنا اشتهر بيونس في بلعالم كانيا . وقد ظنت أن تغيير اسمه مانع له من الحسد ويُطيل في عمره . ولطالما وهو الطفل الصغير - اصطحب الشيخ عبد اللطيف كامل المقرئ الذى كان يحب ليالى رمضان في مترهم ، لأنه كان يضرب على العود بعد أن ينتهى من قراءة القرآن ، وكان صالح يردد معه أذان العشاء بصوته الرخيم برغم أنه لم يكن قد تجاوز العاشرة بعد .

وقد دفع به والده إلى الشيخ « على أبو دعلة » ليعلمه القرآن في البيت ، وكان الشيخ دعلة يضربه ضربا مبرحا ، ليقنع والده أنه يحل مايعطيه له من النقود بسخاء ، ولكن صالحا كان يتمرد على دستور هذا الرجل الضريع ، وكان ينفر منه حينما يأتى إلى البيت ليعلمه القرآن فيهرب ويغنى عن الأعين ، فيرسل إليه والده « عبد الحليل الدويك » الذى كان يعمل عندهم ويحبه صالح جدا شديدا ، ويظل « الدويك » يبحث عنه في كل مكان حتى يعثر عليه بعد لأى وجهد ، وكان « الدويك » يتوسط لصالح لدى « أبى دعلة » لئلا يضربه .. وفى أغلب الأحيان كان « الدويك » يعثر عليه ، على أعلى ربوة في بلعالم بجوار سدى فتح الأسمر ، وهو يتأمل في الطبيعة ، وينظر إلى المقابر الماثلة أمامه في خوف وفزع . وكان الشيخ على أبو دعلة يضرب ناشتنا حينما يأتى به « الدويك » من الربوة أو من لعب الكرة مع أصدقائه من الأطفال ، وتمضى به الأيام وهو يحفظ القرآن على يد هذا الشيخ الضريع الذى أدخل في نفسه الرعب والفزع ، حتى استطاع في إخلاص أن يبحث كل البواعث المحيية في حفظ القرآن ، وعلى الرغم من ذلك فقد حفظ القرآن من أوله إلى آخره في العاشرة من عمره تحت طائلة العقاب .

وفى هذه الفترة العصيبة ظهرت بوادر الشاعرية لدى صالح ، اذ كان يجلس مع حلات أسرته في بلعالم وهو يدعى محمد ييوى ، وكان هذا الحلاق زجّالا ، ويكتب على لافتة صالونه « شاعر البرلس » فكان شاعرنا في حدائنه يألفه ويقضى معه وقتا طويلا كل يوم يستمع إلى زجله .



ولكن ماذا يصنع والده بعد أن حفظ شاعرنا القرآن في هذه السن المبكرة ، إنه يذكر أنه قد وهبه للعلم الشريف في الأزهر ، ولكنه يذكر كذلك أن صالحا في سن لاتسمح له

بأن يعيش وحده بعيدا عن الأسرة .. ماذا يصنع إذن ؟؟ حقيقة ماذا يصنع إزاء هذا الصراع الذى يعتمل فى نفسه بين حرصه على عقيدته فى هبته لابنه ليكون عالما ، وحرصه فى الوقت نفسه على هذا الإبن الذى لا يعرف أن يقوم بأمر نفسه . وبينما هو على هذه الحالة من الصراع يقلب الأمر على وجوهه المختلفة ، خرج برأى خاله محققا لآماله بالنسبة لولده وعقيدته ويتمثل هذا الرأى فى أن يقنع والد أحد الطلبة فى معهد دسوق بأن يعيده الى الدراسة بعد أن قطعه عنها لعمجه المادى عن أن يتفق عليه ، وأخفه بعمل زراعى فى بلطم .. استطاع الشيخ على شرنوبى أن يقنع هذا الوالد بإعادة ابنه الى الدراسة ، وعليه هو أن يتفق عليه مع صالح ابنه .

وقبل الوالد هذا العرض وقام الشيخ على شرنوبى نفسه بإعادة هذا الطالب الى الدراسة وهو يقدم لابنه فى معهد دسوق الدينى واستأجر لهما سكنا فى دسوق ، وأخذ يردد عليهما بين الحين والحين ليطلع على أحوالهما ، وكان يعتبر هذا الطالب رشيدا على ابنه ، ومن هنا كلفه بأن يتابعه فى دراسته وأحواله على سواء .

وحينما انتقل هذا الطالب الى القاهرة ، تابعه والد شاعرنا بالرعاية أيضا ، وحول أوراق ابنه الى معهد القاهرة الابتدائى ليكون بجانب رشيدته وتحت رعايته .

وحصل صالح الشرنوبى على الابتدائية فى عام ١٩٣٩ وظل فى معهد القاهرة الدينى بالقسم الثانوى حتى عام ١٩٤٤ وانتقل بعدها الى معهد طنطا الدينى ليكون مع والدته وإخوته الذين يتلقون العلم فى المدارس الابتدائية بها .

وفى ١٥ من بوليه عام ١٩٤٤ حدث وهو يقضى الاجازة الصيفية أن ماتت المطربة أسمهان ، فرج هذا الحادث شاعرنا رجاء ، وأخذ يردد على مقابر بلطم عقب صلاة الفجر كل يوم حتى أنشد قصيدته « من وحى التراب » التى يقول فى مطلعها :

هات النموع فأنت شاعر ما للدموع لديك آخر !!
لم تلهم الأبراج قلبك بعض إلهام المقابر

ويقول فيها :

مثلت دورك فى روايتهم كما شاموا .. عشيقه
قد نمتل مرتين على اختلاف فى الطريقه
فى شاشه الفن الجميل وشاشه الموت الصفيقه
أفنديك .. هل ألهمت أنك بعد أيام .. غريقه ؟
فتقصت دورك فى الخيال .. لتكمله .. فى الحقيقه

طفولته الأدبية :

وبعد تـنا عبد الصبور مرزوق زميل الطالب في حراسته في معهد القاهرة الديني أن صالحا كان يقطن إذ ذاك في حجرة في « لوكاندة الكلوب المصري » في سيدنا الحسين ، وكانت تكاليف اللوكاندة في ذلك الوقت مرتفعة جدا اذا قيسـت بحياة طلبة المعاهد الذين كانوا يسكنون كل أربعة في حجرة واحدة .

وكان صالح الشرنوبى في هذه الفترة قد أغرم بالأدب إغراما ملك عليه قلبه ومشاعره حتى استحوذ على عقله وفكره ، إذ كان - وهو الطالب الصغير على حد تعبير عبد الصبور مرزوق - منارا يقبس من ضوءه الأدبي زملاؤه حتى استطاع أن يوجه عددا منهم إلى الاشتغال بالأدب كل على حسب أصلته وميوله تجاه الجنس الأدبي الذى يجد نفسه فيه .

ومن هنا نرى عبد الصبور مرزوق يقول : « أول ما وقعت عيني على معجم الأدباء ، وديوان مهيار الديلمى ، وديوان « صرتر » في يد صالح شرنوبى في عام ١٩٤١ ، وكانت هذه نقطة تحول لى وكثير من زملاءه في جنوحهم الى الأدب ، اذ كنا نقرأ في أول الأمر هذه الكتب منه وبدأنا نعيش الأدب عن طريق صالح الشرنوبى ومن هنا أدركنا حرفة الأدب ، فأخذنا نشترى الكتب الأدبية وعكفت على قراءة الرافعى بعد أن جاء صالح يقرأ لى من مقدمتها : (هى رسائل الأحزان ، لا لأنها من الحزن جاءت ، ولكن لأنها إلى الحزن انتهت ، ثم لأنها من لسان كان سلما يترجم عن قلب كان حربا ، ثم لأن هذا التاريخ الغزلى كان ينبع كالحياة وكان كالحياة ماضيا إلى قبر ...) . فراقى هذا التعبير واشتريت رسائل الأحزان وغيرها من كتب الرافعى ، وكانت هناك صعوبة تواجهنا في أدب الرافعى في أكثر من موطن ، ولكن هذه الصعوبة قد تبددت بعد أن عاودنا القراءة مع لإدخال عامل الزمن » .

وفي ذلك الوقت كانت مجلة الرسالة والرواية تثيران المعارك الأدبية فاستهوت هذه المعارك هذا النفر من الشباب ووجهتهم وجهة أخرى ، إذ بعدت بهم نوعا من البعد عن أدب الرافعى وكان شاعرنا يتفق مع عبد الصبور مرزوق على الكتب التى يقرأنها في الاجازة الصيفية وكان كل منهما يشترى كتب بعض الأدباء ويتبادلها مع صديقه بعد قراءتها .

على أن صالحا كان يؤثر في قراءته الشعر ونقده ، على حين كان مرزوق يؤثر الأدب المتنور بكل ضروبه من قصة ومقالة وأبحاث وغيرها .

وكانت قراءة الشرنوبى للشعر وللشعراء القدامى بوجه خاص دافعة له إلى أن يقدم على معارضة الشريف الرضى في بعض قصائده ، غير أن هذه الرغبة لم تتحقق وحل محلها إنشاده شعرا من قريحته وخياله ووجدانه هو ، لا محاذا فيه الأقدمين .

وكان شعره جيذا على الرغم من قصر عمره في الإنشاد ، وقد وظف شعره في المطالبة
بمدرسة ابتدائية بلطيم حينما زارها عبد الحميد عبد الحق وكان وزيرا في حكومة الوفد
إذ ذاك ، فألقى أمامه قصيدته « تحية الشاطئ » ومطلعها ..

لك من كل مهجة ما تشاء يا بشيرا غنت له البشراءُ
وفيها يقول :

نحن قوم نعيش في أرض نصر وترانا كأننا غرباء !!
ظلماً محرق وجهل غشوم - وطغت فوق ذلك الأدواء
فأغينوا قوماً جيعاً طواهم في الرزايا الإصباح والإساء
إن فيهم عباقر - علم الله - وفيهم إن يسلموا نبغاء

وبعد إنشاد القصيدة طالب عبد الحميد عبد الحق بمدرسة ابتدائية في بلطيم ، فأجابه
إلى طلبه ، وكانت هذه المدرسة أول مدرسة تفتتح في بلطيم للبنات في سبتمبر سنة ١٩٤٣ ،
وكان والده يرسل إليه راتبه الشهري الذي حدده له بانتظام وهو مبلغ عشرة جنيهات
تقريبا ، ولكنه كان يرسل إليه دائما أنه في حاجة إلى نقود ، وكان يطلب من والدته في
أغلب الأحيان بعض النقود لشراء الكتب الدراسية ، ولكنه كان يشترى بها كتباً أدبية
لاعلمية مثل معجم الأدباء لياقوت وغيره من أمهات الكتب الأدبية في اللغة العربية وآدابها ..
وحينما انتقل إلى طنطا سكن مع والدته وأخويه عبد العزيز وطلعت ومكث معهم ثلاث
سنوات حصل بعدها على شهادة أتمام الدراسة الثانوية في عام ١٩٤٧ .

وقد تعطل في المرحلة الثانوية ثلاث سنوات ، منها سنة لقيادته للإضرابات ضد الحكومات
التي كانت تحكم مصر حينئذ ، وستان لعدم حفظه القرآن ، وكثيرا مانجح من الدور الثاني
في المرحلة الثانوية بعد أن كان مبرزا في علومه في المرحلة الابتدائية ، وذلك لنسيانه ما حفظ
من كتاب الله .

وهنا نتساءل ما السبب الذي من أجله أنسى القرآن ؟

فهل هو ما ظهر من العوامل الشعورية المكبوتة في أعماقه من ضرب أبي دعدة الذي
كان يحفظه القرآن ، ذلكم الرجل الضريع الذي كان يتفنن في إيذاء شاعرنا ، حتى استطاع
أثر ضربه في نفسه أن يحمو من ذاكرته القرآن .

أو أن اشتغاله بالأدب والشعر ، والسياسة إلى حد ما قد اجتذبت هذه كلها إليها ،
ولم يبق للقرآن وقت ليعود إلى حفظه بواسطة ترداده على ذاكرته كل يوم ؟ قد يكون هذا
أو ذاك هو السبب ، وقد يكونان معا .. ولا تعنينا حينئذ حقيقة السبب بقدر ما يعنينا أثره

ونتيجة . فالذي لاشك فيه أن شاعرنا قد أنسى ، القرآن ، والذي لاشك فيه أيضا أن نسيانه هذا سيدفع ثمنه من مستقبله فيما بعد .

• • •

على أنه وهو في طنطا كان يغلق على نفسه حجراته ويمكث فيها طويلا وفي الوقت نفسه كان تؤثره النفسى يعنف في بعض الأحيان وذلك عقب انشاده للشعر ، حتى ليخيل الى أهله أنه يفقد السيطرة على قواه العقلية .

ومن هنا عرضه على طبيب الأسرة وهو طبيب عام لا صلة له بدراسة علم النفس ولا يعرف عن حيوات الشعراء والفنانين شيئا .

ولما كان الطبيب – بوصفه صديقا للأسرة وطبيبها – يعرف كثرة رسوب شاعرنا في دراساته الدينية ، ولما كان الشاعر أمامه قوى البنية مفتول العضلات ، فقد كان لا بد من أن يشير عليهم بادخاله مستشفى الأمراض العقلية ، وكان لا بد كذلك من أن يتزلوا على رغبته ، أليس هو الصديق للأسرة قبل أن يكون طبيبا ؟

ويؤكد طلعت الشرنوبى شقيق الشاعر أن أخاه الأكبر شرنوبى رحمه الله كان يتردد عليه هو ووالده في المستشفى ، ثم خرج من المستشفى حينما أنشد المسئولين فيها الكثير من شعره ، وثبت لهم من خلال ذلك أنه بكامل قواه العقلية .

ويعتدنا طلعت الشرنوبى أن هذه المرة التي دخل فيها شاعرنا مستشفى الأمراض العقلية ليست هي المرة الوحيدة ، لأنه دخلها بعد خروجه منها بأربعة شهور تقريبا ، وذلك على أثر نصيحة نفس الطبيب .

وحينما سمع الشاعر تلك النصيحة حاول أن يعتدى على الطبيب بعضا غليظة كانت في يده ، غير أنها أخطأته ونزلت على وجه أبيه ، فتزف الدم من عينيه وأنفه وأحدثت بوجهه أثرا ظل باديا في وجهه حتى نهاية عمره . حينئذ استدعى له الدكتور قوة من قسم ثانى طنطا ، ونشبت بين شاعرنا وبين تلك القوة معركة ، وكاد أن يتغلب عليهم جميعا – على حد تعبير طلعت – لولا أن خارت قواه في النهاية ، فأوثقوه بالحديد ، وألبسوه قميص المستشفى ورحلوه إليها ولكنه خرج منها بعد أسبوعين وذهب الى طنطا سيرا على قدميه وقد أنشد قصيدته التي يقول فيها في المستشفى :

خذاني فغلّاني وشدّاني وثاقيا ولا تسقيا الغبراء إلّا دمايا
ولا تذكراني في بنى الطين بعدها فقد عفت أرضى واجتويت سهايا

وبعدئنا طلعت الشرنوبى أن تؤثر الشاعر في ذلك الحين لم يكن سببه إنشاد الشعر فحسب ، بل لأنه كان يتعاطى المخدرات بأنواعها كافة وليس هذا غريبا على عالم الشعر على المستوى العالمى ، فبالإضافة الى أن أغلب شعرائنا لا سوا في أجيال الشعراء السابقة كانوا يتعاطون المخدرات إلى حد الاسراف فيها ، هناك نفر من الشعراء العالمين من كان لانتقاره و زجاجة الأفيون ، مثل « شيللى وكوليردج » .

وعلى الرغم من دخوله مستشفى الأمراض العقلية وهو في طنطا فإنه كان يرتاد متدبائها الأدبية والعلمية . وكان الناس يألّفونه ويحبّونه . ومنهم من كان يرتاح إليهم ويعيش بينهم وقتا طويلا كأسمرة القرشى الفنية ، نظرا لصداقته بصلاح القرشى الملمّحّن ، والذي كان يلحن لأخته سميحة بعض الأغاني من شعر صالح لتغنيها .

وقد اتصل كذلك وهو في طنطا بالأستاذ توفيق قنديل التاجر وبالأخطاط « أبو العلا » ، ودرس على يديه فن الخط حتى أصبح خطه جميلا كرسمه الذى زود به دواوينه الشعرية . وبعدئنا عبد المقتدر خطاب ابن خالة الشاعر وصديقه وزميل دراسته أن والد الشاعر كان يوصى الحاج جوهر تاجر العطارة بطنطا لكى يعطى شاعرنا كل ما يطلبه للكتب على أن يسد هو المبالغ التى يأخذها صالح .

وكان هناك تاجر آخر للحديد والبويات يدعى مصطفى عبد الخالق كان يأخذ منه الشاعر ما يطلبه كتوصية والده ، وذلك على الرغم من أنه كان يعيش في حضانة الأسرة . وفى ذلك الوقت كان يردد على رابطة الزجاليين في طنطا ويأتى فيها شعره ، كما كان يشارك في كل احتفالات معهد طنطا الدينى بشعره .

فى التعليم العالى :

وبعد حصوله على شهادة الثانوية في عام ١٩٤٧ تاهّب لدخول كلية دار العلوم لأن أميته في إتمام تعليمه في المرحلة الجامعية كانت تتركز فيها ، وكان يقول في هذا الصدد لكل من يسأله وهو في المرحلة الثانوية عن الكلية التى يتوى أن يكمل فيها دراسته العالية .. كان يقول جملة الخالدة : « الى دار العلوم شددت رحلى » .. واجتاز امتحان مسابقتها التحريرى بنجاح مشرف . غير أن الحظ قد خانته في الامتحان الشفهي في التقرآن الكريم ، اذ قيس الله لآماله أن تتقوّض على مذهب رئيس قسم الشريعة بها آنذاك ، إذ ترصده في حفظ القرآن وبجرة قلم أحمر وأد آماله غير مكترث بما كانت تحقّقه الكلية من خير على يد هذا الشاعر العملاق الذى هو خير من عشرات ومئات من الطلاب العاديين الذين لا يميلون سوى حفظ القرآن وشوارد اللغة وشواذها قبل صحيحها وبلغها .

واضططر صالح الشرنوبى إلى دخول كلية أصول الدين ، ومكث بها ما يقرب من سبعة شهور . ثم نفر منها ومن طريقة التعليم فيها لأنها لاتوائم الشاعر الفنان الموهوب الذى يتعشق الجمال ويعبده .

ومن ثم رأى صالح أنه لا يمكن أن يفلح فى هذا اللون من الدراسة لأنه لون كلاسيكى لايمثله ولا يمثل المجتمع الذى يعيشه .. انه لايرى نفسه وفكره ووجدانه فى دراسته .. ولكنه يراها فى دار العلوم وقد عز عليه دخولها .. وهو الشاعر الفنان . ودخلها أناس كان من الممكن أن يلرسوا أى شئء ويمجدوه ، وهنا تعقدت المشكلة وكان لابد من حل ولن يكون هذا الحل إلا فى التمرد عليها والخروج منها . ولكن إلى أين؟ إلى لاشئء .. ويستمر شهرا فى مصر يبحث عن عمل من وراء أخيه شرنوبى ويظل يبحث ويبحث حتى يجد العمل فى مدرسة ابتدائية فى بلطيم ، ويرجع الشاعر إلى بلطيم بلا أمل بلا أمانيات ، بعد أن خرج منها وهو مفعم بالأمانى والآمال .

أجمل ، وثبتت الأمانيات والآمال على مذبح الحظ العائر الذى بات يترصده فى كل عمل يقوم به ، أوكل عمل تترع إليه نفسه وتهفو إليه مشاعره ؟

وفى هذه الأثناء كتب عبد المقتدر خطاب الذى كان يسكن مع شاعرنا فى شارع ابن « كركون » بشبرا .. كتب خطابا إلى شقيق الشاعر يقول له فيه إن صالحا نفر من التعليم وغدا يتردد على السينما والمسرح ورابطة الأدب الحديث ، ويمرح نفسه بيده فى « المكيفات » ويحتاج إلى رعاية أقوى منى .

فردت والدته على لسان شقيق الشاعر قائلة إن صالحا ليس صغيرا وإنه لشاعر النيل :

والذى لا شك فيه أن انسانا تحجب آماله وأمنيته لابد أن ينحرف به التفكير عن جادة علماء الدين كما يزعمون ، أو لابد من أن يخرج من هذا الإطار الدينى فى تفكيره ليلقى بنفسه فى غمار الفلسفات الحديثة بحثا عن الحقيقة التى يطمح إليها ، والتى يأمل فيها أن تربحه من العناء النفسى الذى يعانيه .

وعلى هذا قرأ الشرنوبى بعض الفلاسفة الغربيين. ولا سيما نيتشة وأدت قراءته هذه إلى أن يتساءل عن كل شئء وأن يشك فى كل شئء وأن ينكر كل شئء . !

فترة من الشك أصابته ، كما أصابت من قبله كل قارئ للفلسفات الحديثة ، أوكل قارئ متبحر فى الفلسفات بصفة عامة ، كما حدث لأستاذنا أبى حامد الغزالى صاحب « أحياء علوم الدين » .

ويعتدنا محمود اسماعيل المخرج السينمائي أنها التقى به في تلك الفترة في قهوة الفيشاوى عن طريق الشيخ سعاد جلال - وكان محمود اسماعيل في بداية التصوف - فراق له أن يتحدث معه وهما في الطريق بعد خروجهما من القهوة في المشكلات الدينية ، وانتهى حديثهما إلى أن يعتنق صالحي الشرنوبى هذا اللون من رياضة الروح والنفس وأغنى التصوف .

فى عالم التدريس :

تسلم الشرنوبى عمله في مدرسة بنات بلطيم الابتدائية مدرسا للمرحلة الأولى ، فكان يدرس كل شيء حسب ما يتفق ومناهج وزارة المعارف ، في التعليم الابتدائي (الأول سابقا) ، وأخلص في عمله ، وانقطعت صلته بالأدباء ، وعاش مع أهالي بلطيم كما يعيشون مطرعا الآمال والأمنيات من وراء ظهره .

وإذا عرفنا أنه جاء إلى بلطيم وفي نفسه استعداد للتصوف كبديل عن الآمال الفاضلة والأمنيات التي ذهبت أدراج الرياح ، وإذا عرفنا أن هذا الاستعداد قد ولد في نفسه بمقابلته لمحمود اسماعيل الذي كان يحمره إلى ميدان التصوف .

وإذا عرفنا بالإضافة إلى ذلك انه كان سوداوى المزاج متشائما ، والسوداء معروفة بأعراضها وهي الوجوم والحزن الملح المجهول السبب والإكثار من ذكر الموت وسوء الظن بالناس وبالنفس أحيانا في أزمات التوبة التي تخرج الصدر وتقيم على العقل - وقد تهدى أحيانا إلى العزلة أو تقيضها وقد تقرن بشنوء العبقرية حتى ليقل الاعتدال في العبقرين - إذا عرفنا ذلك ، فإننا لانستغرب من شاعرنا أن تعزبه وهو يقوم بالتدريس في بلطيم توبة تصوف عارمة جعلته يعفى لحيته ويتوب إلى الله .

ويعتدنا عبد العزيز الشرنوبى شقيق الشاعر أنه قد قص عليه سبب تصوفه في بلطيم فيقول : إن صالحا سمع هاتفا يقول له : أما آن لعبدى أن يتوب ، ففرغ الشاعر من نومه وقال : تبت يارب ، وقام وتوضأ وصلى ركعتين قبل الفجر ونزل من البيت يدعو الناس إلى الصلاة بصوته الرخيم ، وبعض الأدعياء الدينية ، وهنا التفت حوله بعض الشباب الأشقياء ، فذاقوا حلالة الإيمان على يديه . وكان يؤمهم إلى الصلاة بعد أن يفسر لهم القرآن في الفجر قبل الصلاة وبعدها . وكان يسير في شوارع بلطيم وهو يدعو الناس إلى الصلاة مصطحبا معه إخوته وأولاد عمه وأصدقائه ومريديه .

وكان يعقد ندوة كل مساء في بيته يرتادها مجموعة من الشباب والشيوخ على السواء يعرض فيها لكل شيء .. للدين وللأدب وللسياسة .. والفن بأجناسه المختلفة ، فكان يتحدث مثلا عن الرقص كوسيلة من وسائل العبادة ، وكان يتبعه عند الأمم المختلفة كالبوذيين

والصينيين والمصريين القدماء ... والعرب وغيرهم من الأمم التي استخلمت الرقص في الاتصال بالله ... وكانت هذه الندوة تستمر وقتاً طويلاً يصل في بعض الأحيان إلى ست ساعات تقريباً .

وفي هذه الأثناء كان ينشد الشعر ، غير أن هذه النوبة الصوفية حيناً إشتدت عليه حاول أن يحرق شعره ، ولكن والدته التي كانت تشجعه على تنمية مواهبه الفنية وتستمع إلى قصائده أنقذت دواوينه من الإحراق بإخفائها عنه . وحينئذ لم يجد بداً من أن يبتهل إلى الله بقصيدة نثرية تدعى « صلوات » يقول فيها :

اللهم اني تبت اليك من ذنوب أنت تعلمها وقدّرتها فكانت
وأنا أعلمها ولم أقدرها وكانت
اللهم فاجعلها كأن لم تكن
لأنني أريدها ألا تكون ، وأنت ربي وأنا عبدك

لاهمّ إلى ظمائي الى منهل صوره لي حنيني إليك
جائع ملهم بوحى الخبز السماوى
الذى أتلى فتاته حينما يزدردنى الحرمان
إلا قلبا يخفق بك ... ولسانا يذكرك ... وعينا تراك .

اللهم بامتقنى من اليه
وقاذى في القفر
ويا مطلقى بنوره
ومضيقى بنوره
ويا مُسعدى بإشغائى
ومُشقى بمصادق
ياربّ

إلى من تكلّمنى

إلى تقسّر همها الخير للناس والنعمة

وهمّ الناس لها الشر والعدوان

أم إلى ورقة صفراء من ورق الخريف يقال لها القلب ؟

كما أنشد قصيدة شعرية على أثر ما عاناه من موجلة من مواجد السيد العارف الأستاذ
محمد ماضى أبو العزائم وعنوانها لولا .. ولولا .

لولا .. ولولا .. ولولا عبدٌ قديم لمولى
لأصبح السر جهرا منى ... وأصبحت قولا
وغبت عن كل شيء مما بدا .. ونجلى
لولا عناية عين الرحمن .. حين تجلّى

ويحدثنا عبد المقتدر خطاب أن صالحا قد وصله في هذه الأثناء خطابٌ من الشاعر
صالح جودت الذي أبى أن يدفن الشاعر نفسه حيا في بلطيم وطلب منه في نفس الخطاب
أن يوافق على أن تغنى « لورد كاش » قصيدته « من أحلام الصيف » والتي يقول فيها :

خطرت كالنملة السكرى بأنداء الصباح
فكرة من فكر الحسن تجلّت في وشاح
عبرى السج رفا ف كأحلام الملاح

الحنة :

شامت إرادة شاعرنا أن يتم دينه بالزواج ، لكى تكون الصورة للحياة في نفسه صافية
لاتكدرها شوائب الإثم صغيرة أو كبيرة .

ولكن من تلك التى يختارها زوجة له ؟ كثيرات وكثيرات يعدن بالزواج منه
ويأملن أن يمد يده إليهن ، فهو شاعر فنان . هادى الطبع لا يخرج من فمه كلمة نابية
ولا يغضب أحدا ، ومع هذا كله كان في حيرة من أمره ، لأنه يريد أن يتزوج إنسانة يجد
نفسه فيها .. إنسانة تؤمن بفته وعبقريته ويحس ذلك منها ولا يتوافر ذلك إلا في إحدى
قربياته التى طالما أسمعها شعره وطالما استزادته منه .

إذن والحالة هذه فلا بد من حَسْمِ الموضوع ، وما عليه الا أن يشد الرحال الى أخيه
شرنوبى - وقد كانت علاقتهما الى هذا الحين طيبة - ليستشير في هذا الموضوع ، وفي هذه
الإنسانة بالذات ؛ فوافق شرنوبى على مشروع أخيه ، ولكنه لم يذهب معه بدعوى أنه لو كان
سيتقدم الى إنسانة غريبة عن عائلة شرنوبى لذهب معه ، وأنه يعتقد أنهم لن يرفضوه
لأن سمعته ومكانته يجعلانهما كفتا لها .

وتحدثنا السيدة فوزية غانم زوجة أخيه شرنوبى أن صالحا كان يستعد للسفر وهو يغتنى
بشعره . وحلق ذقنه وجهز حقائبه ، وحمل فيها الهدايا التى كان قد أعدها لهذه المناسبة .

وسافر الشاعر يحلوه الأمل المرجى في قبول خطبته لمن يجد نفسه فيها ووقع في حيرة
من أمره أذهلته عن نفسه وهو في الطريق .. وتتمثل هذه الحيرة في الانسان الذى سيكلمه

في هذا الشأن ؟ هل هو والدها ؟ هل هم إخوتها ؟ لكن بعضهم لم يصل في العمر الى حد
الفصل في هذه الموضوعات ، ماذا يصنع حقيقة ؟
وأخيرا قرأ رأيه على أن يكلم أخاها الأكبر . على أن يوصل بدوره رغبة شاعرنا
إلى عمه .

ووصل الى البيت وأخرج هداياه وسلّمها للأسرة ، وراح يكلم الأخ الأكبر . فاذا به
ينهل كل الذبول من إجابته .. لقد اتخذ هذا الأخ الأكبر رغبة ابن عمه مادة للمزاح
ورفض بطريقة ألت الشاعر وهدّته ، ولم يجد إجابة عن هذا المزاح سوى أن يحدّق فيهم
حتى وجعوا وخافوا أن ينفجر فيهم بغضبه الذي لا يحدّ غير أنه اكتفى بالانصراف ..
إلى أين ذهب ؟

هل ذهب إلى بلطيم ؟ ان بلطيم لا تستطيع أن تستوعب الآلام التي تهدّه ، والعار الذي
يحرّقه ، وإذن فلا بد أن يهجر بلطيم هي الأخرى ويذهب إلى القاهرة ليتخذها موطن لإقامته .
ومعنى هذا أننا أمام مرحلة جديدة ، خرج فيها شاعرنا من ربة التصوف وتزلزلت
قيمه ، وهام على وجهه في المتدييات الأدبية والملاهي وغيرها .

وظل هذا الجرح يمز في نفسه ، وراح يتخيل إنسانة تحبه وتعطف عليه في قصيدته
« قلب بلا حب » وأهداها « إلى حواء أوهامي » ... ويقول في مطلعها :

تعالى يا بنة الأحلام يا مجهولة الذات
تعالى يا ضياء لم ينور أفق ليلاتي
تعالى يا حيقا لم يزل يروى خيالاتي
تعالى تجمع الماضي الذي راح إلى الآتي
تعالى يا غراما تاه في دنيا الصبايات

ويختتمها بقوله :

تعالى فالردى الجبار لا يمنحو ولا يرحم
وهذا سيفه الخضوب لا يبل ولا ينلم
يربى ومضه مالا يربى ظلّه الأقم
تعالى فالغد المرهوب .. غيان السنى مبهم
ويا ضيمة دنيانا إذا ولى ولم تعلم

وهنا ظن الشاعر أن أسأته في نفور الفتيات عنه بسبب شوهة وجهه وأن نحسه ومصائبه
بسيبه أيضا ، ومن ثم أنشد قصيدته « هجاء » وهو في حالة نفسية متضاربة الشعور متناقضة
ثائرا على نفسه راضيا عنها وقد هجا فيها وجهه فقال :

لك يا وجهي التيمس هجائي في صباحي ومغربي وعشائي !
 أنت يا مُتَحَف اللعامة والقب
 مع سبق الإصرار صاغك ربي لعنة في نواظر الأحياء
 حسب عيشي من سوء خلقك نحساً وبلاء مزوداً ببلاء
 إنني كلما لقيت فتاة صفعتني بالنظرة الثراء

وابتلعت القاهرة شاعرنا فيمن ابتلعت حينذاك من فنانين أصلاء آفتهم الضمير الحى
 والاحساس المرهف ، وأخذ يتردد على أصدقائه يستضيفه هذا ويؤويه ذاك ، وغدا نهاره
 ليل الناس وليله نهارهم .

وترامت هذه الأخبار إلى سمع والده لكن ماذا في يده أن يصنع وكيف يعاقبه بعد أن
 أصبح موضع غمز ولز بين أقاربه وأهل بلدته بلطم . ولم يتصور الناس مطلقا انسانا مثله
 تنقلب حياته رأسا على عقب بين عشية وضحاها ، إذ بالأمس القريب كان معنيا لحيته
 وهاديا للناس ، واليوم تلقفه نوادي القاهرة وملاهيها .

حقيقة ماذا في يد الوالد أن يصنع مع هذا الابن المتمرد ، بعد أن أصبح لا يطبق سماع
 اسمه أو قصته التي غدت مضغة في الأنفوس ، وأخيرا توصل الى أحسن طريقة لعقابه وهي
 أن يمنع عنه النقود حتى يرغمه على ترك حياته الجديدة ويرجع إلى « بلطم » فيقوم بالتدريس
 كما كان ، وليتوب عما اقترف من آثام .

وفي الوقت نفسه لا يستطيع صالح أن يعيش في بلطم ، تلك البلدة التي دخلته في حبه
 وسخرت من عواطفه ، ومن ثم لا يطبق رؤيتها أو رؤية أهلها .

على أن أهله تركوه دون نقود ودون رعاية .. إذ منع عنه والده راتبه ، وأصبح أخوه
 الأكبر لا يمنحه النقود الا نادراً وبعد عذاب ومعاناة ولم يجد شاعرنا مفرا من أن يعيش عيشة
 أهل الفن ، لأن حياتهم تطفئ ناره وتلويه عما به من قروح وآلام .

وغدا صالح يفكر في مصيره ، لأن استضافة أصدقائه لا يمكن أن تكون دائمة ، بل إن
 بعضهم أصبح يتنكر له في محبته بعد ما محضه شاعرنا الود صرفا ، وسقاه من حنانه ، وجعل
 نفسه فداء له ومن هنا نراه يقول في هذا الصدد في قصيدته « الصديق » :

ذهب الصديق والصديق فدنيا الله	اس دنيا الذئاب والأغنام
كم صديق محضته السود صرفا	كان أقسى على من أيتامى
وصديق سقيته من حناني	فسقاني كئوس عيش زؤام

وصديق جعلت نفسي فداه ذائدا عن حياضه بسهامي
ثم مال الزمان يوماً بحظي فلذاه في الروح أول رام ؟
وصديق حميته من ضياع فبقى صرح مجده بحطامي ؟
وصديق جعلت أهلى له أه لا وعطى لأهله وسلامي
وجعلت الوجود جنة قلي ن يعيشان في ظلال الوثام !
فحياتي حباته في المعاني الآ دميّات والوجود السامي !

ثم ولّى:.. فلا تسأل كيف ولّى وسل الدهر عن ضحايا اللثام
ومعنى هذا أن شاعرنا قد خسر أصدقاءه في الوقت الذي خسر فيه أهله ، وأصبح يعيش يومه وليته فحسب وتزلزلت قيمه وغدت حياته جحима يتلظى ..

وعلى الرغم مما يعانيه شاعرنا الأبيّ ، فانه لم ينزل بشعره حضيض التكسب به كما كان يفعل الأغلب الأعم من شعراء ما قبل الثورة . بل إنه ظل في أفقه الرفيع لا يكتب سوى الشعر معتبرا أنه هو الفن العالي وما عداه من الأغاني الزجلية ليست فنا خالدا ، وإن كانت مريحة عن الشعر ورائجة السوق في مضمار الشهرة ، وهو لا يريد أن يشتهر بالأغنية ، بل إنّه كان يتندر بمن يحفلون بها زاعما أنهم يحفلون بلا شيء .

ومن هنا وجد محمود اسماعيل صعوبة في إنزاله الى مستوى الأغنية حتى يستطيع مقاومة الفاقة التي يدثر بها .

وحينما اقتنع بعد تمتّع وإياء كلّفه محمود اسماعيل بأن يكتب له أغاني فيلم «فتنة» الذي ألفه وأخرجه محمود اسماعيل . فكتب له صالح أغنيتين وموالين ، ، ونقده عليها خمسين جنيها ، ويقول محمود اسماعيل: « إن صالحا لم يرضخ الا بعد أن صورت له المسألة على أنها خدمة خاصة لي لا له ، ولكنه بعد أن وجد المبلغ مغريا طمحت نفسه إلى تحويل شعره الغزلي في ديوانه الى زجل لكي يبيعه للمغنين ولكي يقيه من غائلة الفاقة والحرمان ..

وحاول بعض أصدقاءه أن يخلوا له عملا . وبعد لأي وعناء عثروا له على وظيفة مدرّس في إحدى المدارس الأجنبية للبنات وهي مدرسة « سان جورج » وفي هذه الفترة كان ملتحيا ومتصوّفا ، إذ عاد الى شنتته الأولى وهي التصوف واعفاء الحية ولكنه فصل منها .

وتعددت الروايات في أسباب فصله . فمن قائل : هو التفاف البنات حوله دائما وتطلعن اليه واعجابه به . ومن قائل : انه ضبط يتعاطى بعض المخدرات ، ومن قائل : إنه كان كثير التأخر عن مواعيد المدرسة ..

ومهما يكن من أمر ، فإننا نحيل الى أن السبب في الفصل هو تأخره عن مواعيد العمل لأنها مقدسة لدى المدارس الأجنبية ، وبالحفاظ عليها أو إهمالها يحكمون على شخصية المدرس . والذي لا شك فيه أنه فصل بعد شهور تعد على أصابع اليد الواحدة عدا . ومن ثم رجع الى الضياع والتشرد وطردته صاحبة البيت الذي يسكن في إحدى حجراته المتواضعة فوق السطح ويقول أصدقائه إنها كانت عشة للطيور - بعد أن تأخر في دفع الأيجار ثلاثة شهور . ويحمل الشرنوبى متاعه المتواضع - ويتمثل في حصيرة وبعض الحاجيات الضرورية - ويلجأ إلى جبل المقطم فيسكن في مغارة بجوار جبانة الفقير .

ويعيش شاعرنا في هذه المغارة شهرين كاملين ، وهو يتردد عليها في الليل لينام في حمى الجبل المضيق على حد تعبيره .

إن الخيال ليقصر عن تصور الهول والخوف الذى يعاينه الانسان حينما يذهب اليها الآن بعد سبعة عشر عاما ، أى بعد أن أصلح في الجبل الطريق الحديد الذى أضىء بالكهرباء وبعد أن امتد العمران إليها أو كاد ..

وفي هذه المغارة أيضا سجل لنا الشرنوبى إحساسه الثورى في قصيدة تعد وثيقة هامة على الجانب الاشتراكى فيه .. وهى بعنوان : « على ضفاف الجحيم » وقد قدم لها الشاعر بقوله :

« اليك يا قاهرة .. الى أضوائك القاسية التى طالما عذبت عيني . وأنا قابع هناك في الجبل المضيق .. بصخوره الحانية .. وكلايه العاوية ، وصمته الكئيب .

ثم الى هؤلاء المترفين الكسالى .. الذين يتكبرون على إيمانى بالألم .. وعبادى الدموع .. وإخلاصى للأحزان » .
ويقول في مطلعها :

إلى هنا أيتها المدينه	الحره الفاجره المجنونه
أحبس في جفنى الرؤى السجينه	والأدمع الواهيه السخينه
إلى هنا أغربل السكينه	وأزرع الخواطر الحزينه
ملء ضفاف الوحده المسكينه	وفي يدى فجر ستيبدينه

يوم تزول الوحده الملعونه

ويحاول في هذه المحنة أن يلتحق بكلية دار العلوم . ليحقق أمنيته من ناحية . ولأنها تمنح طلابها وجبة غذاء كل يوم والكتب المدرسية ومبلغ ثلاثة جنيهات شهريا ولكن الحظ العاثر يقف له بالمرصاد في صورة شيخنا رئيس قسم الشريعة الذى وقف له سابقا في عام ١٩٤٧ كالحارس الأمين فلم يسمح له بدخولها بدعوى عدم حفظه للقرآن .

و يضطر شاعرنا - كما يقول الدكتور أحمد هيكمل أستاذ الأدب بكلية دار العلوم - وهو الفنان الذى كان مرتبطا أوثق الارتباط بأصدقائه وزملائه من طلاب دار العلوم الى كان يأمل أن يكون من أحد أبنائها ، والذى كان مرتبطا من ناحية أخرى بالمكان الذى كان أمه معقودا عليه فى إتمام تعليمه .. يضطر بعد هذا كله إلى دخول كلية « الشريعة » على الرغم من أنه لا توجد بينه وبين دراسة الشريعة أية رابطة ، بل كان لا يحفظ القرآن كما علمنا ... ومن ثم فإنه قد تمرد على الدراسة فيها ، كما تمرد على الدراسة فى سابقتهما فى كلية أصول الدين .

وهنا تعقدت المشكلة ، لأنه خسر الأهل والأصدقاء والأمل المُرَجَّى وسيرته الطيبة فى بلطيم . وضاعت الدنيا فى وجهه بما رحبت . وأخذ يتطلع الى السماء عليها تمدد بعون يخرج من المأزق الذى تردى فيه بالرغم منه .. وانطوى على نفسه وأصبح لا يزور أصدقاءه إلا لاما ، وفى زورته لم كان يطلب ممن يرتاح اليهم ألا يشرب شايا أو قهوة وحسبه « ساندوتش » لأنه لم يفطر ، أو لأنه لم يتناول غداءه ، ولأنه فى مغارته يأكل جوعه ويقنات الظما على حد تعبيره .

وحينما ذاع التجاؤء إلى مغارة المقطم فى الأوساط الفنية والأدبية سعى إليه ابراهيم السيد الفنان الذى يحترف التمثيل المسرحى والإخراج السينمائى آنذاك ، وأرغمه على أن ينتقل إلى سكته الكائن فى شارع البهاء زهير (رقم ١٥) .

فى البيت الجديد :

انتقل شاعرنا إلى هذا السكن . خاصة بعد أن ارتبط بابراهيم السيد بصداقة منذ فيام « فنته » . اذ كان ابراهيم ضمن الذين مثلوا فيه وعلى الرغم من أن السكن الجديد يمثل مغارة أرضية فقد وجد الشاعر مشاركة انسانية من ابراهيم السيد وبكر الشرقاوى الذى كان يعيش معهما وكل من الشرنوبى وبكر الشرقاوى يعتبران ابراهيم السيد أبا ، لأنه كان يحنو عليهما ، وضم كلا منهما الى جانبه فى الوقت الحرج فى حياة كل منهما . واذن فالمغارتان مختلفتان ، ويحس أن نقف على معالم السكن الجديد الذى يمثل - كما يقول بكر الشرقاوى - « بدروما » . كان يسميه الشرنوبى « بدروم آخر الابل » لأنه مظلم ظلام القبور وذلك لأنه من الجهة الخلفية للبيت ..

وعلى عكس البيوت يصعد إليها الإنسان ، أما هذا « البدروم » فلذلك تنزل إليه على سلم ينتهى إلى ظلام تام تخفى فيه معالم المدخل إذ كانت حجرة البواب أعلى منه ، لأنها فى منتصف الطريق السفلى المؤدى إلى البدروم .

وما إن تفتح الشقة حتى تفاجأ بسلم آخر مكون من درجتين آخرين ، وحيثلا يلفح وجهك هواء يخيل إليك أنه قد سبق تنفسه قبل ذلك ، لأن فيه معنى القدم ، ويتسم في الوقت نفسه بالهدوء ، لأنه في مأمن من العواصف ، كما تشم منه رائحة تكاد تكون عطنة وإن كان أصحابه لا يدرون بها ..

وكانت جدران « البدروم » كالخة بحيث تتجرد الألوان فيها ، ولا تتميز بمسميات فلا تجد الأحمر أحمر ولا البني بني ، ولا الأسود أسود ، وكانت المياه تطفح من أعماق الأرض على الجدران حتى تصل إلى ثلاثة أرباع ارتفاعها . والمطبخ يقوم بدور الحمام ولكنه يتمتع بميزة أنه لكي تصل إليه لابد أن تصعد درجتين ، وذلك راجع لخطأ في البناء الذي شكل نوعاً من « الديكور » ، وخاصة أنه كان هناك « ديكور » آخر طبيعي ناتج من أن صاحب البيت قد بخل على « البدروم » بالأبواب لبعض الحجرات ، فترك البيت على شكل « آرش » ، وذلك شيء نادر لا يتحقق إلا في البيوت الكبيرة فيها مضي .

وليس هناك شيء يقال له أثاث بمعنى الكلمة ، فالكراسي ليست كراسي وإن كانت تقوم بوظيفتها ، ومن هنا فإن تسميتها من باب المجاز .

وكانت هناك منضدة تستخدم في كتابة الشعر الشرنوبى ، بينما يستخدمها الشرقاوى في أوقات فراغ الشرنوبى في حل المسائل الرياضية وكتابة القصة والمسرح ، وفي وقت فراغ هذا وذاك يستخدمها صاحبها إبراهيم السيد في كتابة « الديكويج » (١) للأفلام ، وكان هناك سريران يمتلكهما إبراهيم السيد ، وإن كانت حصته منهما نصف سرير فقط ، بينما ينتقل بكر وصالح على السرير والنصف الباقي .

ولم يكن بالشقة أدوات منزلية سوى « وابور » غاز وصفيحة لاستعمال الحمام وكانوا يطلبون ما يحتاجون إليه من المشروبات من مقهى (٢) متواضع في الشارع ، وذلك لأنه لم يحدث أنهم قد عملوا في مسكنهم قهوة أو شايا ..

وعلى الرغم من أن هذا « البدروم » الخالد لا تتسع مساحته إلا لعشرين متراً مربعاً فإنه كثيراً ما استوعب عدداً هائلاً من عشاق الأدب والقرن من شباب وشابات وشيوخ ، ويمثل هؤلاء هؤلاء مختلف الاتجاهات السياسية والفنية ، وكانوا يقضون الليل والنهار في معترك المناقشات الحامية حول الفن والانتاج الأدبي .

وعلى الرغم من هذه الحياة الضافية التي توجد في سكنه الجديد ، وعلى الرغم من سعة صدر إبراهيم السيد وجهه لشاعرنا وعطفه عليه ، مما جعل صالحاً يقول فيه في قصيدة الصديق :

(١) وهي العملية التي تتمثل في تقطيع المشاهد إلى لقطات تصور غداً .

(٢) كان هذا المقهى خاصاً بالعمال والخدم .

وإذا ما سألتني .. مَنْ صديق
فهو من لم أطمعه زاذى ولم أَل
بعد طول التجريب والإحكام
بسه ثوبى ولم أفاقمه جسامى
نقول على الرغم من ذلك كله فإن المشكلة لم تحلّ إلا من جانب واحد وهو السكن الذى
يؤويه ، ويبقى بعد ذلك رغيغ الحيز .. أجل رغيغ الحيز .. الذى كاد يهدّ ويصرعه
على مذبح مثاليته وإيائه ..

ومن هنا كان يجلس فى حجرته بالليل بعد إحكامه لرتاج بابها وبعد أن يغلق النافذة
يجلس فى الظلام الدامس بحاسب الله حسابا عميرا قائلا له : بعد أن يقدم له نفسه فى خشوع
وبلهجة جادة وعنيقة تأخذ بالألباب ، وبصوت يوحى بأن روحه مسلوقة منه يقول لله :
انى صالح بن على شرنوبى ، أمى فلانة بنت فلان ، وأكلتلك وأنا بكامل قواى العقلية
أن تحدثنى عن الذى جنيت ، وعما اقترفته حتى تجعل مصيرى هكذا ، ونهايتى مظلمة كظلام
حجرتى هذه ...

وكثيرا ما كان يضيء شمعاً ويجلس على ضوءها ولا يوقد النور . لأن أعصابه كانت
دائما متوترة لا تترتاح إلا على ضوء خافت .

ويقول الشاعر فى هذه الحجرة قصيدته « الفرقة المهجورة » ومطلعها :

أراقت عليها معانى النساء	ظلال السكون الحزين الرهيب
ولفتت معالمها ظلمة	يصارعها النور حتى يغيب
يكاد الظلام إذا جاءها	يفرّ فإن همهمت لا يجب
تفرّعه دونها وحشة	مطلّسة كالشعاع الغريب
وتعمل فى صمتها الذكريات	يفترق منها الوجود الكثيب

مروعة الظلّ مقرورة	تعرّبد فيها رياح الخريف
تقاسمى علّة فى الضلوع	مهتدة النار ظمأى العزيف
تسائلنى وهى مصلوبة	على مذبح سرمدىّ الزيف
مى كان عهدك بالراحلين	وفيهم أساة المريض الشفيف
فأطرق حتى يضيغ السكون	ويبكى على الظلام الكثيف

وفى هذه الحجرة أيضا كان ينفرد دموعه من شاعريته لا من عينيه فعلى أفقه سحبات
وفى نفسه أعاصير :

على أفتى سحبات	وفى نفسى أعاصير
نهارى التائه الحيرا	ن تقدير وتدير

وليل الشارد اليقظا ن أوهام وتفكير

وليلي حائر الأبحي م غنوق الخيالات
صبغت بلونه عمري وأحلامي الشريدات
وفي منصفه المهجو ر أحرقت ابتهاالات

ومحدثنا الدكتور الطاهر مكى مدرس الأدب الأندلسى بكلية دار العلوم ، أنه وثلاثة من أصدقائه كانوا يعملون محررين بمجريدة « الكتلة » وكانت مرتباتهم ضئيلة بالنسبة لمرتبات من ينتمون إلى حزب الكتلة ..

وحينا علموا أن مكرم عبيد سيزور المجريدة فكروا في أمر انصافهم عن طريق مبالغ مكرم لشكايتهم ، ولكن كيف يكون ذلك ؟؟ حيثذ اهتدى أحدهم وكان يعرف شاعرنا إلى البحث عنه ، وعثروا عليه نائما في مسجد الجامع الأزهر ، فأنخلوه وتناولوا الغداء معا ثم قصوا عليه الحكاية ، وأنهم في حاجة الى قصيدة مدح في مكرم عبيد ..

وهناظل على عليهم مدحه في مكرم بلسانهم وفي ختام القصيدة شكيا لمكرم حال المحررين الخارجين على حزب الكتلة ، وأتى عليهم هذه القصيدة وهو مضطجع على جنبه في مسجد الجامع الأزهر .. وأنخلوها وألقاها أحدهم وهو فريد عرمان على أنها من شعره وحيثذ أمر لهم مكرم عبيد بزيادة مرتباتهم إلى الضعف ..

ثم يدبركه بعد ذلك عيد ميلاده الخامس والعشرين ، فكان لا بد من أن يكون باعنا لشاعريته ، ولا بد أن يحفل به ، فماذا أعد له ؟ لقد أعد له قصيدة تمجج بالكآبة والحسرة إذ يصور فيها حياته ، ويطلب من الله أن يريعه من عناء الدنيا لأن راحته في موته ..

خمس وعشرون عاما مرّت سحابا جهاما
فما زرعن صفاء ولا حصدن سلاما
وما زرعن سوى اليأس س ناضرا يأسا
ولا حصدن سوى العُمر أنجما تترامى
يلور رأسي إذا ما حسبتها أياما
وأقعد العقل إمّا حسبتها أحلاما
مشيت فيها على الثو لك لا أمل اعتراما
أكافح الحقّد .. والحا قدنين .. والأوهاما
والياس .. والبؤس .. والهم .. والأمل والأناما
وأجبه الدهر فردا ذا مرة .. مقداما
أسقى المنايا متايا من همقى وسياما

ويقول فيها كذلك :

سمنت ذاتي وظلّي وصبوتي .. والغراما
وصار أقصى أمانى أن أدوق الحمّاما
وبات عيشي على الأر ض عننة وغراما
سمنت حتى التّسنّى ! واللمع .. والإتساما
والأرض والساكنيها والأفتى .. والأجراما
والحسن والعاشقيّه والزهر .. والأناما
والشعر .. والفكر .. والقن .. والهوى .. والهياما
والليل يشبه حظي والنور يحكي الظلاما

ويكنى أن تصل إلى مسامع أحد أقربائه وهو فتحي الشرنوبى ، فيرسل له خطابا بتاريخ ٢٧ من فبراير سنة ١٩٥٠ يقول فيه :

« نحية كبيرة جدا تليق بتلك القصيدة التي فاقت ماكتب الشعراء وحرام عليك خلّيت
الدموع تجري من عيني ، وأرجو أن تكتب لى عن صداها في الوسط الفنّي ، وعن درجة
حرارتها ، لأنها قصيدة من الدرر والنوادر وإلى لنى انتظار خطاب واف تحدثنى فيه عن
مولد تلك الدرّة وصداها الى آخره » ..

كلمات رقيقة ، ولكنها تنظر إلى المشكلة من الخارج ولا بغوص فيها فتسبر أغوارها
وتتعمق بواعثها ، ولذا فقد لجأ الشاعر - حينما ضاقت به الأرض بما رحبت ، وادهم
الكون أمام ناظره - إلى الأستاذ محمود اسماعيل ليكلم صديقه كامل الشناوى ليصنع مصححا
في جريدة الأهرام ولكن شاعرنا أبى أن يدخل معه على الشناوى ليوفر عليه عناء الإخراج
على حدّ تمييزه ..

وما إن سمع كامل الشناوى القصة حتى عبّته على القور واستلم عمله في الحال ، وأظهر
الشناوى أسفه لما وصلت إليه حالته .

ويحدثنا محمود اسماعيل بأن شاعرنا حكى له في اليوم التالى أنه أرسل للشناوى بيتين
من الشعر شكلا له فيهما حالته المادية فرد عليه الشناوى بيتين ومبلغ جنينين ، وكان مرتبه
حوالى اثني عشر جنينها تقريبا ، وقال الشرنوبى حيثئذ « إنه استراح من عناء التذكير في
رغيف الخبز » ..

وكان هذا المبلغ لا يقوم بأعباء انسان كالشرنوبى ، لأنه مسرف متلاف للمال شأن
كلّ فنان لا يحسب للمال حسابا ، ومن هنا ، فإن حالة الإفلاس والإملاق كانت تعاوده

بين الحين والحين ، ويحاول أن يوفر احتياجاته من المال ولكن دون جدوى ، إذ كان ينسحب إلى أخيه شرنوبى ، فكان يرده ردا غير جميل في أكثر الأحيان - كما يقول بكر الشرقاوى الذى ذهب معه مرة إلى شرنوبى - وقليل ما تقدمه ما يحتاج إليه وعلى الرغم مما يؤكده بكر الشرقاوى وأصدقاء الشرنوبى الذين لازموه فإن السيدة فوزية غانم زوجة أخيه تؤكد أن شرنوبى كان يعطى صالحا في أغلب الأحيان التقود التى يطلبها ، غير أن صالحا كان يبدها في أسرع وقت . وكان يثور في بعض الأحيان ويحطم أى شىء يصادفه كالأطباق وغيرها ، ولكنها تؤكد في الوقت نفسه أيضا أنها كانت غير مرتاحة للعلاقة بين شرنوبى وأخيه لأنه كان يسودها القنور في بعض الأحيان ، ولطالما شكّا شرنوبى من تصرفات صالح التى لاتليق بأسرة شرنوبى .. ويحاول طلعت شرنوبى أن يقفنا على حقيقة الأزمة بين شاعرنا وشرنوبى فيقول : إنه كان يعتقد أنه تزوج مرتين وفى المرة الأخيرة أنفق والده على القرح مبالغ طائلة تروى على ثلاثة آلاف جنيه ، لأن زواجه فى المرة الثانية كان من بنت مرسى غانم وهو فى جبروته وعزته .

ويضاف إلى ذلك المبلغ الكبير الذى منحه والده لشرنوبى ليؤسس به تجارته ، وكان يزيد على سبعة آلاف جنيه ، وكان والده يمنحه بسخاء ، لأنه يعلم أنه لن يتلف هذه المبالغ على العكس من صالح ..

وبجانب ذلك فإن صالحا كان يعتقد بأحقية مثل هذه المبالغ ، لأنه شاعر ويود منهم أن يجنبوه غائلة البحث عن رغيف الخبز ، ولأن شاعريته ستنبه بها أسرة الشرنوبى بأسرها فلم لا يمنحه والده ما يحتاجه؟ ولم لا يحاسبونه على تصرفاته لأنها ليست غريبة على عالم الفن والأدب.. ومن هنا كانت الأزمة ، وكان الصراع بينه وبين والده أيضا لابنيه وبين شرنوبى فحسب ..

ومهما كان تفسير طلعت للأزمة بين الأخوين فإننى أحسست من حديث شرنوبى - فى لقاءى معه قبل أن يلقى الله بعامين - أنه يود أن يتخذ ذكرى أخيه بإقامة مسجد باسمه وطبع دواوينه الشعرية على نفقته لأن شرنوبى أحس أن أخسائه مات وفى نفسه منه شىء ..

وعلى أية حال فإن شاعرنا كان يشكو دائما من أخيه شرنوبى ويصفه - كما يقول ابراهيم السيد - بأنه غير بارٍّ به ، وكان يأمل فى أن يعوله شرنوبى فى القاهرة ، حينما يقطع عنه والده التقود . ولم يكن يضير شرنوبى ما يصرفه على أخيه ، لأنه كان على ثراء أمثل .

ويضيف ابراهيم السيد إلى ماسبق أنه على الرغم من أنه سكن معه لمدة عامين تقريبا فلم يدخل

عليه فيهما أحد من أهله وكان يحدث إبراهيم بأنه على غير وفاق مع والده ، وأن أخاه شرنوبى مقصر فى حقّه ، ولا يساعده ويعطف عليه فى هذه الأسرة كلها سوى والدته وكان يظن أن ماترسله إليه من بعض الأطعمة ترسله إليه خلسة من وراء والدته .
ويقول إبراهيم السيد : إنه لم ير أحدا من أهله يزور شاعرنا إلا بعد وفاته بحوالى أسبوعين ، إذ جاءه أخوه عبد العزيز يطلب حاجيات صالح ..



وقد كانت هذه الأشياء مجمعة باعثة لأن يندب حظه فى الحياة فى قصيدته « حظوظ » التى يقول فيها :

مكاتبى ... أصغر من حنى	وحاجتى أكثر من رزقى
وحكمة الخالق فى خلقه	أعماقها أبعد من عمقى
الناس .. هذا ثوبه سندمى	وذاك يشكو الخرق للخرق
وبينا تلقى الذى نجمه	عال دنىء النفس والخلق
تلقى قسيرا ملء أسفاله	فكر .. وفن .. معجز النسق
مقادر بالغيب عجوبة	وحكمة أعيت على الخلق

وبمثل هذه الثورة على حظه فى الحياة فى الوقت الذى ينعم بالرزق والجاه كثير من الأدعياء المغرورين الذين يسخرون فنههم لخدمة الحكام ويوظفونه لمصالحهم الشخصية فحسب ...
بمثل هذه الثورة نراه يتطلع إلى مقام الألوهية ليمحو الشرور والآثام وليسوى بين الناس فى الخير ، فعدت الدنيا كلها خيرا ، والناس كلهم خيرين أيضا . وهو خير محض كذلك ولم يستطع أن يتميز منهم ، وهنا أخذ يسائل الله عن الحل ولم يجد فى الإمكان أبدع مما كان ..

خيلت نفسى يوما إلها عظيما	قاهر الحول .. نافذ الأحكام
واستويتا - أنا ومجدى - على	الخلق نسوى ما بينهم من خصام
ورأيت الشرور أمّ البلايا	ومعين الأحقاد والآلام
فاتفقنا - أنا ونفسى - على الخير	ومحو الشرور والآثام
فانرى كل ماحوى الكون والده	ر يغنى لحن الرضا والسلام
وإذا فى أحس بعد عهد	أن ذاتى موصولة بالأنعام
أنا خير محض ومن هم عبيدى	ليس للشر بينهم من مقام
لم تعد بيننا فروق سوى القد	رة سر الإيجاد والإعدام
فصاغت كيف أعماز منهم	وورائى خيارهم وأمامى
كان حلما أفقت منه على صو	ت قديم الصدى بعيد المرامى
لم يكن فى الإمكان أبسعد مما	كان .. فاضع لحكمى ونظامى

قلت يارب .. إن لي في رضا
فاغترى لي .. فقد تلاشت حماقا
واكتفى شر فكرة مثلني
« قاهر الحول نافذ الأحكام »

وخطاب الله في « نشيد الصفاء » في تواضع واستعطاف لرب العزة ، مغلبا جانب
الرجاء على جانب الخوف والمصيان والنسيان ، طامعا في التجاوز عن ذنوبه والغفران :

واذا ما ذكرتكم فاسمعوني
اذكروني اذكركم . وإذا ما
لا تقولوا: عصيت .. أو كنت .. أولا
فرجائي فيكم .. رجاء ذليل
واذا مانستكم فاذكروني
نمت يوما عن ذكركم .. أيقظوني
ترتقب غير أخذنا بالوتين
في عزيز بحوله .. ومتين

على أنه يحمد الله على فضائه ، ويشكره على أمره وإن يكن وجوده إحدى الكبر ،
وحياته ليل دميم الرؤى ، أشباحه مروعة ، وصوره كابية ، وترتوى أحداه من دم آماله
المنهمر ، وذلك في قصيدته التي أنشدتها في الشهور الأخيرة التي سبقت وفاته ، وهي « حياته » :

الحمد لله على ما قضى
فما أظن الأرض تحوى قتي
مثل قتي يدعونه شاعرا
حياته ليل دميم الرؤى
تفترس الأحداث آماله
أحمق منه وهو يبني المني
والشكر لله على ما أمر
وجوده قد كان إحدى الكبر
وما بغير الموت يوما شعر
مروّع الأشباح كابي الصور
وترتوى من دمها المنهمر
تلك المني إذ تتحدثي القدر

ويقول فيها أيضا :

أتى فلم يفرح بميلاده
يبكي بلا دمع وفي قلبه
لا يعرف الصبر .. ولكنه
فقدت والحسرة في أضلعي
ألثهم اليأس وأحشو به
وكلمنا ساءلني في صاحب
أقول ما يرضيك يا خالقي
والحمد لله على ما قضى
إلا نديماء الأسي والفكر
ما يفرق الدنيا إذا ما انفجر
لما رأى طول الظلام اصطبغ
محطّم المود .. عيني الوتر
فم النصيح القدم .. أما هنر
ماذا ترجى في القيد المنتظر
ويسحق الوهم .. ويفنى الضمير
والشكر لله على ما أمر

في تلك المرحلة تحلل صالح من كل القيم الدينية وانطلق على سجيته يعيش كما يعيش الإنسان الهائم الذي لا يعرف مصيره ولا نهايته ، شأنه في ذلك شأن أصدقائه سكان شارع البهاء زهير (رقم ١٥) . لقد انقطعت صلته بالسلوك الديني وأخذ يرتاد الملاهي ويجلس معظم وقته في نقابة الممثلين المحترفين العمالية التي كانت موجودة بشارع توفيق ، وتلتف حوله الفتيات اللاتي يعملن في الأفلام « كومبارس » ويقف على مشاكلهن ويحاول أن يساعدن مع أصدقائه من المخرجين بل كثيرا ما أخذ بعضهم من لأمأوى لمن إلى البيت الخالد ليبيت فيه .

ومن ثم فإننا نرى أن عبد العليم خطاب يتعرض لهذا التحلل من ربة التقاليد الدينية التي كان صالح معروفا بها ، وصبره على الكوارث والخطوب التي تحتفي به ولا تفارقه وهي مداعبة طريقة تقفنا على حياة الشرنوب في تلك الحقبة من تاريخه :

فنى - من نسل أيوب	نظيف الحبيب شرنوبى
أضاع الدين والدنيا	وباع الدر بالطوب
كن غنت وهزت خم	سرها بين السرايب
فلم يعبأ بها شخص	ولم تظفر بترحيب
كذلك الشاعر العري	د بين الغاب والكوب
رأى الدنيا أعاجيبا	ففى بالأعاجيب
وأحنى رأسه طوعا	بسلطان الألاعيب
وقضى عمره ضيفا	بمستشفى المهاذيب

وبالرغم من تلك المداعبة القاسية التي كان يتلقاها الشرنوبى من أصدقائه من الشعراء فإنه كان يتغلب على الألم بالضحك على كل شيء - كما يقول الدكتور هيكل - وكان يسخر من كل شيء .

وفي اعتقادنا أن حياة الشرنوبى وهو يعمل مصححا بجريدة الأهرام لم تختلف عن سابقتها كثيرا ، لأنها كانت تشتمل على شيء من اللامبالاة ، وحسبنا في ذلك ما نقوله السيلة فوزية غانم من أنه كان يأتي إلينا وهو في حالة غير عادية مسترسل الشعر ، وعيناه غائرتان ، وفي حالة من الجوع شديدة . ويطلب أكلا ، لأنه قد مضى عليه - كما كان يقول - أسبوعان دون أكل ..

وإذا ما اجترنا عالم الأزمات إلى حياته كشاعر فنان بين مخرج ومؤلف رأينا أن حياته كانت ضافية تموج بالأحاسيس والمشاعر المشتركة إذ كان الواحد منهم في « البديوم الخالد » يحس بإحساس

أخيه ، وطعامهم واحد وآبئهم — إن وجدت — واحدة ، كأنهم انسان واحد يعيش في هذا البيروم ..

وكان كل منهم رغم ما يتوره من أزمات غير متشائم ، لأنه يعتقد أنه سيصبح شيئا حتى صالح الذي يفوح شعره بالتشاؤم كان يعطى الأمل دائما للآخرين — كما يقول بكر الشراوى — وخاصة البائسين الذين طحتهم حوادث الدهر ..

وكان الثلاثة ينتفعون بآراء بعضهم فيما يعملون ، وكان الشرنوبى يؤثر في إخوانه بآرائه وتوجيهاته ، ويتنبأ لكل منهم بنوعة حقتها الأيام فيما بعد ..

حدث في عام ١٩٥٠ أن عثر الشرنوبى في بعض الكتب المودعة على الأرض تحت السرير على قصة ليكر الشراوى كان قد كتبها في أوائل عام ١٩٤٨ وكانت تسمى « النبي الكافر » (١) فقرأها شاعرنا وأعجب بها ثم أخذ يقرأها مرة أخرى على إبراهيم السيد بصوت مرتفع حتى استيقظ بكر على قراءته ، لأنه كان يقرأها ويحللها لإبراهيم من حيث الأداء والتعبير والمضمون الأسطوري .

وبعد أن انتهى من هذه القصة قراءة وتحليلا قال : إن هذه الشقة لو نجت في أن نخرج شاعرا مجيدا ، وعرجا كبيرا ، وكتابا أسطوريا فلنأخذ سندخل التاريخ رغم أنها .

ويحدثنا بكر الشراوى عن صدق هذه النبوة بالنسبة لنفسه فيقول : إنه على إيمانه بالواقعية كذهب أدبي ، فإنه حاول أن يجرب نفسه في التجارب الواقعية فلم ينجح فيها مثلما ينجح في كتابة الأعمال الأدبية الأسطورية .

ومجانب ذلك فإن هؤلاء الثلاثة قد حاولوا أن يقوموا بعمل « فيلم » يحارب الإقطاع باسم « أرض الأدباء » . وقد نمت فكرته في نفس إبراهيم السيد عقب مشاهدته لمنظر ألم يمثل فلاحا يلطم خديه في مركز طلحاً . لأن أحد الإقطاعيين وأحد الأمراء قد اغتصبا أرضه على ضآلتها لتكون طريقا للمياه التي تغذى أرضهم . وكان الثلاثة يكتبون قصته ومعهم شاب آخر اسمه فوزى المصرى ، وكانوا يتناقشون في كتابتها بصوت مرتفع وحماس شديد . ومع ذلك كانوا يزعمون أنهم يكتبون فيلما سريا ، لأنه يحارب الإقطاع ، مع أن الإقطاع في ذلك هو الذى كان يحكم مصر .

وقد طلبوا منه أن يكتب أغنية للمولود الذى سيكبر ويسترد بيديه أرض والده فكتب :

(١) تمثل هذه القصة أسطورة خيالية عن نبي كثر يلهمه . وليس لهذا النبي أرض ولا اسم ولا زمن ؛ وكانت هذه القصة مكتوبة في كراسة ، وقد تراكت عليها الكتب حتى كاد أن ينساها صاحبها قبل أن يثر عليها شاعرنا .

يارب أعيش والاقية والى اللى باتعناه
يحمى يديه أراضيه والخير يحينا معا
وتنى ييه أهلسه وابوه ويسلم له
يارب ويلوم له ويكيد علونى
لأعنى ياقلبي

وحينما انتهوا من كتابة « الفيلم » دار به المخرج ابراهيم السيد قبل الثورة على جميع شركات السينما فلم تتحمس له شركة واحدة .

وبعدئنا بكر الشرقاوى أنه من خلال المناقشات فى هذا « الفيلم » و كتابته ، بدأ واضحا الجانب الاجتماعى فى مشاعر صالح وفكره ، ويمثل فى تعاطفه مع جماهير الشعب الكادحين . وكان يتمنى السعادة للبشر بصورتها العامة ، ويتمنى فى الوقت نفسه أن يوجد منطق للحياة الاجتماعية ، وكانت له أحلام عن الحياة المثلى التى كان يتصورها فى ذهنه ويتمناها وهذه الأمنية فى ذهنه كانت تتمثل فى الصورة الغائمة التى كانت مثارا لتمرده على المجتمع ..

وكان يتعاطف - على حدّ تعبير الشرقاوى - مع ثورة الجماهير ويحبها ويشعر بالسعادة حينما تثور تلك الجماهير معبرة عن أمانيتها الوطنية أو الاجتماعية رغم أن المطالب الاجتماعية فى ذلك الوقت كانت ضبابية . أو أن التطور الاجتماعى كان تابعا للتطور الوطنى ..

ويمثل تعاطفه مع ثورات الجماهير فى أنه حينما عرف أن قائد الثورة الصينية التى قامت فى عام ١٩٥٠ كان شاعرا . جعل يردد أن هذا انتصار شخصى للشعر والشعراء وأخذ يتتبع أخبار هذه الثورة بشغف خاص . ولا سيما حينما تواترت الأخبار بأن « ماوتسى تونج » كان حافى القدمين ، وكان فقيرا . ويزور الصين من شماليها إلى جنوبيها سيرا على قدميه .

وكان الشرنوبى مولعا بالسينما بحيث أنه كان يذهب إليها مع إخوانه فى بعض الأحيان ثلاث مرات فى اليوم . وإن أدى بهم هذا التصرف الى أن يعيشوا على الفئات الذى يمثل فى (السميّط والجبن والبيض والسنتوشات) ويرجعون فى آخر الليل من السينما سيرا على الأقدام حتى يصلوا إلى البيت ..

على أن السينما الإيطالية كانت تستأثر باهتمامهم لا سيما الأفلام الأولى للمذهب الواقعية الجديدة .

وكان الشرنوبى يشاهد ابراهيم السيد فى صالة الشقة وهو يؤدى أدوارا كامامة من مسرحيات شوقى لا سيما مسرحية كليوباترا . وكان يستمتع له فى ذهول . على حين كان بكر الشرقاوى يشده من ذهول الشرنوبى وتبعه لحركات ابراهيم السيد وتصفيقه له

وخاصة حينما يتخيل أنه «انطونيو» ويطعن نفسه بخنجر في يده (ملقعة) ويقع على الأرض من أثر الطعنة النجلاء وهو يتمثل بالشعر .

وقد كانت مشاهدته هذه ، وصحبته لابراهيم السيد الممثل المسرحي حينذاك بجانب كونه مخرجاً للسينما كانت هذه وتلك باعثاً لأن يتمنى لو كتب مسرحية ليتمثل فيها ابراهيم السيد ، وظلت هذه الأمنية تشغل باله حتى قبل وفاته بيومين ، فقد أمر إلى بكر الشقاوى حينما التقى به في شارع شريف بجوار البنك الأهلى ، أنه مسافر الى باطيم، وسيكتب مسرحية شعرية بمجرد رجوعه ، وكانت رغبته — كما يقول بكر الشقاوى — مهمة بالنسبة اليه اذ لم يجبره عن حقيقة موضوع المسرحية ..

والتي أيضا في اليوم نفسه بابراهيم السيد في قهوة « ركس » بشارع عماد الدين وأخبره بسفره وقال له : « إننى ذاهب إلى بلطيم ومعى إحساس غريب أننى لن أعود » .

وتوجه شاعرنا الى بلطيم يحلوه أمل غريب في أن يلتقى بأهله الذين لم يروه مدى ثلاثة أعوام .

ذهب إلى بلطيم وكله شوق الى رؤية والدته وأخته هيام وأخوته وأخواته الآخرين وعندما رآوه رحبوا به ودخل الحمام ليزيل آثار السفر ثم اعتذر لوالده عن عدم الذهاب لأخيه شرنوبى في هذا اليوم لأنه مجهد من السفر ولكنه خرج بعد ذلك الى الأماكن التى يألفها ويجلس فيها بجانب بحيرة « البرلس » ..

وجلس على شريط قطار الدلتا واستغرق في جلسته في ضوء القمر وأخذ يتأمل المناظر الجميلة للمزارع وبحيرة « تيرة » .

وحينئذ جاء قطار الدلتا ولم يكن له مواعيد ثابتة ، وكانت الرياح تُضيقُ صوته عن الجالس أمامه في هذا المكان وتحمله معها في متجهاتها، وفوجيء به صالح ، وحاول أن يقفز من جلسته فلم يستطع . إذ صلمه القطار — وهو يقفز — في رأسه وطرحة بعيدا إلا أن رجليه ظلتا على الشريط . وظل حتى الصباح إلى أن عثر عليه الناس ..

وانتشر نبأ الحادث في البلدة دون أن يحدد النبأ شخصية القتيل . وما إن سمع شقيق شاعرنا هذا النبأ حتى دفعه الفضول إلى الذهاب إلى مكان الحادث . ولكنه خر مغشيا عليه حينما رأى أن القتيل صالح شقيقه وحبيبه ، وأخذته نوبة صرع استدعوا له من أجلها الأطباء .. وأبلغت الشرطة بالحادث وقام بالتحقيق فيه عبد الحالى صالح مأمور بلطيم حينذاك ..

تقول شهادة الوفاة التى حررها الدكتور عزيز سوريال : « إن القتيل مصاب بصدمة عصبية ونزيف عام وكسر في الجمجمة » .

وخرجت بلطيم في يوم ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٥١ تشيع أعز أبنائها إلى مثواه الأخير
الذى كتب عليه : دفن شهيد الشعر والشباب في ١٥ من ذى الحجة سنة ١٣٧٠ - ١٧ من
سبتمبر سنة ١٩٥١ وتحت هذا الكلام الذى يشبه الشعر :

يا زائرين لقبرنا لاتعجبين لأمرنا
بالأمس كنا مثلكم وغدا تكونوا مثلنا

وحينما وصل خبر مصرعه الى القاهرة نعت الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية جميعها
ورثاء إخوانه من الشعراء . فكتب الشاعر محمد مفتاح القيتورى قصيدة بعنوان « قصة
العبقريه » وأهداها إلى روح صالح على شرنوبى في عام ١٩٥٢ .
كما أنشد الشاعر الدكتور كمال نشأت قصيدة تحت عنوان « شهيد » أهداها إلى روح
الشاعر في سبتمبر من عام ١٩٥٢ .

ولم يقتصر رثاء شاعرنا على من عاصره والتقى به من الشعراء ، بل رثاه من لم يره رؤيا
العين ، ولكنه رآه يبصيرته وإحساسه ووجدانه ، وعاش قصته من خلال ما عرف عنه من
أصدقاء الشاعر ، والذى نشر من شعره على ضآلته ، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر فتحي سعيد
الذى أنشد قصيدة بعنوان « الشاعر » وأهداها إلى روح صاحب الأصداف (الشرنوبى)
وذلك في عام ١٩٥٧ .

مع الأدباء :

عرفنا فيما سبق أن شاعرنا كان متصلا بطائفة من الفنانين وكان يقطن مع اثنين منهما
هما ابراهيم السيد وبكر الشرقاوى . وقد رفلته صداقته لهؤلاء وهؤلاء بتجارب كثيرة
وعمقت عنده تجارب أخرى . والآن نتحدث عن شاعرنا في عالم الأدباء وعلاقاته بهم .

والمتتبع لعلاقة الشرنوبى بالأدباء والشعراء يرى أنه « كان من المتمتعين بحظف العقاد
- كما يقول ابراهيم السيد - بل كان الشرنوبى يعتبره أبا ، وكان العقاد لا يرتاح لرؤية
الشرنوبى في حالة ضيق ولا يتركه إلا بعد أن يساعده على حلها » .

ويعمدنا عبد العام خطاب فيقول : « ان العقاد قال لنا في لقاء معه عقب وفاة الشرنوبى :
لو عاش الشرنوبى لبرز شوق » .

وكان الشرنوبى على صلة بالشاعر عزيز أباطة الذى لا يرضن على شاعرنا بكل ما يطلبه
وكان الشرنوبى يحبه ويعان هذا الحب حينما يقول :

حيبتك فاعلم أن حبك باعثنى إلى المجد .. والحب العظيم أنور المجد

ثم يناديه حينها بصطخب بحر الحياة أمامه ، ويختار زورقه فيه فيقول :
 ضحايا السفوح الجرد مهما تسنوا فغاية مراقهم إلى الكسب الجرد
 أعينك مما يملأ الدهر عيشهم به من أفانين التعمسة والكيد
 يضيئون .. والأيام تشرب نورهم لتتركهم لليأس والبؤس والسهد
 ويستنبتون الصخر .. والناس حولهم من الخير في ظل كظلك تمتد
 وكانت هناك علاقة وطيدة بينه وبين أحمد حسن الزيات ، إذ كان ينشر له قصائده
 في مجلة الرسالة تقديرا لنبوغته وعبقريته على الرغم من صغر سنه .

وقد أتاح له محاولة دخوله كلية دار العلوم أن يلتقي بالشاعر الدكتور أحمد هيكل
 وكان معيدا بالكلية إذ ذاك ، كانت علاقتهما علاقة شاعر بشاعر ، وكان يسمعه شعره
 الذى ينشره ، ويقول الدكتور هيكل إن صالحا كان يمدح عطفًا من الشاعر ابراهيم ناجي
 ومن الشاعر صالح جودت ، إذ كان مشرفا على البرامج الأدبية وعلى مجلة الإذاعة ، وكان
 يقدم له شعره أمام الميكروفون ، في الإذاعة ، وفي الوقت نفسه كان ينشره له في مجلة
 الإذاعة ..

وكان يتردد مع الدكتور هيكل على الجمعية الأدبية التي كان مقرها في ميدان سليمان
 باشا ، وكثيرا ما غاب أسبوعين أو ثلاثة ، وإذا ما سأله الدكتور هيكل عن السبب في
 تخيبه عنه يجيبه « بأنه كان في جبل المقطم » .

واحتاد الشاعر على محمود طه أن يتردد عليه شاعرنا وكان يحبه ويتنبأ له بمستقبل عظيم في
 الشعر ، وقد كانت وفاة على محمود طه باعثا لأن يرثيه شاعرنا بقصيدة تعد من عيون الشعر
 العربي في الرثاء ومطلعها :

لا أنا خالده ولا أمنياني فوداعا مسارح الذكريات
 ووداعا مواكب الفن الجبر ودنيا الأحلام والصبوات
 أقفرت وإحسني .. وصوح كرمي وطففت علقى .. ومات أساني
 ودنا الشاطئ البعيد .. فرفقا بسفينتى يا آخر العاصفات
 ويقول فيها عن على محمود طه :

أبها الشاعر الذى كان يوما قمة لا تنال بالنظرات
 أنت لازلت في القمائر حيا خالدا .. مشرقا .. برغم الممات
 لك في الكون دولة .. ومكان يتحدى تغلب الأحداثات

كما أنه كان على صلة بعبد الحميد الديب ، ولكنها صلة من جانب واحد ، إذ كان
 يخاف من الديب - كما يقول ابراهيم السيد - ويقول عنه إنه شيطان في إهاب انسان
 وإنه ليخيفني بمنظره ونفسيته الطاعنة إلى الشر دائما ..

وقد التقى بصديقه وزميله الأديب عبد الصبور مرزوق في نادى نقابة المعلمين بالجيزة وكان معهما الدكتور أحمد هيكمل وذلك في عام ١٩٤٨ ومنذ ذلك الحين كانت علاقتهما لاتنقطع أبدا ..

على أن فيلم « فتنة » الذى كتب أغانيه أتاح فرصة الالتقاء بعبد العليم خطاب، وكان عبد العليم خطاب شاعرا ، وقد توطدت صلتها حتى أننا رأينا أن شاعرنا يمثل بأبيات لعبد العليم خطاب يشكو فيها الزمن ، وقد كتبها صالح كما كتب غيرها من شعره في ظهر غلاف كراسه الثامنة ..

وقد التقى في ندوة جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة التى كان لايتخلف عنها أبدا بطائفة من الشعراء منهم خالد الحرنوسى الذى كان يقدم الندوة ، وقاسم مظهر ، ومحمد فهمى وابراهيم عيسى ، وروحية القلبنى وغيرهم من الشعراء والشاعرات الذين كانوا يشتركون فيها ، وقد عثرت في بيته على صورتين كان يحفظ بهما ، احدهما لطاغور شاعر الهند الكبير ، والاخرى لتولستوى الأديب الروسى الكبير ، وكان يضعهما على الحائط في الجناح الذى يعيش فيه من البيت ..

وكان يتألم لحال الأدياء والقنانين الذين كانوا يعيشون على الفاقة والحرام والمكانة المهينة التى كان يضعهم فيها الحكام ، ومن ثم كان يمتنى أن ترعاهم الدولة بدلا من التشرد والضياع الذى يعانون منه ..

ويتضح ذلك من قصيدته التى ألفها - في نقابة المؤلفين بنادى نقابة الصحفيين - أمام الشاعر عزيز أباظه ، والتى وصف فيها الشعراء والقنانين بأنهم ضحايا السفوح وأنهم يضيئون والأيام تشرب نورهم ويتنبئون الصخر إلى آخر ما وصفهم به كما عرفنا ذلك من الأبيات التى ذكرناها من هذه القصيدة فيما سبق ..

ونضيف إلى ذلك أنه في هذه القصيدة نفسها قال متهمكا بمظه في الحياة :

أبا الشعر ماجلوى يراعى وسحره اذا لم أتل حتى .. ولم يأتلى سعدى
وما نفع مقدم تجهّم حظله وفي راحته يضحك الصارم الهندى

مكتبته :

كان صالح يكثر من قراءة كتب الأديان المختلفة ، بل كان يجلس إلى الأب جرجس (١) الأنطوني القس بكنيسة بلطيم ، كما كان صديقا للقس « اغناطيوس فرازى » - وهو مطران

(١) توفى في عام ١٩٦٥ عن ١١٠ سنة في دير المحرق بعد أن قضى فيه عامين ..

البرازيل الآن - إذ كان الشرنوبى يتردد عليه في كنيسة الفجالة حيث كان يعمل فرازلى بها ، وفي الوقت نفسه كان « فرازلى » يتبعه في التلوات الأدبية وغيرها وبالإضافة الى ذلك فلان الشاعر قد ارتبط بصداقة بين طائفة من الرهبان والراهبات ابان تدرسه في مدرسة « سان جورج » الأجنبية .. وكان يقرأ الانجيل ويحفظ منه الكثير ، كسفر نشيد الانشاد والمزامير .

والتأخر في مكتبته يجد فيها بعض الأنجيل ، والكتب التى تتعرض بالدراسة للديانة المسيحية .

وتضم المكتبة كذلك بعض الكتب التى تتعرض لأخلاق العلماء والى تتعرض لنظرية التطور وأصل الانسان .

أما الكتب الأدبية فكان من أهمها كتاب « من الأدب الفرنسى » الذى ترجمه أحمد حسن الزيات ، و« حياة الرافعى » لمحمد سعيد العريان ، و« مدينة الأحلام » للدكتور ابراهيم ناجى ، و« مدام العشق » للدكتور زكى مبارك . و« اعترافات تولستوى وفلسفته » بقلم الأرشمندريت انطونيوس بشير ، و« معجم » لسان العرب » وغيرها من الكتب التى تعتبر من أمهات كتب الأدب سواء أكان عريباً أم مترجماً إلى العربية من اللغات المختلفة . وبالإضافة الى ذلك أهدها ناجى ديوانه « ليالى القاهرة » ، وقاسم مظهر « حفيف الغابة » وغيرهما من الكتاب والشعراء الذين كانوا يهلون إليه كتبهم .

وقد اقتصرنا في الحديث عن مكتبته على التيارات الفكرية التى توضحها كته ، وذلك لأنه يعسر علينا أن نعدد الكتب وأن نسردها أسماها كتاباً كتاباً ..

فى عالم السياسة :

صبحنا الشرنوبى فى نشاطه الأدبى واشتغاله بالحياة العملية موظفاً فى المدارس أو فى الصحافة ، والآن نتحدث عن نشاطه السياسى ليتسنى لنا الوقوف على مقوماته الشخصية بصورة مكتملة .

ويرى الدارس أن الشرنوبى نشأ ميالاً لحزب الوفد مفعظوراً على حبه نظراً لأنه نشأ فى بيئة وفدية ، إذ كان والده من رجال الوفد منذ بدء الحياة النيابية فى مصر ، وكان يرشح نفسه فى الانتخابات لمجلس النواب .

ومما يدل على تفانى والده فى حبه للوفد ، أنه حدث أن تنازل فى الانتخابات لمرشح وفدى آخر هو محمد العبد فى شبرا الخيمة ولكنه ظل يتفق على الانتخابات بعد تنازله حتى ينجح مرشح الوفد محمد العبد على حد قول طلعت الشرنوبى .

ونشأة الشرنوبى فى بيت كهذه تدين للوفد بالولاء ، كان لابد أن تكون - بالضرورة - من البواعث لاختياره حزب الوفد وإظهاره بحبه وولائه .

ويؤكد هذا الفهم صالح نفسه فى قصيدته التى استقبل بها أحد أقطاب الوفد فى بلطيم فى عام ١٩٤٣ ، إذ يقول فيها :

أنا من معشر أحبك حبّ الزهر ر للطلل فى الصباح الوليد
يولد الطفل عندنا وهو وفدى نغذيه حبكم فى المهود ..

وظل صالح على هذا الحب للوفد وذاك الولاء حتى انتقل إلى معهد القاهرة ، وفى هذا المعهد تحول الحب إلى سلوك سياسى حيث راح يترعم الطلبة ويقود الاضرابات .

ويحدثنا طلعت الشرنوبى أن شاعرنا قاد مظاهرة واتجه بها إلى قصر عابدين حينما قتل أمين عثمان ، واتهم الملك فى هاتفه بأنه القاتل الحقيقى لأمين عثمان ، وذلك بقوله : « أنت الخافى يا فاروق » . وحينئذ لم ينبج من قبضة البوليس السياسى ، إذ أوسع ضربا ولكزنا حتى أشرف على الهلاك .

ومن هنا لم يكن أمامه بد من الحرب فى عجمار المظاهرات والفرار إلى طنطا حيث مكث فيها شهرا يعالج فيه من آثار الضرب .

ويضيف عبد العزيز الشرنوبى إلى ما قاله طلعت بأن صالحا كان يخطب فى المسجد الأحمدى عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع خطبة سياسية وكان المصلون ينتظرونه ليستمعوا إلى خطبه التى يعارض فيها سياسة الحكومات التى كانت قائمة آنذاك ، وكان يتحدث عن الملك بصراحة ويحمّله كل ما يحل بالوطن من مساوى وانتكاسات فى طلب الاستقلال . وقد أدى ذلك - كما يقول عبد العزيز الشرنوبى - إلى ترحيله إلى بلطيم مرتين وكانت تتراوح المرة منهما بين حوالى ستة شهور أو سبعة .

ويحدثنا مسعد وأحمد الشرنوبى أنه كان يشغل وقته فى بلطيم أثناء تحديد إقامته ومراقبته فى بيته بإقامة ندوة فى كل ليلة مع أصدقائه وأقربائه .

وقد هوجم بيته فى طنطا بصدد اعتقاله إبان زيارة اسماعيل صدق لطنطا فى عام ١٩٤٦ ، وانتظر ركب رئيس الوزراء فى شارع « الملكة فريدة » آنذاك إلى أن يتم القبض على صالح لأنه أشعل نار الإضراب المناوئ لصدق وسياسته ، إذ أضربت جميع المدارس وفى مقدمتها المعهد الدينى الذى كان صالح يدرس فيه ، ولكن مهاجمة البوليس لبيته بامت بالقفل ، لأنه كان محتفيا وراء حركة الإضراب فى بعض الأماكن التى كان يلوذ بها ومن معه من قواد حركات الإضراب (١) .



(١) من حديث مع الأستاذين إبراهيم ومسعد الشرنوبى فى يوم ١٧ إبريل ١٩٦٦ .

وحينما حصل على الشهادة الثانوية ورجع إلى القاهرة ليتحق بالتعليم الجامعي في كلية دار العلوم . كان قد تحلى عن قيادة الإضرابات واتسع أفقه في فهم الحياة ، وغدت تطلعاته السياسية إلى ما هو أوسع من الوفد وغيره من الأحزاب . إذ كانت هذه التطلعات تهدف إلى الثورة السياسية والاجتماعية وإن لم تكن رؤيته فيها واضحة ، ولكن ذلك لم يفقده ميله إلى الوفد ، بل كان يتفاح من أجله ويقول بعض القصاصد في أقطابه ، ولم يحاول الانشقاع هؤلاء الأقطاب في أيام محنته . ولم يبع لهم قصائده ، كما كان متبعا في العهد الماضي .

ويرى بكر الشرفاوى صديقه أن حبه للوفد وميله إليه ، لم يكن فيه متبعا ، أو لم يكن ناشئا عن الطاعة العمياء . التي كان يبلها أغلب المتبعين إلى حزب الوفد من الشباب حينذاك ومن ثم كان الشرنوبى من يساره على حسب التعبير الحديث .

ويضيف الشرفاوى إلى ذلك أن الشرنوبى لم يكن من طبيعته الانضمام إلى تنظيمات سياسية ، لأن الانضمام إليها لم يكن ممكنا له ، لما طبع عليه من تمرد ولما يتمتع به من روح نقادة لكل شيء في الحياة .

وقد عثرنا في أوراق الشاعر على ما يبين موقفه من إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ وبين من ناحية أخرى صدق ما ذهب إليه الشرفاوى وخلاصة هذا الموقف أنه يرى أن : « إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ليس هو العمل الوحيد الذى ينتهى إليه كفاحنا عنده .. لا أقول هذا تهوينا لشأن الإلغاء كخطوة إيجابية في سبيل استقلالنا وسيادتنا .. وإنما هناك شئون أخرى أعظم منه وأخطر .. هنالك النظام القائم بين أيدينا .. بما فيه من فساد واضطراب وتحلل .. هنالك محنة الدستور ومحنة الأخلاق والفكر .. والحرية .. وحقوق المواطن الضائعة بين شهوة الحكم وسفه الحاكمين .. »

ومعنى هذا أن الشرنوبى كان على حبه للوفد يتقد تصرفاته ، وكان يعد لإلغاء المعاهدة خطوة فقط على طريق الاستقلال ، ومن ثم كان يطمح إلى تقويض النظام القائم من أساسه ، لأن الخرق اتسع على الرافع ، ولم يعد يصلح هؤلاء الحاكمون أيضا للحكم ..

ومن هنا كذلك نجد أن الشرنوبى كان يتطلع هو وأصدقائه إلى محاربة الإقطاع عن طريق « الضيم » الذى كتبوه في محاربة الإقطاع ، والذى عرفنا قصته سابقا ..

وأخيرا نجد أن الشرنوبى يتعاطف مع ثورات الجماهير ويحبها ، ويتمنى أن يثور الشعب ليحبر عن أمانيه الوطنية والاجتماعية ، وهذا سر متابعتها ثورة الصين التى حدثت في عام ١٩٥٠ وقد سبقت الإشارة إلى ذلك . وليس من شك في أن ذلك كله يجب أن يدل عليه شعره . وما نحن أولاء نقرأ على سبيل المثال قصيدته « نشيد الصفاء » فراه يقول فيها :

فهنّا مصر أمة مسختها كالتماثيل عصبة السامريّ
 وطن جامع وحظّ مُثتّ قصة خيلت حجا القصصى
 عامل يصنع الحياة ويرجوها فتاتنا يحفوه كلب الثرى
 يؤثر الناس بالبقاء ويفنى ومن البنى طينة الآدمى
 وأحوال الأرض ملّت الأرض كفى ه وباحت بكل سرّ غنى
 أطعمته ترابها واستبدت بقواه فلم يعد بالقوى
 يومه شقوة وجوع وعرى ومناه حياة هذا الغنى
 يتغنى الحياة للقاتل الغا صبّ دعوى عريضة وغوى
 ملهم بالفجور أفكاره الإ م وليل الساق ويوم الخلى
 إنها قصة التناقض ياقرو م فطوبى للثائر العبرى
 بالنيل الخلود تحرمه مصر ونهرقه يد الأجنبي
 بالشعب عبدانه البيض أحرار يسمونه عذاب المعنى
 بالشعب عزّت عليه الأمانى فهو في الدهر كالذليل الأبنى



ومحارب الإقطاع والرأسمالية الشرعة ، ويتهم الإقطاعيين والرأسماليين بأنهم مصابون
 بالتخمة ، على حين لا يجد السواد الأعظم في مصر ما يأكله ، يقول :

بشم القوم بالطعام .. وجعنا وعرينا .. واستمتعوا بالبرود ..
 وجهلنا .. وعلموا أن يرونا في حمام جحافلا من عبيد
 وطنى مصر .. كيف أحيا عليها أنا فلاحها حياة الطريد
 وطنى مصر .. كيف يصل ابنها العامل فيها عيش الشقى الشريد
 وبنو الطين يحملون مع اللب ل بنجوى أنثى ورنّة عود ..
 همّهم في الحياة أن يقتلوا الشعب ويلقوا آماله في اللحد
 عالم تغزع العدالة منه ووجود شئت فيه وجودى
 ليس في الأرض سيّد ومسود فدعونا من سيّد ومسود

ويعبر عن وجدان الشعب المصرى في العهد الماضى ، كما يعبر عن الإراصابات الثورية
 التى كان يدرّكها من خلال الحجب المضروبة حولها من الظلم العاتق وغياهب السجون
 التى كان يزج فيها بالأحرار الثائرين وغير ذلك من الحجب ، وكان تعبيره عن وجدان
 الشعب في قصيدته « البعث » التى يقول فيها :

أطلب المجد بالكفاح وأبني بعظامي مكانه المخصوبا
ومعى أمة ممزقة الحو ل تمنى التقسيم والتغريبا

ويقول عن الحكام :

ومضوا يبعثون .. والغاصب العريد يرجو لرشدهم أن يغيبا
كم أعانوه خفية وجهارا ليردوا به المصير الرهيبا
وأغاثوه .. واستغاثوه كيما يسحقوا ثائرا ويشفوا نجيبا

ولم تقتصر ثورة شاعرنا على السياسيين .. بل تجاوزت ذلك إلى الملك فقال في قصيدته
« المواكب » :

وهذا ابن أنثى غوى الفؤاد رسالته أن يعيث الفساد
رقاب الأمانى متقادة إليه .. وطبع الأمانى العناد
حبه المقادير ملك الثرى وألقت اليه أمور العباد
فجنّ بأهوائه الآثامات يرى محرما ماله من نفاق
فما خففته دموع الأمى ولا طوّفته معاني الحداد

بل إنه كان أصرح من ذلك حينما أنشد في الملك قصيدته « الزجلية » التى جعل عنوانها
« يامالك الملك » وفيها يقول :

الأُسْدُ فى غابها يبتقرّر مصيرها النشوق وفى أوّل القايمة أبكم له لسان ملشوق
والشعب مفلّوق وصوته فى مهجته مخنوق ولو يسيّر أمور الشعب أحبابه
يبكّث ويصبح سعيد الحال وباله يروق .
ألوف من الفلاحين ما يملكوش فدان وفرد يملك ألوف من مال ومن أطيّان
وأولاده يتعلموا فى الجامعة بالخبّان وابن الفقير ينطرد م المدرسة ويصعب
وان جه يطالب بحقه ينسجن فى لومان

وبعد أن يتحدث عن العامل الذى دفن قبل مماته من غيبته بحيث لا يرضى بحالته عاقل
ولا مجنون ، وأنه لو مرض ساعة ، يبيع فى سبيل مرضه « الحلقة والهون » ولو أراد أن يشتري
لأولاده مقداراً من اللحم ، فإن ذلك معناه أنه سيصبح مديناً .. وبعد أن يتحدث عن ذلك يلتفت
إلى الحاكم فيطالبه بأن يتخلّى عن أوهامه ويبنى حكمه على رضا الشعب ، لأن مصر ليست
ضيعة له والمواطنون خدم له فيها ، وذلك لأنّ الظلم له نهاية وسيكوى بتاره ويكوى وينوح
على عمره وأحلامه ويقول فى النهاية :

بأمالك الملك عدلّك تاه في ظلم الناس الكلب في مصر له خُدّام وله حراس
وابن البلد حقه ضاع بين النسا والكاس يارب قرب نهاية الظلم واسعدنا
ويطلع « الكلب » م الدولة مع الانجاس

وهكذا يتضح أن الشرنوبى كان اشتراكيا على نحو ما ، غير أن مصدر اشتراكيته
كان وجدانيا ترفده الأحاسيس الشاعرة لا المنهجية ، فكانت الدعوة لديه تتمثل في خلاص
الإنسان من آلامه ، والفقراء من فقرهم ، والتقصاء من تعاستهم ، والمحرومين من حرمانهم ..
على أنه لا يقتصر في عالم السياسة على الدفاع عن مصر وحقوقها ، بل كان يعيش مأساة
فلسطين ، ويعبر عمّا دهاها من محن وخطوب وذلك حينما يقول في نشيده « فلسطين » :

سنحملك من كل وغد أئيم ونصلى أعاديك نار الحميم
ونكتب بالسيف تاريخنا ونبعث مجد الحدود القديم
نحوّ بنورك جنح الظلام ولا زلت للنيل حدّ الحسام
فأنت هوى الشرق.. أنت الحجاز وروح العراق .. وقلب الشام

وتعمق نظرتة أكثر حينما ينمى على الشرق تهاونه في حقه ، وبلاهة أهله الذين يحسبون
المجد كل المجد أن يذلوا لعبد ، ويكفروا بالحياة ويعيشوا عيشة السوائم ، وذلك حينما يقول
في « نشيد الصفاء » :

هذه الأرض شرقها خلق الغرب فلم يحزمه جزام الوقي
هذه الأرض غربها قتل الشرق ووارى الشرق بالشرق
«عرب» يأخذ الأعاجم عنهم كل فن من البلاهة حي
حسبوا المجد أن يذلوا لعبد ومن الموت أن أذل لشي
ويرون الحياة حلم غبي ويرون الإيمان حلم بغي
كفروا بالحياة إذ آمن الموتى وعاشوا كالسائم الأرضي
فاذا حدثوا عن الصخر لا تروا ومن الصخر رقعة العروى

وبعد أن يتحدث عن مصر وأهلها وما يعانونه من الذل الذى يفرضه عليهم المستعمر
ورضوخهم هم إليه ولعصبة السامري من حكامها يقول :

وهناك الشام أثقله القيد سد طليح يقنى بكف قوى
وفلسطين جمرة الشرق باتت مسرحا للمخييل الموسوى
وليبان في يد الداعر الفدّ انتفاضات فارس علوى
ولسوريا في الخافقين صراخ مضرى الأصداء شاجى الدوى

والعراق المضمين والأردن الضائع كل لصحه كالسمي
 أم حطمت بمسول شيطان ولقت بمجدها السومي
 وحياة مريضة شاقها المسوت وضجت من مسجها الأبدى
 أين مجد بناء نور الخيلاني نيتهم^(١) الصحراء راعي الجدي
 أين فاروقها^(٢) أمير المساكين وأين الصديق^(٣) قلب النبي
 لآحى الشرق من بينه ذليلاً وهو الشرق أمة الماشي

وعلى الرغم من أنه أنشد « نشيد الصفاء » في عام ١٩٤٤ إبان عصف القصر وجبروته فإنه لم تأخذه رهبة ذلك العصف ولا هذا الجبروت ، بل كان يقول شعره السياسي ويحفظه الأدباء والمشتغلون بالسياسة دون أن يراجع .

شخصيته :

له قامه مدبدة كالعلاق ووجه أبيض يكدر وضاعته بعض البثور ولكنه مليح القسما
 معبر عن كل ما يعيش به وجدانه من انفعالات ، وتتوج وجهه المستطيل هامة سامقة يزيد
 قطر جمجمتها طولاً على قطرها عرضاً بنسبة ظاهرة . وعيناه عسليتان مع سعة في المقلة
 ثاقبتان فيهما سعة ونحس وأنت تنظر إلى عينيها كأن بهما عضلتين تحاولان أن تستشفا ماتريانه
 في استراق عجب وفيهما حيلة وزكاة ، ويرامى فيهما أعمال حزن وتفكير تحفهما
 أهذاب طويلة تحت حاجبين أميل إلى الفزارة ، ورأسه أقرب إلى الكبر منه إلى الصغر
 مستدير إلى حد ما ، وأما شعره فمتسرح منسدل منسوج إلى الخلف دائماً . وخدان خفيفان
 من اللحم والشحم يتوسطهما أنف أشم جميل ، يتمم بارتفاع قصبته مع استواء في أعلاه
 عند اتصاله بالجبهة وصدغان مستقران ، وأذنان تنبسط كلتاهما من أعلى وتضيق من أسفل
 مع خفة في إطارها الأعلى واطمئنان .. عارضان بسيطان وذقن بارز محقوف واستقامة
 وفم معتدل من حيث الضيق والسعة وشفتان رقيقتان ، ويعمل ذلك الوجه عنقا راسخا على
 منكيين عريضين يخرج منهما يدان قويتان مندفعتان تنتهي كلتاهما بكف عريضة الأصابع
 صلبة العضلات ، وتحت المنكيين صدر فسيح . وهو يسير بخطوات واسعة ، ويقطع خطاه
 في سيره اقتلاعا ، ويحرك ذراعيه في عزم ، ويتحدث وهو ساكن الأوصال بكل وجهه
 ويستعين في الحديث بحركة يده وأصابعه .



(١) يشير إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٢) يشير إلى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) يشير بقوله الصديق إلى أبي بكر رضي الله عنه .

قوة نفس وقوة بدن تطالعك من خلالهما مهابة بالغة تملأ ما حوله من فضاء ، ومهابة طبيعية فيه ، لأن جلورها متمكنة في بنيتها مع متانة تركيبه ، وليست هذه المهابة مصنوعة غرسها فيه درجات علمية أو ألقاب .

ولم تكن تفرقة راضيا أو غاضبا ، فرحا أو حزينا ، جادا أو مضكها ، فهي مهابة كتب لها الدوام أينما حل وأينما ارتحل ، وتفري باحترامه والثقة به وكذلك كان يراها خلطاء الشرنوبى .

إننا اذن أمام رجل قوى لا مرء ، والقوة في تصورنا تعنى العظمة ، وذلك لأن كل عظيم قوى بمعنى من معاني القوة ، وتستفاد تلك القوة من جملة مناقب الانسان وخلاته ..

وخلاتى الشرنوبى بارزة جدا بحيث لا يسترها حجاب ، لأنه نمط فريد يظهر فجأة ويختفى فجأة ، بل يظهر في وسط لا علاقة له بالفن والأدب ، لقد ظهر شاعرنا في بيئة تجارية ومتدنية . فالانحراف عن القصد لديها كفر وبهتان ، والقصد في تصورهما يتمثل في الخطوط الواضحة التي تنزل بالإنسان إلى الواقع وتختصم الخيال كما يحدث في عالم التجارة والتجارين .

وإذا أضفنا الى ذلك البعد الدينى ، وحرص والده على أن يكون من علماء الأزهر الذين يخطبون في أيام الجمع والأعياد والمناسبات .

إذا عرفنا هذا فإننا نرى والده يقيسه اذن بمقياس رجال الدين وما يجب أن يكون عليه من سمات ووقار يليقان بالوظيفة التي يتمناها له .

ومن ثم كان الصراع بين شاعرنا وبيئته ، ومن هنا كان توتره الذي كان باعثا لتجارب عديدة في عالم الشعر كما يراها القارئ في شعره .

فالشرنوبى اذن كان فنانا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .. فنانا من حيث الإحساس والشعور ، ومن حيث نظره الى الحياة والكون ، ومن هنا فانه ليهتز في مهاب نسائهما وعواطفها ، ولا يجد في الحياة شاغلا لا يشغله أو فتنة لا تجذبه أو خالجة لا تطرقه ، فهو يهتم بشئون العالم العامة كأنها شئونه الشخصية الخاصة .

ويعدنا ابراهيم الشرنوبى أن شاعرنا كان مولعا بإنشاد الأشعار في الحضرة التي كانت تقام في زاوية أبي الوفاء بعد صلاة العشاء مرتين من كل أسبوع - ولم يكن قد تجاوز الثامنة بعد - وكانت هذه الأشعار صوفية كالأشعار التي تلقى في مولد الشيخ ابراهيم الدسوقي وغيره من أولياء الاقليم .

وكان لا يفتأ يردد أغاني أم كلثوم أو عبد الوهاب ويحفظ أغانيهما ويحاول أن يغنيها على قدر طاقته .

ويضيف الدكتور هيكل أن الشرنوبى كان يعبد أم كلثوم فى فنها ، وأن جلسته كانت لا تخلو من شعر يلقى ، أو شعر يسمع ، أو غناء لأم كلثوم يؤديه هو .

وقد عرف اخوانه فى بلطيم عنه هذه الظاهرة ، فكانوا يحاولون أن يخرجوه من شروده واستغراقه فى تأمله وهم ينتزهون معه على شريط الدلتا فى اليبالى القمرية ، وذلك بأن يدندن أحدهم - كما يقول مسعد الشرنوبى - فيستلقت حسن صالحي الفنى « هذه الدندنة » ، فيروح ينطلق مع اللحن الذى بدأ ويظل يغنيه طيلة سهرتهم .

وكان الشاعر فنانا أيضا من حيث الشكل والسلوك ، إذ كان يطيل شعره ويلبس « البايون » السوداء ، ويتصرف فى سلوكه كما يتصرف أولئك الشعراء والفنانون :

ويحدثنا عبد المقتدر خطاب زميل الشاعر وابن خالته فى هذا الصدد قائلا : « إن تصرفات الشاعر ليس مسئولا عنها بقدر مسئولى المجتمع الذى كان يتردد عليه ويختلط به ، إذ لاحظت وأنا أرافقه أن كثيرين ممن يلتقون به يغريه كل منهم بنوع من المخدرات ، وبلون من السلوك ، زاعما أن هذا أوداك يساعد على تعميق تجاربه وتنمية الجانب الفنى فيه .. » ومن خلافته البارزة الطفولة الدائمة ، إذ كان ينظر إلى الدنيا بعين الطفل الذى يألف الغريب ويستغرب المألوف ، ويلمح فى كل شىء جديدا .



وقد أوقعته هذه الطفولة فى روحه النقادة فى صراع دائم بين نقد الأشياء وحبها، سواء أكانت هذه الأشياء مادية أم روحية ، فكانه كان واقعا بين شقتى رضى كما يقولون : وقد كان هذا المنهج ازاء نقد الأشياء وحبها يوقعه فى تناقض شعورى وفكرى معا ، حتى أصبح علامة عليه . فإذا ما قابلته إنسان وهو فى حالة حب لشيء ما أو لامرأة قرأه يثنى عليها حتى ينطبع فى نفس سامعه أنه يجب هذا الشيء أو هذه المرأة ويخيل إلى السامع أنه لا يمكن أن يكره هذا أو هذه .

ثم إذا ما قابلته مرة أخرى وهو فى حالة نفور لهذا الشيء نفسه فلن يسمع منه الا نقدا لاذعا مريرا حتى يخيل إليه أنه لم يكن يسمع منه عن حبه له فى يوم من الأيام ..

ويحدثنا بكر الشرقاوى : « أن نقد الشرنوبى كان موضوعيا لا ذاتيا مؤسسا على فكر وذلك لأنه كان عاجزا عن الكره ، فلم يكره أطلاقا ، ولو كان قد كره لتغير مجرى حياته الفنى والسلوكى » ومن هنا ظل فى مغارة المقطم حوالى شهرين ، وأنشد قصيدته « القاهرة » وكان فى هذه الفترة يفكر فى أن نهاية الحياة الموت ، وكان فى تصوره دائما - حتى فى أبعد لحظاته عن السلوك الدينى - أن كل شىء هالك إلا وجهه .

كانت مشكلته دائما أنه يبحث عن معنى الوجود سواء أكان الوجود ماديا أم إنسانيا وكان يعتقد فى بعض الأحيان أنه لن يصل إلى شىء ، ومن هنا كان ينتهى إلى العبثية بمعناها

الحالى ، غير أنها كانت تتمثل عنده فى العيشة بمعناها الحالى ، أى أنها كانت تتمثل عنده فى العيشة الشخصية بمعنى أنه اذا كان للوجود معنى فهو يرى أن وجوده أحيانا ليس له معنى .. من أنا ؟ من أكون ؟ ما كنت ؟ ما يلد وجودى ؟ متى تكون النهاية ما وراء الحياة ؟ .. ما غاية الدهر ؟ وما كان قبل بدء الرواية كان من أوجد الورى من تراب وله فى الوجود أعظم آية ثم ماذا ؟ صمت وعى .. وعجز .. وظلام .. وحيرة .. وعجابه وشكوك تعب أيام عيمرى وترينى ضلالتى كهدايه ومقادير تستحث خطانا وهى تجرى بنا .. إلى غير غايه على أن منهجه فى نقده للأشياء قائم على أساس فكرى ينبعث عن كبت جنسى ، ولذا فإنه كان يحب المرأة ويرفضها ولكنه لا يكرهها ..

فحينما يكون راضيا عنها وهما على الشاطئ يغبط الموج على انسياب رغوه العاشق إلى قدميها :

ظنها الموج تحيى ... فحسبى قدميها
وترامى رغوهُ العا شق منسابا إليها
فجرت تسبقه نحوى وعاطفتى يديها

وهى جنة حمراء تفرى بالنظر إليها ، لكنها تجفو للقديسين وتسبى الخناة الآثمين ذلك حينما يكون غاضبا عليها :

وتحسبها أننى .. من الطين روحها وتعشقها طيفا من النور ساميا
هى الخنة الحمراء تغريك ناظرا وتجفوك قديسا وتسبيك جانبا
ثم هى بعد أن تملأ سمعه وعينه بفنون الإغراء من جسمها البديع العبرى شكلا وظلا
الفوى الغنى عن كل حسن لدى غيرها . تتقلب إلى آخر وترتمى بين أحضانها فكانها حية رقطاء ترتمى بين أحضان أفعوان :

اشغلتنى بما تريد منى
بفنون الإغراء .. باللهب الثا
جسمك العبرى .. شكلا وظلا
اشغلتنى .. فقد تنالين من عم
كرمك المشتى .. القريب من الأيد
خفيت فيه من أنوثتك الحم
يابنة الليل والخطية .. والآ
قصة أنت ألفتها الليالى
اشغلتنى نارا .. فلن تحرق منى

واملى بالفرام سمى .. وعينى
تر من جسمك البديع .. الأغن
الفوى .. الغنى .. عن كل حسن
رى يوما .. تقضيه كالحلمين
لدى .. وإن كان غاية المتقى
راء .. دنيا حلودها فوق ظنى
فاق .. والسجن .. والهوى .. والتمنى
من شذوذ وحيرة وتجن
إلا ما جفد الدهر منى

وكان يعيش الحياة ويرفضها ويعيشها ، ولكنه يفكر مع ذلك فى الموت ، فحينما يكون راضيا هادئ النفس يقول فى الحياة :

آمنت أن الحياة أنثى من طبعها الوصل والصدود
وأعجب الأمر فى هواها أنى إلى حبيها مقود
فيا رفاق الطريق غنّوا فرما يقرب البعيد
وحينما يكون غاضبا عليها يقول لنا بمرارة :

أنا أهفو إلى الحياة وروحي تشرب الموت فى كتوس الحياة
أنا أرنو إلى الفروب بعين قيمت نورها من الظلمات
أنا أستقبل الريح بقلب هائد الحسّ ذاهل الخلفات
أنا أستشهد السماء على ما أمطرتنى السماء من نكبات
أنا ماض إلى السراب فحيوا يا ضحايا الظما شهيد القلاة
أنا ماض فلا تخفّوا إلى قبّ رى ولا تزعجوا سكون رفاقي

ولم يقتصر منهجه فى نقد الأشياء وحبيها على الحياة والمرأة ، بل تجاوز ذلك إلى كل شيء ، ومن هنا تزلزلت قيمه بين القبول والرفض للأشياء جميعها ..

وفى تصورنا أن هذا المنهج يقوم - بالإضافة إلى الطفولة الدائمة - على ما غرس فى نفسه من بيئة الطبيعية فى بلطيم اذ كانت تمتعه الدائمة أن يجلس - كما سبق أن عرفنا - بجوار مقام سيدى فتح الأسمر على أعلى ريوه فى بلطيم بحيث يطل على مقابر المدينة ، وهى متدرجة فى الرمال ، وعلى مد البصر المزارع من الجهة البحرية والبحيرة من الجهة القبلية .. ومن هنا كان هذا المنظر يمجج بالحياة الجياشة من قبل المزارع والبحيرة والبحر الأبيض ، ويوحى فى الوقت نفسه بالفناء من قبل المقابر حتى رسخ فى نفسه أن كل شيء فانٍ إلا وجهه ..



ومن خلافته كذلك الوجدانية ، إذ كان يحب الحلوة ويضنُّ بوقته عن الغمر ، وليس معنى ذلك أنه يجارب الناس ، أو أنه لا يبادلهم العاطفة والشعور ، بل كان على العكس يحب مسائلة الناس جهده ، ولا يستبيح لنفسه أن يبدأهم بما يسوء ..

وكان فى خلوته يكره الضوء الساطع ، وقد رأينا أنه طالما جلس فى نور شمعة بعد أن يفلق النافذة ويحكم إقبال الباب - بل كان أحيانا يجلس فى الحجرة دون ضوء قط ..

وقد كانت بواعث الوجدانية فى نفسه أنه يشعر بالفارق بينه وبين أهله وأصدقائه إذ كان يحس بعدم الموازنة بين منهجه الشعورى والفكرى وبين منهج أقربائه (أهله) فهم

في نظره أناس يملكون ثروات هائلة ، ويتمتعون بعقليات التجار وأسلوبهم ، وهو في نظرهم حائد عن الحادثة ، غريب الأطوار في معاملاته ، فاسد في دراساته لكثرة رسوبه ، ومن هنا كانوا يأخذون رأي طبيب الأسرة في شأنه ، فكان يجيبهم بأن مآواه مستشفى الأمراض العقلية .

وصور الشاعر عملية المستشفى بقوله :

خذاني ففلاقي وشدًا وثاقيا ولا تسقيا الفبراء إلا دمايَا
ولا تذكراني في بني الطين بعدها فقد غفت أرضي واجتويت سمايَا

وفي تصورنا أن حديث الشاعر في هذين البيتين موجه الى والده والدكتور ، الذي حاول الاعتداء عليه حينما أراد أن يدخله المستشفى للمرة الثانية ..

ولم يكن يلبث في المستشفى مدة طويلة ، لأنه حينما يسمع الأطباء أشعاره يؤمنون بأن الذي يبدع هذا الشعر لا يمكن أن يكون مجنوناً .

ويبدو أن هذا الفارق الهائل في الإحساس والفكر بينه وبين أهله كان يلجئه الى أن يقضى أغلب أوقاته في حجرة بيته في بلطيم ، وها هو ذا يصور لنا يوم عيد قضاء في تلك الحجرة ، في قصيدة بعنوان « غريب في الربيع » وقد قدم لها بقوله : « الى يوم عيد .. شربت فيه آخر قطرة من حميم الوحدة ، في نادي الخليين .. »

أنا الغريب هنا ... لاخمر أسقاها ولا نديم .. يعاطيني حُبيّاها
أنا الغريب هنا .. لا الروض يبسم لي ولا أزاهره تندي ثباياها
هنا الخميلات .. أشواق مرتحة العاشقون طيوب في حناياها
هنا الخليّون .. لم يُقدر لراحتهم موت .. ولم يعدوا للنفس سلواها
ثم يصور وحدته في قصيدة أخرى تحت عنوان « وحدة » يقدم لها بهذا البيت :
يا أيها الناعي على تكاسلي لست الكسول بل الكسول زمانى
ومطلع هذه القصيدة :

أنا وحدي؟ أوّاه من أنا وحدي عشت فيها حتى أرثني لحدي
« أنا وحدي » جهنم اليأس والبؤس س وسلوى المغلوب والمستبد
هي ذل وعزة واقتدار وهي ذل وعزة المتحدى
أنا وحدي وسوف أذهب وحدي ليت روحي لا تعرف الحزن بعدي
أنا وحدي؟ أجل فلا شيء يجدي .. أنا وحدي لأعرف الحزن وحدي

ومن خلّقه أيضاً اعترازه بنفسه ، اذ كان يتمتع بعزة نفس لا توجد في إنسان على حدّ تعبير ابراهيم السيد ، وتمثل في عدم قبوله تحية عملاء أخيه شرنوبى الذين كانوا يذهبون

إلى نقابة المثليين المحترفين بشارع توفيق ، إذ كان صاحب البوفيه يستقبل التجار وغيرهم .
فلذا ما دخل صالِح ووجد عملاء أخيه يشربون أنواعا جيدة من الخمر ويمسكون به ويحاولون
استضافته لكي يشرب معهم لأنهم بذلك يظنون أنهم يرضون شقيقه شرنوبى - كان يرفض
بإباء على الرغم من أنه كان في محبته ..

كما أنه كان يذهب في بعض الأحيان الى بيت شرنوبى ، بعد أن يكون قد ذاق مرارة
الجوع أياما ، ويدخل البيت وقت الغداء ولا يجلس على المائدة مهما تكن قوة دعوة زوجة
أخيه له ويتحمل الأعذار بأنه قد سبقهم إلى الغداء ، وذلك لكيلا تفسر زيارته بأنها للغداء
لا لزيارة بيت أخيه المحردة ، ولرؤيته لابنة أخيه «سونيا» التي كان يحبها بالذات .

ومن آيات اعتزازه بنفسه أنه حينما اعترته محبته ، وكان يتضور جوعا في بعض
الأحيان لا عن ضيق ذات اليد فحسب ، بل عن سوء تدبير وتقدير للأشور ، لأنه كان
مسرعا متلافا .

حينما اعترته هذه المحنة وخرج منها بالموت تحت قطار الدلتا لم يوظف شعره في ذلك
الحين لدى السياسيين والإقطاعيين بالمدايح والتهنئات ليدر عليه المال الذى يكنى حاجته
بل على العكس من ذلك اشتدت حملته - كما رأينا سابقا - على السياسيين وفى مقدمتهم
الملك والإقطاعيين ومن يدور فى فلകهم ..



ثم من خلائقه الوفاء ، فقد كان وفيا لإخوانه إلى درجة أنه لا يتركهم فى شدائهم
وحسبنا دليلا على ذلك - كما يقول عبدالمقتدر خطاب وتوفيق قنديل - أنه حينما
قبض من محمود اسماعيل مبلغ اثنى عشر جنيهها نظير أغاني فيلم «فتنة» أنفق منها خمسة
جنيهاً على ممثل كان مريضا فى إحدى المستشفيات ، وراح يدعو آخرين إلى تناول الطعام
فى أرقى المطاعم بدعوى أنه يطهر أمعاءهم من القول والطعمية وملحقتهما .

وفى يوم وفاة والد ابراهيم السيد لم يشأ صالِح أن يتركه وراقبه فى عربة نقل الموتى
حتى ميدان باب الحديد ، ونزل منها ليقوم بنشر النعى ، ونشره فعلا فى مكان بارز من
صحيفة الوفيات بجريدة الأهرام متطوعا ..

وبالإضافة إلى ماسبق فقد كان يلقى شقيق إبراهيم السيد الذى كان طالبا فى كلية الهندسة
آنذاك بوجه مهتلل ومرحبا به ، ويحاول أن يعطيه نقودا ظنا منه أنه فى حاجة إلى نقوده .

ويحدثنا ابراهيم السيد «أن شاعرنا كان وقاء» للديون ، إذ كان حريصا على أن يرد
كل مبلغ اقترضه من انسان ، ولم يحدث مرة أن أهمل مبلغا لى ولم يرده ، وذلك على
عكس غيره ممن اتصلت بهم من الشعراء ..



وكان حسن المعاشرة عف اللسان ، لاتفارقه الابتسامة رغم مايعترضه من عن وعطوب ، فلا عجب الأنجد فى بلدته من غضب مرة منه أو من وجهه هو إليه كلمة نائية ..
ومعنى هذا أنه كان كريما مع كل انسان من زملائه أو أصدقائه وكان عطوفا وبارا بالجميع .

وفى هذا الصدد يقول بكر الشرقاوى « إن علاقات شاعرنا الشخصية كانت طيبة جدا حتى مع النبات اللاتى كنى لايجدن مأوى ، فيلجأن إلى نقابة المهن التمثيلية ، فكان يغضب من أجلهن ويحاول أن يتقصى أخبارهن ويساعدهن ماديا ويسرى عنهن بحديثه أو شعره » .
ويحدثنا الدكتور أحمد هيكل قائلا : « إنه على الرغم من أن الشرنوبى لم تتحقق آماله فى التعليم ، ولم تتحقق آماله فى أهله ، ولم تتحقق آماله فى الأدب ، فقد كان خاليا من العقد النفسية أوالعقد الدينية ؛ وكان صافيا صفاء الملائكة . قويا فى علاقاته بأصدقائه ، حساسا مصقولا رهياف الحس » .

ومما يدل على حساسيته المزهفة حفاظه على شعور الغير إلى درجة أنه يدفع ثمن حساسيته من نفسه ولا يؤذى غيره أبدا ..

لقد كان يستطيط أحيانا الجلوس فى صالة « البديوم » الذى كان يسكنه مع بكر الشرقاوى وإبراهيم السيد ، ولكنه حينما يعلم أن إبراهيم مستعد للنوم يطفىء النور ويدخل حجرته ويوقد الشمعة الخالدة ويظل فى مناجاته ..

ولم تكن حساسيته مقصورة على أصدقائه ، بل كان يستغلها كذلك مع أهله إذ تزوج ابن عمه وصديقه مسعد الشرنوبى وكان شاعرنا يحبه حبا كثيرا بحيث يملك عليه كل شغاف قلبه ، وكان يود أن يحضر فرح ابن عمه وحبيبه ، ولكنه اصطدم بخلاف كان قد وقع بين أبيه ووالد مسعد . فماذا يكون الموقف اذن ؟ أيرضى مسعدا وأباه ويفضب والده ؟ أم يرضى والده ويفضب حبيبه وعمه ؟

وهنا هدته طبيعته الحساسة المزهفة فى حساسيتها إلى أن ينشد قصيدة يبنى فيها مسعدا وبذلك يكون قد أرضى الجميع ..

وكان حيا إلى درجة أنه كان ينجل من نفسه إذا ما وقف أمام مرآة - كما يقول إبراهيم السيد - وكان يفض طرفه وهو يتحدث مع المرأة نظرا لربيته الدينية من ناحية ولشعوره بعدم جمال وجهه - نظرا لما فيه من بشور - من ناحية أخرى .



ومن خلأقه بعد هذا كله أنه كان سمحا لا يؤأخذ أصدقاءه ولا أهله على مايلبر منهم فى حقه ، وحسبنا أن نعلم أنه على الرغم من عدم نسيانه لما صنعه معه شرنوبى فى طفولته

حينما صلبه وأخذ يضربه بعنف وقسوة شديدين - كما يقول طلعت الشرنوبى فقد رآه يقف مع ابنة الجيران - فإنه كان يحب ابنته «سونيا» وكان يذهب إليها دائماً وهو يعمل لها الحلوى فى الوقت الذى كان هو فى حاجة لثمن الحلوى وكان يعينها على استذكار دروسها وهى فى المرحلة الابتدائية ..

وحسبنا كذلك أن نعلم أنه حينما خرج من مستشفى الأمراض العقلية فى المرة الثانية ذهب إلى طنطا سائراً على قدميه وحينما وصل البيت جلس أمام والدته وقال لها ولقد ساعدتكم على ما صنعتن فى « ذلك على حد تعبير شقيقه طلعت الشرنوبى ..

واذن فهو فى منتهى الصفاء فى تسامحه ، لأننا نعلم أن إدخاله المستشفى قد جر عليه وبيلات كثيرة فى علاقاته بالناس ، حتى جعل صديقه له يقول له :

وقضى عمره ضيقاً بمسشفى الخنازيب

وكان يضمن بنفسه أن يخسر صديقا ، ولطالما غفر لبعض أصدقائه زلاتهم معه ، ولطالما بكى كثيرا تلك الزلات لإخوانه ..

وكان عطوفا حانيا يبكى كثيرا إبان محنته التى استغرقت نحو ثلاث سنوات لم ير فيها أهله ولم يروه ، فكان يبكى ويطلق البكاء ، وكان يتمثل بهذا البيت لعبد العليم خطاب وذلك لينسى به ما عاناه من أهله :

عذاب الأهل أو ظلم الحبيب أحزن^٤ إلى من عطف الغرب

وفى هذا الصدد يتحدثنا الدكتور هيكل قائلا : كثيرا ما حدثنى الشاعر عن أخته البلهاء وكنت أراه فى هذه اللحظة حزينا حزنا عميقا أكثر من حزنه على مستقبله الذى افتقده أو على أى شيء آخر ..



وأخيرا من خلائقه البارزة السخرية، إذ كان يسخر من كل شيء ، فيسخر من الألم بالضحك ، ويسخر من الترمت الدينى كذلك .

حدث إيتان محنته أن كان يسير مع أحد أقربائه المترمتين فى الدين ففثر على ورقة بمبلغ خمسة وعشرين قرشا فالتقطها ، وحينذاك قال له قريبه إنها حرام عليك أن تدل عليها ، فما كان من شاعرنا إلا أن رفع يده بها ونادى بصوت خفيض لا يسمعه سوى قريبه من باب السخرية فلم يجد أحدا يقول إنها ملكى، وحينئذ قال شاعرنا لقريبه إذن أصبحت جلالا لى ومن حق اتفاقها ، وإنى لى حاجة اليها .

ويتحدثنا الدكتور هيكل فيقول فى هذا الصدد : إنه رأى شخصا يجلس معى ، وجلس وقتا طويلا صامتا ، لأنه استغل حر كاته وسكناته وحديثه .. جلس حينئذ لا ينطق ببنت شفة ولا انصرف ذلك الشخص قال الشاعر انه يعثر الثور الذى يحمل الدنيا على رأسه لأن فيها هذا الانسان .

وتقودنا السخرية الى الفكاهة ، وفكاهته حاضرة على البديهة ، ومنها النكتة ومنها القفشة اللاذعة التي يستخدمها مع خصم كرهه ، وتارة يلدغ بها عن نفسه ازاء اعتداء يوجه اليه .

ويقول عبد العليم خطاب : انه تبرع وهو في مستشفى الأمراض العقلية بجائزة لمن يمر من تحت خط رسمه لهم من أول الحجر إلى آخرها ، وجلس ينظر الى المرضى وهم يضربون الأرض برؤوسهم محاولين المرور من تحت الخط حتى سالت دماء وجوههم وهاماتهم ..

وحينئذ دخل الدكتور فوجدهم على هذه الحالة إلا الشرنوبى ، فسأله عن السر في ذلك ، فحكى له القصة ، وأنه إنما صنع ذلك لكي يبعدوا عن مضايقته ..



هذه هي صورة الشرنوبى كما بدت لنا من خلال مصاحبتنا الطويلة له ، ودراستنا لآثاره وعلاقاته بأوليائه وأعدائه .

وفي اعتقادنا أن هذه الصورة يختلف فيها كثير من الناس فيحملها كل منهم على الممثل الذي تمليه عليه شتى المدارك والأمزجة تحت تأثير الحالات النفسية الطارئة ، فتأخذ الصورة ألوانا منهم إلى نفسه مهما تغرب فلننا لاشك تدل عليه وتشير اليه من قريب أو بعيد ..

عملية الإبداع عنده :

القصيدة لدى شاعرنا كانت تمر بمراحل مختلفة بعد أن تأتى له فكرتها ، فقد يعيش هذه الفكرة مدة من الزمن غير قصيرة ، ثم يحشد بعد ذلك قواه الشعرية بتعاطي المفردات ليتسنى له استحضار كل معنى يمكن أن يدخل في قصيدته ..

على أن عملية الاستحضار هذه كانت تحدث في أغلب الأحيان وهو يزاوِل جزئيات الحياة اليومية ، وكانت تتمثل في شروده وغيوبته عن الوعي وهو مائل بين أصدقائه أو وهو سائر في الطريق .

وفي هذا الصدد تحدثنا زوجة أخيه شرنوبى قائلة : « إنه كان يشرد في بعض الأحيان وهو يأكل ، بمعنى أن يتوقف عن الأكل ، ولا يميض الطعام الذي في فمه ، ويظل على هذا الحال وقتا قد يطول وقد يقصر ، والأكل أمامه ، ولا يستطيع إنسان مهما كان أن يأخذ الأكل الذي أمامه من فوق المائدة ، وإلا كانت النتيجة تحطيم الأطباق والقيام بثورة عاتية لا يعلم مداها إلا الله ، ويظل على هذا الحال حتى يعود بنفسه إلى الأكل ..

ومن مظاهر شروده كذلك أنه كان إذا ماناد به وأنت بجواره فإنه لا يسمعك ، لأنه في عالم آخر غير عالمنا : عالم الحس والمشاهدة ..

ويحدثنا فتحي الشرنوبى في هذا الصدد قائلا : انه قد يتحى في المكان الذى كنا نجلس فيه في بلطيم ، ثم يلهل عن نفسه وعن حوله ويأتى بألوان من الحركات يصحبها ضرب يده على رجله الموضوع على الأخرى بما يتفق وإيقاع القصيدة التى ينشد ، وكان في هذه الحالة يسرف في التلحين ..

وقد يستغرق إنشاء القصيدة أسبوعين كالمين أو أكثر ، وهو مغلق على نفسه باب حجرته حتى يخلو إبداعها كعملية الولادة لدى النساء ، وفي هذه الحالة - كما يقرر عبد المقنن خطاب - يكون مسرسل اللحية وشعر رأسه وعيناه غائرتان ويعتريه الشحوب والهزال ولا يشمر بجوع ، وحينما ينتهى منها يقبل على الأكل بنهم شديد :

ويضيف عبد المقنن خطاب إلى ذلك أنه كثيرا ما كان يستيقظ من نومه - في الأيام التى يبدع فيها قصيدة - ليكتب بيتا من الشعر أو بيتين على أى شيء يصادفه ، فإن لم يجد كتبهما على حائط الحجرة ثم ينام بعد ذلك .

ولطالما شكاه شرنوبى من هذه العادة التى كانت تعد طلاء الحجرة التى كان ينام بها ، وأكبر الظن أن هذه الشكوى كانت عامة لأنه لم يكن يدع أى جدار ألفه بلا كتابة ومع ذلك فقد كان دائما على استعداد دائم بالورق يحمله ليكتب فيه في أى وقت ، ولو كان في الشارع ! وهناك يذهل عما حوله ، ولو كانت هناك رعود لما أحس بها كذلك ، وهذا ما كان يدعو أصحابه إلى الخوف عليه كلما طرق شارعا من الشوارع المزدهمة ..

وقد تعتريه حالة الإبداع وهو يستذكر ، وحينئذ يكتب أشعاره التى تحضره لساعته على الكتب الدراسية ، وذلك كغلاف كتاب ، إيضاح المنطق القديم ، في متن التهذيب للسعد وشرحه للخيصى الذى ألفه عبد المتعال الصعدي •

وقد يكتب أبياتا يصور بها حقيقة من الحقائق أو يعبر فيها عن تجربة ما ، ثم نراه يضمنها قصيدة أخرى ، ففى قصيدته « الشعوب » يقول :

شيء ترجى اخضرار الخلوب	لتسمن للذب لا للحياه !!
تنام على الشوك حتى إذا	تما الورد كان دحانا شذاه
وراع طوت نايه السافيات	وغاب بجوف الرواقى صداه

ويقول :

وإن أيقظ الذذب صوت الدماء فلا ترتقب غير نوم الرعاه

وعندما أنشد « المواكب » ضم تلك المقطوعة إليها وإن كان قد أضاف إليها في أولها بيتا يقول فيه :

وفوق النرا حاكم في علاه - يرى قومه أمة من شياء
وغير في ثنابا المقطوعة بيتين بعد البيت الثالث في القصيدة بحيث قال :
وراع طوت نايه البافيات . وغاب بجوف الروابي صداه
يهش إلى رقصات المنى وكل الردى كامن في مناه
ويهو إلى الكأس إن عريدت ويسجد للمرأة المشتهاه
وقد كان هذان البيتان في المقطوعة على النحو التالي :
ينوح نواح الغريب الطليح إذا أذكرته الليالي هواه
ويبرى المدامع هتانة فيرمض بالنار قلب الفلاه



وقد اتخذت القصيدة لديه أكثر من شكل ، فهناك الشعر العمودي ذو القافية الموحدة والذي يمثل أغلب شعره .

وهناك الشعر المثنوى الذى يتمثل في دقات شعرية كل دفقة يستوعبها بيتان فقط على ماثرى في الجزء الثالث من دواوينه الذى يحمل عنوان « نسبات وأعاصير » :
يانديم الصباح أترع كئوسك وأذب في شعاعها أتراحك
سوف تطوى كف المساء عروسك وتبكي مع الندامى صباحك
وهناك البناء التقليدى الذى يتشكل تبعاً لانسجام الإيقاع والتلوين الصوتى مثل قصيدته « بيتنا » التى يقول فيها :

بيتنا .. أوبيتنا زهر وشذاه بيتنا أو بين بدر وسناه
بيتنا .. أوبين جفن ورؤاه بيتنا .. أوبين لحن وصداه
بيتنا حب وقلب وأمان حالمات
ومتاهات من الصفو نمتها الصبوات
وسراب خادع الملح ورى وهيام

وربيع صامت الروح جديب وخريف ممرع الروض خصيب
ومن هذا الضرب أيضاً : قصيدته « سهاد » التى يقول فيها :

هتف الليل قلب الماتفا أيها السايح في أوهامه
وانس آلامك فالجن غفا من سهاد زاد في آلامه

لإنها أوهام حبٌ عذِّيك
وجفونٌ ذوبها قد ذوبك

وفؤاد تاه في وادي الغرام

ثم هناك بناء القصيدة المرسلة ، وهي التي يتحلل الشاعر فيها من القافية ويوزع تفاعيلها حسبها يتفق والإيقاع . ومن هذا النوع قصيدته «أطياف» التي تعدُّ جديدة من حيث الشكل (من حيث التكوين) وجديدة من حيث المضمون كذلك ، إذ أنه أنشدها في فتاة من فتيات البرلس الفقيرات الجميلات القاطنات في شمال البرلس في أكواخ . وهذه القصيدة من بحر «الوافر» .

إذا ما العاشق المجهول أغرى الشمس باللقيا وراء الأفق الضاحي
فمته — ومدت كخيوط ألوههم . إشعاعاتها الحمراء
كما منبتني يوما وفي خديك توريدُ
وسالت من شفاء السحب صهباء الترانيم
تهدهد ربة الإشراف إذ أسكرها الحبُّ
لكي لاتعجل الخطوا .

وفي اعتقادنا أن الشرنوبلي هذه القصيدة قد التفت بطبيعته الشعرية إلى امكانات الشعر الحر الهائلة ، فخاض التجربة ، وكانت تجربة رائدة من غير شك . وإذا عرفنا أن هذه القصيدة قبلت عام ١٩٤٥ فإنه يكون بذلك واحدا من رواد الشعر العربي في شكله الجديد إذ لم يسبقه — في علمي — انسان في ابداع هذا اللون الغريب .

عبد الحى دياب

جزيرة الروضة في ٣ من مايو سنة ١٩٦٦



الشعر



أصداف الشاطئ
عبرات . سجات . سمات
١٩٤٣

اغنية الفجر

« إلى فجر »

يا ليل قد طلع الصباح وما رأيت حبيبة
ومضت سهام النور تقطع جبل منية قلبيه (١)
وخبا الضياء السرمدي ومات كوكب حبيبه (٢)
وسطا السقام على البقية من ضياء شبابيه
وأماها فمضت ترتل في المقابر لحنييه

كم عانقت روحى سناه فحفظت ممّا بيّه
وشربت من نور الجمال فأسكرتنى كأسيه
وثملت من فرط الهوى فحطمت سورة خمريه (٣)
قد كنت شاهد حينا يا ليل فازث لحاليه
واذهب إليه وصف أساى وما أحلّ بجسميه

(١) السنية والمنية : البقية ، والجمع : منى ومنى ..

(٢) السرمدي : مالا أول له ولا آخر ؛

(٣) ثمل يشمل تسكاً : أخذ فيه الشراب ، وأثمله : أسكره ، والسورة من البرد أو الشراب
أو الغضب وغير ذلك شدته وحدته وهياجه ..

يا زهرقي كذب الوشاة بما يدنس طهره
 هلاً أتيت لهيكل وسمعت نجوى روحه
 ونظرت للدمع الهتون فضنت منه عينيه^(١)
 ورضيتني عبداً لحسنك واحتقنت دماثيه
 فرأيت مبلغ عفتي وعلمت أنك جانبيه

أنت الحياة فما أرى في غير قربك سعديه
 والبعد عنك وعن سناك منيتي وفنائيه
 فتناولى ناي الغرام وغنني في عشقيسه
 وترنمي بالحب واروي للورى من شعريه
 على أموت فمن يُخلد في الصباية ذكره^(٢)

طال الأنين وما سمعت فهل أكفكف دميته^(٣)
 وأعود من دنيا الغرام وقد كسبت شجونيه
 فدعى الدلال فما عشقت سواك طول حياتيه
 ومُرري خيالك أن يطوف بفكرتي وخياليه
 أبداً يعذبني الهوى ، أفلا رحمت فؤاديه

(١) الهتون : الكثير القطر ، يقال : « عين هتون الدمع » (يستوى فيه المذكر والمؤنث) .. ج : هُتُنٌ ، وهُتُنٌ ..

(٢) الصباية : الشوق ، أوردته ، أوحزراته .

(٣) كفكف دمه : مسحه مرة بعد مرة ليخف ، وكفكف فلاناً عن الشيء : صرفه

أنا وأنت

إلى سائلتي : مَنْ أنت ومن أنا

أنا الحائر يا نجوى أمانى أنا الحائر
أنا الصامت ياسحر ليالى أنا الثائر
أنا الصارخ يا غنوة أحلامى أنا الصابر
أنا الساحر يارقية أسقامى أنا الساخر^(١)
أنا المقهور فى الحب وبالحب أنا القاهر

* * *

وأنت الجدول المنساب فى صحراء أيامى
تهددُ موجه الغافى أغاريدى وأنغامى^(٢)
وترقص فى ثناياه جراح فؤادى الدامى
تلقن رمله النعسان أسطورة آلامى
ففيه أذيب أسقامى ومنه أعب أسقامى

* * *

(١) الرقية : هى أن يستعان للحصول على أمر يقوى تفوق القوى الطبيعية فى زعم من يعالجها
والجمع رقى، ورقيات، ورقيات ..
(٢) تهدد : تحركه حركة رقيقة منظمة . والناق : الناعس ..

أنا الطير الذى أضناه إعصار المقادير
وألقى نايه المرقور فى تيهه السّمادير^(١)
فذابت فى حنايا صمته الذّاجى مزاميرى
بربك إن سمعت صدها يا بنت الأساطير
فهبى وارحمى أجفانه الظمأى إلى النور

* * *

إخالك حين ألقاك حنيناً صيغ إنسانا
فأجى فيك تحنانا وأفنى فيك ألحاننا
وأشعل فى هشيم اليأس من قربك نيرانا
وأصهر فى لظاها قلبى المنساب أحزاننا
وأجعل روحى الزورق والأشجان ربّاننا

* * *

وقفتُ عليك ألحانى وسيكبّ جفنى السّاهر^(٢)
وقلت لك ارحمى قلباً قضى فى قبره السائر
فأنت إلهة ألفت عليه حكمها الجائر
وغابت فى سماوات دلال قاتل قاهر

(١) السّمادير : ما يرامى لتناظر كأنه الذباب الطائر من ضعف بصره عن السكر وغشى البوار والنّعاس ، أو هو ضعف البصر . والمرقور : من أصابه البرد .
(٢) السيكب : المظلل الدائم ، وجفن سيكب أى يهطل دائماً .

وما أنا يابنة الفن سوى فتانك الحائر

• • •

وأنت الرحمة الكبرى وأنت القدر الساخر

وأنت قصيدة الشاعر وأنت تميمة السّاحر

وأنت أنا وما أنا منك إلا همسة الخاطر

أنا الروضة والجذب أنا السقم أنا الطب

أنا الهَيَاد والطائر

• • •

عشقتها من بنات الكوخ طاهرة عذراء من نظرتُه عاش مسحورا

وَضَمْنَا اللّهُرُّ حِينَئِثْمَ فَرَقْنَا وأبعد النورَ عَمَّنْ يَعْبُدُ النورا

كأسها الحزين

قال هذه القصيدة في إحدى التتيات العرييات الجميلات
اللاتي كن يأتين إلى سوق بلطيم وكن يسترحن
بحوار بيت الشاعر ، وقد أخذ الشاعر بحمال عينها

جنبي كأسك الحزينة عني وانجلي خمرة الصبابة مني
واهبطي من سماء ذلك يا نجـ وى وكفى عن القلى والتجنى^(١)
فالغرام البرىء وحى من الله وعشق الجمال أخلد فـ
فاهتكى سترك الكثيف وزوى لهفتى واعزفى بخدرك لحنى
وابعثى فى المنام طيفك حتى أنظم الشعر فاسمعه وغنى
كم ليالٍ سهرتها والضنى حارسى الأمين
بينما أنت فى محيط الكرى كنت تسبحين
لأتبـالين بى ولا لغرامى تقدرين
إن برانى الهوى وذا ب فؤادى فلن ألين
أنا قيس وأنت ليلي وحبي هو الجنـون

* * *

هل على الأرض ناسك عبـد الله ولم يشغل الجمال فؤاده

(١) الدك : الحالة التى يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشاغل وغير ذلك .. ، والقلى : البغض .

لا أرى للصلاة معنى إذا لم يجعل الناسك الغرام عبادة^(١)
 ما ألد العذاب في الحب يا قلبُ إذا ما أوردى الدلالُ زِناده
 أنا في هيكلي عليلٌ طوى السَّهْدُ شبَّابِي وحبُّ ليلاي زاده
 أشعل الله في السماء هواها ورماء فكان قلبي حصاده

أترعى كأس جَنَّا ثم عبَّيه في حنينٍ
 واقبلي من معذبٍ راحةَ الحزن والأنين
 وانظري هل ترين إلَّا لظى حبك الدفين
 أرق السهد مقلة لم تلدس مدى السنين
 فارحميها لتشرب النور من ذلك الجبين

لو بُعثنا من القبور فحسبي أننى عابد لسحر جمالك^(٢)
 ما الذى يغضب الإله إذا كنت ملاكا عبده من خلالك
 خفق القلب عند نظرتك الأولى وحنَّت دقاته إثر ذللك
 واستحال العطف الشديد إلى حبٍّ نماه ذلِّي وفرط دلالك
 فادخل معبدي ورقى لحالى واطربني واهتنى بوحى خيالك
 كيف ينسى غرامه عاشق دمعته سخين
 ملهم من ملاكه بدد الشك باليقين

(١) كان البيت يستقيم في التصوير لو أنه قال : « لا أرى للوجود ، بدلا من الصلاة ، لأن البيت على وضعه الحالى يوحى بأنه متمرد على العبادات زائع العقيدة ..

(٢) لو أنه قال ، عاشق بدلا من عابد لكان أبلغ من حيث أن العشق يوحى بحب الجمال عن إرادة واختيار ، وذلك على عكس العبادة للجمال ، وعلى هذا الفهم يستقيم البيت الثانى لو قال : ملاكا عشقته ..

عِيقَرِي نَبْنُوغُهُ شَاعَ فِي شَعْرِهِ الرَّصِينِ
يَمْلَأُ الْحُبُّ قَلْبَهُ مِنْ سَنَا وَجْهِكَ الْمَبِينِ
فَارْفُتِي بِي وَجَنِّي خُلُوقِي كَأَسْكَ الْحَزِينِ

عزاء

للنفاكى

لَا تَنُحْ إِنَّ هَاجَتِ الذِّكْرَى فَمَا نَفَعَ النَّوْحُ وَلَا أَجَدَى الْبِكَاءِ^(١)
وَأَرِخْ مِنْ حَبِّهَا قَلْبًا سَمَا عَنْ هَوَى الدُّنْيَا وَزَكَّتَهُ السَّمَاءُ
لَهَا أَنْتِ ظَلُومٌ كُلُّمَا زِدْتَ وَجَدًا فَاضٍ مِنْ فِيهَا الثَّنَاءُ
فَانْقَعِ الْغَلَّةُ قَدْ طَالَ الظُّلْمَا وَأَغَارِيْدُكَ مِنْ طِينٍ وَمَاءٍ^(٢)
وَأَبَى جُرْحُكَ أَنْ يَلْتَثِمَا وَهِيَ لَا تَسْمَعُ أَلْحَانَ الدِّمَاءِ

(١) ناحت المرأة على الميت تنوح نوحاً : بكّت عليه بمزج وعويل ..

(٢) الغلّة : شدة العطش وحرارته .

حن البلبل

في عيد الهجرة النبوية

رَنَلْ البلبَلُ الطُروبُ لُحونَه شاديا يُسمِعُ الغناء غصونَه
يملاً البشرُ وجهَه الفَضُّ حسنا وَيَزِينُ الفُضياءُ مِنْه جبينَه
وتسير الجآذرُ الغيد سكرى مِنْ حوالِه والقنابرُ دونَه^(١)
والنُدى مِنْ مدامع الغيب مسكو بٌ عَلَى هامة الخيال الحنونه
والشعاع الرطيب يسبح في الكوْنِ وَروح الإلهام فيه كمينه
هزَّني الشوق للملاحن والشعسِر وأنغامه العذاب الرصينه^(٢)
قلت يا بلبل الرياض أجبتى ما الذى هاج مِنْ هواك دفينه
قد سمعنا الغناء والشذو والنجو ي وَصَبَّ الترنيم فينا فنونه
فاروْ مِنْ شرفة القرون أحاديثك وارحم منَّا الدموع السخينه

* * *

قال حقاً لقد شُغِلْتُ عن الفُضو ءَ وَعَمِيَتْ سحره وفتونه
ما ترى ذلك الجمال الذى قَدَّسه الله ثم زَكَّيْ مَعِينَه

(١) الجَوْدَرُ : ولد البقرة الوحشية ، والجمع جآذر . والقُنْبَرَاءُ ، والقُنْبُرَاءُ ، عصفورة من فصيلة القبيريّات ، دائمة التغريد ، تفتش عن غذائها في الحقول وعلى الطرق ، والجمع : قنابر ..
(٢) الملاحن : مسائل كالأنغاز يحتاج في حلّها إلى فطنة

أى نور جلا الغزالة فى رأ دضحاها بمثل نور المدينة^(١)
 إنها هجرة الرسول وما أرو ع ذكر الرسول لو تعلمونه
 ها هى اليوم تملأ الكون نوراً فجر الله فى السماء عيونه

ماتت اللات وانقضت دولة العزى وخرت مناة ولهى حزينه
 تندب المجد بعد أن ضعضع الحق هواها فما تزال سجينه
 سل سيف الإسلام من غمده البيا لى تُروى الدماء منه جفونه
 مقصد لايزيله الصارم العضب ولا تمنع الحوادث دونه
 ورسول يرى النعيم على الذل جحيما فليس يرضى سكونه
 جعلوا المال طيعاً فى يديه وأتوه بملكهم يفتنوننه
 ويقولون يا محمد دع عنك سفاه الشيطان واترك مجونه
 واهجر الدعوة الجريئة واصنع مثل آبائنا وما يصنعونه^(٢)
 واعبدوا مثلنا الحجارة فالنفع لها وخير ما تأملونه
 ولئن شئت ملك كسرى أنوشروان فاهناً بما ترى أن تكونه
 وترى المال كالجبال على الأرض فترضى أهواءك المفتونه

كبرت تلك نزوة يا أبا جهل أبا المصطفى تريد المشينه
 لعن الله كل من يشهد الحق جلياً ولا يرى أن يصونه

(١) رَأْدُ الفصحى رَأْدًا : انبسطت شمسها وارتفع نهاره .

(٢) كان أول بالشاعر أن يقول : الدعوة الجليدة ، بدلا من الدعوة الجريئة .

هل ترى في الكنوز والملك والجاه خداعا ترجونه أن يلبنه
علم الله أنها دعوة الحق ستفرى بالسيف ما تفترونه
جنة الله ربحه ورضا الله مناه فمن يناضل دينه ؟

* * *

سار جيش الإسلام في مهمته الكفر فسوى سهوله وحزونه (١)
ومضى للخلود ينصره الله بجند مسومين مصونه (٢)
وسرى الصادق الأمين ينادى أن هلموا فهاجروا للمدينه
وانشروا الدين في سكون إلى أن يظهر الحق بعدما تكتمنونه
ربحتم القضاء فانصر رجالى واسكب الصبر والهدى والسكينه
إن أنصارى البواسل قل وخميس العدو ملء المدينه
خفقه زلزلت بروج النصارى فهي بالهدم والسقوط رهينه

* * *

قبض النور من ربوعك يا مكة فابق ينيمه مسكينه
واطربى يا مدينة اليوم بالها دى وهاتى من المدائن زينه !!!
وانثرى الزهر والرياحين والجلسان في كل مجمع ترتضينه (٣)

(١) المهمه : الحازة والبلد المعقر ، والجمع مهمه . والسهل : تراب كالرمل يجر به الماء ،
والجمع : سهول وأسفال .. والحزن من الأرض : ما غلط ، ومن الناس : ما خشت معاملته ، والجمع :
حزون .

(٢) مسومين : أى مرصين ..

(٣) الجلسان : الورد الأبيض ، أو .. نظاره ، وهو معرب جلتش .

إن دين الرسول فيك مقيم أو يزيل الرسول عنه دجونه
سوف يزهو بعد النضال على الدنيا وتبقى الشريعة المأمونه
كالحديد المصهور يزداد حسنا بعد أن يصقل الجحيم سنونه

• • •

يا رسولَ السلام والعدلِ هذى صيحةً من المجنونه (١)
أقف اليوم والخطوب جسامٌ لأرى الركب قد أضلوا السفينه
نشروا في الزعازع الهوج أعلا م الخطايا لغير شطٍّ أمينه (٢)
وأضاعوا ديننا ظللت تذود الكُفْر عنه كالليث يحمي عرينه
فانفتحت القوة الفتية في النأ من وشد العزائم الموهونه

• • •

يا أسود الثرى وأشبال طه هاهو الغربُ يبتغي أن يمينه
فاجمعوا شملكم وهبوا صفوفا واحفظوا شرعة الرسول المبينه
فحياة الجمود نوع من المو ت وعز الذي يرى الحق دينه

(١) كذا في الأصل وفي الشطر الثاني من البيت غلط عروضي .

(٢) الزعازع : الشدائد ، والواحدة زَعَزَاعَة ، والهَوَج : الحُمق ، فهو أَمْوَج وهي موجاء ،

والجمع : هوج .

الى المجد

و الى شباب نادى الأدب العالى الذى أنشأه الأستاذ
محمد عبد الله خليل بالقاهرة فى عهده الثانى »

سر بأسم ربك هذا عامك الثانى
وارفع لواء الهدى فى كل ميدان
والبس مسوح الصبا واطخر بمساحته
واشرب كئوس الهوى من نور تبيانى
واحمل قيثر شعرى يا (خليل) فما
وهبتها مرة إلا لفتنان
واعزف على الوتر الریان لحن هوى
قلبي ورتل بدير الشعر ألحان
فما الحياة سوى حلم يطوف بنا
فاغنم شبابك هذا عالم فانى

يا صاحب الأدب العالى ومعهد
أتيت ناديك فى أهلى وإخوانى
نشوان من فرح اللقيا يصاحبنى
عزم الشباب وإلهامى ووجدانى

فاسمع نشيدى وَطِرْ في الأفق مفترعاً
 بكاره المجد عن صدق وإيمان^(١)
 أرى الكنانة تبكى عهد عزتها
 والنيل في شجوه كالعاشق العاني
 وهذه اللغة الفصحى تثنى فمن
 يحنو عليها ويأسو جرحها القاني
 في روضة الخلد سقيها ومنبتها
 وفي سماء المعالي فرعها الداني
 ثمارها من معاني الفكر تقطفها
 يد الخيال وتهديها إلى الجاني
 وزهرها عبقرى النظم جنّ به
 شعر الزمان فأسمى جدّ أسوان
 كفاك يا لغة الأحرار مفخرةً
 وشاهداً بيننا عن رفعة الشأن
 حديث طه وقرآن الإله وهل
 في جنب هذين من فخر لإنسان
 هبوا شباب الحمى من نومكم قُدماً
 فالمجد يطلبكم من عهد قحطان

(١) مفترعاً : اسم فاعل من افترع اليكر : أزال يكرتها

واستنهضوا العزم وانقادوا لمقصدكم
وقدموا لَبِنَ العلياء للبانى
فما سمت أمة يوما لغايتها
وفى الشباب رؤى جبن وخذلان
شدوا أياديكم فالله ناصركم
وجددوا العهد من آن إلى آن
وبايعوه على أن ترخصوا دمكم
لتنقذوا الشرق من أنياب عدوان

ذكريات

« إلى ملهتها » .

ذكرتك والذكرى تضاعف من كَرْبِي
فَقَنَى لَحُونَ الدَّمْعِ فِي كَهْفِهِ قَلْبِي
يُخَالِجُهُ طَيْفَانِ .. طَيْفٌ يَذِيبُهُ ..
حَنِيناً ؛ وَطَيْفٌ مُحَرِّقٌ كُلَّ طِيِ الْجَدْبِ
هُوَ الْبَيْنِ .. لَمْ يَخْلُقْهُ مِنْ قَدَّرَ الْهَوَى
لِغَيْرِ عَذَابِ الْعَاشِقِ الْمَدْنِفِ الصَّبِّ

إِذَا اللَّيْلِ نَادَانِي ذَكَرْتُ مَوَاقِفَا
لَنَا وَالِدَجَى كَالْهَجَرِ وَالنَّسَمُ كَالْعَتَبِ (١)
تَضْمِينِي كَالطُّفْلِ يُضْنِي حَيَاوُهُ
عَلَيْهِ مُسَوِّحُ الْأَمْنِ وَالْأَمَلِ الْعَذْبِ
فَأَفْنَى كَمَا تَفْنَى تَمِيمَةُ شَارِدِ
يَقْرُبُهَا زَلْفِي إِلَى نَجْمَةِ الْقُطْبِ
يَعَاوِدُنِي الْحَرَمَانُ مِنْكَ فَأَحْتَمِي
بَصَدْرِكَ يَا دَنْيَايَ مِنْ هَجْرِكَ الصَّعْبِ

(١) النَّسَمُ : نفس الروح ، أو الخلق ، أو الريح الَّتيَّة قبل أن تشتدَّ وسكنت السَّين هنا لضرورة

ودمعي سجين في جفوني مقيد
 بعزة جبار تكفكف من غربي^(١)
 وأظهر سعدى باللقاء وفرحتي
 وأشفق من بُعد سيفقدني لبي
 وأصبح في فكري ودمعي سابع
 فتوقظي كف كغادية السحب
 ونمضي كما جئنا نجر عفافنا
 نلقن طهر الحب للزهر والعشب

ذكرتك لما صاح بالركب أهله
 ودمعي في رسغيك أسنى من القلب^(٢)
 أقبل فجرا مبهم السر نائما
 فأودعه سر الصباية والحب
 وأترع كأس الشوق والشوق غالب
 على فأبكي خيفة اللوم من صبحي
 ونادائي الركب المجد فلم أزد
 على زفرة قدت ضلوعي في جنبي

(١) الغرب : الدمع ، أو مسيله ، أو مؤخر العين ، أو مقدمها. وكفكف الدمع : مسحه مرة بعد مرة ..

(٢) الرّسع : مفصل ما بين الساعد والكف ، والكف والقدم ، والجمع : أرساغ ، وأرْسُغ .

تُمزَّقُ كَفَ البَيْنِ آمَالُ خَافِقِي
فَتَرْتِي لَهَا عَيْنِي بِلَوْثِهَا الرُّطْبِ

ذَكَرْتُكَ فَانْسَابَتْ مَعَ اللَّيْلِ آهَةٌ
تَرْقُقُهَا النُّجُوى لِيَرْحَمَنِي رَبِّي
وَضَاقَتْ رَحَابُ الصَّبْرِ بِي فَتَرَكْتُهَا
لَتَقْذِفَنِي الْأَوْهَامُ فِي صَدْرِهَا الرَّحْبِ
وَجَنٌّ بِصَدْرِي رَاهِبٌ مُتَبَيِّلٌ
يَضْجُ بِشَكْوَاهِ عَلَى الْبَعْدِ وَالْقُرْبِ

فَفِي الْبَعْدِ نَارٌ يَصْهَرُ الرُّوحُ جَمَرُهَا
وَفِي الْقُرْبِ رَمَضَاءُ الْوَشَايَا وَالْكَذْبِ
يَعَالِجُهُ الْعُرَافُ بِالطَّبِّ وَالرُّقَى
وَمَا لَجِرَاحَاتِ الْقُلُوبِ وَلِلطَّبِّ
وَمَنْ كَانَ رُوحِيَّ الْهُوَى عَبْقَرِيَّةً
فَكَيْفَ يَنْوُدُ الضَّرَّ عَنْهُ أَخُو التُّرْبِ

فَيَارِبْ إِنَّمَا أَنْ تَرِيحَ مِنَ الْهُوَى
فَوَادِي فَحَسْبِي مِنْهُ مَا ذُقْتَهُ حَسْبِي

ولمّا لقاء لا ترنق صـفوه

نوائب دهر لم ينم قط عن حرّبي^(١)

فما أنا إلا شاعر عاف قلبه

زخارف دنياه وأوفى على الشهب

وحبى مأساة يهزُّ بكأوها

فؤاد الحديد الغفل والحجر الصلب

نشدت صفاء النفس في الكأس والهوى

فحطمتى كأسى وشرّدتى حبى

كتابها

ومن نكد الأيام أن كتابها وفيه شفاء النفس جاء أخيرا

تسلّمته عجلاً والدمع واكفُّ كأن له في ناظرى زفيراً^(٢)

على أن فيه من شذاها بقية تحيل دخان السافيات عبيرا

(١) ترنق الماء : كثر .

(٢) الواكف : المطر المنهل

وسنان

وسنان وهو يحبك أشراك الهوى بمغلف الأسرار من أهدايه^(١)
 غافلته فلتمت لِمَّةَ شَعْرِهِ ... وتمتعتُ كَفًى بضم ثيابه
 فثنى رطيب العاج عَنَى غاضِبا وأذاقني شهد العتاب كصابه^(٢)
 وأشاح وهو يكاد يجمع عاتبا وأكاد أفنى في لسيد عتابه
 فأخذت بين يدي كفاً ناعما أفديه بالحسب الرفيع النابه
 ولثمته ووضعته فوق الفؤاد المكتوى بلهيبه وعذابه
 وطفقت أَرَامُهُ وأعطفه وأسأله الترفُّقَ وهو ليس بآبه^(٣)
 حتى تالَّم كُفُّه المعبودُ من خفقان قلبٍ ثائرٍ مما به
 فحنا ورقٌ وضمٌ رثما دارسا يسرى جنونُ الحب في أصلايه^(٤)

قمرٌ أتمَّ اللهُ نُقصانَ الوجودِ بنوره وجماله ... فسما به
 ملكٌ لو أنَّ اللهَ لم يخلقه ما آمنت بالاعجاز في إغرابه

(١) أشراك : جمع شرك وهو حيلة الصيد .

(٢) العاج : ناب القيل والقطعة منه تسمى عاجة والمقصود هنا الجيد . والصواب : شجر مرَّ له
 عصارة يضاء كاللبن بالغة المראה إذا أصابت العين ألتفتها .

(٣) أَرَامُهُ : أَرَامُها : عطفها وأَرَامُ الجرح : عالجها ودأواه حتى يبرأ أو يلتئم

(٤) الرسم : الأثر الباقي من الدار بعد أن هفت .

فى صوته المقتول غُنةً عابـد تتراقص الآمال فى محرابه
 ولنهدده النشوان رقصة ماجن سلبت من القديس كلَّ صوابه
 شفتاه من ورد الجنان وقدةً أفدى بصفو العيش ماءً شبابه
 ورُضابُه - خمر إلهى أضعت العمر فى شوقى لرشف حبابه^(١)
 وقنعت من حبي له بصلوده وبصمته ودلاله وغيابه
 وعبدت فيه عفافه وحياءه وهو الذى تجثو القلوب ببابه !!
 قلبى وفيه العزة الشماء قد رضى التذلل وهو لا يرضى به
 ياليتـه بالغيث يحيى ميتـه وهو الذى أضسنه لمع سرابه

(١) الحجاب : طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح ، والحجاب كذلك : التقايع على وجه الماء ، ويقال : طفا الحجاب على الشراب .

الفتنة الحرساء

إلى نيلة في جَوْها الحالم .. وهي
طفلة لإحدى الأسرات الخاططات :

أطرفت في ضراعة تذكر الله وفي صمتها يذوب النداء
ذات حسن جلّت عن الحسن في الأر ض وودّت لوقبلتها السماء
طفلة كالنسيم لطفا وكالطلّ على الزهر فاض منه الحياة^(١)
نفرها كأس جنّة بارك الله طلاها ... سحرية عذراء
فيه من كلّ آية سرها السّا جى ولكنه طواه القضاء^(٢)
فيه من سكتة الطيور على الدوّ ح إذا زاد في أساها العناء^(٣)
فيه عى اللسان وهو بليغ صامت اللحن صارخ بكاء
فيه أغفت أغرودة الصمت سكرى بطلاو لم يحسّه الندماء^(٤)
فيه إشراقة الزهور إذا رفّت عليها الظلال والأنداء
فيه قيشارة من الله ثكلى لم ترجّع أنغامها الأصدا

(١) الطّفّل : الرخص الناعم الرقيق ، وهي طفلة الأنامل : ناعمتها ، والجمع : طُفُول وأطفال
والطلّ : الندى الذى ترسله عروق الشجر إلى غصونها .

(٢) السّا جى : يقال طرف ساج : فاطر ساكن .

(٣) الدّوّح : البيت الضخم الكبير من الشجر ، والدوحة : الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع
المتتلة من أى شجر ، والجمع : دَوّح ، وجمع الجمع : أدواح ..

(٤) الطلاء : الخمر من العنب . يحسّه : حسا الرجل المرق أو الخمر تناوله جرعة بعد جرعة
بحسوه حسوا -

فيه من هداة اللّجى ومن الفجسر خشوع ورقّة وصفاء
كلما أطبّقته حُرنا ... ترامت فى فؤادى المطاعن النجلاء^(١)

كرم الله سمعها عن أحاديث الدنيا .. فمات فيه الدعاء
لغة الدمع واللحاظ لها أجلى بيان يقوله الشعراء
عينها منبع من السحر فياً ض به جاور الظلام الضياء
لحظها طلسم من النور روحى وشعر معطر وسناء
فضح الحسن سره كلما نا جى فؤادى شعاعه الوضاء
منه ما يظمى القلوب ومنه ما ينال القلوب منه الرؤاء
منه لحظ يضى للسادر السبيل ومنه السهاد والظلماء^(٢)
ولأهدابها الرقاق قضاء عبقرى .. أحكامه خرساء^(٣)
قدّها أملس المعاطف نشوا ن جميل قد طهرته السماء
وجهها عالم من النور والخمر عفيف تغار منه ذكاء^(٤)
سائلوا أى مهجة لم تذب شو قاً إليها إذا طواها المساء^(٥)

(١) كان من الممكن أن يقول الشاعر : سهامها ، بدلا من المطاعن النجلاء .

(٢) السادر : الذى لم يهتم ولم يبال ما صنع ، فهو سادر ، وسدر ، وهى سدره ، ويقال :
هو سادر فى الفى : ناله . والسبيل جمع سبيل وهو الطريق ، أو السبب ، أو الوصلة .

(٣) الهدب : شعر أشجار البين واحده هذبة ، والجمع أهداب .

(٤) ذكاء : الشمس .

(٥) المهجة : دم القلب ، والروح ، والجمع مهج .

كلما أقبلتُ على أطارتني شعاعاً آهاتها الرعناء
كل قلب حلت «نبيلة» فيه حلّ فيه الهدى وحلّ الرجاء

إيه يافتنة النواظر مالى كلما هاجنى الحنينُ أساء
ذكّرني آيات حسنك ليلاً فى ففاض الأسى ، وفاض البكاء
أطرق يا صغيرى واسألنى ربك أن يسعد الحزين اللقاء^(١)
إنّ حزنى وحرقتى وسهادى حُجّجى يوم تبرد الأحشاء!!
وهو يوم أفديه بالروح إن عَزَّ على العاشقين فيه الفداء

(١) أطرق : أمال رأسه إلى صدره وسكت فلم يتكلّم ، وأطرق : سكت لميرة أو خوف
أو غرهما ، ويقال أطرق بعصره : أفضى .

كأس وكأس

أترع الكأس كما شئت ورثل أغنياتك^(١)
ربما أنستك ما لاقيته في أمسياتك
الهوى الماجن ديساك وأحلام حياتك
والهوى العذرى دنيائ فتة في سبحاتك
وارو للناس أحاديث الطلا من خطرارك

* * *

يانديمي أترع الكأس ولا تخش الملا
إنها كانت على من شفه الوجد حراما^(٢)
كأبي الجفن الذى غناك دمعاً وسهما
والطلا دمي وقد طنب في جفنى الخياما
كلما اشتقت إلى الصاب همى دمي سجاما

* * *

يخفق القلب إذا ضجت ببلواه الجراح
فتغاديه دموع ويناجيه نواح

(١) أترع الإناء ونحوه يترع ترعاً : امتلاً .

(٢) شفه الشيء يشفه شفاً ضميره وأرقه ، ويقال : شفه الحب أو الهم .

وأنا الشارد تطوينى على السهد البطح
أنشد السلوى وفى قلبي من السلوى جراح
الشجى والسهد زادى ودموعى لى راح

* * *

يانديمى أنت فى الحب غريب يانديمى
أين قلب فاض منه الوجد من قلب سليم
أين حب الطين من حب سما فوق النجوم
سر بلواك هيام نائر جم الغيوم
وشبابى سر بلواى وحزنى وهمومى

* * *

يا نديمى إنما العيش غرام وفتون
وجنون فى الهوى الطاهر فضاح دفين
وشفاء ورضاب .. وكلام وعيون
وعتاب أبدى الصمت رفاف حنون
كرم الله صده .. فتأقته السنون

* * *

أين من دنياك دنياى وأحلامى وفنى
أنت ترجو شهوة الجسم فدغ عنك التجنى
وأنا الظافر والمغلوب فى دنيا التمنى

في غد تنسُدُّ أياَمَك فيها ... وأغنى
يوم ألقى سرَّ حرمانى وأشجاني وحزنى

علَّمتنا نِسمات البُحر صفو الحُلُم
وأنين الموج في الشطِّ رقيق النغم
والرمال السمر شعر حائر في القِـمَم
هللت أوزانه الخرساء هوج النَّسَم
علَّمتنا هدأة الروح وحرب القلم

تتهادى ذكرياتُ الأَمس في أفق حياتي
أنجماً مخنوقةً للـمـح كيـاصباح النُّعَاة
لم تهدهُها من الحاضر أنغامُ صِلاةٍ
والغدُ المرجوُّ رهنٌ بيد الغيب المَوَاقِ
وبح من هبت عليه سافيات الذكريات

يا نديمي حَسْبُكَ الصبرُ على اللُّوم وحسبي
أنا عبيد من عبيد الحسن لا أملك قلبي
قدَّر الأقدار حبَّ عبقريٍّ مثل حُبي
لهف روحي وهى ظمأى لم تشاهد غير جذب
أنا لا أسأل ربِّي غير ما يعلم ربِّي

هجرة وميثاق

« إلى شمس اليوم الأول من العام الهجرى الجديد »
كانت إحدى القصائد التي ألقيت في احتفالات معهد
طنطا بالعام الهجرى .

أبـنـجـواى من رقيق النشيد ما أغنيـه أم أحطـم عودى
أم أطـيل السجود فى معبد اللـيل وحيداً فتشرقى من جديد
إيه يا ليل هل تنازلت عن عر شك حتى ترقاه شمس الوجود
كبدى فى دجـاك كالأمل الخـسا نب والحر مؤثقا فى القيود
لم أذق فيك غير سهد الشكالى وأنين الماعذب المقتود

* * *

أشرق يا ذكاء إن خيالى كصدى الصوت فى القيا فى البـيد^(١)
رنقت صفوى الدنيا فجلى صداً الخوف من لقاء المجيد
يا بديع الجمال أطلق من القيد ذكاء إلى الشقى الطريد
إن فى نورها هداية حيرا ن وبشرى الدنيا بعام جديد

* * *

أمل مشرق كضوء محيّا وسـمـحـر كثره المنضود

(١) القيفاء : لغة فى القيف وهو الصحراء الواسعة المستوية ، والجمع قيفاف . والبيد ... جمع
بيداء وهى الصحراء .

وشعاع يرنو إلى عاشق النور ر بشيرا لقلبه المعبود
 وصلاة الندى على الزهر كالقبلة ترجو بقاءها في الخسود
 ورضيع الكرى يُفِيْق من النشوة والطير ساكر بالنشيد^(١)
 وحبيبان يحدوان المطايا مستندات مادام جرس القصيد^(٢)
 سُجِّدا للذى له الخلق والأمر ر سجود العبيد للمعبود
 ومهاة كبسمة الصبح لم تحفل بسوء يصيبها من كُنود^(٣)
 حملت رأسها الطعام لجسمين نحيل تذكّر وهجود
 لم تخف صولة الطغاة ولم تجفل من الجمع صائحا كالرعود
 هى أنثى لكن لها عزم جبار وقلب كالصخرة الصيخود^(٤)
 فإذا مسّه الحنين إلى الله تغنى بمزهرى داود
 فخر حواء لم تزيّف جمالا بطلاء فجوزيت بالخلود
 همها البيت والتقى ورضا البعل وغوث الجرحى ودفن الشهيد
 لا التغنى بعاشق ينقض العهد ويودى بمجدها المنشود

* * *

-
- (١) الساكر : الساكن ، يقال : ليل ساكر : ساكن لا ريع فيه .
 (٢) مستندات : مواصلات السير من أسد السير : أدأبه أى أدامه ، وأكثر ما يستعمل فى مثى الليل .
 (٣) المهاة : البقرة الوحشية ، والشمس ، والجمع مهة ، ومهوات : وانكثود : اللوام
 لربه تعالى ، يذكر المصيات وينسى التعم ، والبخل ، والعامى .
 (٤) الصيخود : يقال : صخر صيخود : لا تعمل فيه المعاول .

قَبْلِي يَا ذُكَّاءُ أَرْضًا مِثَّتْ أَسْمَاءُ فِيهَا وَأَقْرَبُهَا قَصِيدِي
وَأَزِيحِي عَنْ شَرْقَةِ الْغَيْبِ سَجْفًا أَنْظِرِ الْغَارَ فِي مِرَاقِي السُّعُودِ^(١)
فِيهِ مَلِكٌ وَرَائِدٌ طَاهِرُ الْقَلْبِ وَفِي لَا كَالْعَدُوِّ اللَّدُودِ^(٢)
أَخْلَصَ الْحَبَّ لِلنَّبِيِّ فَمَادَا هَنَ أَوْ حَاكَ فَرِيَةً لِحَسُودِ
لَدَغَتْ رِجْلَهُ فَلَمْ يَشْكُ وَهَنَا فَعَلِيهَا يَنَامُ قَلْبُ الْوُجُودِ
لَمْ يَكُنْ كَالصَّدِيقِ يَغْدُرُ إِنْ أَهْلَكَ جَدْبِي أَزَاهِرِي وَوُورُودِي
أَرْخَصَ الرُّوحَ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الدِّينِ بِعِزْمٍ يَفْلُغُفُلُ الْحَدِيدِ
لَمْ تَغْرُرْ بِهِ الْحَيَاةُ وَلَمْ يَعْأُ بِسَيْفٍ يَرِيدُهُ أَوْ تَهْدِيدِ
لَا يَلْبِي الْأَصْنَامَ حِينَ تَنَادِي ۝ وَلَبَّى مُحَمَّدًا حِينَ نُودِي^(٣)
مَا أَحَزَّ الْهُوَى طَهُورًا عَفِيفًا وَأَذَلَّ الْهُوَى هَوَى الْعَرِيدِ

* * *

أَيُّهَا الْغَارِ أَنْتِ أَجْدَرُ بِالْغَارِ نَدِيًّا مِنْ فَاتِحِينَ وَصِيدِ^(٤)
فِيكَ قَلْبَانِ ضَارِعَانِ إِلَى اللَّهِ بَعِيدَانِ عَنْ ضَلَالِ الْجُلُودِ
فَارْقَا الْأَهْلَ وَالْفِرَاقَ عَذَابُ لِنَايَا مَحَبَّةِ الْمَوْجُودِ

(١) السجاف : السّر والجمع سَجَف . المراق : جمع مَرَق ، والمراق لغة في الرق وهو الصعود والارتفاع ، والسُّعُود : سُود النجوم : عدة كواكب يقال لكل واحد منها : سَعْدُ كَذَا ، ومنها سعد السعود ، وهو أحدها .

(٢) كان من الممكن أن يقول : يسمو على التمجيد ، بدلاً من لاكالعدو اللود .

(٣) كان من الممكن أن يقول : « وفي الهوى » بدلاً من « حين نودي » .

(٤) الغار : كل منخفض من الأرض ، والغار مثل البيت المقفول في الجبل ، والجمع الكثير من الناس والجن . والصيد : جمع أصيد : وهو كل ذي حول وطول من ذوى السلطان ، وهي صيداء .

نَسَجَ العنكبوت أحلامه البيض على جفئك الخلى السعيد
وهنت من صباية فتفترت أم وهت من ترنح الغريد
كشغاف القلوب مزقها الوجد كجسم المضى كثوب الشريد
سجدت فوقها الحمامم شكرا وأضاعت حرص الأجير العنيد

* * *

يا بنات الهديل رتلن ذكرا ه عبيرا يزرى بنشر العود
وأرقن الدموع من خشية الله وزودننا بنصح سديد
قلن إن الذى يباركه الله قوى معزز بالجنود
قلن إن الهدى هدى الله واندبن زمانا مضيعا فى الجحود
قلن إن النبى جاهد فى الله جهاد المغلب الصنديد
لم يجاهد ليكنز المال أو يبنى مجدا على رقاب العبيد
قلن إن الذى له اهتزت الأرزض خشوعا يرضى بأكل القديد^(١)
لم يبت ليلة وفى الدار خبز من شعير أو لقمة من ثريد^(٢)
كان يطوى غطاءه وأقل الناس قدرا منعم فى البرود^(٣)
يخصف النعل باليمين التى تفتدى بروحى وطارفى وتليدى
لم ينم ليله وقد غفر الله له بأ أحياء بالتحميم

(١) القديد من اللحم : ما قطع طولاً وملح وجفف فى الهواء والشمس .

(٢) الثريد : ما يترد من الخبز ...

(٣) البرد : كساء مخطط يلتحف به ، والجمع أبراد أو أبرد ، ويُرود .

عجبت عوده الليالى فما لا ن ولا خاف من أذى أو وعيد
حارب الكفر والضلالة فانقسا د له كل عاقل ورشيد
عبدوا الله مخلصين له الدين ن ففاضت بهم جنان الخلود
لم تفرقهم المطامع فى الذن يا فكانوا كحزمة من عضيد
ينفذ المسال والمكارم لا تن قد والمجد للشجاع الصمود

* * *

أشرق يا ذكاء إن بقلبي جمرة ما لنا راها من خمود
شنتها لاجع الحنين إلى مج د قديم مضيع مفقود^(١)
حصدته مناجل الغرب والنأ س سكارى بخمرة التقليد
لم يبالوا بالدين بل حضروا قب راً عميقاً لغصنه الأملود^(٢) ..
فرقت بينهم مطامع جوفاً ء فباءوا بذلة وركود
ذكرهم يا شمس بالحسب الغا لى وضجى بيعته وأعيىدى
علمهم أن الحياة بلون السد م نار مشوبة فى حصيد^(٣)
ثم غيبي عنهم إلى يوم ألقا ك فأحى موائى وعهودى

* * *

يا ذكاء العام الجديد السعيد غيبت عنى فغاب عنى وجودى

(١) اللاجع : الموى المحرق ، ويقال : هم "لاجع" ، لحرقة الفؤاد من الحب .

(٢) الأملود : التاعم

(٣) استخدم الشاعر فى هذا البيت دون بالباه ولا يجوز إدخال الباه على دون إلا عند الأخفش ، ولذا فقد جاءت دون فى القرآن مجرورة بمن دائماً ، ولم تأت مجرورة بالباه فى القرآن أبداً .

الإنسان والمعرفة (١)

(المعرفة حينها يفنى الإنسان فيها ، ليخرج منها إلماً صغيراً . ثم يفنى إلى الأبد)

في ساعة من ساعات الإشراف الروحي تجرد فيها الشاعر من عبث التفكير في المادية التافهة . وأقبل على مسرح خياله .. يقيم عليه من شخوص أحلامه ما ينسبه عالم الواقع .. فطافت به صور متباينة الفكر والأحوال .. واصطفى الشاعر من بينها لإلهامه صورة إنسان متمرد على هيكله الطينى بعد أن أذاقته دنياه مرارة الألم .. الألم اللاذع لفشله في كثير مما طرق من أبواب الحياة ، وأخذت تستيقظ فيه معاني السماء ... فثبت حنينه إلى التطهر من رجسه الأرضي ..

وبينا هو في تيه الفكر ... إذ تشرق عليه من خلل السماء أضواء نافذة مفتوحة .. هي نافذة هذا الشائع العميق .. شيوخ النور وعمق الأبد .. (المعرفة) ... فيمتطى الريح بساطا إليها ليفنى فيها ... ولتصوره .. ثم ليخرج من بعد إنساناً عارفاً تتكشف له أنحاء جديدة في آفاق الكون والكائنات .. ثم ... ثم يدهمه الخالد الذي لا يفنى فيفنيه ... ليذهب ذكره بعد ذلك خالداً في الأعمار والأحقاب ..

والفكرة على سذاجتها تكاد تكون أثراً من آثار العقل الباطن وتعاونه مع الواعي في توجيه الشاعر إلى مثل هذا الاتجاه من التفكير والتعبير .. بعد أن اختزن حنينه وهيامه بهذه (المعرفة) ثم أتت من وراء ذلك المخیلة بتصورها ، ثم التعبير بتقريره وإثباته ... ولعل في اللوحة بعض الغموض .. ولعل فيها شيئاً من قسوة القلب .. ولكن .. فليعذر الناس من أساء ومن قصر في الشعر ... إنه بشر .

طار .. يطوى مجاهل الأفق والنأ ر تَلْظَى في قلبه الوثائب (٢)

يَطْبِيه الحسنُ المشاعُ فيسرى مُضْعِداً في غياهب وضباب

(١) كانت هذه القصيدة ثمرة قراءته وإطلاعه .

(٢) يَطْبِيه : اطمأناه إليه بمعنى دعاه دعاء لطيفاً واستماله إليه . والغياهب : جمع غيب وهو الظلمة ..

تشرق الشمس حين تشرق دنيا
وهو يشتر من ندى الفجر شهدا
زاده فته ونجواه قيشا
تهزم الريح حوله فيغنى
قال يارريح كن بساطى إليها
أنا فى راحتك قلب جريح
يتنزى شوقا إلى عرش بلقي
واطونى فى يديك رب طلاء
إن لى فى الندى طلاء وفى البر
أتغننى بآبها كل حين
لى مع النجم سبعة من خيال
ومع البدر والكواكب تسيبا
هو خمري ونشوتى وحديثى
فامض يارريح بى فقلبى غر
يكتوى مفردا بحسن العذارى

ه بحلم يطوى كطى الكتاب
ومن الليل أكوسا من صاب^(١)
ر هوا .. وزهرة من شباب
بلحون من قلبه المنساب
ففؤادى أضناه طول اللواب^(٢)
يتندى كأعين الأحباب
س فهبى كالتناسك الأواب
عبرى أخسوه يذهب ماى
ق ابتساما .. وفى السماء كتابى
فهى إعجاز مبدع وهاب
ومع البرق خسوة من رصاب^(٣)
ر بطى الخطا جميع الخطاب
وغرامى ومنيتى وطلابى
فى هوا .. وفى هوا عذابى
وهو حسن كبهرج من سراب

(١) اشتار يشتر : بمعنى جنى أو شم .

(٢) اللواب : العطش على هيئة أن يستدير الإنسان حول الماء وهو عطشان ولا يصل إليه ، وهو اللعاب كذلك .

(٣) الخسوة : ملء القم بما يحس .

تَخِذِ النَّاسَ سَلَوَةً وَعِزًّا
 فَهُوَ يَهْدِي فِي صَمْتِهِ وَيُنَاجِي
 فَارْحَمِيهِ يَا رِيحُ مِنْ صَمْتِهِ الدَّا
 إِنَّ فِي صَمْتِهِ جَحِيمًا لِنَفْسِي
 فَتَقْبَلُ نَجْوَايَ يَا رِيحُ وَاهْزَمِ
 نَجْنِي مِنْ عَذَابِ قَلْبِي وَنَفْسِي
 أَنَا يَا رِيحُ جَوْهَرٌ مُسْتَسِرٌّ
 تَخِذِ الشُّكَّ لِلْيَقِينِ سَبِيلًا
 طَهِّرْنِي مِنْ رَجَسِ دُنْيَايَ بِالنَّاسِ
 وَانْظُرِي هَلْ تَرِينَ إِلَّا خُدَاعًا
 عَنْ أَمَانٍ جَوْفَاءُ صَنُوحِيَابٍ^(١)
 سِرٌّ أَلَامُهُ .. بِجَمْرِ مَذَابِ
 جِي وَرَدِّي أَحْلَامُهُ لِلصَّوَابِ
 وَهُوَ كَالزَّهْرِ فِي الْقِيَا فِي الْيَبَابِ
 فَهَزِيمُ الرِّيَّاحِ فِي أَصْلَابِي
 فَهِيَ تَوَآمَا أَسَى وَعَذَابِ
 فِي كَنُوزٍ ... فِي عَالَمِ مَرْتَابٍ^(٢)
 فَهُوَ فِي ظِلْمَةِ الْهَوَى الْكَذَّابِ
 رَ تَلْقَى فِي رُوحِكَ الْغَلَّابِ
 قَدْ كَوَانِي بِلَمَحَةِ الْخَلَّابِ

يَا رِيَّاحُ الْمَغِيبِ هُبِّي بِقَلْبِي
 وَاقْذِفِي بِالتُّرَابِ حِينًا إِلَى الشَّمِ
 عَلَيْهِ يَكْتَوِي بِسَفْعٍ لَهَا
 وَبِنَفْسِي وَرَاحَتِي وَشِبَابِي
 سَ وَحِينًا إِلَى ضَمِيرِ الْعُبَابِ
 فَهُوَ سِرٌّ لَشَقْوَتِي وَاسْتِثْنَائِي^(٣)

(١) الْحَبَابُ : طَرَائِقُ تَظْهَرُ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ تَصْنَعُهَا الرِّيحُ ، وَالْحَبَابُ : التَّفَاقُّعُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ .

(٢) مُسْتَسِرٌّ : مُخْفٍ ..

(٣) السَّفْعُ : النَّحْلُ مِنْ سَفْعَتِ السَّمُومِ وَالنَّارِ وَالشَّمْسِ وَجَهَهُ : فَتَحَهُ لِنَحْلٍ أَسِيرٍ أَفْغِيرِ
 لَوْ أَنَّ بَشَرَهُ وَسَوَدَهُ . .

عاصفٌ إثر عاصف ... ونجومٌ ورجومٌ تغلى على الأحقاب ^(١)
وعلى الأفق ثائر من لهيب وعلى الشمس غيب من حجاب
وإذا الكون يشرب الليل كأساً ويغنى بثاقب وشهاب ^(٢)
ثم يغنى (الوجود) فى كفّ باريه .. لتحيا (الحياة) فى الألباب
وإذا العالم العيى بليغ ذائع السرّ معلّم الأسباب
وإذا الخافق الغرير حكيم وإذا النفس فى طريق التّصايب
وإذا راهب الليالى خيال شارد الخطو . كالمها فى الغاب
خلصت روحه فسال ضياء وطوى طينه سجلّ الرّغاب
فهو يشدو فى مأتم الروح لحناً ويبكى فى مفرحات التّراب
يقرأ الكون فى صحيفته العليا سطوراً ما بين صافٍ وكاب
فرأى الخير فى المآذن يخبو وهو الخير فى النواقيس خابى
ورأى الشرّ فى الجميع مُشاعاً فتولّى عن رفقة وصحاب
ورأى النجم دمة الشمس فى المة رب والدمع نوام الإغتراب
ورأى البدر ثانى اثنين فى حبّ سماء سحرية الأبواب
ورأى الأرض قبضة من تراب طوّقتها غلالة من سحاب
ورأى الزهر فى الرياض شثونا وشجوناً للعاشق المنتاب

(١) الرّجوم : جمع رَجَمَ : وهو ما يرمى به من حجارة وغيرها ..

(٢) الثاقب : النجم المضيء ، والشهاب : النجم المضيء اللامع ، أو النجم المُنقَطِص

من السماء .

ورأى النحل أُمّةً في هواء ورأى النمل أُمّةً في هضاب
ورأى الحبّ نسمةً من نعيم ورأى الحبّ عاصفاً من عذاب
ورأى الله جبهةً في مجاليه قريباً منه بغير اقتراب
فهو بين النكران والإعجاب وهو بين اليقين والإضطراب
ورأى الموت .. لابل الموت أغراً ه بلقياه بعد طول لعاب
جاءه في اعتزاله يطلب السرّ وفي السرّ ضاع فجر الشّباب
قال يا شبيخ قد أتيتك أدعو ك إلى عالم رفيع الجناب
فانطلق من قيود دنياك إن كا ن يسيراً عليك نزع اللّباب
أو فدغنى أنزع لبابك يا قشـر .. ثمت سالماً من الأوصاب
ثم ولّى عنه وخلف دوداً مستكفّاحول الذبيح المصاب^(١)
وانطوى عمره ليذهب ذكراً خالداً في الأعمار والأحقاب

• • •

(١) مستكفّاح: مستديرٌ ، من استكفّ الشيء : إذا استدّار .

المجنون . . .

ورأيت يمشى مهلهل الثياب ملثا الخُطَا ، وفي كفه
قارعة من حديد يقرع بها نفسه ، والأطفال يصبون
رأسه صاعين (المجنون) ، وهو يرسل بصره
في السماء والأرض صائحاً عطشان . . عطشان .

وهي من نافذة حواس الشاعر الى كانت تطلّ عل
الحياة .

نسّميه مجنوناً فنحصب رأسه وفي رأسه ثارت عواصف من عقل
تنوح فتصليه لظى من نواحيها فيشرد ملثا الخُطَا كبنى النمل^(١)
يخال سراً سائلاً من سمائه وما في سماء الأرض شيء سوى المَحَل^(٢)
وينظر أرض الناس وهي جديبة فيحسب أرض الناس وبلاً من الويل
فيهذى بالأحان تمزق شملها وليس لها في آخر العمر من وصل
فياليت هذى الناس جن جنونهم فكانوا عن الرقطاء والسّم في شغل^(٣)
وذاقوا طعام الساخرين بعيشهم فغضوا عن الأضواء ضائقة القفل
ولكنهم جُنوا بطين مرقش فصانوه عن نار الحياة التي تغل
وما صين إلا للبلبلى يستطيبه فيا ويحهم كانوا عن العقل في عقل

(١) ملثا الخُطَا : بطيء الخُطَا من الثا في العمل بمعنى أبطأ .

(٢) المَحَلُّ : انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكَلأ . والمحل كذلك : البُعد أو الشدة ،
والجمع مُحُول وأَمَحَال .

(٣) الرقطاء : ضرب من الحيات أو الميظاء به رقط ، والجمع رقط . والتعبير عن الرقطاء
والسّم كناية من الدنيا ومفرياتها ..

لوعة

« إلى وردة الدمنة »

وهبت شهدها لكلّ خلى^١ وأذاقت شجيها الشهد صابا
عرفته معذباً في هوى الغيد لـ فزادته حرقة وعذابا
لم ينل من جنانها بعض ما يرّجوه منها وأرضعته الذئابا
ما عليها وقد رأت أنه جُنّ هياماً بها ... فكانت صوابا
ما عليها وقد رأت جذبّه يُذبلُ أزهاره ... فكانت سحابا
ما على جفنها الغرير إذا رقّ فأحيا فؤاده .. أو أصابا^(١)
ما على ثغرها الشهيّ إذا نـا داه ثغرى لقبله .. فأجابا
آه من لوعة تمزّق أحشايا في وحبّ أفنيت فيه الشبابا
أنا أشتاق قطرة من طلائها والخليّ العريذ عاف الشرابا

(١) الغرير : الخلق الحسن ، والجمع غُرّان ..

الذكرى

و تلتقي مع الصجر ، وتسبحين في النسيم
وتتسجبن في الغروب . وتنهين في الروى ١

أفي القمّة السكرى بخمر الأدهر
تعيشين ؟ أم في فكرتى وخواطرى
وفي الواحة السجواء من مهمه الروى
تهيمن ؟ أم في خافقى ونواظرى^(١)
تطوفين بي روحا غريبا .. بكفه
بقايا رفات من هشيم أزاهرى
وتسرين في وهمى خيالا مشردا
تطارحه النجوى لحون مزاهرى
وصوتك في آفاق فكرى كأنه
صدى آهة مذبوحة في الحناجر

إذا همتُ في الشُّطآن أنشد سلوة
لدى الموج ردّ الموج ضحكة ساخر

(١) السجواء : امرأة سجواء : ساجية الطرف. وريح سجواء: لينة. والبرؤيا: ما يرى في النوم والجمع: رؤى. والحافق: العلم، والأفق، والجمع: خوافق .

وإن غنَّت الأمواج خِلْتُ غناءها
 أنين اليتامى أو نشيج الحرائر
 وإن ومضت أصدافها كان ومضها
 لظى جمرة حمراء تغلى بناظري
 وإن مرَّت الأنسام تهفو حسبتها
 من المس أنفاساً بجوف المساعر^(١)
 وإن أرعشت جفنى تهوية الكرى
 تراءيت جرحاً ساهداً في محاجرى
 وإن ذهلت عني تهاويل شقوقى
 تحايلت حتى لا أفيق لسامرى
 وإن راودت قلبي الأمانى تمثلت
 له مُديةً خرقاء في كفٍّ جازر^(٢)
 وإن قلتُ إن العيش غنوة ضاحك
 وأقبلت أحلو البشر نحو المعاصر
 وأترعت كأسى والأخلاء طاقة
 من الزهر غلَّتْها أكفُّ المواطر
 وخلقفت دنيا الناس واهتز خافقى
 حنيناً إلى دنيا السرور المبكر

(١) المسعر : ما تحرك به النار من حديد أو خشب ، والجمع : مسابير .

(٢) خرقاء : حمقاء .

وذابت أهزيج النشاوى بمسمى
 وهومت الأرواح حول السوامر
 وغمغت الأشباح تتلو على الدنى
 حديث الليالى والقرون الغواير
 ودومت عيني طائر هيف عشه
 وأحرق جنبه لهيب الهواجر
 ونادمت نجم الأفق وهو مصفد
 أسير براحت القضاء الدوائر^(١)
 ... طرقت على الليل وهو مفازق
 وحجبت عنى النجم وهو مسامرى
 وفزعت أحلامى . وأنسيتنى غدى
 وزدت فغلقت الظلام بحاضرى
 وألقيت فى صمى هزيم رواعد
 وذوبت فى جفى تيممة ساحر
 فأطرق ... والدنيا تدور على رحي
 من الفكر والهيم المقيم بخاطرى
 يسائلنى صبحى وسمى مجنح
 تلقنه الأشباح همس الضمائر

(١) مصفد : مشدود بالوثاق . الراحة : واحدة ؛ والراح أى الأكف ، والجمع : راحات ،
 والراحة كذلك : الساحة .

وفي مقلتي دمع الغريب وفي فمي
 عتاب إلى قلب الجنود العوائير
 وملئ حنايا الصدر آهات ضارع
 وملئ شغاف القلب زفرات حائر
 كأنك في عيني سهومٌ . وفي دمي
 رجومٌ وفي سمعي أنين الأعاصير^(١)
 ملأت وجودي كله وأنا الذي
 يعيش على الأحلام عيش المقامر
 فلا أنيناتي في هواي حقيقة
 ولا أنا عن نجوى يوماً بصابر
 ولا أنت يا ذكرى الحبيب رحمة
 بقلب جريح في الرزايا مغامر
 كأنك ألهمت النكال براحتي
 ولقنت حب الظلم من روح هاجري

(١) السهوم : العيوس . والسهم : القذح يُقارع به . والرجوم : جمع رجم وهو القتل والتذف والعيوب ، والتحليل ، والتدبير ، والمهجران . .

ظننتكِ في قرب الحبيب خُرَافَةً
 يَلْفُقُهَا صرعى الغرام المخامر^(١)
 وفي بُعده... أَوَاه من نار بعده
 تَجَرَّعْتُ يا ذكرى... حميم المَجَامِرِ^(٢)
 وما كان في أحلام عمرى خُرَافَةً
 سوى أَمَلٍ في حانِيات المقادر
 فليت حداة الموت يحدون موكبي
 إلى جلثى المقرور بين المقابر
 فما فرحى بالعيش وهو قصيدة
 مهلهلة الأوزان... ليست لشاعر
 ومن صَوَّحَتْ من عمره واحة المنى
 فليس لصحراء الحياة بذاكر

(١) المَخَامِر : المستر، من خامر به : أوى استتر ، أو الخمار : المشكوك فيه : من خامره الشك
 بمعنى ماومه .

(٢) المَجَمَّر : ما يوضع فيه الجمر مع البخور ، أو العود يتبخر به والجمع متجامر .

عيد شعري

« في قران ابنة عم الشاعر علي الأستاذ محمد
أبو الفتوح مروان في ١٠ من يناير سنة ١٩٤٤ »

هات قيثارك يا شاعر وأصدَحْ بالأغاني
وتدفّق واملأ الدنيا بألحان الجنان
واشدُّ باللحن الذي رنَّحَ أَسْمَاعُ الغواني
واروِّ للتاريخ يوما جمّعت فيه الأماني
إنما الشاعر يا شاعر قيثار الزمانِ

غمغمات الموج في سمعك عذراء المعاني
وخشوع النخل في عينيك مسحور البيان
والسنا القدسي في قلبك منه قَبَسَانِ
والزهور البيض تهفو في حنين وحنان
والنسيم العفّ رَفَافٌ كَأَحْلَامِ الحسان
والأغاريد التي فاقت أغاريدَ «عنان»
والطلا الراقص من فرحته بين الدنان

فتنة من عالم الروح تجلت في قران
أسكرت قلبي فغنى ورؤى الشئو لسانى

نسب كالأفق جلّ في سماه كوكبان
تلتقى فيه الزغاريه بجياش التهاني
فيه من عزة (شرنوبى) وعليا (مروان)
خفت فيه قلوب والتقت فيه أمانى
فسرى البدر إلى النجم فسالت غنوتان
وهما الورد إلى الطلّ فرئت قبلتان
وانتفى الكون بكأس لم تذقها شفتان
حينما ضمت على الألفة والحب يدان
طابتا عقدا وطابت صيغة فيها التدانى
ردّد الكون صداها ولها اهتز كيافى
فسكبت الشعر من قلبي كلباح الجمان^(١)
وألمنى إن بسمت فالشعرلى طوع بنافى
والمنى تبسم لى الساعة فى كل مكان
فاسم يا شعر فهذا عيد شعرى وبيانى

(١) الجمان : اللؤلؤ . وجب يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ ، والتماح : الشديد التمسح .

ياقران السعد أكبرتك عن كلِّ قرانٍ
منك ألهمت أهازيجي فروتها المغاني
ولك العطر الذي استاف شذاه الفرقدان^(١)
ياقران السعد إني والمثى في مهرجان
ضمَّ أحلام العروسين وشعري في ثوان
فهما في روضة البشر المواقى ... زهرتان
وهما في شرف الفخر التليد ... توأمان
وهما في مهجة العيش الرغيد ... أملان
وهما في شَفَةِ العيد السعيد ... بسمتان
وبأفق المجد والعزِّ المرجى ... قمران
وبقيشار الأغاني ، والتهاني وتَران
وهما كلُّ الأمانى حَقَّقَ اللهُ الأمانى

(١) استاف: بمعنى شم. والشَّذَا: قوة الرائحة. والفرقدان: ثنية فرقد ، والفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبا ، ولذا يندى به وهو المسمى (النجم القطبي) . وبقره نجم آخر مائل له وأصغر منه .

(١) نجوى

« إلى ملهقى »

<p>ياربة الشعر والأحلام ما صنعت هذا شباني الذي شابت مباحجه والخافق العف يطوى العمر معتسفاً تعوى الأعاصير من حولي فأحسبها والدمع في مقلتي أسوان تمسكه</p>	<p>بك الليالي التي ضاعت كألحاني بهفو إليك ويشكو نار أحزاني قفر السنين على جذب وحرمان في مسمعي نوح أشباح وجنان بقية من إباء جرحه قاني</p>
--	--

* * *

<p>ياربة الشعر هذا الشعر أنهله ما شابه دنس الدنيا ولا عبثت هو الذي في ربيع الحب أسعدني وأنت أنت التي بالشعر أضحكني أنت التي خيرتني بين جنته</p>	<p>من منبع في سماء الحب روحاني بصفوه غير أناني وأشجاني وهو الذي في خريف الحب أشقاني وأنت أنت التي بالشعر أبكاني وبين نيرانه ... فاخترت نيرانني</p>
---	--

* * *

(١) أنشدنا الشاعر في قاعة جميلة عربية ، وكانت تتردد إلى السوق في بلطم كل خميس لقضاء حاجياتها ، وكانت تستريح بعد انتهاء السوق أمام منزل الشاعر ، فرأها مرة بعد مرة ، وأخذ يجمال حينها ..

يا حيرتى بين أحلام توزعها على كف الغرام الراحم.. الجانى
 ما بين ظامئة حيرى مولهة تجوس غاب الدياجى خلف أجفانى
 وبين وانية التجواس ساكنة سكون جفنيك فى ظل الكبرى الهانى^(١)
 والشوق فى أيها خمر معتقة لكنها الخمر ما كانت لنسيان
 والصبر ملحمة ضاعت أوائلها وجمر آخرها المشيوب أضنانى

ياربة الشعر والأحلام ما صنعت بك الليالى التى ضاعت كالحانى
 ألمد . مد الأمانى منك أدنانى والجَزَر جزر ابتئاسى عنك أنأتى

من للغريب

من للغريب إذا شكا والليل يشجيه النداء
 ودموعه تجرى على خديه وهى له عزاء
 نجواه وخى غرامه وحنينه وخى السماء
 وضلوعه مجرى الأنين وخده مجرى اللماء
 والبدر لا يدرى أساه وليس للنجم اعتداء
 فارحمه يا ظالم واظلمه ياراحم
 يكفيه من بلواه أن المنى جوفاء

(١) التجواس : التردد فى الشيء أو المكان بالإقصاد وطلب ما فيه ، والوانية : القاترة الضعيفة أو الكليلة الميئة .

فى ماتم الصعيد

١ أبيات من قصيدة ضاع مطلعها، ألقيتها نكبة
الصعيد بوياء الملائيا فى عام ١٩٤٤هـ، وكان قد
سمع عن هذا الوياء من صديقه الشاعر محمد المدينى .

لَهْفَ نفسى والمنايا تلتظى	ما لجمراتِ المنايا من خمودِ
صهرتها وهى كالغيم ندى !	فى لظى الحسرة أبناء الصعيد
معشر كانوا كآزهار الربا	رضعوا فى المهد من أئداء جود
دعم الموت عليهم دورهم	وأراهم بطش جبار عنيد
شَرَعَ المِنْجَلَ فى راحتِهِ	وانبرى يعصف بالنَّبتِ الحصيد ^(١)
كم فتاة هَذَهَتْ آمالها	وفى عاش على حلم سعيد
وعرويس كُفِّنَتْ فى ثوبها !	وعريس أدرجوه فى البرود ^(٢)
نصب الموت لهم أشراكه	ودهاهم من قريب أو بعيد
لم يفرق بين شيخ هرم	ورضيع فى حِمْى المهد وليد
فهم بين مريض جائع	يطلب الموت .. وعريان شريد
فهنا أمٌ تناغى طفلها	وتمنيه بخلاّب الوعود
كلما راود جفنيه الكرى	أشفقت من سفر فيه مديد

(١) الراحة : واحدة الرَّاح أى الأكف ، والجمع : راحت ؛

(٢) البرود : كساء مغطى يُتخف به ، والجمع : برود .

وإذا تاقَ إلى الثديِ انحنت .
 تُرْعِشُ الحُمَى حناياه فلا
 تُشهد الليل على آلامها
 فإذا ما أقبل الصبحُ وفي
 أقبل الموت وفي إقباله
 فترى من هولها مصروعة
 وعليها من تهاويل الأسي
 خبَلت أقدامها في خطوها
 في سفوح يعزف الموت بها
 ويحه ما حطمت أسهمه
 دعوات الشكل من قبل ثمود

* * *

إحقق في الله والدين وفي
 لكم الله ... وفي الله غنى
 أنا إن لم أبذل الروح لكم
 لارعت مصر لقلبي أملاً
 وطن عانٍ من الخطب جهيد
 عن بياني ولساني وجهودي
 وأقذني بطريق وتليدي
 ورماني الدهر بالرزء الشديد

(١) التَّضِيد : من فُضِدَ المتاع : ضم بعضه إلى بعض مَسْتَقِماً أو مَرَكُوماً .
 (٢) العاني : الذليل ، الأسير . والعاني : من يأخذ الشيء قسراً يَمْتَنِزُهُ ، أو يأخذه بمشقة وتعب .
 (٣) خبَلت أقدامها : شَلَّت في خطوها أو قَصَرَتْ في الخطو عن ذئ قبل .

يا حبيبي

يا حبيبي طاف بالماضى خيالى هائما يبعث غافى الذكرياتِ
ويُغْنِيْنِي على رغم الليالى لحن حبٍّ مرٍّ بى فى لحظات
يوم أن ذقنا أفاويق الوصال فى كؤوس بهوانا مترعات^(١)
أترانى ساليا ؟ ... ما أنا سالى كيف يسلو غارق فى الجمرات

* * *

أترى تذكر يا حلوى الدلال رقصة الموج وإطراق السفينِ
وهى تختال بنا أى اختيال تسأل الموج عن السرِّ الدفينِ
أنت أشعلتَ بها نار السؤال بعد أن أشعلت نيران الحنين
يا حبيبي . أنت فنى ومثالى وأنا فجرى فى أفقِ السنين

* * *

وكما مرَّ الذى مرَّ بىالى سوف أمضى .. صرخاتٍ من شجون

(١) القيثمة : من الليل أكثره ، وهى أيضا اللبن الذى يجمع فى الضرع بين الحلبتين ، والجمع أفناويق . ومترعات : ممتلئات .

من أحلام الصيف (١)

« ليت ما فيها حقيقة »

خطرت كالنسمة السُّكْرَى بانداء الصُّباح
فكرةً من فكر الحُسن تجلّت في وشاح
عبرى النسيج رُفّاف كأحلام المـلاح

تُفَعِّمُ الأنسام إن مرّت بها عشقا وطيبا
وهي تختال على الشطّ لتصطاد القلوبا
وتغنى الشمس لحناً خفِرَ النغم طروباً
مثلما ناغمَ محبوبٌ على البعد حبيباً (٢)

ظنّها الموجُ تحييه ... فحيى قلميها
وترامى رغوهُ العاشق منساباً إليها
فجرت تسبقه نحوى وعاطنى يلبها (٣)

قلت لا لوم على الموج إذا أَرغى وأزبد
شفّه الحرمان من ضمك حيناً .. فتجلّد

(١) قالها من وحي أسراب المصيفات على شاطئ بلطيم ببلده .

(٢) ناغم حبيب : حادّه تشمّاً بصوت فيه تطريب وتوقع .

(٣) عاطنى : ناولتى ، من عاطاء الشيء مِعْطَاةً وعطاء : ناوله لرباه .

ثم أقبلت فأيقظت هواه فتنهذه
 ورأى شغلك عنه بسواه ... فتمرّد
 وضحكنا ... واحتسى الكون رحيقاً عبثياً
 ورأى شاعر النظرة فارتاحت إليها
 ومشينا فانتشى الرمل .. ويممنا النديا
 واغتبنا ساعة ... خمر الأحايث العذاب^(١)
 ساعة تعدل أحلامي وعمرى ورغائى
 وهى تسقىني وأسقيها ... شبابا بشباب
 لا شفاهاً بشفاهٍ أورضابا برضاب

* * *

ثم قالت دنتِ الفرقة والليل سجاً
 وغداً نروى من القلبين شوقاً لاعجاً
 ونغنى الموج لحنينا .. فيرغى هائجاً
 واستدارت شفتاها فى حنانٍ وحنينٍ
 وأطارت قبلةً فى الجو ... خرساء الرنين
 وانثنت ترقبُ مشراها بمسحور الجفون
 فاستقرت فى فمى وامتلات منها عيونى

* * *

(١) اغتبنا : اغتبق شرب الغبوق ، والفوق ما يشرب بالمشى .

إيه يافاتنة الشطُّ أَلْفَاكَ غــــدا ؟
أم يصير الوعدُ جمرًا بعد أن كان نكــدى ؟
آه ما أقسالك إن ضبعت أحلامي سُــــدى ؟

أنت دنيای التي أنشدتها في خلــــواتي
أنت حلم سابعُ في مائج من صبواتي ^(١)
أنت كأس الوحي في حانة أيام حياتي
فاقبليني عابداً ... أفنَ هوًى في صلواتي

آمال

آمال ... والدنيا تسير من الفناء إلى الفناء
وبنو الحياة دُمى يخلّقها ليحطمها القضاء
والقاهر الجبار يُعطى ما يشاء لمن يشاء
مرت بنا ذكراك فانبعث الدفين من البكاء
فإليك يا بنتَ السماء دموع أبناء السماء

(١) مائج : مرتفع من مائج البحر بموج موجاً ومَوْجَاناً : إذا ارتفع مائه واضطرب في عُنفوان والصبرة : الليل إلى اللّهُ . أو الحزين والشوق إلى الحبيب . جمعه : صبوات .

من وحي التراب

في يوم ١٥ يولية سنة ١٩٤٤ رزئ الفن الجميل في مصر ... بأقول كوكب من أنصع كواكبه ... فقد غرقت المطربة الأميرة ... أسمهان ... بعد حياة هي صورة من الألم المختفى ... وراء البسمات العجاف !! وكانت المطربة قد مثلت في رواية سينائية دورها الذي مثلته في الواقع ... فكانت الفاجعة .. وكان الوجد الحزين ... وحي المرأة ... حية وميتة ، فكتب الشاعر هذه القصيدة في خطوة هادئة ... ثائرة ... بين العظام والجماجم ... وأهداها إلى اللؤلؤة الغريقة بين أمواج الأبد ... إلى ضحية الحياة والموت .. إلى أسمهان

هاتِ الدموعَ فأنتِ شاعراً ما للدموع لديك آخر
لم تلهم الأبراج قلبك بعض إلهام المقابر
ومن المقادر أن تعيش وأنت نهب للمقاسد
فانضح زمانك بالدموع فأنت من بلواه خادر^(١)
يكفيك من نار الفجيرة أنه ... تغنى الحناجر

* * *

آهاتك الحرى على جمراتها تغنى القسواف
وأماك وهو مغلّد ضمته أجنحة الشّفاف^(٢)
ونشيدك الأبدى زيافاً كمخبول السّواف^(٣)

(١) فانضح زمانك: ازره بالدموع ، من نفضت السحاب : أمطرتنا . خادر : متحير ، من خدر
بحذر : تحير .

(٢) الشّفاف : غلاف القلب ، أو سويلاه وجهه . ج : شغف .

(٣) الزّيافاً : المتبختر المختال ، والسّواف : الرياح التي تحمل التراب وتثره ، والسّافيا : الفيار .

ورؤاكِ وهى زوارقٌ تهفو للمأمون الضفافِ
دنيا من الآلام طفت بها ... وطهرتك فى الطوافِ

* * *

يا شاعر الموتى وعمرتك لم ينضِّره الشبَّابُ
ملءُ الترابِ جماجمٌ فادفن حطامك فى الترابِ
ولدى المقابرِ يا حزين صواب من فقد الصوابِ
فإذا سمعت سؤالها وعجزت عن ردِّ الجوابِ
لا تجزعنْ فللمنايا السَّودُ أسرارٌ عجابِ

* * *

الشكُّ دمرَ أصغريك فهات من وحي اليقين^(١)
هذى الحياة طلاسَ عزَّت على المتعلمين^(٢)
ياثقل ما حُمِّلته ... منها على مرِّ السنينِ
لولا بقايا ظلمة فى الروح ... من ماء وطنِ
لبرئت من قيد الحياة وصرت ذكرى الذاكرين

* * *

هات الدموع نسجتها فى مقتلِكَ ... من الهوانِ
بالألمس أودعت الثرى قلباً تشيعه المعانى

(١) الأصفران : القلب واللسان ، وفى المثل : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه .

(٢) الطلاس : جمع طلسم ، وهو الناموس اللبهم كالأنفاز والأحاجى .

أوحى إليك على ظلام اليأس خفاق الأمانى
بالأمس .. واقلباه غابت خلف أستار الزمان !!!
واليوم ... وافنائه وحبك من فجيرة أسمهان

* * *

فن من الألم الميض طغى على الأمل الميض^(١)
ومناحة في القلب تُفزع صمتها في كل أرض
والدهر للروح المعذب نابغ ليس يُغضى
عاشت كما شاء الطموح لها ، فمن وثب ... لخفض
وهوت كما تهوى الكواكب بعد إشراق وومض

* * *

يا زهرة رفقت رفيف النسم في الروض المريع
هذا شبابك في الربيع ... فهل بسمت إلى الربيع
جافتك أفراس الحياة وضمتك الألم الوجيع !
ما نفع آفاق الوجود تضيق بالأمل الواسع ؟؟
سيان في شرع القضاء الشيخ .. والطفل الرضيع !!

* * *

هذا شبابك في العيون الناظرات وفي الأثير
ذوبته نغمًا يرنح شجوه سمع الطيور

(٣) الميض : الحاد المولم الشاق على النفس من وجع المصيبة حتى يكاد أن يمحوه .

والصورة الخرساء ملحمة ... مخلة السطور
حجبت شجونك بابتسام ليس من وحى السرور !!
كالواحة السجواء في أحشائها سرُّ الهجير !!

* * *

يامِ زهراً للفن كان صدهاء مشبوب النواح
أطربت محزون الهوى .. وأثرت محطوم الجناح
همسات قلبك حدثت عما بقلبك من جراح
وعبير روحك خالد التطواف معبود التفاح
ماضراً لو رحم القضاء .. فنام عن حرب الملاح ؟

* * *

لم تُغْنِك الدنيا بما ... أعطتك من شرف المتاع
.. عن خافق صافي الوداد كريق النور المشاع
والعمر .. لولا نعمة الأحياب ... والفن الصناع
كالزورق الهيمان ضلَّ طريقه ... ونجا الشعاع
وقست عليه السافيات فمزقت منه الشراع

* * *

مثّلت دورك في روايتهم كما شاءوا ... عشيقه !
قدّر تمثّل مرتين ... على اختلاف في الطريقة

في شاشة الفن الجميل ... وشاشة الموت الصفيقة^(١)
أبكيكِ ... هل ألهمتْ أنك بعد أيام غريقه ؟
فنفضتْ دورك في الخيال .. لتكلميه ... في الحقيقة ؟

* * *

الجذبُ جذبُ الروح يا (آمال) ... لاجذبِ الصحارى
والفنُّ فجرُ الخالدين ... يرطبُّون به القِفارا^(٢)
حُرموا النعيمَ الواقعيَّ ... فأجَّجُوا للطين نارا
وتطهَّروا ... فشقُّوا على الدنيا ... وما عرفوا قرارا
هنثوا بأشواك الحياة وأطعموا الحمق الثمارا ؟

(١) الصفيقة : كثيفة النسيج من صمغ الثوب صفالقة : كنف نسجه .

(٢) القفار : جمع قفر وهو الخلاء من الأرض لاماء فيه ولا ناس ولا كلاً .

الجزء
الثاني

الأمواج

١٩٤٤

العجزة

[في عيد الفن بالإتعام السامى على
القيطرة الملهمة الفتانة .. أم كلثوم]

فبكٍ للشعر من سنا الإلهام قبسات في روعة الأحلام
ولك المجد كيف أعجزت شعري ولقد كان كالآني الهامى^(١)
كان بالأمس منهلاً لفؤاد أظلماته مرارة الآلام
وهو اليوم باقلٍ ... ويراعى وجلٌ في أناملى مترامى^(٢)
قال لى إن قصرت عما ترجى أو تآددت دون نيل المرام^(٣)
فهى روح والشعر شعر تراب وعزيرٌ على هذا التسامى

أم كلثوم ، أى معجزة نسبح في مائج من الأنغام^(٤)
أم كلثوم ، أى نبع إلهى هو الرى للقلوب الضوامى
أم كلثوم ، أى لحن من الخلد صداه يسمو على الأفهام
أم كلثوم ، أى فرحة قلب ناسك الشعر عبقرى الهيام
أم كلثوم ، أى أغنية تنسدى حناناً على فم الأيام

(١) الآنى : التافذ في الأمور ، الذى يتأنى لها . والغريب : الدعى ، والسيل يأتى من بعيد .

(٢) البائل : المُنْخَصَب : من يقتل يقتل بقتلا : أنبت المكان .

(٣) تآددت : تشدد . (٤) مائج : مرتفع .

أم كلثوم ، أى حلم سعيد عطر الطيف عاشق الأنسام

هى ما شاء ربها من فتون وفنون قدسية الإلهام
هى ما شاء فنوها من سمو وخطود ورققة وانسجام
هى ما شاء قلبها من حنين وأنين ورحمة وسلام
هى فجر مذوب فى المآقى هى صفو العبير فى الأكمام
هى طير مجنح فى السماوا ت يغنى الوجود لحن الغرام
هى فوق الشعور والشعر صيغت من نسيم وضحة ومدام

يا بنّة الخالدين « آلهة الأو لب » أعجزت قادر الأفلام
من معانيك فى خيالى أحْيَيْكَ ومن أفقها يدف سلامى^(١)
ملء سمعى خمر من النغم السا حر ذابت فى كأسه أسقامى
وبقلبي من الليالى سهام وأنين « الآهات » بعض السهام
أى أفق من الأماني ضاح أجتليه فى يقظتى ومنامى
حينما تنشدن ترنيمه العيد فتروين ذابل الأحلام
أى واد من الشقاوة والحر مان يطوى فى غيب من ظلام
حينما تسألين سمار نادى لك ما اسم الحب الطهور السامى
كلما قلت آه من يوم لقيا لك أثرت الدفين من الآمى
وإذا قلت « كيف مرت » أصاب القلب من حرها شبيب الضرام

(١) دفعت الجماعة تدف دفا ودفيقا : سارت سيرا لينا .

كل لحن مخلدٌ من أغانيك حياة الأرواح والأجسام
 كيف يوفيك ما أرجيه شعري إنه منك كالصدى للبعث
 أنت ديوان شاعر سرمدى عبرى الأوزان والأنغام
 ١٩٤٤

سهاد

هتف الليل فلبّ الهاتفا أيها السابح في أوهام
 وأنس آلامك فالجفن غفا من سهاد زاد في آلام
 إنها أوهام حب عذبك وجفون ذوبها قد ذوبك
 وفؤاد تاه في وادى الغرام

* * *

يا غريب القلب في الوادى الغريب لا تلمه إن هفا للذكريات
 واشرب الكأس على ذكر الحبيب إنها سلواك عن ماضٍ وآت
 ربما رقت لك الليل فحياً أذن الهاجر باللحن ندياً

من دموع وجراح وسقام

* * *

قل له يا ليلُ إن نام حبيبي غافلاً عن ناره في أضلعي
 فأقم يا ليلِ سِترا من قريب واتلُ تسبيحة أشواقى معى
 وإذا مارنحتْ أهـدا به
 سكرةً من سكرات الحلم
 فترقُّ بحبيبي في المنام

وإذا راوده طيف احتراقى
 وحنينى للقاء وعناقى
 فترنم بأهازيج الهيام

وإذا طاف بجفنيه خيالى
 راجيا ساعة قُربٍ ووصال
 فاحنُ يا ليل ففى القرب سلام

إيه يا ليل لقد شاركتنى فى ذكرياتى
 والتقت فىك أغاريدى بنوحى وشكااتى
 كم تضرّات بلالاء الهوى وهو مواتى^(١)

(١) تضرّات الشئ : تبصره فى الضوء وهو فى الظلام ليراه .

وكم استفتت شذا الحب ونفح الصبوات^(١)

كم ترفقت بنا قلبين ذابا في صلاة

بدئت بالقبلات وانتهت بالقبلات

بارك الله صداها ولها كانت حياتي

ذقت في أمنك يا ليل رحيق الأمنيات

وعلى صدرك يا ليل ترامت زفرائي

أيها الخالد يروى بلموعى الخالدات

قل له حسب عليل ما يلاقى

علّه يحنو فيرضى بالتلاقي

لنذيب العدر في كأس الوثام

١٩٤٤

(١) الصبوات : جمع صبوة ، وهي الميل إلى اللهو ، أو الحنين والشوق إلى الحبيب .

« من أشعار الروح »

نشيد الصفاء

« إلى حبيبى وسيدى محمد بن
عبد الله نبي الجهاد والألم »

- من ترانيم وحبك القدسيّ وأفابيق عطرك الروحي^(١)
من هواك الذى استفاقت على أشواقه مهجة الوجود الخلى^(٢)
من هداك الذى طوى البرّ والبحر وأعيا مواهب العبرى^(٣)
من صلاتى عليك فى غسق الليل وفى ضحوة الصباح السنى^(٤)
أقبس الشعر وهو قربان روحى ونصيرى على الزمان العصى^(٥)
فإذا ما أعيته آياتك الغرّ فما كان خافقى بالعبي^(٥)
فاعذر الشعر فهو شراب لم يطهر من رجسه الأرضى^(٥)
أنت أسمى منه فانت نبيّ لايفيه الثناء غير نبيّ

أيهذا الأُمّيّ يا أبلغ الخلق بيانا .. قدّست من أُمّيّ
أيهذا اليتيم حسبك فخرا أن ترى الله منك خير وصيّ

-
- (١) الحقيقة : من الليل أكثره ، وهى أيضا البين الذى يجتمع فى الفرع بين الحكّيتين ، جمعها : أفابيق .
(٢) المهجة : دم القلب ، والروح ، جمعه : موهج .
(٣) الفسق : ظلمة الليل .
(٤) : أقبس أخذ من قبس يقبس إذا أخذ .
(٥) الخافق : القلب ، والأفق ، جمعه : خوافق .

أَيْهَذَا الْفَقِيرِ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ تَعَالَيْتَ فَوْقَ كُلِّ غَيٍّ
 أَيْهَا الصَّامِتِ الَّذِي أَيْقَظَ الْكُونَ بِنَجْوَاهِ لِلْعَزِيزِ الْعَلِيِّ
 أَيْهَا الْأَعْزَلِ الَّذِي قَدْ تَحَدَّى أُمَّةً لَمْ تَلَنْ لِنُغَيْرِ غَوِيٍّ^(١)
 أَظْمَأَتْهَا الْآثَامُ فَاسْتَبَقَتْ تَسْأَلُ عَنْ مَنْهَلٍ هُنَاكَ رَوَى
 أَنْتَ رَوَيْتَهَا وَكَنتَ لَهَا الظِّلَّ فَفَاءَتْ إِلَى الطَّرِيقِ السَّوَى
 وَأَنَا الظَّامِئُ الَّذِي خَبَلَتْهُ نَارُ آثَامِهِ فَضِيعَتْ رِيٌّ
 أَنَا مِنْ أَغْرَقَتِهِ آثَامُ دُنْيَاهُ بِأَمْوَاجِ بَحْرِهَا اللَّجْجِ
 وَلِيَ اللَّهُ كَمْ تَعَوَّذْتَ مِنْ نَفْسِي وَشَيْطَانِهَا الْمَرِيدِ الْعِنِيِّ^(٢)
 كُلَّمَا مَضَى مِنَ النَّفْسِ وَسْوَاسٌ تَذَرَعْتُ بِالرَّجَاءِ الْهَنِيِّ
 وَإِذَا مَا أَثَارَ شَيْطَانِهَا الشُّكُّ تَعَلَّلْتُ بِالْيَقِينِ الشَّهِيِّ
 إِنَّمَا النَّفْسُ جَمْرَةٌ لَيْسَ يَطْفِئُهَا سِوَى غَيْثِ حَبِّكَ الْأَبَدِيِّ
 فَابْعَثِ الْغَيْثَ يَا غَمَامَ الْمُحِبِّينَ فَفِيهِ هِنَاءٌ كُلُّ شَقِيٍّ

هَامِي الْأَرْضِ يَا حَبِيبِي عَافَتْ رِيَّهَا مِنْ مَجَازِرِ الْآدَمِيِّ
 أَزْهَرَتْ بِيَدِهَا مِنَ الشَّرِّ وَاحْمَرَّتْ وَرَوْضُ السَّمَاءِ يَهْفُو لَرِيٍّ
 فَقَدْتُ صَبْحَهَا وَكَفَّنَهَا اللَّيْلُ بِثُوبٍ مَخْرَقٍ دَمَوِيٍّ^(٣)

(١) الْغَوِيُّ : الْمُسْمَنُ فِي الضَّلَالِ مِنْ غَوَى يَغْوِي غَيًّا وَغَوَايَةً : أَمِنَ فِي الضَّلَالِ .

(٢) الْمَرِيدُ : الشَّدِيدُ الْعُتُوُّ ، وَالْعِنِيُّ : الْجَبَّارُ الَّذِي يَسْتَكْبِرُ وَيَجَاوِزُ الْحُدُودَ .

(٣) الثُّوبُ الْمُخْرَقُ : الْمُخْرَقُ مِنْ خَرَقَ يَخْرِقُ خَرْقًا

كلَّمَا أَرَعَدَ الخَمِيسُ أَقِيمَتِ لِبُرُوقِ الفَنَاءِ سَوَى العَشَى^(١)
 وَلَدَتِ ثُمَّ أَثْقَلَتْهَا المَوَالِيدُ فَنَاءَتْ بِمَارِدٍ وَصْبَى
 لَمْ تَعُدْ تَعْرِفُ السَّلَامَ سِوَى أُسْطُورَةٍ خَطَّهَا يِرَاعُ غَبَى^(٢)
 لَسْتُ أَدْرِي أَغْرَهَا الخُلْدُ ؟ أَمْ حَنْتُ لِيَوْمٍ مَخْلَدٌ أَزَلُّ
 يَوْمَ عَبَّتْ دَمَ الذَّبِيحِ أَخَى الذَّابِحِ وَابْنَ المَشْرِدِ السَّرْمَدَى^(٣)

وَعَجِيبُ أَمْرِ الْأَشْقَاءِ فِيهَا كَيْفَ زَادُوا فِي ذَنْبِهِ الْعَبْقَرَى
 لَمْ يَلْبُثُوا تَفَاحَ حَوَاءَ إِلَّا بِرَغِيفٍ مِنْ طَبْعِهَا الطَّيْنَى
 ثُمَّ زَادُوا عَلَيْهَا أَكُوسَ الدَّمْعِ تُرَوَّى مِنْ جَارِمٍ وَبَرَى
 وَيَحْتَمِلُهُمُ كَالْقَطِيعِ يَنْشُدُ رَاعِيَهُ . وَرَاعِيَهُ فِي فَمِ الْوَحْشَى

هَذِهِ الْأَرْضُ شَرْقَهَا خَلَقَ الْغَرْبَ فَلَمْ يَجْزِهِ جِزَاءَ الْوَفَى
 هَذِهِ الْأَرْضُ غَرْبَهَا قَتَلَ الشَّرْقَ وَوَارَى الشَّرْقَ بِالشَّرْقَى
 عَرَبٌ تَأْخُذُ الْأَعَاجِمَ عَنْهُمْ كُلٌّ فَنَ مِنْ الْبَلَاءَةِ حَى
 حَسِبُوا الْمَجْدَ أَنْ يَذِلُّوا لِعَبْدٍ وَمِنَ الْمَوْتِ أَنْ أَذِلَّ لِشَى
 وَيَرَوْنَ الْحَيَاةَ حُلْمَ غَبَى وَيُرُونَ الْإِيمَانَ حُلْمَ بَغَى

(١) الخَمِيسُ : الجَلِيشُ .

(٢) الْيِرَاعُ : الْقَلَمُ يَتَخَذُ مِنَ الْقَصَبِ ، وَمِنْ لَا رَأْيَ لَهُ ، وَاحْدَتُهُ يِرَاعَةٌ .

(٣) عَبَّ الْمَاءُ : يَغُبُّ عَبًّا : شَرِبَهُ بِلَا تَنْفَسٍ وَمَعْنَى : السَّرْمَدَى : هُوَ مَا لَا أَوَّلَ لَهُ وَلَا آخَرَ .

كفروا بالحياة إذ آمن الموقى وعاشوا كالسائم الأَرْضِي^(١)
فلذا حدثوا عن الصخر لانوا ومن الصخر رُقْة العربي
فهنا مصر أمة مسختها كالتماثيل عصبه السامري^(٢)
وطن جامع وحظٌ مُشْتٌ قَصَّة خَبَلت حِجَا القصصى^(٣)
عامل يصنع الحياة ويرجوها فتاتا يجفوه كلب الثرى
يؤثر الناس بالبقاء ويفنى ومن الظلم طينة آدمى
هَمُّ الفكر فى المجاعة والدين وعقل الفتى وسقم الصبى
سَمُّ الليل والملائك شكواه وأسماء صبحه بالشقى
وأخو الأرض ملئت الأرض كفيه وباحت بكل سرّ خفى
أطعمته ترابها واستبدت بقواه فلم يَعد بالقوى
يومه شقوة وجوع وعرى ومناه حياة هذا الفنى
يتنمى الحياة للقاتل الغاصب دعوى عريضة وغوى
ملهم بالفجور أفكاره الإثم وليل الساقى ويوم الخلى
لأنها قصة التناقض يا قوم فطوبى للثائر العبقري
بالنيل الخلود تحرمه مصر وتُهرِقه يد الأجنبي^(٤)

(١) السائم : الذاهب على وجهه حيث شاء .

(٢) السامري : من يتنمى إلى السامرة ، والعامري : عظيم من عظماء بني إسرائيل من قبيلة السامرة .

(٣) أشتت القوم : فرقهم ، وحظ مُشْت : مفرق ، ويقال : أشتت بني قومي : جملوني مضطربا فى أمرى .

(٤) هراق الماء يُهرِقه هَرَاقة : صبّه ، واستخدمها الشاعر بمعنى يستحله .

يا لشعب عبدانه البيض أحرار يسومونه عذاب العصي
يا لشعب عزت عليه الأمانى فهو في الدهر كالذليل الأبي

وهناك الشام أثقله القيد طليح يفنى بكف قوي
فلسطين جمة الشرق باتت مسرحاً للممثل الموسوي
وللبنان في يد الداعر الفذ انتفاضات فارس علوي
ولسوريا في الخافقين صراخ مضرى الأصداء شاجي الدوي
والعراق الهضم والأردن الضائع كل لصحه كالسنى
أمم حطمت بمعول شيطان ولقت بمجدها الوهمي
وحياة مريضة شاقها الموت وضجت من سجنها الأبدي^(١)
أين مجد بناء نور الحياتين يتم الصحراء راعي الجدوى^(٢)
أين فاروقها أمير المساكين وأين الصديق قلب النبي
لاحمى الشرق من بنيه ذليلاً وهو الشرق أمة الهاشمي

هاهي الأرض يا حبيبي ذئاب ... وذئاب.. من فاجر أو تقى
ملئت جازرين شبوا على الشهوة واستمرأوا طعام الغوى
ومجانين قيّدوا العقل بالشر .. وفكّوا غرائز البشرية

(١) شاقها : نزعته إليه واشتاقته .

(٢) الجدوى : الجدوى نجم قريب من القطب تعرف به القبلة . والشاعر قد استخدمها بكسر الدال . فهل هي جمع جدوى وهو الذكر من أولاد المزد . ولكن جمع جدوى : أجدى ، جيداء ، جدان . وعلى الرغم من أنه يقصد هذا المعنى إلا أنه أخطأ في جمعه .

رَقَشُوا الْكَونَ بِالْدمَاءِ وَغَنُوا كُلَّ لَحْنٍ مِنَ الْمَنَايَا بِكَيٍّ^(١)
عَبَدُوا الْمَالَ وَهُوَ لَمَعَ سَرَابٌ وَاسْتَظَلُّوا بِظِلِّهِ الْقَفَرَى

حَرَمُوا رَاحَةَ الْيَقِينِ وَعَبَّوْا كُلَّ كَأْسٍ مِنَ الشُّكُوكِ نَدَى
كَلَمًا جَاءَهُمْ نَبِيٌّ سَلَامٌ رَجَمُوهُ بِحَاصِبٍ شَهْوَى
لَيْتَهُمْ حِينَ قَدَّسُوا الطِّينَ كَفُّوا عَنْ أَذَى نَاسِكَ وَإِفْنَاءِ حَيٍّ
هُمْ كَمَا كَانَ وَالِدُوهُمْ وَأَرْبَوَا وَهُمْ الْقَاسِمُونَ فِي كُلِّ غِيٍّ
جَاهِلِيُونَ قَدَّسُوا جَاهِلِيَّينَ سَعَوْا نَحْوَ غَايَةِ (الَلَّاشِيِّ)

يَا نَصِيرِي إِذَا دَهَنَتِي الرِّزَايَا وَأَنَيْسِي فِي وَحَلَقِي وَنَجِيٍّ
يَا حَبِيبًا أَغْنِي فَوَادِي عَنْ كُلِّ حَبِيبٍ وَصَاحِبٍ وَصَفَى
أَنْتَ فَجْرٌ أَطْلُ وَاللَّيْلُ دَاجٌ فَمَحَا اللَّيْلُ بِالشَّعَاعِ السَّنَى^(٢)
أَنْتَ بَيْتُ الْقَصِيدِ وَالْكَونُ شَعْرٌ وَاسْمُكَ الْحَلَوُ فِيهِ مِثْلُ الرُّوَى
أَنْتَ مِنْ ذَكَرِهِ عَلَى الْقَلْبِ أُنْدَى مِنْ نَدَى الْفَجْرِ وَالنَّسِيمِ الرِّخَى
أَنْتَ أَلْهَمْتَنِي الصَّفَاءَ عَلَى الْكَرْبِ فَأَصْبَحْتَ كَالشَّعَاعِ النَّقَى
أَنْتَ عَلَّمْتَنِي الْجِلَادَ إِذَا مَا أَوْهَنَ الدَّهْرُ جَانِحِي بِالْقَسَى^(٣)
إِنَّمَا الْكَونُ يَا حَبِيبِي قُرْآنٌ بِهِ أَنْتَ آيَةُ الْكَرْسَى

١٩٤٤

(١) رَقَشَهُ يَرْقِشُهُ رَقْشًا : زَخَرَفَهُ وَنَقَشَهُ وَحَسَنَهُ وَزَيَّنَهُ .

(٢) دَاجٌ : تَامٌ الظُّلْمَةُ وَالْبَاسُ كُلُّ شَيْءٍ .

(٣) الْجَانِحَةُ : الْفَتْلُجُ الْقَصِيرَةُ مِمَّا يَلِي الْمَصْدَرُ ، جَمْعُهُ : جَوَانِحُ . الْقَسَى : جَمْعُ قَوْسٍ ، وَهُوَ آلَةٌ عَلَى شَكْلِ نَصْفِ دَائِرَةٍ تَرْمِي بِهَا السَّهَامُ وَهِيَ مُؤَنَّةٌ ، وَقَدْ تَذَكَّرَ ، وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهَا قَسَوَى .

سكرة

و أنت كأمي في حانة الحب
والشر . فكوني عقلا
أكن جنوناً ،

رق وجه النسمات فاملاً الكأس وهات^(١)
هاتها نشوانة من عبقري اللسات^(٢)
عطرناها كف ساقبها شجى النظرات
فأدرها .. جنّة تطفئ نار الذكريات
وتسرويك فتحي منك ميت الصبوات^(٣)

هذه نجواك في الليل أنين وبكاء
خلت سلوكك دموعاً وهي والحزن سواء
أترى يشفيك في بلواك طب أو دواء
ها هي الكأس قصور من رواق الندماء^(٤)

(١) النسمات : جمع نسمة ، وهي كل كائن حي فيه روح .

(٢) النشوانة : السكرة البتة النشوة .

(٣) الصبوات : جمع صبوة ، وهي الميل إلى اللهو ، أو الحنين ، أو التشوق إلى الحبيب .

(٤) الرؤى : جمع رؤيا ، وهي ما يرى في النوم . والندماء : جمع نديم ، وهو المصاحب حل
الشراب المسامر ويجمع كذلك على ندام . وهي ندعة .

واسبق العمر إليها والتمس فيها العزاء

قل لها يا كأس ماجدٌ من الدهر علينا ؟
نحن في الغربة خِلاً نِ الثِّقِينَا فبكِينَا
وضحكنا . . . واكتوينَا وظمئنا وارثوينَا
نشرب الأحلام خمرا كرمها في شفتينَا
ثم ماذا ؟ ثم مات الصبر ما بين يلينَا

هجت ذكرى الميت المد رج في بُرد أساه^(١)
تنسج الوحدة من حو ليه أكفان لظاه
آه يا كأسى من أكراداره بعد صفاه
آه يا كأسى من أشواقه رغم نواه !!
آه منك .. آه منه آه من طول بُكاه

يابنة النسيان كم مرّ (م) بواديك التَّدَامَى
قبلة منك أحلّست لهم الصفو الحراما !
حدّثنى يا كأس عنهم فلقد عفت الكلاما !

(١) المذَرَج والمدرجة : الكتاب الملقوف والرقعة الملقوفة ، جمعه مَدَارِج . والبُرْدُ : كساء
عظط يلتحف به . والأمسى : الحزن .

حدّثني كيف ذاقوا من ثنّياك الهياما
ثم ولّوا يحسبون الـ سُبُوم في القفر يماما ؟

* * *

أين نسيانك يا كأ س وأين السبحات ؟
أين واحات من الصفو نمتها الصيوات ؟
أين أفواف المنيّ البيـ ض وأين الضحكات ؟^(١)
كلها ماتت كما ما ت على القبر النعاة !
فلديك النور نارُ والأغريد شكاة !

* * *

آه من حبيّ يا كأ س ومن ذكرى حبيبي
حبيّ الزهرة تفنى بين نار وجدوب
وصدى ذكراه نجوى وتباريح غريب !!
هات نسيانك يا كأ س إذا كان طبيبي
أنت في الحزن نصيبي وهو في الحب نصيبي

١٩٤٤

(١) أفواف: جمع فَوْف: وهو البياض الذي في أظفار الأحداث، والواحدة فَوْفَة، أوجع: فُوف
الواحدة و فَوْفَة، وهي القشرة التي تكون على الحية، ويقال: ثوب أفواف: ثوب رقيق، أو ثوب فيه
خطوط بيض على الطول، وكذلك يقال: ثوب مفوف.

بيننا

« إلى التي خلقت لي من آثارها »

« تناقض الفكر ، وفكر التناقض »

بيننا .. أو بين زهر وشذاهُ بيننا أو بين بدرٍ وسَنَاهُ

بيننا ... أو بين جفنٍ ورؤاهُ بيننا .. أو بين لحنٍ وصداهُ

بيننا حبٌ وقلبٌ وأمانٍ حالماتُ

ومتاهات من الصَّفْوَ نمتها الصبواتُ

وسراب خادع اللّمْح ورىٌ وهيــــــــــــــــام

وربيع صامت الدُّوح جــــــــــــــــديد

وخريف مُبرع الروض خــــــــــــــــصيب^(١)

وأغانٍ كلُّ ما فيها نحيب

وأغانٍ كلُّ ما فيها طروب

وشروق وغــــــــــــــــروب

وتباريح سلــــــــــــــــو وتهايل غــــــــــــــــرام

بيننا كَوْنٌ من القرب وأَكْوَان من البعد الغريب

بيننا ليلة ضَمٌّ وليالى قبــــــــــــــــلات

، (١) المُنْزَع : المُخْصَب .

بيننا سبحة حلّمين أفاقاً من سباتٍ
 بيننا أنغام جنّان وصرخات رعساء^(١)
 بيننا جنّاتٌ تسهّد ونيران منام
 بيننا ... أوّاه ممّا بيننا
 بيننا ماضٍ من الأضواء يعشى جفناً
 بيننا مستقبلٌ يهفو للمّاح السّنا
 آه ما أظهر ماضينا وما أسمى على الحبّ صبا
 آه من مستقبل ضلّلنا ثم هدانا !
 آه من حاضرٍ أيّامى ومنك
 آه من نار يقينى .. آه من صحراء شكّى
 أنا من خلفته طيراً على الأفق جريحاً
 أنا من صيرته قلباً على الجمر طريحاً
 تنهاده أكفُ الفكر نشوان عيياً
 وهو يشدّو والبكاء العف ينساب خفياً
 أنا من تيمّه البعد وأضناه الحنين
 أنا من نجواه دمع ومراثيه شجون
 أنا بين الحب والذكرى وحرمانى سجين

(١) الجنّان : جمع ، جانّ . وهو خلاف الإنسان . جمعه . جنّات ، وجنّان .

أنا عشّ ضمه القفر وعافته الوكون^(١)

أنا قصر شيلته الريح فوق الزمن

ريح زقراني وبثي وبقايا وسني

أنا من قلت له أنت أنـ

أنا من ناح على ما بيننـ

بيننا .. أو بين زهر وشذاه بيننا ... أو بين بدر وسناه

بيننا .. أو بين جفني ورؤاه بيننا ... أو بين صوتٍ وصداه

الى سائل : من هم الناس ؟

دراهم يصنئها ربها لينفق ما شاء لا ما تشاء

ولو أنها خيّرت ما هوت ولا انتشرت في محيط الفضاء^(٢)

ولا صدئ الحر في كفه وذاق اللّخيل نعم الصفاء

ولا كان فيها المضيقُ المسيح وفي جنبه الباهري الضياء^(٣)

ولكن منجمه خالد وراحته لا تحس الفناء

وحانوته الزمن السرمدي وسلعته مهلكات القضاء^(٤)

ولا من يجاهد . قادراً وإن أجهده صروفُ البلاء^(٥)

هو البائعُ المشتري .. والمبيع والمشتري صنعه لا مرء

١٩٤٤

(١) الوكون : جمع : وكنّ ، وهو عش الطار حيث كان ، وجمع كذلك على : أوكنّ .

(٢) هوت : سقطت من هوتى هويًا وهويًا : سقط من علّو إلى سفّل .

(٣) الباهري : الشاهد الضوء من بهر القمر النجوم : غمرها بضوته ، وبهرت الشمس الأرض . عمتها بنورها .

(٤) الحانوت : دكان الخمار ، وهو حانة الخمار أيضا .

(٥) الصروف : جمع صرّف . وصرّف الدهر : تواليه وحده .

أوهام

« إلى لحنى الشارد »

يا أيها الشاكي جفاه الرقاد والدمع ذوب القلب في جفنه
هذا هو الليل فحي السهاد ونادم الذكرى على دنه^(١)

* * *

هذا هو الليل طواه السكون في بردة لفاء كالطلسم^(٢)
لم تحترق إلا بنار الشجون وزفرة الملتاع والمغرم

* * *

وسدت آمالك بطن الثرى ولم توسد رأسك المثقلا
وأظلمت دنياك مما جرى وأوشك المدبر أن يقبلا

* * *

أصبحت كالنجم طواه الأفول ولم تزل منه بقايا شعاع
تهم في الأفق عراها الدهول وعمرها رهن بكف الضياع

* * *

(١) السهاد : الأرق . الدن : وعاء الخمر ونحوها ، . جمعه : دنان .
(٢) الطلسم ، والطلسم : في علم السحر خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطباع السفلية بلطب محبوب أودع أذى ، وهو لفظ يوناني : والشاع على الألسنة طلسم كجفر ، ويسمى كل ما هو غامض مبهم كالألفاظ والأحاجي : طلاسم ، وقد استعملها الشاعر بالشائع فيها .

الحب والأحلام في ناظرينك لمع مراب شاع في مَهْمِهِ
والشعر والأنغام في مِسْمَعِيكَ دنيا من الحرمان لا تنتهى

* * *

ضاعت لياليك على فقرها من راحة القلب وصمت اللسان
ثم مضت نجواك في إثرها صباة تُلْهَبُ كأس الزمان

* * *

هذا الزمان الطِفْلُ في لهوهِ أعمقُ فِكْراً من حِجَا الفيلسوفِ
حُرِمْتَ ماكشِتاك من صفوهِ وعشتَ فيه كخيال يطوفُ

* * *

تسير مقهوراً إلى غايصة مجهولة المبدل والمنتهى
وكم أراك الدهرُ من آية أحوال المجفوء كالمُشْتَهَى

* * *

الكون مسدولٌ عليه سِتار من ظُلمة الغيب الذى لايبين
يصارع الليلُ عليه النهار والدهر يحثُّ خطى الراحلين^(١)

* * *

ياللرياض الوارفات الظلال تضمُّ أفوافَ الزهور الرطاب^(٢)

(١) بحث : يُعْجِلُ من حِجَّةِ بحثه حتّى : أعجله إعجالاً متصلاً ، وقد كتب الشاعر خطأ : بالياء
وهى خطأ في رأى جمهرة العلماء خلافاً للكوفيين الذين يكتبونها بالياء لأنها مضمومة الأول ويصرفون النظر
عن أصلها الواوى

(٢) الرطاب : فضيجُ البُسْر قبل أن يصير تمراً ، وذلك إذا لاذ وحلا ، جمعه رطاب .

لا يعرف الزَّنْبَقُ معنى الكلال ولا رضيعُ الطير معنى العَذَابُ^(١)

* * *

أتى عليها بعد صيفٍ شتاء ومن ربيع العيش جاء الخريف
لم تستطع دفع عواذى الفناء المارد العاقى لديها ضعيف

* * *

يا للقفار الثائرات الحزُون المجدبات الساكنات السُّهول^(٢)
الليل فيها مذبجٌ للمنون والصبح فيها مسرح للذهول

* * *

ضفافها ما ينسج الناظرُ من ذروة أو غيلة أو فضاء^(٣)
يسبق فيها القدم الخاطرُ والحي والميتُ لديها سواء

* * *

ما بالها لا تشتكى من جدوب ولا يذِلُّ الوحش فيها الظلم^(٤)
الصوت صوتٌ من شَجٍ أو طروب والريح ريحٌ من صَبٍّ أو سَمُوم

* * *

يا أيُّها الشاكي وقلبُ السُّجى حانٍ على الساهد والساهده

(١) الزَّنْبَقُ : نبات له زهر طيب الرائحة طويل كالخربة ، يقلب عليه اللون الحمري ، الواحدة زنبقة ، وهو دُهنُ الياسمين كذلك .

(٢) الحزُون : الحشة الغليظة ، من حزن المكان يحزن حَزُونَةً : إذا خشن وغلظ .

(٣) النيل : كل وادٍ فيه عيون تسيل .

(٤) الظلم : الذكر من النعام .

طارَتْ بِأَلْحَانِكَ رِيحُ الشَّجَى وَلَمْ تَغِبْ عَنْكَ رُؤَى الْجَاهِدِ

* * *

تِلْكَ الَّتِي ضُنِنَتْ بِنَيْعِ الْحَيَاةِ يَرُوى رِيَاضُ الْأَمَلِ الْوَارِفِ
حَالِ اسْمُهَا الْحَائِرُ بَيْنَ الشِّفَاةِ خُرَافَةٌ فِي قِصَّةِ الزَّائِفِ

* * *

وَأَنْتِ وَالْكَوْنُ بِمَا يَحْتَوِيهِ تَضْيِيقُ بِالْكَوْنِ وَبِالْكَائِنِينَ^(١)
وَتَحَسِبُ الْقَفَرُ الَّذِي أَنْتِ فِيهِ جُنَايَةَ الْمِيلَادِ وَالْوَالِدِينَ

* * *

رَحِمَاكَ ... مَا هَذَا الَّذِي تَدْعِي إِلَّا خِدَاعُ اللَّهْفَةِ الْجَائِعَةِ
فَاذْهَبِ إِلَى خَالِقِكَ الْمُبْدِعِ وَغَنَّهُ الْأَنْشُودَةُ الضَّائِعَةُ

* * *

أَنْشُودَةُ الشُّكِّ الَّذِي لَا يَنْبَى يَوْقِظُ فِيكَ الثُّورَةَ النَّائِمَةَ
وَيَطْلُقُ الْأَلْحَانَ فِي الْأَرْغُنِ فَتَسْتَضِيءُ الْفِكْرَةَ الْقَائِمَةَ^(٢)

* * *

وَتَسْبِغُ الْأَوْهَامَ فِي كَوْنِهَا مَحْبُولَةٌ كَالشَّبَحِ الشَّارِدِ
هِيَ الَّتِي رَبَّتَكَ فِي سَجْنِهَا فَتُهَتَّ عَنْ سَوْقِ الْمَتَى الْكَاسِدِ

* * *

(١) الْكَوْنُ : الوجود المطلق العام ، والكون عالم الوجود ، ويجمع على أكوان ، والكوئان : الدنيا والآخرة .

(٢) الْأَرْغُنُ : آلة موسيقية نفخية ، بها منافخ جلدية وأنابيب ومفاتيح لتنغم الصوت ، والقفزة يونانية

تعيش للفانين عيش الزنيم وأنت أنت السيد الأمر^(١)
في ملكك العلوى فوق السديم تحنو على أربابها عبقر^(٢)

* * *

وحدثك الخرساء رمز الإله وعمرك التائه سفر الزمن
وصوتك الباكي عليه صداه قيثارة مفتونة بالشجن

* * *

ماللرياض الوارفات الظلال وما لهذا القفر في عالمك
أنت الذى يعيش فيه الخيال يضحك كالمجنون في ماتمك

* * *

رفقا فلن يشقى بك الأحسد إن أنت أثقلت أكف النعاه
هذا القضاء القاهر الخالد حتم على كل ضحايا الحياه

* * *

عيشك ؟ ما أحلى وما أنضرا إن أنت لم تأس على الفاتئ
مضى ... فما أحراك أن تقبرا ذكراه في مضجعا الصامت

١٩٤٤

(١) الزنيم : الدحمى ، وهو الملحق بقوم ، والزنيم : المعروف بلؤمه وشربه .

(٢) السديم : الضباب الرقيق ، و... مجموعة نجوم بعيدة جداً تظهر كأنها سحابة رقيقة ، ومنه
الجمرة ، جمعه شدم ..

دنيای

دنيای يا دنيای بين الطلا والنسای
هذي دموع أسای تَخَذْتُهَا ملوای

* * *

دنيای ما أقسى جرحك في قلبي
ما أظماً الغرماً في واحة الحب

* * *

هاتيك يا دنيای أنشودني وحدي
إخالها رؤيساً من عالم الخلد

* * *

هاتي لي الشعرا مهلهل الأوزان
ينسج لي قبرا في مَهْمِهِ النسيان

* * *

ما ضر من نادى للموت أحلامی
لو أنه عاداً فضم أيامی

* * *

ماضي به نساءت جوانح القيثار

ولَّى كما شاءت سخرية الأقدار

وحاضرُ سَأْمَانٍ عاف الشجى كاسَا
ما فيه من إيمانٍ لا ينفع الناسَا

وقابل مجهولٌ تطويه أكفأه !
زورقه المخبول لم تدُنْ شطآنه

هذا هو الـركبُ أضناه حاديـه
ودمعه الرطبُ شكوى مآقيـه

هاتى لى السـلـوـى تزهـرُ ربّا نفـيـى
أو قربى الخطـوا من ظلمة الرّمـسـى

دنيـاى من آهاتٍ نديها جمـرُ
فى خاطرى موجاتٍ ما ضمها بحرُ

الخمر والأنفـام فى حانة الأيـام

مشبوبة الإلهام من جاحم الآلام

* * *

والخاطر اللّـبـاح في أفق الأقداح
يهفو إلى مصباح من عالم الأفراح

* * *

والشارب المخمور من راح أقداره
نشيد المسحور صاد كقيثارة

* * *

في هكل الأحزان أنفقت أيتامى
كأنما الأزمان تشقى بأسقامى

* * *

أطوف بأفانين كالآهنة الجرى
أرسلها مسكين يرثي بها العمرا

* * *

يا ناشر العمر في كفك الطي
النار في صدرى والميت الحى

١٩٤٤

الشعوب

• بين الرعاة والذئب •

شيأُ تُرجى اخضرار الجدوب	لتسمن للذئب لا للحياة
تنام على الشوك حتى إذا	نما الوردُ كان دخاناً شذاه
وراع طوت نايه السافيات	وغاب بجوف الروابي صده
ينوح نواح الغريب الطليح	إذا أذكرته الليالي هواه ^(١)
ويسدري المدامع متأنسة	فيرمض بالنار قلب الفسلاه
وللذئب من حوله شريرة	تصول إذا ما وهى جانباه
يرى الراعى الغرَّ يبكى مناه	وينسى الرعيل وينسى عصاه ^(٢)
فيشرع من ناظريه المدى	ليقطع عنها سبيل النجاه
وإن أيقظ الذئب صوت الدماء	فلا ترتقب غير نوم الرعاه

(١) الطليح : الخائر ، والطليح : المبي ، والمهزول والمجهود ، جمعه : طليحي .

(٢) الرعيل : الجماعة القليلة من الرجال أو الخيل ، أو التي تتقدم غيرها ، ويقال : فلان من الرعيل

الاول ، من السابقين .

« من وحى الضحايا »

ابن الطريق

« إلى طفولة مشردة نبيع
أوراق اليانصيب »

أَلَقْتَ عَلَيْكَ اللَّيَالِي ثوبَهَا الْبَالِي وَضَعْتَ مَا بَيْنَ تَجْوَالٍ وَتَسَالٍ
أَيَّامُكَ السُّودَ عِقْدَ ضَلٍّ نَاطِمِهِ وَجِدْتُ عَمْرَكَ مَذْبُوحَ كَأْمَالِي
وَيَحْيَ عَلَيْكَ هَشِيمًا ضَمَّهُ كَفَنُ وَدُرَّةٌ غَيَّبَتْ فِي قَبْرِ أَوْحَالِ
وَيَحْيَ عَلَيْكَ وَوَيَحْيَ مِنْكَ مَاوَهَنْتَ مِنْ نَارِ بُلُوكَ أَصْلَابِي وَأَوْصَالِي^(١)
أَنَا الَّذِي ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِفَرَحِهِ وَلَمْ تَضُقْ بِجِرَاحَاتِي وَإِعْوَالِي

* * *

يَا بَنَ الطَّرِيقِ خَلَّتْ إِلا مِنْ الظُّلَمِ وَعَاصِفٍ لَيْسَ يَدْرِي رَحْمَةَ النَّسَمِ^(٢)
وَشَاعِرٍ جَزَعٍ كَانَتْ مَلَا حُنْهُ بُرَّةُ الطَّلِيحِ فَأَمْسَتْ عِلَّةُ السَّقَمِ
رَأَاكَ فَاهْتَزَّ خَفَاقُ بَأْضَلْعِهِ وَرَتَلَتْ شَفَتَاهُ سُورَةَ الْآلَمِ
وَأَجْهَشَ النَّأْيُ فِي كَفِّهِ مَرْتَعَشًا وَلَمْ يُرَوْ الْبُكَاءُ مَا فِيهِ مِنْ ضَرَمِ
اللَّيْلِ لَيْلِكَ يَا بَنَ اللَّيْلِ أَخِيلَةً وَقِسْمَةً ... وَلَشَعْرَى دَامَعَ الْكَلَمِ

* * *

(١) ويحي: ويع كلمة ترحم وتوجع وقيل هي بمعنى « ويل » التي هي كلمة عذاب. والعشيب: فقار الظهر، جمعه: أصلب، أصلاب. الوصل: الفصل، أو مجتمع العظام، جمعه: أوصال.
(٢) النَّسَم: الروح، أو الريح الينة قبل أن تشتت.

أخى وقد ضمننا من آدم نسبٌ
تبيع للناس حظَّ المال مضطرباً
يا أيها القفرُ رقت فوق راحته
يا أيها الكأس يروى الناس من ظمنا
فإذا جنبيت فما ترعاك والدة
ومن مقاديرنا الآلام والتوب^(١)
ودمعة اليم في عينيك تضطرب^(٢)
ريحانة من شذاها الجاه والحسب
وجوفه مرمض الأحشاء ملتهب^(٣)
ولم يُفِض من حناياه عليك أب^(٤)

* * *

أخى أناديك فارحم شاعرا نادى
هذى القصور التي تاهت بساكنها
لم يكفه المال دققاً بعيلمه
أنسته آماله الآلام إخوتـه
وملء هذى الدنى أشلاء مذبحه
لما يجد غير باكى شعره زادا
عادت إلى صمتها الساجى وماعادا
فشاد من ماله فى الأرض أطودا
فعاث فى الأرض إعداما وإفسادا
كان القضاء بها سوطا وجلادا^(٥)

* * *

تكفيك منى دموعا ليس تكفينى
أبكبك طفل الأماني قام هيكله
أبكبك دون وداد غير أن دمي
وأنت يا أيها القاضى الذى عصفت
رحمناك إن الضحايا غاب كوكبهم
والدمع ينقع أكباد المساكين
على عماد كذاوى الزهر موهون
تعيث فيه المنايا عيث مجنون
أحكامه بضحايا الماء والطين
وحرروا سمعهم عذب الأرائين^(٦)

١٩٤٤

(١) التوب : جمع توبة . وهى التازة والمصيبة

(٢) حظ المال : كناية عن أوراق اليانصيب وبائنها .

(٣) المرمض : المحترق . من أرمض الشيء : أحرقه .

(٤) فى أول البيت مأخذ عروضى غنى .

(٥) الدنى : جمع دنيا . الشئو : العضو . القطعة من اللحم .. البقية من كل شئ ، جمعه : أشلاء .

(٦) الإرنان : صوت الشهيق عند البكاء ، جمعه : أرائين .

خریف

إلى أول الخافى... وآخرها أولى نفسى بين نفوس الشعراء.

قالوا الربيع ! فقلت لا ... أدريه من عمر الزمان
أنا ما عرفت سوى الخريف .. أعيش فيه بلا أميان
شربته أيامى الحزينة ملء أكواب الهوان
ورأته روحى عالماً ما فيه للسوى مكان

* * *

قالوا الربيع .. !! فقلت ما أشقى حياتى من حياة
أو هكذا أمضى وما بلغت من أمل مداه ؟
أنا ذلك الفجر المحير ليس يهديه سنانه
ضمته أكفان الدجى وطوته أحشاء الفلاة^(١)

* * *

ذهب الصبا ... وقنعت من ذكراه بالجمر المذاب
وأنى الشباب فخبيرينى أين أحلام الشباب ؟
ردى على إذا أردت فملء عينيك الجواب
وإذا بكيك فلا تقسو لى شاعر فقد الضواب

* * *

(١) الدجى : سواد الليل وظلمته .

يا حلم أيّامى النّى ولتْ وحلم الباقياتِ
 بينى وبينك فى الهوى قلبى الجريحُ وأمنيأتى
 هذا سجين أضالِع فنيت على جمر الشكاةِ
 ومُنَاى أَذْبَلْ زَهْرَهَا الظمان عصف النّائباتِ

خُفْتُ لى دمعَ اليتيم وسُهدَ ليلاتِ الغريبِ
 وشبيبَ أنفاسِ الشُّسُروقِ وصمتِ أطيايفِ الغروبِ^(١)
 وحنينِ شادٍ موجِعٍ يهفو إلى الوكر الحبيبِ^(٢)
 نجواه وحى صفائِهِ وأنينهِ وحى الكروبِ

يا بنت عبقرٍ والشجـو نْ تنامُ فى أحضانِ نفسى
 سلوى عنك خداعِ ما فى الكأس من خمر التّاسى
 أنا حلمك الماضى الذى أنسيته .. والبعد يُنسى
 ألوتِ بعمرى سافيا ت الدهر من جذب وبؤسِ^(٣)

* * *

يا أول الألعانِ ما لى عن تعشّقك اصطبار^(٤)

(١) الشّيب : الاتقاد من شبت النار تُعَب : اتقدت. أطيايف : جمع طيف ، وهو الخيال الطائف ، وقوس قزح وألوانه .

(٢) الشّادى : المُفتّى ، جمعه : شدّاة . الوكر : عُش الطائر الذى يبيض فيه ويُفرخ ، جمعه : أوكر ، أوكر ، وكور . والوكر : ضربٌ من العذوكانه التزو .

(٣) السافيات : جمع سافية وهى الريح التى تحمل التراب وتلذه .

(٤) الاصطبار : التجلّد وعدم الخزع مع الهدوء والاعلمتان .

حيثك من وادى الجرا ح نسائم فيها سُمَارُ
حيث الحياة روابية مالى بمسرحها قَرَارُ
حال النمير بها لظى والليل من أرقٍ نهارُ^(١)

* * *

أين الليالى النابغية في جِى الصبوات ... أيننا؟^(٢)
أيام كنا نحسب القبلات إيفاءً وديننا
ويد العفاف تَضَمَّنَا فتضمُّ إنسانا وعيننا
يا خلدها من حقبه جاد الزمان بها علينا^(٣)

* * *

كم ليلة سرقتك من سنة الكرى أصداء شعرى
ولقيتني فنسيت فيك تعاسى ونسيت عمري
وشربت من عينيك ما أهواه من نشوات سكرى
وظننت عمري كله زهراً .. فكان هشيم زهرى

* * *

عودى إلى وسلسلى نغم اللقاء الأول
لا نجعليني شاعراً يبكى بكاء الثاقل
عودى إلى فلست أدرى ما الذى قُـلُّـر لى
أعيش حتى نلتقى أم ذاك وهم الداهل

١٩٤٤

(١) التمر : من الماء الطيب الناجع في الرمى . والليالى النابغية : ليالى الهم والأرق .

(٢) الصبوات : جمع صبوة وهي الميل إلى النهو أو الخنن .

(٣) الحقبه من الدهر المدة لاوقت لها ، أو السنة ، جمعه حقب ، حُـقُوب .

فكر

مجالى الصبا لا طواك الزمن ولا فترت عن هوائك الشفاء^(١)
ولا زلت رغم جراح المحن ينابيع تروى جندوب الحياة^(٢)

* * *

إلى فجرك الرطب حن النظر وفى حلمك العذب عاش الخيال
وها أنا بين فيافي القلندر صدى غنوة ماوعتها الليال

* * *

إذا سألتنى أماني الشباب عن النور يُعشي جفون الظلم
أقول لها فى صباى الجواب وفيما طواه الليل من نغم

* * *

أنا الشارد الخطو أخلو الأمل وليس له فى وجودى مكان
(أنا) ذلك اللغز لما يحل ومظهره الفرد صوت الهوان

* * *

أنا .. من أنا؟ حلتى يانجوم وإن لم تجيبى فلن تُعَبِّى
كلانا برفه لينالى الهموم وضئيع فى زحمة المؤكب

* * *

(١) المجالى : مواضع الصلح من الرأس ، ومنى مقاديسها عادة . واحدها (مَجَل) .

(٢) الجندوب : الماحل وهو ضد الحصب .

ومن أنا أو أنت في العالم ؟ وإن غبتُ أو غبت ماذا يكون ؟
سيروى جوانح قبرى دمي وتأكل من جانبك السنون

* * *

بربك لا تسخرى من بكائى فما أنت ممن يذيلُ الدموع^(١)
وما أنت إلا كباقى مُنْساى تموت وتولد بين الضلوع

* * *

أراك سثمت نداء الحزين وما هو إلا شهابٌ خبا
فلا تسلكى في عداد السنين لياليه بعد فوات الصبا

* * *

أنا من أنا ؟ حدثى يا نجوم وإن لم تجيبى فلا تطلعي
وحسبى من العيش هذى الغيوم تُغشى سماءى وتبكي معى

* * *

ويا أيها الفرد فى قدرته يدبرُ أمرى كما يشتهى
أريح طائرَ السجن من شقوته فلن تنتهى قبل أن تنتهى

* * *

أرى العمر يوغل فى خطوه ولو شاء مُطلقه قيسده
لعل الذى فات من صفوه يردُّ إليه الذى أفقده

* * *

(١) ذال الدمع يكيل ذيلًا : سقمه .

ويا ليت روحى على جديها تَرَاخُ من السافيات الشداذ
ويا ليت نفسى على كربها تُلَقِّنْ غير معانى الحداد

* * *

هو الكون ينسل كالكاثن صَلَاةً من الشر ما إن تريم^(١)
ولو شاء رَبِّي لما راعنى بها كل حين كَأَنى رجيم

(١) الصَّلَاة : جمع صَلَّ . وهو الحية من أخصب الحيات . ما إن تريم : أى لم تفارق مكانها .
يقال : مارام مكانه ، ومارام من مكانه : ما فارقه . ورام مكانه : بترحه .

« من وحى الضحايا »

غانية^(١)

بين همس الشفاه والأحداق والليالى تفيض بالعشاق
والكثوس النشوانة الراح تندى بدم القلب والشباب المراق^(٢)
والضحايا لهم مع الدهر حرب وخطاهم ما صوّرت لسباق
يستضيئون فى الظلام بجمر سرمدى الدخان والإحترق
شبّ فى أكْبُدٍ ماها على الأيّام دمّع كالهاتن الغيداق^(٣)
بين ركب المنون عشت وما زلت ترين السموم كالترياق
أى واد ترجين لوعشت فيه غير واديك يابنة الأسواق
فى طوايا النسيان والعدم والذلّ وبين الحديث والإطراق
كل هذى اللقى أمامك قبر سوف يطويك رغم طول الفراق
لاتلومى القضاء فهو كعينيّك إذا ما تراشقا خفّاق^(٤)
نافذ السهم ليس يرأف بالشاكي وكفاه إقدرة الخلاق
فدعى الماضى المغيّب فى الدهر وطبرى حلماً - على الآفاق
ربّما شئت لحظة من صفاء هو فى الدهر كالسنا البراق

١٩٤٤

(١) « من وحى بنت من بنات الليل »

(٢) الرّاح : النّحر ، والارتياح .

(٣) الغيداق من الرّجال : الكرم الجواد . ومن العيش : الواسع المخصب .

(٤) تراشق القوم : تناصّلوا . والخفّاق : الكثير الخفق ، والخفق : التحرك والاضطراب .

حرمان

« إلى زمني »

يا ننديمى هات الأباريق هات إنَّ يوم الصفاء ليس بآتٍ
كان حياً فبات . إذ شَرِدَ الذَّهْرُ خطاه . مكفَّنًا بحياتي
يا ننديمى ماذا تُرجى من العَيْنِ سِوى أن تفيض بالعبرات
صبغةُ الله إنها ربةُ الجمرِ وأنى أهِمَّ بالجمرات^(١)
لأتدعى إن شئت نسيانَ همى واسقنيها حُلْدِيَّةَ النَّشْوَاتِ
هاتها كالنسيم أطلقه الفجر رخيًّا معطر النفحات^(٢)
هاتها نجمة مشعشة اللَّمَحِ وأفقاً مُضَوًّا الجنبات^(٣)
هاتها لذة كهَمِيس العذارى فى ظلال الأحلام والصبوات
أقسمَ الجأَمَ ما لديه سواها رقرقتها روائح الجنَّات^(٤)
هاتها هاتها . فقد عَمِيَ اللَّيْلُ ونفسى من عالم الظلمات
لا يَصِرُكَ السُّهُومُ فى نظرائى والأئين المنسابُ فى كلمائى
فأنا ابنُ الحرمان : زهرى شوكٌ ورياضى جِوَاهِرُ الفلوات^(٥)

* * *

(١) الجُمرة : واحدة الجمر . وهى القطعة الملتهبة من النار ، جمع : جَمْر ، جِمار ، جمرات .

(٢) النَّفَحَات : جمع نفحة : وهى الطَّيِّب الذى ترتاح له النفس .

(٣) مُضَوًّا : من تَضَوَّ الشَّيْءُ تَبَصَّرَهُ فى الضوء وهو فى الظلام ليراه .

(٤) الجَلام : الكَلَس .

(٥) الجِوَاهِرُ : جمع جَاحِم ، وهو القطعة الملتهبة من النار .

هاتِ لِي من شفاهها قِبَلات الطَّيِّر تروى مراشف الواحات (١)
 باركتها العصورُ من عهد باكوس فكانت تميمه الآلهات (٢)
 هي في خاطر الزمان عجزٌ وهى في خاطرى شبابُ الحياةِ
 هي دِيرُ النِّسيان . رابهة الدُّنْ صلاة الأرواح في الخلوات
 رَقَصَتْ فوق صدرها شُعْلُ النَّـورِ حَبَاباً (٣) مُفَوِّفٌ (٤) القطرات
 واستدارت كالعين تُغْشِي وتُنْشِي بلحاظٍ مسحورة للمحات
 هاتها يانديم كالرَّشَا (٥) النسا ثم في مضجعٍ من الزهرات
 واسقنيها . أنا الشباب المولَّى شادَ دنيائى هادم اللذاتِ
 ودعِ الناس ما أضلَّ حِجَاهُمْ . وعليهم خوالدُ اللعنات
 ناه عَقْلِي فلا أَقْلُ من النِّسيان أرجوه كي يطول سُباني

* * *

إيه يا ساقِ المجانَةِ والله و تظنُّ الغرثانَ كالمقتنات (٦)
 مادهتكَ السَّنون مثلى فعجلْ بذهابِ لضائعي السكرات

(١) المرافف : جمع مرشَف ، وهو موضع الرِّشْف . الواحات جمع واحة ، وهى الأراضى الخصبة فى صحارى رملية .

(٢) باكوس : إله الخمر عند اليونانيين .

(٣) حباباً : الحباب طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح ، والحباب كذلك : التماقيع على وجه الماء .

(٤) مُفَوِّفٌ : رقيق ، يقال : ثوب مفوف أى رقيق .

(٥) الرِّشَا : ولد الظبية إذا قوى وتحرك ومشى مع أمه ، جمعه : أرشاء .

(٦) المجانَة : المزاح وقلة الحياء . الغرثان : الجوعان .

ها هو المسال في يديك فنادمه سراباً يعجُّ بالثرهات^(١)
لست عبداً له وما كنت عبداً لآله مبهرج الآيات
أنا عبدُ الجمال والفكر والخير وعبد الحقائق الخالدات
أنا عبد العقل المغلف بالصمت وإن كان ناطق المعجزات
في الصحارى تفيض بالعزم صماءً لديها الأحياء كالأموات
والروابي تفيض بالشعر فيحاء تروى الأشواك كالوردات
كل مافي الوجود سحرٌ وفنٌ وانطلاقٌ من جائر الرّاحات^(٢)
غيرُ هذا السجين في الأضلع الجوف طريد المقادر الجانيات
حسب الناس من قلوب فجّازي سيئات الطغام بالحسنات^(٣)
فإذا هم يَشرون أيامه البيض بأيام جـذبته الحالكا
صلةً للأنام مازال فيهم أثرٌ من مجارم سالفات^(٤)
ليتهم يذكرون يوم أبيهم إذ أضلته أول الحيات
أطعمته تُفاحة حرّمته من ظلال الفرادس الوارفات^(٥)
ليتهم . ليتهم . وما أضيع العمر إذا ما وهبتهم أمنيات
ليتني قد جهلت أنّي حيٌّ لأقضي الحياة صافي الحياة

(١) الثرّهات : جمع ترّة وهي الباطل . و.. القول الخلال من نفع .

(٢) الرّاحات : جمع راحة وهي واحدة الرّاح . أي الأكف (باطن اليد) .

(٣) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم . و.. الضعيف والرديء من كل شيء .

(٤) مجارم : ذنوب من جرم يجرم جرعة أي أذنب .

(٥) الفرادس : جمع فردوس وهو البستان والجنة . (ويذكر ويؤنث) الوارفات : جمع وارقة .

وهي المنسمة . من ويرف الظل : اتسم وطال وامتد .

أنا أمشي في الناس بائعٌ خبز زاهداً فيه قانِعاً بالفتاتِ

* * *

يأندى أترع كؤوسك جمرًا فيه رى الشفاه واللّهوات^(١)
طرح القيد فانطلق بى هوناً نتنسم عواطر الخطرات^(٢)
وارأى النفس صفحة أثبت الله عليها ماشاء من لوحات^(٣)
إن نفسى شواء من أثر الحزن فرقرق تميمة الجلوات^(٤)
واغتبى نورها على ذكر آمال طوتها مجاهل الذكريات
إنما هذه الحياة تهاويل نمتها الأيام مختيلات^(٥)
فاطو سفر الحياة زهرا وخمرا واحتبلها رنانة الضحكات^(٦)
جهل الناس لادواء سوى الكأس تُرينى ماتم النائبات
من مجير الشاكي سواها ومن غيرى من الناس نابغى الشكاة ؟
هاتها باسم فكرة شردت عني وأمست في ذمة السافيات
أو مجال فينانة في خيالى مزقتها فوائك الثورات^(٧)

(١) اللّهاة من كل ذى خلق : النحلة المشرقة على الحلق ، والهنة المطبقة فى أقصى سقف النعم

جمع : لهزات .

(٢) عواطر : جمع عاطر وهو المذهب للطر أو المكثر منه . الخطرات : جمع خطرة ، وهى الوقت يقال : ما لقيته إلا خطرة . أى أحيانا .. وخطرة من الجن : مس .

(٣) أراى النفس : عاينها وعطفها .

(٤) الجلوات : جمع جلتوة وهى ما يعطها العروس لعروسه وقت الزفاف .

(٥) مختيلات : مفسودات أو مشلولات من اختيل بمعنى فسد عقله وجن . أو شل .

(٦) احتبلها : اغتنمها . من احتل القرصة : اغتنمها .

(٧) الثواتك : جمع فائك وهو النادر المقتال .

أَوْ نَعِيمٍ عَبْتُ كَيْسَالِي مِنْهُ خَمْرٌ وَضَلَّ يَتِيهِ بِالْقِبْلَاتِ
أَوْ جَحِيمٍ شَأَى الْجَحِيمِ عَذَاباً مِنْ جَحْمُودٍ وَحَرَقَةٍ وَشَنَاتٍ^(١)

هَاتَهَا بِاسْمِ حُلُوةِ الْوَعْدِ وَالذَّلِّ وَسِرِّ الْقَيْشَارِ وَالْأَغْنِيَاتِ
أَهْ يَا صَاحِبِي وَأَوَاهِ مِمَّا خَلَفَتْهُ لِلْقَلْبِ مِنْ آهَاتِ
سَهْدَتْنِي وَاسْتَسَلَمْتَ لِنَسَامٍ هَنَيْتَ فِيهِ بِالرُّؤْيِ الْهَانِثَاتِ
كَمْ نَعَمْنَا بِالْوَصْلِ يَهْزَأُ بِالْدهْرِ حَثِيثُ التَّسْيَارِ وَالْخَطَوَاتِ^(٢)
لَا حُدُودَ الْمَكَانِ تَأْسُرُ رَوْحِنَا وَلَا دَائِرُ مِنَ الْأَوْقَاتِ
كَمْ طَوِينَا الضِّفَافَ وَهَنَانَةَ الرَّمْلِ نَهْزُ الضِّفَافَ بِالْخَطَرَاتِ^(٣)
وَطَوِينَا الْمَوْجَاتِ رَوْحِينَ طِفْلَيْنِ نَرِيقُ الْحَدِيثِ كَالْمَوْجَاتِ
لَيْلَ طِفْلٍ وَطِفْلَةٍ عَبْقَرِيَّيْنِ يَهِيْمَانِ بِالْصَفَاءِ الْمَوَاقِ
عَرَبِدْتَ فِي قَلْبَيْهِمَا نَشْوَةَ الْحُبِّ وَكَمْ لِلْغُرَامِ مِنْ حَانَاتِ
وَشَرَاعِ السَّفِينِ تَسْكِرُهُ الرِّيحُ فَيَسْرَى عَلَى هَدْيِ الزَّهْرَاتِ
وَالْمَجَادِيفِ عَطَّلَتْ غَيْرَ سَاقَيْنِ اسْتَرَاخَا إِلَى لَذِيذِ السَّبَاتِ
أَنْتِ سَكْرَى بِخَمْرَةِ الشَّعْرِ يَنْسَابُ حَنِينَا مَرْفَهُ الْآهَاتِ

(١) شَأَى : أعجب وشاق . وشأى . أحزن .

(٢) التَّسْيَارُ : الذهاب في الليل . والتَّسْيَارُ : المبالغة في السير .

(٣) الْوَهْنَانَةُ : من النساء : الكَسَلُ عن العمل تنهماً . وَالْخَطَرَاتِ : من خطرٍ يَخْطُرُ خَطُورًا
(وَالشَّيْءُ) لَاحِظٌ فِي فِكْرِهِ وَذِكْرِهِ بَعْدَ نِيَادِهِ . أَوْ خَطَرٌ يَقْلِبُهُ مِنْ أَمْرٍ ، أَوْ رَأْيٍ ، أَوْ مَقْصِدٍ .

وأنا الشاعر المغرّد في دَوْحِكَ عَفُ الأَلحانِ والنغماتِ
 يتهاذى خدّى على خدّكَ الورد يَناجيه عاشقُ النسماتِ
 نَهَبُ الكون قُبلةً يسجد الثغر لديها مطهّر الصلوات
 ثم نغنى في الكون أقدس روحين . لنحيا في عالم السّبحات
 طُهرنا ديننا وللناس أديان وبعض الأديان من شهوات
 نتمنى على الزمان الأماني معجزات تُخالُ في الممكنات
 أين منى يا أخت أطيفها الحور وأين الشريد من ليلاى
 حدثيني عنها فقد غلّ الهجر لسانى وجفّ من زفراقى
 آه من ذاهب شقيت بذكراه وأوّه من مخافة آت
 إن تعودى إلى تبسم حياتى وإذا غبتِ ليس لى من حياة
 صباوى ضاعت فردى على اليوم ماتكثزين من صَبَوات
 واعدرينى وقد بخلتِ إذا طالت على نضرة الصبا حسراى

* * *

يا نديمى أفرغ مدامك إن شئت وهبني ماعفت من كاسات
 هاهو الفجر فاستفق يا أخا الفجر ودعني أعش مع الظلمات
 وإذا ما سئلت عني فحدّث عن شباب سلواه من آفات
 واعف عني إماما فقدت رشادى وحرمت المرجو من يقظانى
 فلنا ابن الحرمان . زهرى شوك ورياضى جواحم الفلوات
 ١٩٤٤

سرَاب

بَيْنَ أَمْوَاجِكَ يَادَهْرُ مَضَى بِي زُورَقِ
تَائِهَ الْغَايَاتِ مَغْلُوبُ لَا يُرَى كَالْمُطْلَقِ
وَأَنَا فِيهِ كَمَا شَاءَتْ رِيَّاحُ الْخَالِقِ
وَهُوَ كَوْ يَرْحَمُ شَكْوَى قَضَى بِالْغَسْرِقِ

* * *

أَيُّ شُطَّتِكَ يَادَهْرُ سَأَزُومُ فِي حِمَاةٍ ؟
صَفْهُ لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَبْلُغَ يَادَهْرُ مَدَاةَ
أَهْوَى حَقٍّ مِثْلَمَا حَدَّثَ (م) ثَنَى عَنْهُ الرِّوَاهُ ؟
أَمْ خِدَاعٌ نَسَجْتَهُ لِفُحَايَاهَا الْحَيَاةُ !

* * *

حَدَّثُونِي عَنْ شِبَابِي وَأَمَانِيهِ الرُّطَابِ
إِذْ رَأَوْنِي طَائِرَ الْأَخْلَامِ وَثَابَ الرُّغَابِ (١)
لِيَتَهَمَ يَدْرُونَ مَا حَلَّ بِنَفْسِي مِنْ عَذَابِ
لِيُرِيحُوا أَذْنَ الظَّنَّانِ مِنْ ذِكْرِ السَّرَابِ

* * *

(١) الرُّغَابُ : جمع رَغِبٍ يقال : رجل رَغِبٍ : واسع الخطو ينهب الأرض نَهَبًا .

بَيْنَ أَفْرَاحِ الْمَوَالِيدِ أَتَيْتُ الْعَالَمَا
لَسْتُ أَذْرَى أُمْرِيْدًا جِثَّتْهُ أَمُ مُرْغَمَا
أَوْ أَنَا أَذْرَى كَمَا يَدُ رِي ذَبِيحُ الْمَا
إِنهَا النَّارُ فَلَا تُلْزِقُوا عَلَيْهَا ضَرْمًا^(١)

* * *

حَدِّ ثَوْنِي أَيْنَ طِفْلُ الْفِكْرِ طِفْلُ الْخَاطِرِ؟
أَيْنَ هَذَا الطِّفْلُ مِلْءُ الْقَلْبِ مِلْءُ النَّظَرِ؟
أَوَّلَى ضَاعَ وَمَا أَذْ رِي مَصِيرُ الْآخِرِ
فَدَعُونِي أَنْذِبَ الْعُمْرَ بِذُوبِ الْعُمَرِ !!!

* * *

فِي لُحُونِي أَيُّهَا النَّاسُ دُمُوعٌ وَجِرَاحُ
فَاسْمَعُونَهَا أَوْ فَصَّمُوا فَلَسَلَوَايَ النَّوَاحِ
قَبْلَ أَنْ تُسَلِمَ الْأَزْ ضُ إِلَى كَفِّ الرِّيحِ
فَأَرَى فِي الْكُونِ نُورَ اللَّهِ لَا نُورَ الصَّبَاحِ

* * *

أَتَرِعُوا كَأْسَ صَبَابَا فِي وَفُكُوا قَيْدَ حَسِي
فَيَقِينُ الْعَيْشُ فِي أَذْ هَانِكُمْ مِنْ بَعْضِ حَلْسِي

(١) الضَّرَمُ : الاقتاد والاشتغال : من ضَرَمَتِ النَّارُ نَضْرَمَ ضَرْمًا : انتقدت واشتغلت .

أَتَرَعُوهَا فِيهِ رَوْضٌ فِيهِ أَنْسَى جَذَبَ نَفْسِي
عَلَيَّ انْظُرْ فِي صَفْحَتِهَا مَا تَمَّ عُرْسِي

أَوْفَحَلُوا الدَّهْرَ يَسْقِينِي فَيُرَوِّى أَضْغَرِيًّا^(١)
فَلَقَدْ عُدْتُ مِنَ الْحَزَنِ خِيَالًا عَبَقْرِيًّا
أَوْ نَعِيًّا فِي حَيِّ الْأَمْوَاتِ لَا يُطْرَبُ حَيًّا^(٢)
أَلَيْهِمُ الْبُيُوتُ رِثَاءَ اللَّيْلِ بِكَاءٍ شَجِيًّا

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ نَفَسْتُ مِنْ عُمرِي يَدِي
وَهَفْتُ رُوحِي إِلَى رُؤْيَا مَا يَطْوِي غَلِي
آه لَوْ أَسْطِيعُ أَنْ أَعْرِفَ كُنْهَ الْأَبَدِ^(٣)
آه لَوْ أَدْرِي مَصِيرَ الرُّوحِ بَعْدَ الْجَسَدِ !
آه لَوْ أَعْلَمُ مَا بَعْدَ فَنَاءِ الْمَوْجِدِ^(٤)
أَهْوَى بَعَثْتُ رُحْنَتِي سَأَلَ عَنْهُ بِالْمَوْعِدِ ؟
أَمْ هُوَ الْوَقْتُ يُرِيحُنِي الْقُرْبَ كَالْمُسْتَبْعِدِ ؟
آه لَوْ أَتَى مَا عُمِّرْتُ أَوْ لَمْ أُولَدْ !

١٩٤٤

(١) الأصفران : القلب واللسان .

(٢) النسيب : الصياح والتصويت ، ج : نواصب ، نعب .

(٣) الأبد : الدهر ، ج : آباد ، أبود .

(٤) الموجد : الحادث ، وهو ما أنشأه الله من غير سبق مثال .

يا حبيب

« إلى غاية الجن — حلم ليلة من ليالى الحرمان »

عَلَى نَبْعِكَ يَا حُوبٌ تَسَاقَى الْعَبْدُ وَالرَّبُّ
كُتُوسًا حُلُوهَا مَرٌّ وَصَافِي رِيْقَهَا كَرْبٌ
وَفِي وَاذِيكَ كَمْ ضَلَّلَ صَبٌّ وَاهْتَدَى صِيبٌ
وَأَنْتَ وَسَهْمُكَ الْخَالِدُ مَا تَفْنَى لَهُ حَرْبٌ
وَمَا لِلْعَاشِقِ الْمُلتَاحِ فِي صَبَوْتِهِ ذَنْبٌ
رَأَتْ عَيْنَاهُ مَا يَفْتِنُ فَاهْتَزَّ لَهُ الْقَلْبُ
وَأَسْرَى فِي سَمَاءِ الرُّوحِ مِنْ أَشْوَاقِهِ رَكْبٌ
وَأَصْدَقُ مَا بَنَاهُ مِنْ قُصُورِ هَيَامِهِ كِذْبٌ
وَلَا يَنْدَرِي .. وَتَنْدَرِي أَنْتَ ثُمَّ يَغْرُكَ اللَّغْيبُ
فَيَضْرِبُ سَهْمَكَ الْخَالِدَ أَقْسَى مَا يُرَى الضَّرْبُ
وَيَفْتِنُكَ بِالضَّحَايَا الْهَيْبِ مِمَّا يَمْنَعُهُ عُنْبٌ^(١)
وَكَمْ فِيهِمْ أَخُو سُجْنٍ بَرَاهِ الْقَدَرِ الصَّلْبُ
كَذَبْتُ إِلَيْهِ إِذْ نَامَ وَمَا يَشْتَأِقُ أَوْ يَضْبُو
فَلَوْبْتُ عَلَى جَفْنَيْهِ حُلْمًا كُلَّهُ طَرَبُ

(١) الميم : جمع أمهيم والأهميم من الرجال ومن الإبل : العلكان أشد العلكش .

فَنَاءٌ مِنْ بَنَاتِ الْجَنِّ تَبْلُو حِينَ تَحْجِبُ
 غَذَاهَا النُّورُ وَالْخَمْرُ فَأَمْرُ جَمَالِهَا عَجَبُ
 تُمْنَى ثَم تُخْلِفُ مَا تُمْنِيهِ وَتَجْتَنِبُ
 إِذَا أَعْطَتْ بَعِينِهَا فَبِالْعَيْنِينَ تَسْتَلِيبُ
 لَهَا رُوحَانِ حَاطَرَتَا نِ مَا بَيْنَهُمَا سَبِيبُ
 فَوَاحِدَةٌ تُرِيهَا السُّحْبُ أَذْنَى مَا يُرَى التُّسْرِبُ
 وَوَاحِدَةٌ تُرِيهَا التُّرْبُ أَسْمَى مَا يُرَى السُّحْبُ
 لَهَا فِي مَعْبِدِ النَّسْكِ وَفِي أَقْدَاسِهِ نَسَبُ
 وَيَعْقِدُهَا بِمَا فِي عَالَمِ الشَّهَوَاتِ مُنْتَسِبُ
 تَحِيرٌ فِي أَحَاجِيهَا وَفِي أَلْغَازِهَا اللَّبُّ^(١)
 هِيَ الطَّيْرُ وَأَكْبَادُ الْمُحِبِّينَ لَهَا حَبُّ
 وَهَبَتْ لَهَا أَغَارِيدِي وَلِلْعُشَاقِ مَا وَهَبُوا
 وَهَبَتْ بِهَا مُحَلَّقَةٌ وَلِي فِي أَفْقِهَا أَرْبُ^(٢)
 فَمِنْهَا الْوَحْيُ مُنْسَكِبًا وَمِنْهُ الشَّعْرُ يَنْسَكِبُ

سَمِعْتُ الْحَبَّ إِنْسِيًّا فَمَا لِي فِي الدُّنْيِ حَبُّ

(١) الأحاجي : جمع أحجية ، وهي الكلمة يخالف معناها لفظها ، واللَّب : العقل ، جمعه :
 اللَّبَاب . وَالْجِبُّ ، (وَالْجِبُّ فِي الشَّرِّ) . وَيُقَالُ : أَنَا أَحْبَكُ مِنْ بَنَاتِ أَنْبِيَايَ مِنْ أَصْلِ نَفْسِي .
 (٢) الْأَرْبُ : الْحَاجَةُ . وَالْأَرْبُ : الرِّغْبَةُ وَالْأُمْنِيَّةُ .

وللِفكرِ الجَمُوحِ خُطَاً أُمِيزُهَا فَأَضْطَرِبُ
 وللِفكرِ الجَمُوحِ أَعْيِدْ شُ مَا يَشْنِيهِ النَّصَبُ
 ومِلْ دُمَى صَبَابَاتٍ فَمَا يَنْعَمُ لِي جَنْبُ
 وكم في غَانِيَاتِ الْجِسْنِ لِلْمَحْرُومِ مُطْلَبُ
 فَمَرَحَى بِالْهَوَى الْجَنَى مَا دَقَّ لَهُ الْقَلْبُ
 ورفقاً يَا بِنْتَ الْفِكْرِ فَقَدْ أَفْنَانِي الْجَدْبُ
 وَعَدْلًا أَيُّهَا الْحَسْبُ فَمَالِي فِي الْهَوَى ذَنْبُ

١٢ مارس ١٩٤٥



نسبات وأعاصير

١٩٤٥

نسمات وأعاصير (١)

يَا نَدِيمَ الصَّبَاحِ أَتَرِغُ كُثُوسَكَ وَأَذْبُ فِي شَعَائِهَا أَتَرَا حَكَ
سَوْفَ تَطْوِي كَفَّ الْمَسَاءِ عَرُوسَكَ وَتُبْكِي مَعَ النَّدَامَى صِبَا حَكَ

* * *

طُفْ بِعَيْنَيْكَ فِي الْفَضَاءِ الْفَسِيحِ وَتَنْسَمُ عِطَرَ الصَّفَاءِ الرُّوحِي
تَجِدِ الْأَرْضَ دُمِيَّةً أَفَرَّغَ الشَّرُّ عَلَيْهَا صُبَابَةَ مِنْ قُرُوحِ

* * *

أَنْتَ عِنْدِي كَسِيدٌ مُسْتَبِدٌّ خَفَيْتَ فِيهِ ذِلَّةُ الْأَسْرَاءِ
كَلَّمَا جِئْتَنِي تَنَادِينِ يَا عَبْدِي وَفِي مُقْلَتِكَ رُوحُ الْوَلَاءِ

* * *

نَادِمِي وَلَا تَذُوقِي الشَّرَابَا بِعُيُونٍ أَصْنَى مِنَ الصُّهْبَا
لَا تَقُولِي لِإِشْرَاقِ عَيْنِي غَابَا وَدَعِي مَا وَرَثَتْ عَنْ حَوَا

* * *

أَنْتَ تَخْشَى نَارَ الْغَرَامِ عَلَيَا وَتُرْجِي النُّجَاةَ مِنْ أَنْفَاسِ
يَا صَدِيقِي أَحْسِنِ ظَنُّونَكَ فَيَا أَنَا أَرْجُو نَدَاهُ مِنْ أَقْبَاسِ

* * *

(١) أنشد الشاعر هذا الجزء من ديوانه لِإِيَّانَ قَرَامَتِهِ لِأَبِي الْقَاسِمِ الشَّابِيِّ ، وَلِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ ،
وَالْحَلَّاجِ ، وَلِإِيلِيَا أَبِ مَاضِي .

أَيُّهَا الْحَامِلُ الْمَتَاعِ تَهْلُ أَيُّ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى الْإِسْرَاعِ
لَيْسَ بُدٌّ مِنَ الْفِرَاقِ فَدَعْنِي أَتَمَتَّعَ بِغَيْرِ هَذَا الْمَتَاعِ !!!

* * *

يَا حَبِيبِي نِيرَانُ حُبِّكَ شَبَّتَ فِي فَوَادِي وَالْمَاءُ مَلَأَ يَمِينِكَ
إِنَّ نَزْرًا مِنَ الصَّفَاءِ يُرَوِّبُهُ وَيُغْنِي شَكْوَاكَ بَيْقِينِكَ

* * *

ضَحَكَةُ اللَّهِ فِي السَّمَوَاتِ رَنَّتْ وَبُكَاءُ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ رَنَّا
وَالْمَقَادِيرُ قُدِّرَتْ فَاطْمَأْنَنْتِ لَا تُبَالِي... نَاحِ الْوَرَى أَمْ تَغْنَى

* * *

كَذْتُ أَرْتَاحُ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْقَرْدِ .. أَبَا أَوَّلًا وَأُنْكِرُ آدَمَ
بَعْدَ أَنْ قَالَ بَنُوهُ بِمَا لَمْ أَجِنِ أَسْبَابَهُ فَعَفَتْ الْعَالَمَ

* * *

أَيُّهَا الْمُضْجِرِيُّ بِمَا تَدْعَى مِنْ وَحْدَةٍ فِي الْوُجُودِ أَوْ فِي الشُّهُودِ (١)
لَا تَصْدَعُ رَأْسِي فَحُشْبِي مِنْ عَيْشِي حُمِيًّا كَأْسٍ وَرَنَّةٌ عَوْدِ (٢)

* * *

يَا مَعَالِي اللَّقَاءِ يَتَمَلَّكَ الْهَجْ رُفَأَصْبَحْتَ مِنْ مَعَالِي الْفِرَاقِ

(١) المضجر : الذي يدعوني إلى الضجر من أضجره : جعله يضجر فهو مضجر ، ج : مضجرج ، مضجرج .

(٢) الحُمِيَّا : الخمر ، وحُمِيًّا كل شيء : حدثه وشدته .

لستُ آسى على الحياة إذا ما شمتُها دون قُبلة أو عناق^(١)

* * *

جَوهَرُ الكَوْنِ صَامِتٌ فى عِلَّاهُ فليَمَّاذَا تَحَدَّثُ الأَعْرَاضُ؟^(٢)
إنَّ هذا اللسانَ آفَةٌ هذا الناسُ يَنَدَى وكلُّه أَمْرَاضُ

* * *

مُشكلاتُ القضاء والأقدار حيرت كلَّ عاقلٍ جَبَّارٍ
والبرايا مضللُّون استقروا بالأمانى على شَفِيرِ هار^(٣)

* * *

أَيُّهَا الأملُ الصفاء مع الدَّفْرِ ترفَّقْ بنفسِكَ الوَسْنانِ^(٤)
خُذْ أَمَانًا من الزمان فإن دُقِستَ صفاء ... فذاك منه أمانه

* * *

أَرْقِصُوا رَقْصَةَ الحَيَاةِ أو المَوْتِ تِ إذا مات سيِّدٌ أو زَنيِمٌ^(٥)
لَنْ تَزِيدُوهُمَا على القَبْرِ قَبْرًا فيه يَنمازُ طاهرٌ ورجيمٌ^(٦)

* * *

(١) شَمْتُها : من شَمَةٍ يَشْمَتُ شَمًا وشَمِيًا : أدرك راحته ..

(٢) تَحَدَّثُ : أصلها تَتَحَدَّثُ ..

(٣) الشَفِيرُ : الحرف والجانب والناحية ، ج : أشْفَار . الحار من الرجال : الضعيف الساقط من كبر السن ، ومن الرِّمال الساقط النهار .

(٤) الوَسْناة : الفاترة ، يقال : امرأة وسناة : فاترة الطرف .

(٥) الزَنيِم : الدَّحَى ، وهو الملحق بقوم ..

(٦) يَنماز : بمعنى يتغصّل ويتنزل .

رَجُلٌ يَشْرَبُ الْحَمِيمَ لِيَخِيَا فَيُسْمَوْنَ صُنْعَهُ تَذَجِيلًا^(١)
وَأَنَاسٌ لَمْ يَمْتَطُوا الْأَرْضَ إِلَّا لِيَزِيدُوا أَهْلَ الْحَمِيمِ عَوِيلًا

* * *

أَشْعِلُوا فِي بَيْتِ الْمُعْرِسِ نَارًا يَتَنَشَّقُ دَخَانُهَا التُّعَسَاءُ^(٢)
حِكْمَةُ الْبُؤْسِ وَالرَّفَاهَةِ جُنَّتْ إِذَا فَتَوَلَّى تَرْوِيضُهَا الْجَهْلَاءُ

* * *

يَا مَطِيَّ الْقَضَاءِ أَضْنَاكُمُ السَّيْرُ فَتَوَرُّوا بَطْبَعِكُمْ لَا بِطَبْعِهِ^(٣)
أَوْ فَنَامُوا وَانْسُوا الشُّكَاةَ فَمَا تُجْلِي ، وَلَمْ تُجِدْ أَدَمًا بَعْدَ وَقْعِهِ

* * *

هَنَّاؤُا الْأُمِّ بِالْوَلِيدِ وَمُرُؤَا بَابِيهِ يَكْرُرُونَ التَّهْنِائِي
وَهُمُّو لَوْ دَرَوْا لِعَزْوِهِ فِيهِ فَلَقَدْ جَاءَهُ خَرِيفُ الزَّمَانِ

* * *

أَعْجَبُ الْأَمْرِ فِي التَّحِيَّةِ أَنَّ النَّاسَ يُلْقُونَهَا سَلَامًا وَرَحْمَةً
هَيْكَلُ اللَّفْظِ فَارَقَتْهُ الْمَعَانِي وَهِيَ نُسَاكُهُ فَأَنْتَجَ عُقْمُهُ^(٤)

* * *

(١) الْحَمِيمُ : البعير يتبخَّر به ، والماء الحار ، والقيظ .

(٢) الْمُعْرِسُ : بائع الأعراس أى القُصْلَان الصَّغَار ، والقُصْلَان : جمع فضيل وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

(٣) مَطِيَّ : جمع مطية وهى الدابة التى تُمْتَطَى .

(٤) النَّسَاكُ : جمع ناسك وهو العابد المتزهد .

حَسَبُوا الدَّهْرَ غَافِلًا عَنْ خُطَاهُمْ فَأَقَامُوا مَجَانَّةَ الْمِيلَادِ^(١)
رَحْمَتًا لِلْأَنْبِيَاءِ يَصْنَعُ سَلَوًا هُوَ لِيَقْتَصِرَ مِنْ عَدَاءِ الْعَوَادِي

* * *

فِي الْأَنَامِ مِنْ يَمِيتُ شُعُوبًا بِسُؤْمٍ يَظُنُّهُمْ شِفَاءً
كَالَّذِي أَغْرَقَ السَّفِينَ بِمَا خَفَّتْ مِنَ الْمَاءِ.. حِينَ خَافَ الْمَاءَ

* * *

أَنَا أَجْتَرُ أُمْنِيَّاتِي إِذَا لَمْ يَخْلُقِ الْحُبُّ أُمْنِيَّاتٍ جَدِيدَةً
أَيْنَ سَمِعَ الْحَبِيبُ أَسْكَبُ فِيهِ مِلءُ جَنْبِيٍّ مِنْ أَغَانٍ شَرِيدَةٍ

* * *

كُلُّنَا فِي الْحَيَاةِ يَخْشَى مِنَ الْمَوْتِ فَيَا فَرَحًا لِأَهْلِ الْقُبُورِ
عَرَفُوا الْبَدَنَ وَالْخَتَامَ جَمِيعًا فَاطْمَآنُوا لِحَالِكِ الدُّنْيَا^(٢)

* * *

لَا تَلُمُ مَنْ تَعِيشُ فِي كَنَفِ الْعَرْضِ فَقَدْ آدَهَا صِرَاعُ الْحَيَاةِ^(٣)
رَبِّمَا صَمَّ شَامِخٌ مُومِسَ النَّفْسِ فِي وَجْهَهَا حَيَاءُ فِتْنَةٍ

* * *

أَيُّهَا الْعَصْرُ لَا تَنْتَبِهْ إِنْ كُوخِي لَيْسَ يَخْشَى قَسَاوَةَ الزَّلْزَالِ

(١) الهجاءة : المزاح وقلة الحياء ، فهو مأجن ، ج : مُجَان .

(٢) الدُّنْيَا : الظلمة .

(٣) آدَهَا : أحجزها وأجهداها .

أَنَا فِيهِ سُلْطَانُ نَفْسِي وَسُكَّاءُ نَفْسِي
نَفْسِي عِبْدَانُ نَفْسِي أَوْ مَالِ

قال لي الحظ مرة وهو يجرى خشيته اللئيم من ذراعي المديد
سوف آتيك طائعا بعد أن ينشتر ما في الغيوب من تجعيد

غمرات السكون في الليل تنسياني أفانين من ضجيج النهار
وخدق معبدى وشعري تنسبني حي فبعدا للناس من سمار

قل لمن طاول السماء عثوا لا علوا وعثيرا لا غما (١)
انكش قبل أن تمزقك الريح (٢) وتذروك في الجواء حطاما (٣)

أنت رجس مذنب في كؤوس ملئت من طهارة الإيمان
كيف أستطيع أن أروى بك التثر ب ومنك ارتوت ظمأ الأمان (٤)

أنقولين إنني لست إنسا نأ لِمَا شمتته من استحيائي

(١) العثير : غبار الوقائع .

(٢) الجواء : الواسع من الأودية ، والحطام من كل شيء : ما عظم منه ، ومن النبات : ما يس ، ومن الدنيا : متاعها .

(٣) ظمأ : جمع ظمأ وهو العطشان ، أو من يشتد عطشه ، ويقال كذلك هو ظمآن وهي ظمأة وظمأى .

أَنْتِ جَمْرٌ شَبَبَتْهُ أَنْفَاسُ مَاضِيهِ فَمَا يَنْطَفِئُ بِغَيْرِ الْمَاءِ

* * *

مِلْءُ عَيْنِيكَ غَمْرَةٌ مِنْ غَمَامٍ أَفْغَمَتْهَا الْأَيَّامُ دَمْعاً سَخِينَا
فَاسْكِيهِ يَنْبِتُ أَزَاهِرَ نِسْيَا نِ فَلَا تَذْكُرِينَ بَعْدُ الشُّجُونَا

* * *

كَمْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ بَنِيهَا حَيَارَى ضَلَلْتَهُمْ فِي بِيْدِهَا التَّكْبَاتُ
سَبَقُوا الْعَمَرَ فِي طَلَابِ الْأَمَانِي فَإِذَا الْعَمْرُ وَالْأَمَانِي فُتَّتَاتُ

* * *

يَا حَبِيباً يَعِزُّهُ أَنْ أَذِلًّا سَوْفَ أَنْسَاكَ قَبْلَ أَنْ تَنْسَانِي
وَكَفَّانِي مَا ذُقْتَ نَهْلاً وَعَلًّا آيَهَا الْخَالِدُ الَّذِي أَفْنَانِي^(١)

* * *

أَنْقِذْنِي يَا كَأْسٌ مِنْ عَبَثِ النَّاسِ مِنْ فِهْمٍ فِي وَقَارِهِمْ مِسْلَاةُ
زُبَّانٍ كَانَ فِي الْمَوَاخِيرِ نُسَا لُكَ فِي الْمَعْبَدِ الطَّهْوَرُ عُصَاةُ^(٢)

* * *

لَا تُنَادِ السَّاقِي فَكَمْ مِنْ كُتُوسٍ مُفْغَمَاتٍ شَرِبَتْهَا مِنْ يَدَيْهِ
خَلَّتْهَا سَلْوَةُ الْفَوَادِ عَنْ الْجَمَّةِ رِ ، فَكَانَتْ جَمْرًا يَزِيدُ عَلَيْهِ

* * *

(١) النَّهْلُ : الشرب أولاً ، والعلل : الشرب ثانية .

(٢) المَوَاخِيرُ : جمع مَآخُور ، وهو بيت الرِّبْيَةِ ، و مَجْمَعُ أَهْلِ الْقِسْقِ ، وَيُجْمَعُ
الْمَآخُورُ كَذَلِكَ عَلَى مَوَآخِر .

يَا سَقَاةَ الْغَرَامِ بِالْأَعْيُنِ النَّجَّةُ لِي كُثُوساً ... مشبوبة القطرات
هَاهُنَا ظَامِيءٌ يَحْنُ إِلَى كَأْسٍ يَفْدِي حَبَابُهَا بِالْحَيَاةِ

* * *

يَا رَهِيْبَ السَّكُونِ يَا لَيْلَ مَا أَغْشَجَبَ حَالِي عَلَى الْغَرَامِ وَحَالَكَ
أَنْتَ فِي مَجْرَاهَا عَجُوزٌ تَمْطِي وَلَدَى الْقُرْبِ شَامِعٌ يَتِهَالِكُ

* * *

إِنْ رَأَيْتِ السُّهُومَ فِي نَظْرَانِي وَالْبِكَاءَ الْحَزِينَ فِي كَلِمَاتِي^(١)
فَاعْذِرِي فَقَدْ تَحَطَّمَتِ الْكَأْسُ سُرٌّ وَكَانَتْ عِبَادَتِي وَصَلَاتِي

* * *

صَدِيَّ الْحَرِّ فِي يَمِينِكَ يَا دُنْسِيَا وَدَامَ النِّقْشَاءُ لِلْأَكْدَارِ !!
أَرْبِيعُ الْحَيَاةِ يُقَسَمُ لِلشُّؤْكِ وَيَبْقَى الْخَرِيفُ لِلْأَزْهَارِ؟؟

* * *

يَا طُهَاءَ الْحُطُوطِ حُسْبُكُمْ الصَّنِيتُ دَلِيلًا عَلَى شِقَاءِ الْجِبَاعِ
تُسْمِنُونَ الذَّنْبَ السَّمِينِ لِيَسْتَشْرِى عَلَى الشَّاةِ فِيهِ دَاءُ الصَّرَاعِ^(٢)

* * *

يَا صَحَارَى الْحَرَمَانِ مَا أَضْنَعُ الْيَوْمَ وَقَدْ هَزَنِي نِدَاءُ الرُّوَايِ^(٣)

(١) السُّهُومُ : تَغْيَرُ الْآوْنِ عَنْ حَالِهِ لِمَارَضٍ مِنْهُمْ أَوْ هَزَالٍ .

(٢) يَشْتَرِي : يَعْظُمُ اقْتِرَاسَهُ لِلشَّاةِ وَيَتَضَاقَمُ .

(٣) الرُّوَايِ : جَمْعُ رَابِيَةٍ وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ .

لَا تَلُومِي سُوْلِي فَقَدْ آدَنِي السَّيْبِرُ وَلَمَّا أَفْزُ بِغَيْرِ السَّرَابِ^(١)

* * *

لَهْفَ قَلْبِي مَتَى يَنْسَالُ أَمَانِيهِ فَيَعْلُو فَوْقَ الزَّمَانِ السَّاحِرِ
فِي رَبِيعِ الشَّبَابِ يَرْجُو وَيَخْشَى وَهُوَ بَيْنَ الْمُنَى وَبَيْنَ الْمَقَادِرِ

* * *

يَا دُمَايَ الَّتِي أَضَعْتُ شَبَابِي أَتَغْنَى بِحُسْنِهَا فِي الْخِيَالِ
أَنْتِ مِثْلِي غَرِيبَةٌ غَرِيبَةُ الدَّرِّ^(٢) مِثْلِي تَفْنَى فِي حَمَاءِ الصَّلَالِ^(٣)

* * *

كُنْتُ أَذْهَبُ إِلَى الْإِنْسَانِيِّ خَيْرٌ يُرْتَجَى .. أَمْ أَرْضَى بِهِمْ أَشْرَارُ؟
حَيْرَتِي حَيْرَةُ الشَّرِيدِ عَلَى الْقَفِّ رِ يَرْجَى نُورًا فَيَشْرَبُ نَارًا

* * *

إِيهِ يَا مُخْرَجِي الرُّوَايَةِ هَلْ كَانَتْ عَلَيْكُمْ فِي نَقْصِ دَوْرِي جُنَاحُ؟
أَنَا مِثْلُهُ مَرَارًا فَمَا ارْتَحَسْتُ وَمَنْ لَمْ يُمَثِّلُوهُ اسْتَرَاخُوا

* * *

كُلُّ هَذَا الْجَمَالِ لِلْقَبْرِ يَا رَبِّ؟ أَلَا مَا أَشْقَى ضَحَايَا الْجَمَالِ
عَبْدُوهُ رَبًّا .. يُعْمِتُ لِيُحْيِي وَهُدَاهُ مُجْمَعٌ مِنْ ضَلَالِ

* * *

(١) السَّرَابُ : مَا يَرَى فِي نِصْفِ النَّهَارِ مِنْ اشْتِدَادِ الْحَرِّ كَالْمَاءِ فِي الْمَقَاوِزِ يَلْصَقُ
بِالْأَرْضِ .

(٢) الْحَمَاءُ : الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمُنْتَنِنُ ، وَالْقِطْعَةُ مِنْهُ . وَالصَّلَالُ : الطِّينُ الْيَابِسُ .

إن رأيت المجنون يغبث بالنار فلا تقرعي بنان الندامة
هو عقل الحياة خبله الشك (٢) فأتساه نوره وظلامه

* * *

عجلى الخطو قبل أن يشرق الفجر فتمضى مفترقين مكانا
نحن في الليل طائران سعيدا ن نغنى بالفرحة الأكوانا

* * *

قبلي يارب الحب إن شئت وإن شئت قبلي الأطلالا (١)
نحن سيان في الشقاء وإن زدت عليها الحنين والتسالا

* * *

يابنى الأرض لست منكم وإن عا شرتكم.. عشرة العزوف العيوف (٢)
مكره لا مخير... وفنائى كوجودى... مقيّد بالظروف

* * *

دنس الواعظ القدير فأخفى رجسه في غلائل من بلاغة
أحرقوه .. فليس أخطر منه ودعوا الشمس كي تسد فراغه

* * *

أسعديني في ماتم الحب والقلب إذا ما أردت أن تسعديني

(١) الأطلال : جمع طلكل، وهو ما بقى شاخصاً من آثار الديار ونحوها، والطلل من الدار : موضع مرتفع في صحنها يهبطاً لجلس أهلها ، أو يوضع عليه المأكول والمشرب ، ويجمع أيضاً على طلكول .
(٢) العزوف من الناس : من لا يثبت على مصادقة أحد . والعيوف مبالغة في العالف ، وهو الكاره للشئ المتعذر له .

أَوْدَعِينِي أَنْذَبُهُمَا وَأَطْهَرُ صَلَواتِي بِرَاهِبَاتِ الْجُفُونِ

* * *

يَابْنَةَ الْحَبِّ وَالشَّبابِ هَبْنِي لَمْ أَكْذِبْ مَا قُلْتَ فِي النُّسِيَانِ
مَا تَقُولِينَ حِينَمَا يَبْعَثُ الْحُوبُ رِفَاتًا مُكْفَنًا بِالْأَمَانِي^(١)

* * *

أَرْضِعِي الطِّفْلَ يَا مَهَاءُ فَقَدْ جَا عَ . وَلَا تُوقِظِيهِ إِنْ كَانَ نَامَا
أَوْ فَقُولِي .. أَلَسْتَ تَرْجِينَ أَنْ لَوْ لَمْ يَكُنْ .. كَيْ لَا يَشْقِلَ الْأَيَّامَا

* * *

أَنَا فَجَرُّ طَوْنِهِ رَاحَةُ لَيْلٍ مُسْتَخَفٌ بِالْكُونِ وَالْكَائِنِينَا
أَوْ لَوْ شُلُّ فَاثَقَلْتُ لِأَخِي أَوْ أَحْيَى بِنُورِي الْحَائِرِينَا

* * *

سَجَنَتْنِي الْأَقْدَارُ فِي قَفْصِ الطُّيْنِ وَلَمْ تَنْسَ أَنْ تُشَدَّ وَثَاقِي
لَيْتَهَا تَفْقِدَ الْعَنَّانَ لِأَفْنِي وَلَتَفْنِي شَقَاوَتِي وَاحْتِرَاقِي

* * *

لَسْتُ عَبْدَ النِّفَاقِ يَا قَوْمُ فَاذْهَبُوا وَاسْتَعِينُوا بِمَنْ يَعِيشُ نِفَاقَا
حَسْبُكُمْ أَنْنَا تَوَائِمُ فِي الْقَيْدِ وَإِنْ كُنْتُ أَوْثِرَ الْإِنْطِلَاقَا

* * *

أَيُّهَا الْفِيلَسُوفُ أَنْفَقْتُ أَيَّامًا مَكَ فِيمَا لَا يُشْتَرَى بِرَمَادٍ

(١) الرِّفَات : الحطام والفتات من كل ما تكثر وانفق .

بَيْنَنَا قِصَّةُ الْوَجُودِ .. فَحَدَّثَ أَهْمِي زَادَتْ عَنْ يَقِظَةٍ وَرُقَاةٍ

* * *

سَائِلُ الْأَرْضِ هَلْ خَلَّتْ لِحَظَاتٍ مِنْ تَلَقُّي الْأَمْوَاتِ فِي كُلِّ حِينٍ
ثُمَّ دَعَى إِنْ لَمْ يَرْفُكْ حَدِيثِي عَنْكَ يَا بَنَ الرَّقْطَاءِ وَالتَّنِينِ^(١)

* * *

حَدَّثُوا الْقِرَدَ مَرَّةً عَنْ جَمِيلٍ وَصَفُوهُ بِأَجْمَلِ الْأَوْصَافِ
فَلَوَّى ذَيْلَهُ احْتِجَاجًا وَقَالَ الْيَوْمَ ضَاعَتْ شَرِيعَةُ الْإِنْصَافِ

* * *

رَبُّ مَا أَعْجَبَ الْإِنْسَانِيَّ حَوْلِي يَتَغَنَّوْنَ ... وَالْمَجَازِرُ تَبْكِي
فَاعْفُ عَنِّي إِمَّا شَكِكْتُ فَمَنْ صُنْعِكَ يَا خَالِقِي . يَقِينِي وَشَكِيَّ

* * *

عَبَدَ الْأَقْدَمُونَ أَرْبَابَ فِكْرٍ وَشَدَّوْا فِي تَقْدِيرِهَا الْأَلْحَانَ
وَعَبَدْتُمْ أَنْتُمْ عَبِيدَ تُرَابٍ وَبَدَلْتُمْ حَيَاءَكُمْ قُرْبَانًا

* * *

يَا حَبِيبِي مَاذَا تُرَجِّي مِنَ الْهَجْرِ أَذَلَّ الْفَوَادِ ؟ أَمْ نَسِيَانِي ؟
أَيُّ ذَنْبٍ جَنَيْتُ فِي الْحُبِّ ؟ حَتَّى تَسْتَبِيكَ الدَّمُوعُ مِنْ أَجْفَانِي ؟^(٢)

* * *

(١) الرُقْطَاءُ : ضَرَبٌ مِنَ الْحَيَاتِ أَوْ الْمَطَّاءِ بِهِ رَقِطَةٌ ، ج : رَقِطٌ . التَّنِينُ : جَنَسٌ مِنَ الْمَطَّاءِ
لَهُ رِجْلٌ أَوْ يَدٌ ، فِيهَا أَرْبَعَةُ أَظْفَارٍ عَلَى نَسَقٍ ، وَخَامِسَةٌ فِي الْكَفِّ ، وَفِي رَأْسِهِ جُمَةٌ شَعْرٌ ، وَمِنْهُ ضَرْبٌ
بِجُرَى ..

(٢) يَسْتَبِيكَ : يَأْسُرُكَ مِنْ سَبِي حَبِيبَةٍ يَسْتَبِيهِ سَبِيًّا وَسَبَاءً : أَسْرَهُ .

رَجِّى يَا طَبِيبُ أَغْنِيَهُ الْقَجَرُ فَقَدْ حَنَّ هَاجِرِي لِلْقَائِي
وَاسْجُدِي إِنَّ أَلَمَ (يَجْمَعُهُ اللَّهُ) مُذِيبُ الْجُفُونِ وَالْأَحْشَاءِ

* * *

قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ لِلشَّاعِرِ خَادِمَةً مِنْ أَهْلِهِ ، وَآلِهِ نَدَاوَهَا (يَا سَيِّدِي)
فَقَالَ :

* * *

لَا تُنَادِي (يَا سَيِّدِي) فَلَقَدْ ضَمُّكَ بِي وَاحِدٌ مِنَ الْآبَاءِ
نَحْنُ سَيِّانٌ فِي السِّيَادَةِ لَكِنَّ الْقَضَاءِ الْأَعْمَى أَسَاسُ الدَّاءِ

* * *

وَأَعْطَاهَا دَرَاهِمَاتٍ فَفَرَحَتْ فَقَالَ :
هَذِهِ الْمُخْرَجَاتُ مِنْ كَبَدِ الْأَرْضِ ضِئُّ تَعِينِ الْمُسْكِينِ فِي بُلُوَاهِ
رَحْمَتَا لِلْغَرِيقِ فِي مَائِحِ التَّيْبِ يَخَالُ الْبِأْسَاءِ فِي نَعْمَائِهِ^(١)

* * *

يَا صَدَى الصَّوْتِ ضَعُفَتْ مِثْلَ ضَبَاعِ الصَّ (م) وَتِ.. بَلْ أَنْتِ زِدْتِ عَنْهُ ضَبَاعَا
أَنْتِ مِثْلَتْ لِي أَمَانِي لَمَّا لَمْ تَجِدِي فِي أَفْقِ الْحَيَاةِ شِعَاعَا

* * *

كَتَبَ اللَّهُ لَنْ يَضِيعَ تَقَى فَمَاذَا أَرَى شِقَاءَ التَّقَى
مَلَأَ دِيرَ الْأَحْزَانِ رُهْبَانُ دَمْعٍ كُلُّ بَرٍّ مِنْهُمْ بِأَلْفِ نَبِيٍّ

* * *

(١) مائِح : مرتفع ، من ماج البحر بموج موحاً وموجاناً : إذا ارتفع ماؤه واضطرب في عصفوان.

أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ فِي مَأْتَمِ الْجَنَسِ سَلَامًا مِنْ ضَاحِكِ مَجْهُولِ
لِنِعْمَةِ الْبَشَرِ فِي مَاقِيهِ بَرَقَ يَتَنَدَّى بِالْهَاتِنِ الْمَغُولِ^(١)

* * *

قُبْلَةُ الشَّمْسِ لِلزُّهْرِ جَحِيمٌ أَخْمَدَتْهُ جِدَاوُلُ الْأَنْدَاءِ
هَكَذَا قُبْلَةُ الْمَشُوقِ لَطِيفٌ مِنْ هَوَاهُ... يَنْسَابُ فِي الظُّلُمَاءِ^(٢)

* * *

أَيُّهَا الزَّاهِدُونَ فِي غَمْرَةِ الْإِنْسِ سَلَامًا مِنْ زَاهِدِ عِبْقَرِيٍّ
أَطْلَقَ الْخَيْرَ رُوحَهُ وَقَضَى الشَّرَّ (م) عَلَيْهِ بِقَيْدِهِ الطَّيْنِ !

* * *

يَابْنَةُ الْخَمْرِ وَالسَّنَا أُسْكِرْنِي وَدَعِينِي أَعْبُ مِنْ أَضْوَانِكَ
فَنَيْتُ جَمْرَةَ الضُّلُوعِ وَكَانَتْ قَائِدِي إِذْ أَتَيْتُ فِي صَحْرَائِكَ

* * *

حِينَمَا تَسْمَعِينَ أَغْنِيَةَ الْحُبِّ فَلَا تَهْزَنِي بِمَا تَسْمَعِينَا !
إِنَّهُ حَاطَبٌ يَجُوبُ اللَّيْلَ إِلَى عَلِّهِ يَضْطَلِي فَوَادًا حَزِينًا

* * *

أَيُّهَا الْكُوكَبُ الْمُشْعُ مِنْ الشَّرِّ فَهْ نُورًا يُضِيءُ قَلْبَ النَّهَارِ
كَمْ أُلُوفٍ تَمَرَّ - دُونِي - فَلَا تَعْرِفُ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْأَسْرَارِ

* * *

(١) الهاتن : الكثير القطر ، من هذا الدمع : قطر .

(٢) المشوق : المحتاج ، من شاقى الحب إليه يشوقني شوقاً وتشوقاً هاجني .

عَجِبَ اللَّهُ مِنْ فَقِيرٍ يُزَكَّى وَغَنَى يُحْنَطُ الْأَمْسَوَالُ^(١)
لِي قَلْبٌ يَزِينُ الْبُؤْسَ لِلنَّاسِ مَنْ وَيَرْجُو لَوْ كَانَ أَبْنَسَ حَالًا

* * *

يَا شُرُوقَ الْحَيَاةِ أَنْسَيْتُ لَأَلَا إِذْ ضَمَعْنِي ظِلَامُ الْغُرُوبِ^(٢)
مَنْ يُجِيرُ الْغَدِيرَ يَرَوِي جُدُوبًا ثُمَّ لَا تَرْتَوِي شِفَاهُ الْجُدُوبِ^(٣)

* * *

أَقْمَارُ فِي الْحُبِّ ؟ مَا أَخْسَرَ الرَّيْحَ إِذَا كُنْتُ رَابِـحَ الْأَوْرَاقِ
مَلَأْتُ كَفِّيكَ خَافِي : فَاحْفَظِيهِ لِيُغْنِيكَ غُنْوَةُ الْأَشْـوَاقِ

* * *

يَوْمَ أَنْ هَزَنِي نِدَاءُ اللَّيَالِي بِيضُ مَنْ نَاطَرَنِي .. خُنْتُ أَصْطَبَارِي^(٤)
حَدَّثَنِي أَنْخَطِيءُ الْعَيْنِ حُسْنًا أَمْ غَرَامِي مُضَلَّلُ الْأَقْدَارِ ؟

* * *

مَا هِيَ بَنَيْلِ قَلْبِكَ إِلَّا خَدَرٌ مِنْ سُلَاقَةِ النَّظَرَاتِ^(٥)
وَحِينِي إِلَيْكَ وَهُوَ يَمِينِي !! أَنْقَلِبْنِي مِنْ حُرْقَةِ الزَّفَرَاتِ^(٦)

* * *

(١) يَحْنَطُ : يَضَعُ الْخَنُوطَ فِي الْأَمْوَالِ . وَالْحَنُوطُ : كُلُّ مَا يَخْلَطُ مِنَ الطِّيبِ لِاسْتِخْدَانِ الْمَوْتِ وَأَجْسَامِهِمْ خَاصَةً مِنْ مَسْكٍ وَعَنْبَرٍ وَذَرِيرَةٍ وَصَنْدَلٍ وَكَافُورٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

(٢) اللَّأَلَاءُ : ضَوْءُ السَّرَاجِ وَنَحْوِهِ .

(٣) الْغَدِيرُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْمَاءِ يَفَادِرُهَا السَّيْلُ ، ج : غَدَرٌ ، غَدَرٌ ، غَدَرَانٌ .

(٤) الْأَصْطَبَارُ : التَّجَلُّدُ وَعَدَمُ الْجَزَعِ مَعَ الْمَلُوءِ وَالْإِطْمِئْنَانِ .

(٥) السُّلَاقَةُ : الْخَمَرُ .

(٦) الزَّفَرَاتُ : جَمْعُ زَفَرَةٍ ، وَهِيَ التَّنَفُّسُ مَعَ مَدِّ النَّفْسِ الْحَارِّ تَشْبِيهًا لَهُ بِزَفْرِ النَّارِ .

يَوْمَ أَنْ قُلْتِ لِي (أَحْبُكَ) بِاللَّحْظِ أَذْبَتُ الْفَوَادَ شَوْقًا وَشَعْرًا !
لَيْتَ سِتْرَ الْغُيُوبِ يُوْذِنُ بِالْفُرْقَةِ حَتَّى أَتَسْفِكَ حُبًّا وَطَهْرًا

* * *

أَيُّ قَلْبَيْنِ فِي الصَّبَابَةِ قَلْبًا نَا ؟ وَمِنْ أَيِّ عَالَمٍ قُدُسِي
جَمَعْتَنَا عَلَى طَرِيقِ الْأَمَانِي رُبَّةُ اللَّمَعِ وَالْبَكَاءِ الْخَفِيِّ

* * *

يَا شِعَاعَ الصَّفَاءِ فِي أَفْقِ الْحَبِّ سَلَامًا مِنْ مُدْلِجِ حِيرَانِ (١)
فَجَّرَ اللَّمَعَ فِي مَاقِبِهِ حُبُّ عِبْقَرِي النُّوَالِ وَالْحَرَمَانِ

* * *

أَيُّ دِينٍ يَحْرُمُ اللَّمَعَ وَالشُّكُورَى عَلَى عَاشِقٍ بَرَّاهُ حَنِينُهُ ؟ (٢)
لَا تَلْمِئِي إِذَا بَكَيْتُ فَقَلْبِي صَمْتُهُ كُفْرُهُ وَنَجْوَاهُ دِينُهُ

* * *

يَا شِفَاهَ الْحَبِيبِ إِنَّكَ فِي الرَّسْمِ سَرَابٌ وَقُبْلَتِي ظِمَامَةٌ
لِيَتَنَّى إِذَا نَسِيْتُهُ فَيْكِ أَنْتَ عِبْرَاتِي إِمَّا ذَكَرْتُ حَنَانَهُ

* * *

أَيُّ سُرٍّ تُطْوَى خَفَايَاهُ عَنِّي حِينَمَا أَلْتَفِيكَ فِي الْأَخْلَامِ ؟
تَنْشُرِينَ الْقُضَاءَ ثُمَّ تَغْيِيهِ نَ فَلَا تَنْشَقِينَ عَطَرَ سَلَامِي

* * *

(١) المُدْلِجُ : مَنْ يَسِيرُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَالمُدْلِجُ كَذَلِكَ : الْقَنْفَذُ ، وَيُقَالُ لَهُ : أَبُو مُدْلِجٍ .

(٢) بَرَّاهُ : نَحْتَهُ وَسَوَّاهُ .

صَبَوَاتِي ضَاعَتْ فَرُدِّي عَلَىَّ أَلْ يَوْمَ مَا تَكْتَنِزِينَ مِنْ صَبَوَاتِي
واعذريني (وقد بخلت) إذا طأ لَتُ عَلَى نَضْرَةِ الصُّبَا حَسَرَاتِي

* * *

حَلَفَ الْكَافِرُونَ بِالْحُبِّ (م) فَمَاذَا أَبْقَوْهُ لِلْمُؤْمِنِينَ
يَا فَوَادِي مَاذَا عَلَيْكَ إِذَا خُنْتَ هَوَاهَا فَلَا تُعَانِي الشُّجُونَا

* * *

ذَمُّوا مِنْ كَرِهَتُمُوهُ وَحَيُّوا بِالتَّهَالِيلِ مِنْ تَحَبَّيْتُمُوهُ (١)
مَا أَرَى الْعَدْلَ بَيْنَكُمْ غَيْرَ بَيْتٍ رَافِعُوهُ فِي النَّاسِ هَمُّ هَادِمُوهُ

* * *

حَبِّذَا لَوْ جِهَلْتُ أَنِّي حَيٌّ لِأَقْضَى الْحَيَاةِ صَافِي الْحَيَاةِ
أَنَا أَمْشِي فِي النَّاسِ بَائِعٌ خُبْرٍ زَاهِدًا فِيهِ قَانِعًا بِالْفُتُنَاتِ

* * *

يَا ضَمِيرِي أَكُلَّمَا قَدَّمَ الدَّهْرُ نُضَارًا دَفَعْتَنِي مُهْتَاجًا
هَبْنِي خَلُوتًا مِنَ السَّنَا أَفَلَا يَجْمَلُ بِي أَنْ أُتَيْلَهُ مُخْتَاجًا ؟

* * *

لَا تُحَدِّثْ عَنِ النَّبُوءَةِ وَالْوَحْيِ وَحَدِّثْ عَنِ بَاعِثِ الْأَنْبِيَاءِ
لِمَ لَمْ يَجْعَلِ النَّبِيِّينَ قَرَدًا سَرْمَدِي الْكِتَابِ وَالْأَنْبَاءِ

* * *

(١) التَّهَالِيل : الإشراق والتألُّؤ ، من تهلَّل الوجه فرحًا : تَلَأَّ وأشرق .

لا تَقُلْ لِي تَطَوَّرَ الْكَوْنُ وَالْكَنَا نُنْ حَتَّى تَزِيدَ فِي تَسْأَلِي
وَانْطَلِقْ تَبْصِرَ الْوُجُودَ مِثَالًا فَقَدْتَ فِيهِ غَيْرَةَ الْمَثَالِ

* * *

صُورَ الْكَائِنِينَ أَدْعَى إِلَى السُّخْرِ سَوَاءٌ فِيهِ الثَّرَى وَالثَّرِيَّا
يَا قُرُودًا مَنْقُوصَةَ الْخَلْقِ .. غَيْبِي لِأَرَى الْمَوْتَ مُسْتَنِيرَ الْمُحْيَا

* * *

أَنَا سَكْرَانٌ فاعذرني إذا أَيَّ مَقَطْتَ الْكَأْسَ نَائِمَ النَّزَوَاتِ^(١)
تَاهَ عَقْلِي فَلَا أَقْلُ مِنَ النَّسْبِيَّانِ أَرْجُوهُ كَيْ يَطُولَ سُبَاتِي

* * *

غَافِلِيْنِي وَأَتْرَعِي الْكَأْسَ حَتَّى لَا أَرَى الرَّجْسَ فِي يَدِ قُدْسِيَّةٍ^(٢)
رُبَّ جَمْرٍ . يَا أُخْتُ .. يُطْفَأُ بِالْجَمْرِ وَحَيَّ يَحْيَا بِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ

* * *

يَا دُمُوعِي مَاذَا يَكْفُكُ عَنِّي أَنَا فِي مَهْمَةٍ فَكُونِي غَمَامًا
لَيْسَ فِي النَّاسِ مَنْ يُصَابُ فَأَبْكِي وَلَوْ كَانَ فِي التَّقَاةِ إِمَامًا

* * *

تَوَرَّقِي ثَوْرَةَ الْجَوَادِ نَفَاهَ حَظَّهُ فِي مُهَاجَرِ الْبَخْلَاهِ
كَمْ تَحْنَيْتُ صَفْوَ يَوْمٍ فَلَمْ أَغْ سِوَى خَيْبَتِي وَطُولِ عَنَائِي

* * *

(١) النَّزَوَاتُ : جمع نَزْوَةٍ ، وهى الوَثْبَةُ ، يُقَالُ مَرَجَ الْخَمْرَ فَتَزَتْ فَتَاقِيهَا ، وَالنَزْوَةُ الطُّلُوحُ إِلَى الشَّيْءِ وَالْمُنَازَعَةُ عَلَيْهِ .
(٢) أَتْرَعِي : أَمْلِي .

إِيدِ أَشْلَائِي الطَّرِيحَةَ فِي النَّاسِ مِنْ لَقْدَكُنْتِ مِلءَ عَيْنِ الْأَمَانِي^(١)
 أَوْلَمْ يَكْفِ هَاجِرِي أَنْ كَأْسِي فَرَعْتَ مِنْ سُلَافَةِ النَّسِيَانِ

* * *

لَسْتُ أَنْفِي ضَرُورَةَ الْفَرْقِ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا يُعْطَوْنَ مِنْ أَرْزَاقٍ
 غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ الْقَسَا سِمَ الْأَيِّزِ فِي إِمْلَاقٍ^(٢)

* * *

يَا إِلَهِي أَثْقَلْتَ أَرْضَكَ بِالنَّاسِ مِنْ... فَنَاءَتِ وَمَا تُطِيقُ احْتِمَالًا
 لِمَ هَذَا الْإِسْرَافُ فِي الْخَلْقِ يَا رَبَّ؟ أَمْ هَذَا تَرْيَدُهُ أَمْ ضَلَالًا؟

* * *

قِيلَ إِنَّ الْخُلُودَ لِلطَّيِّبِ الذَّكَرِ يَرُدُّ الْحَيَاةَ بَعْدَ الْمَمَاتِ
 نَبِّئُونِي... أَلِلْخُلُودِ . خُلُودٌ؟ ثُمَّ دَاوُوا عُقُولَكُمْ بِالسُّبُاتِ

* * *

أَغْرَقَ اللَّهُ ضَاحِكًا مِنْ بَرَايَا هُ يُمْنُونَ مَبْتَهُمَ بِالْخُلُودِ
 يَا غُرُورَ الْفَانِينَ حَسْبُكَ لِهَوَا وَكَفَاهُمْ مَنَاحَةُ الْمَفْقُودِ

* * *

سَوْفَ أَطْوِيكَ يَا لِيَالِيَّ فِي الْغَيْبِ كَطَبِي لِسَالِفَاتِ اللَّيَالِي

(١) الشَّلَوُ : العَصُو .. وهو القطعة من اللحم ، والبقية من كل شيء ، ج : أشلاء ..

(٢) الإِمْلَاق : الفقر ، من أَمْلَقَ الرَّجُلُ : انْقَرَضَ .

بين كأس حمراء من نار لَيْلَا ... وشكى في عودها لِلِوِصال

* * *

وينح من طنب الزمان عليه خيمة الحزن في ربيع الشباب
تخذ الليل والمدامع والشعر عزاء عن فرقة الأحباب

* * *

أنكرى (إن قدرت) حزن أغاريدي وقد أنكرت الغرام الحزينا
أنت كأسى في حانة الحب والشعر... فكونى عقلاً أكن مجنوناً

* * *

بين جفنيك حانة من لحاظٍ مُسكراتٍ حيناً... وحيناً سُكَّارِي^(١)
بارك الله ما بها من كُثُوسٍ جمعت هذاة الدجى والنهاراً

* * *

عطرني بطيب أنفاسك الحمرراء وافنى صبايةً وعناقاً
أنت حيرى بدت لحيران في القفْرِ فزادت شمس الهوى إشراقاً

* * *

أهزى بالشقاء ما دامت الكأس . وما دام حبنا فينا
إن من قدر الشقاء علينا خلق الكأس والهوى نيرانا

* * *

لا تلمنى إذا نقيمت على النسا من فقد مضى ضلال الناس^(٢)

(١) القحاط: مؤخر العين مما يلي الصدغ ، ج لحظ ..

(٢) مَضَى : آلى من وجع المصيبة .

كُلَّمَا دَاوَيْتُ جَرْحِي حُنُونًا قَذَفُونِي بِضَيْعَةِ الْإِحْسَاسِ

* * *

سَأَلَ الطِّفْلُ وَالِدِيهِ عَنِ الشَّيْطَانِ فَاسْتَضْحَكَا .. حَنَانًا وَسُخْرًا
وَهُوَ شَرٌّ لَخَالِدٍ قَيْدَ الْعَقْلِ وَأَخْفَى تَحْتَ الْمَخَافِ سِرًّا

* * *

أَيُّهَا الشَّيْطَانُ إِنْ تَكُ عَبْدًا فَأَنَا اللَّهُ خَالِقُ الشَّيْطَانِ
لَمْ أَذْنَسْ نَفْسِي بِخَلْقِكَ إِلَّا حِينَمَا كُنْتُ مِنْ بَنَى الْإِنْسَانِ

* * *

لَكَ مِنِّي تَشَوُّقٌ يُرْمِضُ الرُّوحَ حَ ؟ وَلِي مِنْكَ خَالِدٌ الْأَعْدَارُ؟^(١)
أَهْ مِنْ خَافِقٍ ... وَمِنْ أُمْنِيَّاتٍ غَرِقَتْ فِي مَسَابِحِ الْأَقْدَارِ^(٢)

* * *

أَنَا كُلِّي مِنِّي فَمَاذَا تُمَنِّينَ ؟ أَجِيبِي مُرِيدَةً .. لَا مُرَادَةً
إِنْ أَكُنْ مَعْبَدًا فَأَنْتَ إِلَهٌ أَفَرَدْتَهُ خَوَاطِرِي بِالْعِبَادَةِ

* * *

اعْفُ عَنِّي يَا رَبِّ إِنْ ضَاعَ عُمْرِي بَيْنَ شَكِّي وَخُرْقِي وَكُتُسُوْسِي

(١) يَرْمِضُ : الرُّوحَ : يَحْرِقُهَا ..

(٢) مَسَابِحُ جَمْعُ مَسْبَحٍ ، اسم مكان من سَبَّحَ أَيْ مَكَانُ السَّبْحِ ، فَالْمَسَابِحُ هِيَ الْمَعَاوِمُ :
جَمْعُ مَعْوَمٍ .

ليس في الناس خيرٌ وحُطِّبَظَى خُبِّلَتْ فالسُّعود مثل النُّحوس^(١)

* * *

سُبْحَى يانَجُومُ اللهُ رَبِّي وهو ربُّ النجومِ والأفلاكِ
إِنَّ من لا يُسَبِّحُ الله في الكوْبِ نِ بعيدٌ عن ساحة الأملاكِ

* * *

لا تقولِ سهامُ عَيْنِي حَبْرًا ۚ تُغْنِي شوقًا وتسقى حِمَامًا
إن عَيْنَ الأَقْدَارِ أَفْتُكُ إِسْلًا مَّا . على خافقي . وأمضي سِهَامًا

* * *

عَجِّلُوا السَّيْرَ بالفَقِيدِ إلى قَبْرِ يناديه تُرْبُهُ والرَّجَامُ^(٢)
وترفُقْ يا قَبْرُ إن كنتَ جَوْعًا نَ فَمَنَّا الطَّعَامُ والإِطْعَامُ

* * *

يا أبا آدمَ الحزينِ على الفَرْ دوسِ ترجو من غاصِبِ الحقِّ حقًا
ما الذي ضرُّ لو نَقِمْتَ لِمَا نَا لَكَ بالانْتِحارِ كي لا نَشْقَى

* * *

(١) السُّعود : سُمُود النُّجُوم : عدة كواكب يقال لكل واحد منها سَعْدٌ كذا ، ومنها سعد السُّعود وهو أحدما . والسُّعُود كذلك : جمع سَعْدٌ وهو اليَمَنُ وقِيضُ النَحْسِ . أما النَحْسُ فهو الضَّرُّ والجُهدُ ، ج : نَحُوسٌ وأَنْحُسُ ..

(٢) الرَّجَامُ : جمع رَجْمَةٍ ، وهي حجارة تنصب على القبر .

يا بُنَابَ الحَيَاةِ يا فَنُّ ما أَسْعَدَنِي إِنْ أَضَعْتُ فِيكَ اللَّبَابَ^(١)
 هم يقولون جُنَّ بالفكر والشُّعْرِ أَلَا مَا أَسَمَى الْجَنُونَ الصُّوَابَا

* * *

سَأْرِيكُمْ آيَاتِ فِكْرِي وَشِعْرِي عَلَّكُمْ تَرْتَضُونَ مِنِّي الْغُرُورَا
 لَعَنَتْنِي الْحَيَاةُ إِنْ ضَاعَ عَمْرِي خَافِيَا رَغْمَ رَفْعِي مَغْمُورَا

* * *

أَيُّهَا الْفَارُغُونَ إِلَّا مِنَ الْمَا لِ وَمِنْ حَاشِدٍ مِنَ الْأَلْقَابِ
 لَا تَنْظُنُّوا الْحَيَاةَ مَا تُخْرِجُ الْأَرْضُ فَلَا لَآؤُهَا خِدَاعٍ سَرَابِ^(٢)

* * *

إِجْرِ يَا نَيْلُ بَاكِيًا فَعَلَى أَرْضِكَ تَجْرِي الْمُحْظُوظُ جَوْرًا وَظُلْمًا
 حُرِّمَ الْمَالِكُ الْأَصِيلُ وَعَافَ الضَّمُّ (م) يَفُ مَا يَقْتَنِيهِ أَكْلًا وَهَضْمًا

* * *

أَيُّهَا الشَّارِبُونَ مِنْ كَرَمِ النَّيِّ لِي رَوِيدًا فَالظَّامَثُونَ كَثِيرٌ
 لَكُمْ الْقَصْرُ . وَالْبِنَاءُ عَلَيْهِمْ وَهْدَى الْعَذْلُ بَيْنَكُمْ يَسْتَجِيرُ

* * *

وَحَدَّثَنِي هِجْرَةٌ إِلَى الْفِكْرِ فِي الْكُورِ نِ . وَكَوْنِي فِي النَّاسِ هِجْرَةً فِكْرِي

(١) اللَّبَّ : العقل ، ج : أَلْبَابٌ وَأَنْبُوبٌ .. ويقال : أنا أَحْبَبْتُكَ مِنْ بَنَاتِ أَنْبُوبِي ، أى من أصل نفسي .

(٢) اللَّالَاءُ : ضوء السراج ونحوه . وَالسَّرَابُ : ما يُرَى فِي نِصْفِ النَّهَارِ مِنْ اشْتِدَادِ الْحَرِّ كَالْمَاءِ فِي الْمَافُوزِ يَلْصِقُ بِالْأَرْضِ .

لَيْتَ حَبْلَ الْوُجُودِ يُقَطِّعَ عَنِّي لِيَمُدَّ الْفَنَاءَ أَسْبَابَ قَبْرِى

* * *

عَبْتُ النَّاسَ بِالصَّدَاقَةِ أَهْلًا نِى عَنِ الْفِكْرِ فِى حَيَاةِ الصَّدَاقَةِ
لِيَتَّهِمُوا قَابِلُوا حَتَّى بَنَيْتُ خَنَانٍ وَخَلَّوْا زُورَ الثَّرَى وَنَفَاقَةَ

* * *

أَنَا مِنْ عَالَمِ الْأَرَاخِيفِ أَقْبَلْتُ فَمَنْ أَيْ عَالَمٍ أَقْبَلْتُ^(١)
أَهْ لَوْ كُنْتُ غَيْرَ مَا أَنْتَ فِى قَلْبِي وَمَنْ أَنْتَ يَا تُرَى مِنْ أَنْتَ

* * *

صَرَخَةُ الشُّكِّ فِى دَمِي أَفْزَعَتْنى فَارِنِى الْبَقِيْنَ حَتَّى أَرَاكِ
أَوْ فَعْبِي عَنِّي فَمَا أَنْتَ إِلَّا رِدَّةٌ فِى خَوَاطِرِ النَّسَاكِ

* * *

أَنَا قَدَسْتُ فِى الْغَرَامِ سَنَاهَ وَخَلَقْتُ النَّهَارَ مِنْ إِظْلَامِهِ
لِيَتَّهِمُوا حِينَ قَدَسْتَهُ ظِلَامًا سَجَدْتُ مَرَّةً عَلَى أَفْسَادِهِ

* * *

أَيُّهَا الْقَائِلُونَ بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ وَالْحَشْرِ فِى غَدٍ وَالْحِسَابِ
حَسْبُكُمْ أَنْتُمْ تَخَافُونَ أَوْهَا مَا وَحْشِي بَقِيَّةً مِنْ صَوَابِ

* * *

(١) الْأَرَاخِيفُ : جَمْعُ إِرْجَافٍ ، وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَاذِبُ الْمُبِيرُ لِلْفَنِّ وَالْاضْطِرَابِ .

كِدْتُ أَفْنِي رُوحِي وَعَقْلِي وَجِسْمِي باحثاً عن مَظْنَةٍ مِنْ حَقِيقَةٍ
فَإِذَا الْكَوْنُ مِنْ جَمَادٍ وَجَسٍّ خَادِعٌ لَا يُزِيلُ عَنْهُ بَرِيقَهُ^(١)

* * *

أَيُّهَا النَّائِمُونَ فِي غَمْرَةِ اللَّيْلِ أَفَيْقُوا عَلَى سَنَا إِشْرَاقِي
أَنَا رُوحٌ مَجْنَحٌ النُّورِ لَوْلَا سَجَنُ أَرْضِي .. خُلِّدْتُ فِي الْأَفَاقِ^(٢)

* * *

أَنْكُرُوا الْحَبَّ طَاهِراً وَأَغَارُوا بِقِنَاهُمْ عَلَى مَعَاقِلِ حُبِّي^(٣)
إِنَّمَا فِي السَّمَاءِ يَاقُومٌ دَيْرٌ نَاسِكُوه مَلَائِكُ اللَّهِ رَبِّي

* * *

أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ هَلْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَادَبَ الْفَاقَاتِ
أَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ فَإِنْ جُعْتُمْ فَعَيْشُوا عَلَى صَدَى الذِّكْرِيَّاتِ

* * *

حَدِّثُونِي عَنْ آدَمَ يَوْمَ ضَاعَتْ مِنْ يَدَيْهِ قِلَادَةُ التَّخْلِيدِ
لَيْتَهُمْ حَدِّثُوا عَنِ الْمُنْعَمِ الْفَا صَبٍ يَجْزِي عَيْقَهُ بِالْقَيْدِ

* * *

عَبْدَ الْقَيْطُ فِي صَلَيبِهِمُ الْمُبْـلَعِ ذِكْرِي الشَّهِيدِ فِي (أُورُشَلِيمَا)

(١) يُزِيلُ : يُنْحَى وَيُبْعَدُ مِنْ أَرْزَالِهِ : نَحَاهُ وَأَبْعَدَهُ .

(٢) مَجْنَحٌ : أَيُّ جَمَلٍ لَهُ جَنَاحَيْنِ .

(٣) الْفَتَاةُ : الرَّمَحُ جَ قَتَنَوَاتٌ ، قَتَاً ، قَتَى ، وَقَتِيَّاتٌ ، وَصَاحِبُهَا قَتَاءٌ .

رَبِّمَا كَانَ فِي النَّصَارَى يَهُودُ يَحْسِبُونَ الشَّهيدَ مُوسَى الْكَلِيمَا

* * *

يَا إِلَهِي الْمَشَاعَ فِي الثُّورِ وَالْأَنْسَامِ وَالرُّوْضِ وَالْجَمَالِ الْحُنُونِ
أَنَا يَا رَبَّ عَابِدُكَ حَتَّى فِي شُكُوكِي عِبَادَتِي فِي يَقِينِي

* * *

طَافَ بِي طَائِفٌ مِنَ الْوَهْمِ زَيًّا فُ قَشَبَ النَّيرانِ فِي أَصْغَرِيَا^(١)
وَطَوَّئْتَنِي ذِكْرَاهُ فَاحْتَبَسَ النَّفْسَ وَأَصْلَى بِنَارِهِ مَقْلَتِيَا^(٢)

* * *

أَيُّهَا الشُّكُّ يَا بَنَ أَيَّامِ عُمَرَى وَلَيَالِي فِي الشَّقَاءِ الطَّوِيلِ
أَنْتَ حَبِيبَتِي لِي الْمَنِيَّةِ وَالْقَبْرِ فَأَمْسَتْ لُقْيَاهُمَا تَأْمِيلِي^(٣)

* * *

خَبَلْتَنِي وَشَايَةُ الْآثِمِ الْفَدُّ وَأَفْنَتْ صَفَاءَ نَفْسِي وَعُمَرَى
فَلَيْشِرِ الْعَالَمُونَ .. اللَّهُ يَذَرِي أَنْتَنِي مَا صَنَعْتُ غَيْرَ الْخَيْرِ ..

* * *

بَيْنَ جَنْبِي طَائِرٌ فِي السَّمَاوَا وَلَكِنَّهُ كَسِيرُ الْجَنَاحِ
كَلَمًا رَفَرَفَ النَّسِيمُ عَلَيْهِ ظَنُّ فِيهِ تَنْهَدَاتُ الرِّيَّاحِ

* * *

(١) الرِّيَّاتُ : المخبِترُ المَحْتَالُ . والأَصْغَرَانِ : القلبُ واللسانُ .

(٢) المَقْلَةُ : العينُ كُلُّهَا ، ج : مُقْلٌ .

(٣) التَّأْمِيلُ : التَّلَبُّثُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّظَرِ ، والتَّدَبُّرُ وإعادة النظر فِي الشَّيْءِ . مرةً بعد أُخْرَى

قلتُ يوماً لشاعر .. أنت مثلي قال في الحظ؟ قلتُ بلْ في الأمانِ
قال يا صاحبي معانيك مثلي قلت لا .. قال فالْمَنَى كالمعانِ

* * *

صُنْتُ يوماً عن الطَّعامِ فما جُعْتُ لأنِّي أَرَدْتُ هَذَا الصِّيَامَ
وَأَكَلْتُ الطَّعامَ يوماً بلاشَوْقٍ فما زِلْتُ لَا أَحِبُّ الطَّعامَا

* * *

قال نثرى يوماً لِشُعْرِي سَلاماً يا أخِي يا بَنَ وَالِدِي ... ووليدِي
فَرَدَدْتُ السَّلامَ شعراً .. فَأَلْقَى فَوْقَ وَجْهِهِ السَّلامَ كالْمَرْدُودِ

* * *

قلتُ يوماً لطائرٍ عَبَقْرِي هل تَمَنَيْتَ مَرَّةً أَنْ تَطِيرَا
فَرَأَى فِي الْجَوَابِ عَيْشاً يَسِيرَا لَمْ يَكْلَفْ جَنَاحَهُ تَفْكِيرَا

* * *

عَجَمَتْنِي الْأَيَّامُ طِفْلاً فما لِنْتُ لِأَنِّي ما كُنْتُ أَذْرِي الْهُمُومَا
ثُمَّ شَاءَ الزَّمَانُ أَنْ يَتَمَنَّى فَتَمَنَّى لِعُودِي التَّحْطِيمَا

* * *

بَرَحْتُ بِي الْأَلَامُ يوماً فَأَعُولُستُ كَأَنَّ الْأَلَامَ بِنْتَ الْخُلُودِ
لِئَنِّي ما خُلِقْتُ أَوْلَيْتَ نَفْسِي خُلِقْتَ مِنْ حِجَارَةٍ أَوْ حَدِيدِ

* * *

يَبْتُ لَيْلَى مُسْهِدًا بَعْدَ أَنْ أُنْسِيَتْ أَتَى مُسَافِرُ الصَّبَاحِ (١)
أَتَرَانَا نَعْصِي لَأَنَّا جَهَلْنَا أَنَّ لِلْمَوْتِ مَوْعِدًا كَالرَّوَّاحِ (٢)

* * *

حَدَّثُونَا عَنْ ابْنِ آدَمَ لَمَّا قَتَلْتَهُ الْأَحْقَادُ مِنْ هَابِيلَا
لَيْتَهُمْ حَدَّثُوا عَنِ الْقَاتِلِ الْأَخْخَرِ قِيَامُ شَقِيقِهِ الْمَقْتُولَا (٣)

* * *

مَكَثَ الْفَيْلَسُوفُ خَمْسِينَ عَامًا بَاحِثًا عَنْ حَقِيقَةِ لِحْيَاتِهِ
وَرَأَى النَّاسَ بَحْثَهُ فَرَمَوْهُ بِالْجُنُونِ الْمُشَاعِ فِي خَطَرَاتِهِ (٤)

* * *

مَا تَكُونِينَ يَا أُمَامِي شَبَابِي ؟ وَأَنَا مَنْ أَكُونُ بَيْنَ صَحَابِي
أَنْتِ ذَاتِي الْمَجْهُولَةِ الذَّاتِ عَنِي ؟ وَأَنَا مِنْكَ مِثْلُ لَمَحِ السَّرَابِ

* * *

كَانَ عِنْدِي خِدَامَةٌ كَأَيْدَتْنِي ذَاتَ يَوْمٍ فَمَزَقَتْهَا عَصَايَا
ثُمَّ غَمِغَمْتُ أَعْذَرُ اللَّهَ لَمَّا طَرَدَ الْجَدَّ لَارْتِكَابِ الْخَطَايَا

* * *

(١) مُسْهِدًا : مَوْرَتًا .

(٢) الرَّوَّاحُ : الرَّاحَةُ ، وَهُوَ كَذَلِكَ اسْمٌ لِلْوَقْتِ بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى اللَّيْلِ ، وَيُقَابِلُهُ الصَّبَاحُ .

(٣) الْأَخْخَرُ : الْأَحْمَقُ ، وَالْخَرْقَاءُ : الْحَمَقَاءُ ، ج : خَرْقٌ ..

(٤) الْخَطَرَاتُ : مِنْ خَطَرَ الشَّيْءُ غَطَرَ غَطْرًا : لَاحَ فِي فِكْرِهِ وَذَكَرَهُ بَعْدَ نَسْيَانٍ ، أَوْ خَطَرَ بَقْلَهُ مِنْ أَمْرٍ ، أَوْ رَأَى ، أَوْ مَعْنَى ..

بين عَيْشِي وبين مَوْتِي فُروقٌ هي عندي يسيرةُ العرفان
غير أنَّ أرى حيائي هانتُ وهَوَانُ الحياةِ سرُّ هواني

* * *

وهب الله لابن آدمَ أرضاً باركتها السماءُ بالأمطار
وأرى الأرضَ لم تكن غيرَ قبرٍ جمَّلتَه الأقْدَارُ بالأشجار

* * *

يايَدَ الله باركي في يدِ الفتنَةِ سهماً مجنَّحاً دَمَوِيًّا^(١)
لم يَدْعُ في جوانِحِي نَبْعَ حُزْنٍ لم تَفْجُرْهُ بالبكاءِ شجياً

(١) مجتَمعاً : أي جعل له جناحين .

أطيان (١)

« من الشعر المرسى »

« إلى كونها الغريب في عزلة
بين قصور الرمال والأمواج » .

إذا ما العاشقُ المجهولُ أغرى الشمسَ باللقيا ، وراء الأفقِ الضاحي
فمَنَّتْهُ ومدَّتْ ، كخيوط الوهم . إشعاعاتها الحمراً .
كما منيتني يوماً وفي خديكِ توريدُ
وسالت من شفاء السحبِ صهباءَ الترانيم (٢)
نهدهد ربة الإشرافِ إذ أنكرها الحبُّ
لكي لا تُعجلَ الخطوا
وأنكرها نداء الحبِّ فاستقبلت الليلاً
وحينته وألقت ثوبَ نساءكِ معاميد (٣)
وغيبَ حصرها البحرُ
فكانت في مرآتي العينِ مخرباً من التبر
وغنى الليلُ في الآفاقِ أنشودة أشواقه

(١) قيلت هذه القصيدة في فتاة من فتيات (البرلس) الفقيرات البجليات .

(٢) الصهباء : النمر .

(٣) معاميد : جمع : معمود وهو من هذه الشوق .

وَهُوَ ذَاهِلَ الْحُسِّ وَفِي كَفِّهِ مَصْبَاحُهُ
 وَظَلَّلَ جُنْحُهُ الدَّامِيَ نُجُوماً مِثْلَ أَيَّامِي
 تَوَالَى السَّعْدُ وَالنَّحْسُ عَلَيْهَا ...
 وَاضْطَلَّتْ حَرْبَ لَيَالٍ حَصَدَتْ عُمرِي وَعَمَرَ الْأَنْجَمَ الزُّهْرُ^(١)
 وَمَاسَ الضُّوءُ ...
 وَاخْتَالَ النَّسِيمُ الْعَفُّ وَهَنَاناً بِمَا يَحْمِلُ مِنْ سِرِّ^(٢)
 إِلَى عُشَّاقِ خَفَقَاتِهِ
 تَوَاكَبَهُمْ عَلَى الْأَفْقِ أَمَانٌ كَالْأَسَاطِيرِ
 وَمَجَّ الْبَدْرُ رَيْقَ نَوْرِهِ الْمُنْسَابِ فِي الْكُونِ^(٣)
 فَكَحَلَ بِالسَّنَا الْقَدْسِيَّ أَهْدَاباً وَأَجْفَاناً
 وَمَا شَاءَ لَهُ الْعَجَبُ بَمَنْ يَرْجُونَ رُجْعَاهُ^(٤)
 أَذَابَ اللَّحْنَ أَصْدَاءَ
 وَأَفْنَى اللَّيْلِ أَضْوَاءَ
 يُسَلْسِلُ نَغْمَةَ الْمِيعَادِ لِلْهَائِيءِ بِالْحَبِّ
 وَيُرْعِشُ جَفْنَهُ الضَّارِعَ يَحْمِي مُنِيَةَ الصَّبِّ وَيُرْعَاهَا
 كَمَا كَانَ يَزِينُ لِرُوحِنَا اللَّقْيَا

(١) الْأَزْهَرُ : كل لون أبيض صافٍ مشرق مضيء ، والأزهر : القمر ، ج : زهر .

(٢) الْوَهْنَانُ : القاتر الكسول .

(٣) الرَّيْقُ : التلألؤ .

(٤) الرَّجْعَى : الرجوع ، والرجعى كذلك : جواب الرسالة ، يقال : جاءني رجعى رسالي .

ویرعانا إذا جئنا إلى وادی الصبایات

* * *

بربك إن رأيت الشمس في المغرب مشتاقه . إلى عاشقها النائي

وناغمت شعاعات لها في الأفق خفاقه ^(١)

وشاهدت سرى الليل وإطراقه

وكحل جفنك الساجي واستأثني على هذبك

فصاغ لآلهات السحر أشراكاً من الألحاظ مسحوره

وضم البدر في عينيك مهد رائح غادي

كمهد الطفل إلا أنه من مقل سود

وفاض العطر الوسنان من خمر ثناباه ^(٢)

على أعطافك النشوى

وراقص طائف الأنسام أفوافاً من الشعر

يُموجُّها على الجيد كما يهوى

وتخطر في حناياها الأفابيق ^(٣)

وبأهى الشاطيء الأسنى بك الدنيا

(١) خضقة : كثرة الخفق ، وهو التحرك والاضطراب .

(٢) الوسنان : القاتر .

(٣) الأفابيق : جمع فيقة ، وهى من الليل أكثره ، وهى كذلك اللبن الذى يجمع فى الصرع

بين الحلبتين .

بزيتونية العينين سينائية النسب^(١)
 هواها في عذارى الشطّ أخلام غريبات
 فحى العاشق المجهول والشنسا
 وحى الليل والبذرا
 وحى في يباب الحب غصا ذوى الزهر
 وبين فراديس الأشواك طيراً صادى الروح^(٢)
 لعل الله يُدنيني
 فيخبي ذوى الزهر وتروى العاشق الصادى
 لأنسى عالم الحرمان والتحنان والسهد
 أنادى من إذا أشرق فجر أنكروا الفجرا
 وإن أطبقت الظلماء
 والظلماء ميثاق لبلوهم
 أقاموا مأتماً للصفو بكاء الأناشيد
 تنهى بهم الوجد فما يثرون إضباحا
 ولم يثروا من الليل سوى زحمة آلام
 كساها القدر الجبار من حظ المساكين

(١) زيتونية العينين : جنس شجيرات من فصيلة الخلاقيات ، ورقها شبيه بورق الزيتون ،
 وأزهارها ضاربة إلى الصفرة وذات رائحة . وسينائية : نسبة إلى سيناء ..

(٢) الصادى : العطشان ..

ثِيَابَ الصَّمْتِ وَالرُّوعِ
فَرَاخَتْ تَقْطَعُ الْأُفُقَ خَضَمًا دَافِقَ الْمَوْجِ
وَأَمَّاتِ الْمَحْبِيِّنَ بِهِ كَالسُّفُنِ الْحَيْرَى
* * *

بِرَبِّكَ إِنْ صَحَا الْفَجْرُ وَمَادَ الْأُفُقَ بِالْبَدْرِ
وَعَادَتْكَ مَعَ الْأَنْسَامِ أَطْيَافُ الْهَوَى الطُّهْرِ
فَلَبَّى الْهَاتِفَ الْمَجْنُونِ قَدْ نَدَّ عَنِ الصَّدْرِ
وَذَابَ مَعَ النَّسِيمِ نَدَى لِيُوقِظَ نَاعَسَ الزَّهْرِ
وَتَيْمُهُ شِعَاعُ الْفَجْرِ فَانْسَابَ مَعَ الْفَجْرِ
وَشَاقَتُهُ مَعَانِي الرُّوحِ مِنْ رَاوُوقِ أَشْعَارِهِ^(١)
فَمَثَلُ شَوْقِهِ الْمَلْتَاعِ أَشْبَاحًا وَأَطْيَافًا

١٩٤٥

(١) الراووق : المصفاة ، و ... الكأس ، والراووق كذلك : إناء عظيم من الزجاج يتخذ للشراب
جمعه : رَوَاقِي ..

تحت الانقاض

أطرق الشاكي ونام الموجدُ وانتشَى الليلُ بكاساتِ السكونِ
غيرُ شاكٍ كفنته - الأضلع !! وبكتهُ بمراثيها العيون

* * *

حرمَ الله عليه الفرحا واستبدتْ بقواه التوب^(١)
فجفا الأيامُ فجراً وضُحى وتمنى لو طواه المغربُ

* * *

هزنى إذ هزه صوتُ الألمِ فتسمعتُ إلى أصباده
إذا لحنَ تغشاه الندمُ ضارعُ لله في عليائه^(٢)

* * *

قلتُ هذا البعثُ مجهولُ الندى أترى يمتدُّ بي أم يُقصرُ
يايَدَ الأقدارِ لأكنتَ يداً شابَهَ الناسكُ فيه الداعر^(٣)

* * *

قد كفاني وكفى قلبى الهوى هدنا من راحتيه مغولُ

(١) التوب : جمع توبة ، وهى التازلة والمصيبة .

(٢) تغشاه : تغطى من تغشى الشيء تغطى ، وتغشى الشيء فلاناً : غطاه .

(٣) الداعر : القاسق الفاسد من دهر يبدو دهر حارة : فسد وفسق ، فهو داعر ، ودعارة .

خالِدُ اللعنةِ مسعورُ القوي يجهلُ الرحمة فيما يجهلُ

حدثني أبدُنياكَ جليدٌ !!؟ يا يَدَ الأقدارِ أم جفَّ القلمُ
والذي خبأتِ وعدَّ أم وعيدٌ ؟ وشروقُ أم غروبُ وظلمُ

حدثني عن وُجودي في الحياه ما الذي أغراكَ بي حتى أجيء
أيُّها الجاني الذي فُكَّتْ يداه ورمى في قيده كلَّ برىء

ها هو القلب الذي طهرته من هوى الدنيا وآثام الشباب
ثار في صدري إذ ناديتَه إسترح يا قلبُ من هذا العذاب

ظننِي أفرقتُ في البلوى دمه فرماني بجُحود الجاحدين
رحمتا للقلبِ مَنْ ذَا علَّمَه أننِي أنكرتُ ماضيه اللّفين

ماضيَ الحبِّ الذي ألهمني صادَحَ الشَّعرَ وفرحانِ المنى
لم يزلْ يملأُ وجهَ الزمن ضحكاً حلَّوا وبِشرأ وسنا

قلتُ يا قلبُ حناناً إنما هذه الدنيا عجوزُ ساحره

أيُّ هذا الطفل تُلهيه اللُّمى إنَّ في الأولى معاني الآخرة

* * *

قال لي القلبُ وقد أخزنه لأنني ألهيْتُ عن حُرِّ جواه^(١)
يا مريضَ العمرِ عَجَلْ دَفَنه قَبْلَ أَنْ تُعْشِكَ أَضواءُ الحياه

* * *

كم تَرَنَّمْتَ بِالْحَانِ الصَّبَا وتركتَ الدهرَ يلهو بصباك
ثمَّ وَاغاكَ شِبابٌ شَيْبَا وأنا قلبك لا قلبُ سواك

* * *

بين أحنائي آمالٌ دَنَا عهدُها بالموتِ . والموتُ عَجَلُ^(٢)
أَفْنِيهَا أَنْتَ فَقَدْ تَخْشَى الْفَنَا وكلانا عن قريبٍ مُرتحل

* * *

قلتُ يا قلبُ وما أَبْأَسِنِي ! أنا أَقْضِي والمُنَى لا تَنْقُضِي
ما الذي أَبْقَيْتَ لي من حَسَنِ بَعْدَ أَنْ يُرْضِيكَ مَا لَا أَرْضِي

* * *

هَاتِ آمَالِي فَقَدْ أَعْدَدْتُهَا لِلْبَلَى . من قَبْلِ أَنْ تَرَوِي فَمَكَ
وَعْدًا تَهْتَفُ مَا أَنْسَيْتُهَا آهَ مَا أَقْسَاكَ .. بَلْ مَا أَرْحَمَكَ

(١) الجوى : ضيق الصدر من داء لا يكاد يبين عنه اللسان . ، وهو أيضاً : اشتداد الوجد من العشق أو الحزن .

(٢) الحشو : كلُّ شيء فيه اعوجاج كالضلع ، والجانب ، والعظم الذى تحت الحاجب من الإنسان ، ج : أحناء وحش .

قيس

نذرَ العمرَ للغرامِ صبيًا وانقضى عمره ولم يَجُنْ شيئًا
غيرَ شوكِ أدمى أمانيه فازتْنا عَ وقاسى الحرمانَ صباً خليًا
تخذَ الليلَ معبدًا وسناَ الحُبَّ إلهاً من سحرِ فينوسَ حيا
كلَّمَا أطلعَ الكرىَ فجرَ حُلُمٍ حسبَ الليلِ صبحه سُرْمديًا
وإذا أشرقَ الصُّباحُ ولم يَلْقَ سَنَاهُ ظَنُّ الصُّباحِ عشيًّا
رَحْمَتًا للمحرومِ يصنعُ سَلَوًا هُ من الدمعِ سينكبًا وعَصيًا^(١)

* * *

قال لي وهو مُطْرِقُ الرأسِ حُرَّتَا أى شئٍ جَنَى الحنينُ عليًا
ليس ذنبًا أنى أهِيمُ بحَوًّا فما زلتُ فى الهوى أدميًا
نحنُ فى مغربِ الحياةِ نسينَا بالصِّبَابَاتِ صُبْحَهَا الْأَزْلِيَا^(٢)
وأبونا الطَّريدُ ألقى علينا فى هَوَى الغيدِ درسَهُ الْقُدْسِيَا
فأَجْبَنَاهُ مؤمنينَ فقد كَا نَ (عليه السلام) برًّا نبيًا
ونسينَا التَّفَاحَ إِلَّا خُلُودَا واشتهينَاهُ فى الخُلُودِ حَيًّا

(١) السيكب : المظلم الدائم ، وجفن سيكب أى يظل دائماً .. عصيًا : أى خرج من طاعته : من عصاه بعصيه متعصية وعصياناً : خرج من طاعته وخالف أمره ، فهو عاص وعصاء ، وعصى .

(٢) الأزل : القدم : والأزل : مالا أول له .

وَنَسِينَا الْفَرْدَوْسَ إِلَّا وَعودًا وَلِقَاءَ تَحْتَ الْفُصُونِ حَفِيًّا
 وَنَسِينَا الشَّيْطَانَ إِلَّا لُعبًا وَأَكُفًّا تَطْوِي الْمَعَاطِفَ طَيًّا
 وَنَسِينَا ثَارَ النِّعَمِ الَّذِي ضَا^(١) عَ وَرُمنَاهُ فِي الْغَرَامِ هَنِيًّا
 وَنَسَجْنَا الْمُنَى مُحَارِبَ شَعِيرٍ وَتَخَذْنَا الْهُوَى إِلَهًا عَلِيًّا
 وَتَخَذْنَا الْأَوْهَامَ دُنْيَا فُتُونٍ وَأَقَمْنَا عُرْسَ الشَّهَادِ بَكِيًّا
 وَحَرَمْنَا الْخُلُودَ إِلَّا خُلُودًا خَلَقَ الْفَنُّ رُوحَهُ الْأَبَدِيًّا
 وَهِيَ حَوَاءٌ لَمْ تَنْزِلْ تُلْهِمُ الْمُعْجَزَ مِنْ فَنِّهَا وَتُعْطِي الشَّهِيَّةَ
 قَدْ رَضِينَا مِنْ أَجْلِهَا الدَّهْرَ غَيْثًا مِنْ رَذَاذٍ حِينًا وَحِينًا أَتِيًّا^(١)
 وَأَنَا الشَّاعِرُ الْمُعْرِيبُ بِالْعَيْنِ وَإِنْ كُنْتُ بِالْفُؤَادِ تَقِيًّا
 لَمْ أَنْلِ مِنْ غَرَامِهَا مَا تَمَنَيْتُ وَمَا زِلْتُ بِالْتِمَنِ شَقِيًّا
 آه مِنْ فَتْنَةٍ تَهْزُ وَجْهِي وَجُودِي وَتَشَبُّ النِّيرَانَ فِي أَصْغَرِيَا
 أَنَا قَيْسٌ لَيْلَاهُ فِي كُلِّ لَيْلٍ وَهُوَ الْمَشَاعُ لَمْ يَكْ غِيَا
 أَرُصُّ السُّبُلَ رَبِّمَا لَأَحَ بَدْرُ فَانَارَ الْوُجُودَ فِي نَاطِرِيَا^(٢)
 وَأُرِيدُ الْحَيَاةَ خَمْرًا وَشَعْرًا وَغَرَامًا مُطَهَّرًا عَبْقَرِيًّا
 ثُمَّ تَمْضِي الْأَيَّامُ فِي ظِلْمِي الْقَلْبِ وَلَمَّا أَفْنِ الطَّرِيقَ مُضِيًّا
 لَاهَوَى بِرَعْشِ الْجَفُونِ خُشُوعًا وَيُقْفِضُ الْإِلْهَامَ شَعْرًا رَوِيًّا

(١) الرَّذَاذُ : المطر الضعيف ، أو الساكن الدائم ، الصغير التطر كأنه الغبار . وَالْأَفَى : السَّيْلُ يَأْتِي مِنَ بَعِيدٍ ، وَالْغَرِيبُ الدَّعَى .

(٢) النَّاطِرُ : القاعل من نظر ، جمعه نَظَارَةٌ ، وَالنَّاطِرُ : العين ، و .. سَوَادُ الْعَيْنِ الَّذِي فِيهِ إِنْسَانُهَا ، جَمْعُهُ نَوَاطِرُ ..

لا ولا قاسمُ الجمالِ على النَّاسِ من حُظوظًا يُنيلُنِي منه شيئاً
أنا سَأمان زاهدٌ في حَيَاتِي والأمانى تكوى حنايَا كَيَا^(١)

* * *

قُلْتُ يا صاحبي هناك خيالٌ عاش لِلْمُلهِمِينَ يُدْنِي القصيَا^(٢)
فَأَرَقَ شَعْرَكَ الحزينَ مدامَا واشقه العاشقين خمرًا نديَا
فتولَّى عني وغمغم شعرا لم تصافح أنعامه أذنيَا

ملاك لعوب

رَنٌّ في مَسْمَعِي نِدَاءُ الحبيبِ من بعيد فخلته من قريبِ
وحبيبي إذا تعطف نسادى حينما لا يخافُ عَيْنَ الرقيبِ
فَلَجَبْتُ النَّدَاءَ مُنْتَهَبَ الرُّوحِ وفي مُهَجِّي حنين الغريبِ^(٣)
وإذا بي أراه من خَلَلِ الشُّبَّاءِ يَبْدُو في فتنَةِ المحجوبِ
ثمَّ حيًّا بكفه وتواري فأراني الغروب قبل الغروبِ
يا ملاكي اللُّعوبُ ماشئتَ فاصنع بِفؤادي . فَأَنْتِ أَنْتِ حبيبي

(١) حَنَائِي : جمع حَنَة ، وهي القوس ، ونجم كذلك على حَنّ ، ويقال : خرجوا بالحنايا يبتغون الرَّمَايَا ..

(٢) القصي : البعيد ..

(٣) مُنْتَهَبَ الرُّوح : مأخوذاً من انتهب الشيء : أخذه ، وانتهب القوس الشوطة : فاز فيه ، والمهجة : دم القلب والرُّوح ، جمعها : مُهَجَج ..

من وحى الضحايا :

نوح ابليس^(١)

« صدى ليلة تلجئة الأشواق ، يلدت بحين الجسد
وانتهت بأنين الروح » .

هذه دارُها وتلك ربَّاهَا نَمَّ عنها شَمِيمُها وَسَنَاهَا^(٢)
هذه دارُها تُنادى غريبًا عن حماها ما شامها أو رآها^(٣)
هذه دارُها وقد أَمَرَ اللَّيْلُ أَخَاهُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَرْعَاهَا
فأتى دُونَ ناظرى فطواه وأتى دُونَ ظَلِّها فطواها^(٤)

• • •

هذه دارُها وقد كان عهدى بسواها أَلَّا نُضَاعَفَ جَهْدِي
مَا لِرَجُلِي نَشْرَدَانِ عَنِ النَّهْجِ كَأَنِّي مُشْرَدٌّ يَسْتَجِدُّ^(٥)
مَا لِكَفِّي أَسْقَطَا . وَيَحْ جَدِّي أَيُّ دَارِ أَذَمَّهَا الْيَوْمَ وَحْدِي^(٦)

(١) تجربة شعورية من إحدى باتحات الجسد في حينها .

(٢) انشيم : ما يشم وتذكر رائحته .

(٣) شام الشيء : يشم شيئاً فنظر إليه مرقباً .

(٤) الناظر الفاعل من نظر ، ج : نظارة ، والناظر : العين ، و .. سواد العين الذى فيه

إنسانها ، ج : نواظر .

(٥) يستجدى : يطلب جدّواه ، والجَدُّوى : المطر العام والعطية .

(٦) الجَدُّ : الخطّ

شَاءَ وَجْهُ الشَّيْطَانِ مَالِي أَرَاهُ يَتَلَقَّى عَزِيمَتِي بِالتَّحَدُّيْ

* * *

عَجَبًا هَذِهِ مَهَاةٌ تَذُوبُ فِي أَكْفٍ تَسْلِيمُهَا نَشِيبُ
كَلَّمَا دَقَّ سَاقُهَا رَقَصَ النَّهْدُ وَفَاحَتْ مِنْ جَانِبَيْهَا الطُّيُوبُ^(١)
وَإِذَا شَاقَهَا الْمَنَامُ دَهَاهَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَوْتُ غُضُوبُ
أَذْكُرِينَا أَنْضَاءَ جَوْعٍ وَسُهْدٍ وَتَنَاسَى أَنْ الطَّعَامَ ذُنُوبُ

* * *

شَغَلَتْنِي بِرُوحِهَا الْغَلَابِ عَنْ حَرِيقِ يَشْبُ فِي أَصْلَابِي
وَرَمَتْنِي بِتَنْظَرَةٍ ثَمَّ قَالَتْ مَا رَأَيْنَا سِوَاكَ مِنْ هَيَّابِ^(٢)
هَذِهِ الدَّارُ لَمْ نَهَيَّا لَغَيْرِي مِنْ ضَحَايَا النَّدَامَانِ وَالْأَحَابِ
لَا تَخِيبْ رَجَاءَ شَاءَ رَمَاهَا عَاصِفُ الْيَأْسِ فِي مُحِيطِ الذُّثَابِ

* * *

وَإِذَا بِي أُجِيبَ كَفًّا بِكَفٍّ وَأَلْبَسِي بِضَمِّهَا صَوْتَ حَتْفِي^(٣)
أَحْسَبُ الدَّارَ تَسْتَحِيلُ عُيَابَا نَاطِرَ الْمَوْجِ مِنْ ظِلَامٍ وَخَوْفٍ^(٤)
أَوْ يَبَابًا تُزْمِزِمُ الْجِنُّ فِيهِ وَتُرَى الْعَيْنَ رَقِصَةَ الْمُتَشَفِّيْ

(١) الطُّيُوبُ : جمع طيب ، وهو الأفضل من كل شيء ، وكل ما يَنْتَشِبُ بِهِ مِنْ عَطْرِ وَنَحْوِهِ
وَيَجْمَعُ كَذَلِكَ عَلَى أَطْيَابِ .

(٢) هَيَّابٌ : صيغة مبالغة من هَابَتْ يَهَابُهُ هَيْبًا وَمَهَابَةً : أَجَلُهُ وَعَظْمُهُ فَهُوَ هَائِبٌ .

(٣) الْحَتْفُ : الْمَلَاكَةُ ج : حَتُوفٌ .

(٤) الْعُيَابُ : معظم السيل ، وعباب البحر موجه .

وأرى الحائط المغيَّب في الظُّلْمَة شَطًّا يُبْدِي الظَّلَامَ وَيُخْفِي^(١)

* * *

قُلْتُ يَاهُذِهِ أَنْتِى طَرِيقُ ! جَفَّ حَلْقِي فَمَا يَنْدِيهِ رَيْقُ
وَإِذَا هَمْسَةٌ مُمَزَّقَةٌ الْجَرِّ سَ صَدَاها كَهَمَمَاتِ الْغَرِيقِ^(٢)
أَيُّهَا الطَّارِقُ الْغَرِيبُ تَمَهَّلْ إِنَّ عَهْدَ الْآيَامِ غَيْرُ وَثِيقِ
هَاهُنَا قِصَّةٌ يُمَثِّلُهَا الْبُؤْسُ عَلَى مَسْرَحِ الْهَوَى وَالرَّحِيقِ

* * *

مَا تَرَى ذَلِكَ الْخِيَالَ الْمَلُومَ ؟ غَابَ فِي خَاطِرِ الدُّجَى وَتَكْتَمُ ؟
تِلْكَ أُمِّي .. وَلَسْتُ أَعْرِفُ أُمًّا وَلَدَتْنِي ... وَالْدَّهْرُ بِالسَّرِّ أَعْلَمُ
عَثَرْتُ مِثْلَ عَثْرَتِي بِصُخُورِ فَوْقَهَا زُورُقُ الْحَيَاةِ تَحْطُمُ
ثُمَّ أَمْسَتْ ذَكَرَى شَبَابٍ وَحَسَنٍ تُلْهِمُ الدَّمْعَ أَنْ يَذُلَّ فَيَسْجُمُ^(٣)

* * *

أَنَا فِي دَارِهَا أَعِيشُ غَرِيبَهُ وَتَرَانِي فِيهَا كَأَنِّي نَسِيبَهُ
عَقَدَتْنِي بِهَا مِنَ الْحِظِّ قُرْبَى فَكَلَّانَا مِنْ أُخْتِهَا مَحْجُوبِهِ
غَيْرَ أَنَّنِي أَعُولُهَا وَأَرْجَى لَشَبَابِي مِنَ الْحَيَاةِ نَصِيبِهِ

(١) شطا : بعيداً من شطّ يشطّ . ويشطّ شطًّا ، وشطوطاً : يبعد .

(٢) الهمهمة : كل صوت معه بحج ، والهمهمة أصوات كأصوات البقر والفيلة وأشباه

ذلك .

(٣) يسجم : يسيل كثيراً أو قليلاً : من سجم الدمع أو المطر يسجم سَجُومًا وسَجَامًا وتسجامًا

سَال قَلِيلًا أو كَثِيرًا .

قبل أن يذهب الشباب وأبقى وأنا من سحر الشباب سليبه

* * *

حيها حيها فقلت سلاما يا بنة الليل والطلا والنّدامي
وتضاحكتُ مطّرق الرأس فكراً في جمال عاف الحياة فناً (١)
يا بنة الليل حدثني لا تُراعي ربّما فسّر المنام المناما !
نحنُ ألغازُ ساحرٍ عبقريُّ جعل الموت للحياة لزاما

* * *

ثورة في جوانحي ليس تهديا وخيال يُفنى الكوارث عدداً (٢)
أى غيبٍ ضمته تلك التهاويلُ . وأى اليومين أطيب وزدا (٣)
أهو يوم الميلاد ينضحُ بشرا ؟ أم هو اليوم يُطعمُ الأرض ولداً
ذاك سرُّ علمته حين راحت تتعزّى . وخطتها تتحدّى

* * *

قال لي صمتها وقلت لصمتي كيف مالت بك الليالي ومليت
أى شيء جنيته من لياليك سوى ضجعةٍ وحلمٍ مُشيت (٤)
لداين ولّى عنك الصبا وهو سوقٌ للغواني : كسبته وخسرت

(١) عافت : كرهت . من عاف الطعام يعاف عيافاً وعبافاً : كرهه فتركه .

(٢) الكوارث جمع كارثة : النازلة العظيمة والشدة .

(٣) التهاويل : ما هوّل به . أو ما هالك من شيء ، أو ما على الموادج من الصوف الأحمر والأخضر والأصفر ..

(٤) الضجعة : الدّعة وخفض العيش ، والضجعة كذلك : الوهن في الرأي . مُشيت : متفرّق من الشّت أى المتفرّق ، ج أشتات .

وَأَتَاكَ الْمَشِيبُ وَهُوَ جَدُوبٌ نَفَخْتُ فِيكَ رَوْحَهُ فَذَبُلْتُ

* * *

وَتَمَثَّلْتُ وَجْهَهَا مِخْرَابًا لَعَيُونَ تَحْسُوُ الْفَنَاءَ شَرَابًا^(١)

مِنْ بَقَايَا أُذُنَيْنِ مَلَأَ الدُّعَابَا وَبَقَايَا خَلْدَيْنِ عَافَا الْخِصَابَا^(٢)

وَهُنَا مَعْبِدُ الشُّفَاهِ أَحَالَتُهُ سَمُومَ اللَّخَانِ قَفْرًا يَبَابَا

وَالْبَلَى نَاشِرٌ جَنَاحَ غِرَابٍ ظَنَّهُ النَّاسُ شَعْرَهَا الْمُنْسَابَا

* * *

أَيُّ كَوْنٍ مُحَجَّبُ الْأَسْرَارِ خَلْفَ عَيْنَيْكَ يَا بَنَةَ الْأَقْدَارِ

كَمْ رَعِيَتْ السُّمَارَ أَشْبَاحَ جِنٍّ تَتَخَفَى عَنْ وَاغِظِ الْأَبْصَارِ

قُبِرَ السَّحَرُ فِي الْجُفُونِ وَمَاتَ نَظَرَاتُ الْإِغْرَاءِ لِلْسُّمَارِ

قُبِرَ السَّحَرُ فِي الْجُفُونِ وَنَامَتْ فَوْقَهُنَّ الْأَهْدَابُ كَالصَّبَارِ

* * *

زَوْجَ إِبْلِيسَ وَهُوَ كَالنَّفْسِ عَبْدٌ وَلِلَّهِ لِإِنْفَسٍ لَا تُعَدُّ

حَدِيثِي عَنْهُ فَقَدْ كَانَ عَقْلِي يَضْطَفِيهِ إِذَا جَفَانِي زَهْدٌ

مِثْلُهُ أَجْسَادُكُمْ جَمَالًا فَهُوَ فَيَكُنُّ شَائِعٌ لَا يُحَدُّ

(١) نحو : من حسَّ الرجل المرق أو الخمر أو نحوه : تناوله جرعة بعد جرعة ، يحسوه حسراً.

(٢) الخضاب : ما يَخْضَبُ بِهِ مِنْ حَتَامٍ وَنَحْوِهِ .

كلما جاع ملهم أشبعته قبلات الهوى ورواه شهيد

* * *

أى روح ألفت على هداها حينما خلتها ستغفر فاما ؟ (١)
قلت هذا حديثها سوف تحكيه وكم فى شبها قد حكاها ؟
يوم كانت ألفاظها تتثنى رقة لم يبلغ رحيق مداها (٢)
ولذا باليقين يعصف بالشك فتهدى على يدى راحتها

* * *

خفق النور خفقة المرتع فعرفت الوداع قبل الوداع (٣)
ملء كفى ورأسها يتداعى وعناء على هذا التداعى
إيه يارب ما عصيتك جهلا بل صغارا .. من شقوى واندفاعى
فاجل عنى الظلام كيما أرى الموء ت نجا من قبضة الأطماع (٤)

* * *

وعطت نحو مسمعى بعظام ركب بين صدرها والهام
وأسرت إلى أن حصص الحق وخابت شماتة اللوام (٥)

(١) مستغفر : مستفتح .

(٢) الرحيق : الخمر ، والخالص الصافي منها ، وضرب من الطيب . وفى البيت خلل عروضى .

(٣) المرتع : المنزعة من ارتاع بمعنى فرح .

(٤) التجاء : الخلوص من الأذى من نجاة منه ينجو نجا : خلص من أذاه .

(٥) اللوام : جمع لأم وهو من يلوم غيره بالتكدير بالكلام لإتيانه مالىس جائزا أو مالىس

ملائما لحال اللام أو حال اللوم ، فهو لأم ، وذلك مكلم ، مكوم ، والآوام : الكثير اللوم .

لا حلالٌ ولا حرامٌ ولكن راحةً من متاعب الأيسام
فإذا الجسم في طريق التدنى وإذا الروح في طريق التسامي

* * *

أشفقتُ بنتُ دارها من دُهولٍ ورأيتُ كحظها المخبول
فَنَضَّتْ ثوبَهَا وَقَالَتْ عَجِيبٌ أَمْرُ هَذَا الْمُتَيْمِّمِ الْمَجْهُولِ
مَا لِكُفْيِهِ لَا تَحْسَانَ كُفَى وَهِيَ بَعْضُ مَنْ حُسْنَى الْمَبْذُولِ
وَنَحَا لَا تَلْزِي الْفَجِيعَةَ إِلَّا يَوْمَ فَقْدَانِهَا حَفِيفَ الدُّيُولِ^(١)

* * *

قلت يا من سقطت في الناس قدرا سخر الموتُ من نواياك طرًا
هذه أُمْلِكُ الْحَبِيبَةِ قَدْ مَا تَتَّ فَشَقَى لَهَا بِصُنْرِكَ قَبْرًا
فَأَفَاقَتْ مِنْ غَشِيَةِ الْإِثْمِ هُونًا وَعَوَتْ صَرْخَةً تَسَاقُطُ جَمْرًا
فَصَحَبَتْ الظَّلَامَ طَائِفَ لَيْلٍ لَمْ تَشَاهِدْ عَيْنَاهُ مِنْ قَبْلُ فَجْرًا

* * *

وتخَطَّيْتُ سَاحَةَ الْأَجْسَادِ جَامِدَ الْعَيْنِ مُسْتَكِينِ الْفُؤَادِ
أَيُّ ذَنْبٍ جَنَيْتِهِ ؟ أَيُّ ذَنْبٍ حِينَ خَلَفْتَهَا بِلَا إِسْعَادِ ؟
مَا تَرَاهَا تَقُولُ إِذْ فَقَدْتَنِي خِذْنَهُمْ وَرُودُهُ مِنْ قِتَادِ^(٢)

(١) الدُّيُولُ : جمع ذَيْل . وهو آخر كل شيء ، وأسفل الثوب ، وما تركه الريح في الرمل
كأثر ذيل مجرور . ج : أذْيَالٌ ، ذُيُولٌ .

(٢) خِذْنُ : صديق (الذكر والأنثى) . ج : أَخْدَانُ .

حسبها قاسم الحظوظ وحسبي بعد حين ندامة الزماد

* * *

وَعَرَّتْنِي سَكِينَةُ الْأَمْوَاتِ وَرَفَّتْنِي مَدَامِيعُ الْحَسَرَاتِ
وَسَمِعْتُ الشَّيْطَانَ يُلْقَى بِسْمِغِي طَرَفًا مِنْ آيَاتِهِ الْخَالِدَاتِ
لَا تَلُمُ مِنْ تَعِيشٍ فِي كَنْفِ الْعَرْصِ فَيَقْدَرُ آدَاهَا صِرَاعُ الْحَيَاةِ^(١)
رَبِّمَا ضَمَّ شَامِخُ مُوَسِّسِ النَّفْسِ وَفِي وَجْهِهَا حَيَاءُ فَتَاةٍ

١٩٤٥

بغيل

يا بخيلاً وكلُّ نظرة عيْنٍ منه كنزٌ للشاعر المُفْتَنِ
أَغْنِي عَنْ جَمَالٍ غَيْرِكَ يَا حُذِّ بِمَا فِيكَ مِنْ جَمَالٍ وَحُمنِ
لَا تَدْعُنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ تَسْرَابًا شَائِعِ النُّورِ فِي سَمَاوَاتِ فَنِي
لَأَنْتَ يَا مَنْ وَهَبَتْهُ صَفْوَةُ عُمَرَى كَيْفَ جَازَيْتَنِي بِظُلْمِي وَعُغْبِي
لَمْ يَرِ النَّاسُ مِنْكَ غَيْرَ قَسَوَامٍ مُبْدِعٍ فِي دَلَالِهِ وَالتَّنْثِي
وَأَنَا لَا أَرَاكَ غَيْرَ وَجُودٍ كَامِلِ الْخَلْقِ فِي فَوَادِي وَعَيْقِي

(١) آدَاهَا : أَعْجَزَهَا وَأَجْهَدَهَا .

الفنان^(١)

هو نايٌ حُرِّمَ الشَّدْوُ فماتت أَغْنِيَاتُهُ
هو قلبٌ مُنِعَ الحبُّ فجُنَّتْ خَفَقَاتُهُ
هو كأسٌ عافه الشَّرْبُ فجفَّتْ قطراته^(٢)
هو جفنٌ شاقه النومُ فطالت رَعَشَاتُهُ

* * *

وهو نايٌ نَفَخَتْ فِيهِ الْأَعَاصِيرُ فَنَاحَ
وهو قلبٌ خالِدَ الْأَشْوَاقِ مَحْمُومُ الْجِرَاحِ
وهو كأسٌ فِيهِ لِلصَّهْبَاءِ مَغْدَى وَمَرَّاحٌ^(٣)
وهو جفنٌ نَاعَسَ الْأَحْلَامُ لَا يَذْرى الصَّبَاحُ

* * *

هو من لَا تَنْظُرُ الْأَعْيُنُ مِنْهُ غَيْرُ جِسْمٍ
وهو فجرٌ لَقَّهُ جَنَحُ الظَّلَامِ الْمَذْلَمِ
قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَكْرَ مِنْ حَرْبٍ وَيَسْلَمِ

(١) هذه القصيدة ترجمة ذاتية للشاعر .

(٢) الشَّرْبُ : القوم يشربون ويجمعون على الشَّرَابِ .

(٣) الْمَغْدَى مكان الغدو . وَالْمَرَّاحُ : الموضع الذي يروح منه القوم ، أو يروحون إليه ،

وهو خلاف الْمَغْدَى . ويقال : ما ترك من أبيه مَغْدَى وَلَا مَرَّاحًا : إذا أشبهه في أفعاله كلَّها .

الألوهية فيه ترتدى أثوابَ إثم

ذلك الظامئ يسقى الناسَ خمرَ العبراتِ
معجزُ الباكين وهو العبقريُّ الضحكاتِ
خالقُ الكونِ الذى يخفقُ فوق الكائناتِ
للرؤى فيه حياةٌ وفتاءٌ كالحياةِ

لم يمثله سواه وهو فانٍ فى سواه
شائعُ الروحِ وإن حُدَّ بما تقضى الحياه
إن تكُ الأيامُ ديرًا فهو فى اللبِيرِ صلاه !
أويكُ الحزنِ نشيدًا فهو فى الأرضِ ضده

زاده حواءُ والفنُّ وعلوى الرغابِ
خالدُ الأشواقِ مابين حنينٍ واغترابِ
فهو للناسِ نعيمٌ وهو بالناسِ عذابِ
إن سَمَا فهو سحابٌ أودنَا فهو ترابِ

هو مَنْ سموهُ فنَّانًا . وفى الأسماءِ فنُّ
وهو نايٌ وهو كأسٌ . وهو قلبٌ وهو جفنٌ
كلَّمَا طارَ بِنَجْوَاهُ إلى المجهولِ لحنٌ

هَزَّةٌ مِنْ جَانِبِ الْمَجْهُولِ هَتَّافٌ مُرِنٌ^(١)
 ... لَا يَغُرُّكَ الَّذِي يَبْدُو فِيهِ الْمُسْتَكِينُ
 أَنَا يَا خَالِقُ خَلَّاقٌ مِنَ الْبَدْءِ مِفْنٌ^(٢)
 قَبِستَ رُوحَكَ مِنْ رُوحِي فَعَيْنِي لَكَ عَيْنٌ
 وَبِأَخْنَاتِكَ مِنِّي ثُورَةٌ لَا تَطْمِئِنُّ^(٣)

أَيُّهَا الْفَنَّانُ مَا أَجْمَلَ دُنْيَاكَ وَأَكْرَمَ
 أَنْتَ يَا مُبْدِعُ مَا فِي الْكُونِ مِنْ حُسْنٍ مُلْتَمِ
 قَدْ لِسِ الْحُسْنِ وَخَلَّدَهُ فَمَا فِي الْحُسْنِ مَا تَمَّ
 أَيُّهَا الْمَلْهُمِ وَالذَّمُّرُ بِمَا يَشْقِيكَ مُلْهُمُ
 عِشْ كَمَا شَاءَتْ خَيَالُكَ وَافْرَحْ وَتَأَلَّمْ
 لَا تَقُلْ لِي مَحْرُومٌ وَغَيْرِي يَتَنَسَّمُ
 أَنْتَ يَا مَحْرُومٌ تَلْدِي أَنَّ رَاوُوقَكَ مُقَمَّمٌ^(٤)
 وَمَنْ الْحَرَمَانِ خُلْدٌ هُوَ مِنْ دُنْيَاكَ أَعْظَمُ

٥ أبريل سنة ١٩٤٥

(١) الهتاف : وصفٌ للمبالغة في الهتاف ، وهو الصوت العالي يُرفعُ تمجيذاً لعظيم أو احتفاءً به .
 والمُرِنُ : المصَوِّت .

(٢) المِفْنُ : صاحب الموهبة الفنية ، كالشاعر والكاتب ، والموسيقى والمصور والممثل ، وهو مبالغة من فن . والمِفْنُ كذلك : الحمار الوحشى لضعفه في العدو .

(٣) الاحتفاء : جمع حَفْنٍ ، وهو كل شيء فيه اعوجاج كالضلع ، والجانب ، والعظم الذى تحت الحاجب من الإنسان ، ويجمع الحنفى كذلك على حنفى ..

(٤) الراووق : المصفاة ، والكأس ، والراووق كذلك : إناء عظيم من الزجاج يُتخذ للشراب ، جمعه رَوَاقِق .



في موكب الحرمين

١٩٤٥ ~ ١٩٤٦

ذبول

بين هَمْسِ الشِّفَاءِ والأَخْداقِ
واللَّيَالِي خَمْرِيَّةُ الْأَشْوَاقِ
واصْطَبَاحِي عَلَى الْهَوَى وَاغْتِيَاقِي
ذُبُلْتُ زَهْرَةَ الصَّبَا وَالشَّبَابِ

بين مُصْنَعِ مُسَهِّدِ الْأَنْبَاءِ
ومَسَاءِ مُعَذِّبِ الْأَضْوَاءِ
واحْتِرَاقِي وَوَحْدَتِي وَبُكَاتِي
ذُبُلْتُ زَهْرَةَ الصَّبَا وَالشَّبَابِ

يَا رَبِّيعَ الْغَرَامِ أَيْنَ غَرَامِي
كَيْفَ مَاتَ عَلَى فَمِي أَنْغَامِي
وَتَهَاوَتْ عَلَى يَدِي أَخْلَامِي
ذَوْتُ زَهْرَةَ الصَّبَا وَالشَّبَابِ

* * *

(١) الاغْتِيَاقُ : الشُّرْبُ بِالْمَتْنِ .

صَوَّحَتْ وَاحْتَى وَجَفَّ مَعِينِي^(١)

وَانْتَهَتْ قِصَّةُ الْغَمَامِ الْحَزِينِ

يَوْمَ ضَاقَتْ بِمَا تُكْنُّ جَفَوْنِي

مِنْ دَمْعٍ عَلَى الصَّبَا وَالشَّبَابِ

قَدَّرَ الْهَوَى كَمَا شَاءَ يَجْرَى

وَحَبِيبٌ فِي حُبِّهِ تَاهَ وَكُرَى

بَيْنَ وَضَلٍ صَافِي النِّعَمِ وَهَجَرٍ

غَاضَرَ فِيهِ نَيْعُ الصُّبَا وَالشَّبَابِ

يَا حَبِيبِي وَأَنْتِ سِرٌّ مَرَوَانِي

سَوْفَ أَنْسَاكَ قَبْلَ أَنْ تَنْسَانِي

أَيُّهَا الْخَالِدُ الَّذِي أَفْنَانِي

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى الصُّبَا وَالشَّبَابِ

(١) صرَّحت : جئت وذُبت . . . والمعين من الماء : الظاهر الذي تراه العين جري على وجه

لهفة

يامن يُعذِّبُنِي بِفِرْطٍ دَلَالِهِ	هَوْنٌ عَلَيْكَ
وَارْحَمْ أُمِّي الْبَاكِي عَلَى أَمَالِهِ	صِرْعَى لَدَيْكَ
قَلْبِي وَحَالُ الْبَائِسِينَ كَحَالِهِ	يَهْفُو إِلَيْكَ
وَيَكَادُ يَقْرَأُ غَيْبَهُ بِخِيَالِهِ	فِي مُقَلَّتَيْكَ
مَضَتْ السُّنُونُ وَمَا انْتَشَى بِوَصَالِهِ	إِلَّا لَدَيْكَ
وَلَسَوْفَ يَلْقَى الْمَوْتَ مِنْ إِذْلَالِهِ	وَتَعِيشَ وَيُنْكَ
يَا مَنْ يُعَذِّبُنِي بِفِرْطٍ دَلَالِهِ	لَهْفَى عَلَيْكَ

ليلة وصال

هذه الليلة من عمر الخلود فأنبرى في سماها كوكبا
وأعيدى ماتغناه الوجود من أغاريدك في فجر الصبا
وأرى فرحة العاشق في ظل مناه
إنما نحن على الدنيا صباح وسناه

* * *

لاتقولى سخر الدهر بنا وانطوت صفحة ماضينا الحبيب
أنت في شكواك ياروحى أنا وكلانا بين أهليه غريب
فابيمى تبسم لروحينا أمانى الحياه
إنما نحن على الدنيا نشيد وصداه

* * *

يا غرامى بين ربات الغرام غنت الأشواق في قلبى فغنى
واملى كائى من صفو المدام واملى كأسك من خمير التمنى
واملى الليل غراماً من عيون وشفاه
إنما نحن على الدنيا رحيق وشذاه

عطرُكِ النَّائِمُ في مَهْدِ النُّهْودِ أَيْقَظَتْهُ قَبْلَتِي فَانْتَسَكَبَا
وَالطَّلَا الْبَاسِمُ في وَرْدِ الْخُلُودِ عَبَدَتْ عَيْنَايَ فِيهِ الذَّهَبَا
كَلَّمَا أَسْكُرْنِي الثَّغَرُ الْبُرُودِ عَرَبِدَ الْقَلْبُ هِيَاماً وَصَبَا
وَإِذَا طَابَ لَكَفَى السُّجُودِ في سَمَاءِ الصَّدْرِ جُنًّا لَعْبَا
وَأَرَى اللَّيْلَةَ مِنْ عَمْرِ الْخُلُودِ أَنْتِ أَشْرَقْتَ عَلَيْهَا كَوُكْبَا
فَأُعِيدِي مَا تَغْنَّاهُ الْوُجُودِ مِنْ أَغَارِيدِكَ في فَجْرِ الصَّبَا
وَأَرِنِي فَرَحَةَ الْعَاشِقِ في ظِلِّ مُنَاهِ
إِنَّمَا نَحْنُ عَلَى الدُّنْيَا صَبَاحٌ وَمُنَاهِ

بعد حين

بعد حينٍ سَتُوارِئِنِي كما وَارَتْ سِوَايَ الحُفْرَاتُ
بعد حينٍ تُحَرِّمُ الدُّنْيَا أَنَاثِيْدِي وَتُفْنِي الْأَغْنِيَاتُ
بعد حينٍ لَسْتُ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ
تَنْتَهِي أَحْلَامُ دُنْيَايَ وَيَبْكُنِي الْوَجُودُ
وَتُغْشِي سُحْبَ الْمَوْتِ سَمَائِي بَعْدَ حِينٍ^(١)

كَيْفَ غَابَتْ أَنْجُمُ الْأَمَالِ مِنْ آفَاقِ عُمُرِي
مَا الَّذِي غَالَ ابْنِ سَامَاتِي وَأَبْلَى نَسْجَ فِكْرِي
سَأَلَ الْقَلْبُ فَلَمْ يَسْعِدْهُ فِي الْبُلُوَى جِوَابُ
فَرَأَى أَحْلَامَهُ الْبَيْضَاءَ مِنْ دَسَجِ السَّرَابِ
وَتَمَنَّى لَوْ أَصَابَتْهُ الْمَنَايَا بَعْدَ حِينٍ

ضَجَّتِ الْأَرْضُ وَعَافَتْني غَدُوًّا وَرَوَّاحًا^(٢)
وَاسْتَحَالَ النِّعْمُ الْحَنَانُ فِي سَمْعِي نَوَاحًا

(١) تُغْشِي : تَغْطِي .

(٢) عَافَتْني : كَرِهَتْني .

فَتَخَذْتُ الهمَّ كَأُمِّي وَلِيَالِي النَّدَامَى
وَتَسَامَيْتُ فَلَمْ أَزْشِدْ مِنَ الطَّيْنِ غَرَامَا
عَلَّنِي أَلْقَى غَرَامِي فِي سَمَائِي بَعْدَ حِينِ

فِي نَعِيمِ الْكَأْسِ نَسِيَانٌ لِمَنْ ضَاعَتْ مَنَاهُ
وَمِنَ الْحَرَمَانِ أَنْ يَبْكِي فَلَا يُجْدِي بُكَاهُ
وَأَنَا كَأُمِّي تُعْمِيْنِي فَأَنْسَى صُبْحِي
وَتُرِيْنِي كَيْفَ أَمْسَيْتُ .. وَحُزْنِي فَرَحِي
وَمَتَى نَفْسِي أَنْ تَذْهَبَ نَفْسِي بَعْدَ حِينِ

عتاب

الذنبُ ذنبُكُ ليس ذنبي يا مَنْ أَرَقَّتْ دُمُوعُ قَلْبِي ^(١)
فَتَنْظُرِي عَنِّي فَقَسِدْ يُلْهِمُكَ عَنْ نِسْيَانِ حَيِّي ^(٢)

لَمَّا اتَّقَيْنَا وَالتَقْتَ ..
هَتَفَ الشَّبَابُ بِنَافِلَتَيْنِ وَنَجَّوَانَا سُكُونُ
قَلْبِي يَقُولُ وَجَدْتُهَا وَهُوَ الْمَصْدُقُ لَا يَخُونُ
وَأَنَا أَقُولُ لَعَلَّهَا يَا قَلْبُ خَاتِمَةُ الْحَنِينِ
حَتَّى إِذَا نَامَتْ جَرَّاحَاتِي وَخِلْتُ هَوَاكَ طَبِي ^(٣)
عَزَّتْ عَلَيْكَ هِنَاءَتِي فَسَلَبَتْني أَحْلَامَ قَلْبِي

الْحُبُّ ... وَهِيَ الْوَاحِدَةُ النَّشْوَى بِأَنْسَامِ الْحَيَاةِ
رَفَرَقْتُ فَوْقَ زَهْوَرِهَا عَطْرِي وَلَمْ أَنْشَقْ شِدَاهُ
وَوَهَبْتُ قَلْبِي الْمَعْدُ بَ بُلْبُلًا يَبْكِي أَسَاهُ
وَأَضَعْتُ عَمْرِي كُلَّهُ أَهْفُو إِلَيْهِ وَلَا أَرَاهُ
فَرَجَعْتُ أَنْدَبُ وَاجِحِي وَزَهْوَرَ أَحْلَامِي وَحَبِي
وَالذَّنْبُ ذَنْبُكَ لَيْسَ ذَنْبِي يَا مَنْ أَرَقَّتْ دُمُوعُ قَلْبِي

(١) أَرَقَّتْ : سَكَتَ وَسَفَحَتْ . مِنْ أَرَاقَ الْمَاءِ لِإِرَاقَةٍ : صَبَهُ ، وَأَرَاقَ دَمَةٍ : سَفَكَهَ كَنَائَةً عَنْ قَتْلِهِ لِإِيَّاهُ .

(٢) تَنْظُرِي : تَأَمَّلِي بِعَيْنَيْكَ ، أَوْ تَوَقَّعِي .

(٣) الْعَتَابُ : الْمُدَاوَاةُ وَالْعِلَاجُ ، مِنْ طَبَّبَ الْمَرِيضَ وَنَحْوَهُ يَطْبُبُ طَبِّبًا : دَاوَاهُ وَعَالَجَهُ .

ذوية الحب

« أظهر العلم من معجزاته الآتمة ما يسمونه « القنبلة الذرية » ، فإلى العلماء هذه الأنشودة الحزينة السامية بحزنها الذي يطهر ولا يدمر »

قبل أن نهبط من جنتنا في الأزلية
حين كنا ذرة في جانب الله سنيه^(١)
جوهرتنا يده العليا بنور القلميه
فاقتسمناها حياة في السماوات هنيه
وأراد الله أن نلبس ثوب الآدميه
فافترقنا رغم ما يجمعنا في العاطفيه
والتقينا بعد آباد بسر الجاذبيه
التقينا ... فانتشيننا برحيق الأبدية^(٢)
ونهبنا العمر أحلام ليال نابغية^(٣)

(١) السني : الرفيع ، ومؤنه سنيه وهي ترفيعه .

(٢) انتشينا : بدأ سكرنا وطربنا ، والرحيق : الخمر . والخالص الصاق منها ، وضرب من الطيب .

(٣) ليال نابغية : مثل في ليلة هم والأرق ، وأصله أن النابغة قال في وصف ليلة حين غضب النعمان عليه :

فبت كأني ساورتني ضيلسة من الرقص في أنيابها السم ناقع ...
فضرب بليكه المثل ، جمعه : نوايع ..

ثُمَّ وَلِيْتُ فَمَاتَتْ أَغْنِيَانِي فِي يَدَيْهِ
 وَدَجَا عُمُرِي وَهَانَتْ بِهِجَةُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ ^(١)
 وَغَدَا يَاتُوا أَمَّ الرُّوحِ تَعُودِينَ إِلَيْهِ

قِصَّةٌ سَلَّلَهَا اللَّهُ وَعَاشَتْهَا الْبَرِيَّةُ
 الْأُلُوْهِيَّةُ فِيهَا مَثَلَتُهَا الْبَشَرِيَّةُ

١٩٤٥

(١) دَجَا عُمُرِي : يَدْجُو دَجْوًا ، دَجْوًا : تَمَّ وَكَمَلَ ، وَدَجَا اللَّيْلُ : تَمَّتْ ظُلُمَتُهُ وَالْبَسَ كُلَّ شَيْءٍ فَهُوَ دَاجٍ ، وَدَجَى :

نشوة

طَافَتِ النَّشْوَةُ بِالْكَأْسِ كَمَا طَافَتْ بِنَا
 أَتْرَاهَا - يَا حَبِيبِي - سَكِرْتُ مِنْ حِينِنَا
 أَمْ هِيَ النَّشْوَةُ يَا حَلُو وَأَفْرَاحِ الْوَصَالِ
 بَعَثْتَنِي حُلْمًا يَسْبِغُ فِي دُنْيَا الْخِيَالِ
 يَا حَبِيبِي إِنَّمَا الدُّنْيَا شَبَابٌ وَأَمْسَانِي
 يَا حَبِيبِي نَحْنُ مِنْ يَوْمِ خُلِقْنَا .. عَاشِقَانِ
 وَغَرَامِي أَنْتَ يَا سِرُّ هِنَائِي وَمَهْجَوَانِي
 فَاسْقِنِي كَأْسَكَ وَاشْرَبْ مِنْ فَمِي خَمَرَ الْأَغَانِي
 وَانْسَ مَا ضَاعَ مِنَ الْعُمُرِ وَلَا تَذْكُرْ غَسْلِي
 فَهُوَ غَيْبٌ رَهْنَسْتُ سَاعَتَهُ بِالْمَوْعِدِ
 وَالَّذِي رَاحَ طَوْنُهُ ظُلُمَاتِ الْأَبْسَدِ
 فَارُونِي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَذْبُلَ زَهْرِي فِي يَسَدِي

* * *

وَامْلَأِ الْكَأْسَ وَعَطِّرْهَا بِأَطْيَابِ الْمُنَى
 فَلَقَدْ أَسْكِرَهَا الْحُبُّ كَمَا أَتَسْكِرُنَا
 أَتَرَى رَوْحَكَ أَخِيْتَهُمَا فَسَالَتْ شَجْنَا
 أَمْ تَرَى رَوْحَكَ - يَا رَوْحِي - أَحْيَيْتَنِي أَنَا
 أَمْ هِيَ النَّشْوَةُ يَا حَلُو وَأَفْرَاحِ الْوَصَالِ

غريب فى الربيع (١)

« لى يوم عيد . شربت فيه آخر قطرة من حميم
الوحدة . فى نادى الخليّين » .

- أنا الغريب هنا لا خمرَ أَسْقَاها
ولا لَأَنْدِيمَ يُعَاطِنِي حُمَيَّاها ؟ (٢)
- أنا الغريب هنا ... لا السروضُ يَبْسُمُ لى
ولا أَزَاهِرُهُ تَنْدَى ثَنَاياها (٣)
- هنا الخميلاتُ أَشْوَاقُ مُرْنَحَةٌ
العاشقون طيِّوبٌ فى حناياها (٤)
- هنا الخليُّون لم يُقَدَّرْ لراحتهم
موتٌ ولم يعلموا للنَّفْسِ سَلْواها
- هنا الخليُّون أَحْسَابُ وَأَنْسَابُ
حَبَائِبُ عِبْقَرِيَّاتٍ وَأَجْيَابُ (٥)

(١) كان عنوان القصيدة « حوائى » ، ولكنه غيّر العنوان حينما نشرها بمجلة الرّاديو المصري تحت عنوان « غريب فى الربيع » ، والقصيدة تعبّر عن شعوره بالوحدة وحنينه إلى حبيبته .

(٢) يُعَاطِنِي : يناولني . وَحُمَيَّا كل شيء : حدته وشدته ، والحُمَيَّا : الخمر كذلك .

(٣) الثَّنَايا : جمع ثَنِيَّة . وهى الطريق فى الجبل . أو الخالصة ، يُقَال : هو ثَنِيّ : خالصى .

(٤) الطُّيُّوب : جمع طَيِّب : كل ما يستطيب به من عطر ونحوه ، وهو الأفضل من كل شيء . والحنّايا : جمع حَنِيَّة وهى القوس . وتجمع كذلك على : حَنَى .

(٥) حَبَائِب : جمع حَبِيبَة ، وهى المهرجة . وهى المُحِبَّة كذلك .

وخمرة تُشكِّرُ الأحلامَ رِيْقَتَها
 وشاربون لَهْمَ في السُّكْرِ آدابُ
 طارتْ بهم نَشْوَةُ اللَّقِيَا ، وغلَّتْ
 قيدُ من الوحْدَةِ الخرساءِ غلابُ
 يا حسرتا ... أنا مَحْرُومٌ وملءٌ فَمِي
 نجوى وملءٌ دمي شوقٌ ونَحْنَابُ

* * *

أنا الذي ملئتِ الشُّكوى أناشيـــــدى
 ماتت بقلبي حتَّى فرحةُ العيد
 عيدٌ مضى قبل أن تبسـدوا بشائبره
 وأزهقتِ رُوحَه أشباحُ تنهـــــدى
 كم مرة هزنى من نايســـــه نغمٌ
 فرحتُ أسقى المنى خمرةُ الأغـــــرىد (١)
 مالى أراه كأنَّ الحُزنَ أذهلـــــه
 فلاحته ذوبٌ آهاتى وتنهـــــدى (٢)

* * *

(١) الأغريد : جمع أغردة وهي غناء الطير أو الإنسان .

(٢) ذوبٌ : ماذوب من الآهات والتنهيدات .

أنا الخَلِيُّ الذى دُنِيَاهُ تَشْيِيْبُ
 وَحُبُّهُ لَهَبٌ فى الرُّوحِ مَشْبُوبٌ ^(١)
 أنا الخَلِيُّ وفى جَنْبِى مَلْحَمَةٌ
 خَفَافَةٌ شِعْرُهَا بِالنَّارِ مَكْتُوبٌ
 حُبِّى أَغَانِ شَرِيدَاتُ ، وَأَخِيلَةٌ
 وَهَنَانَةٌ وَأَسَى دَامٍ وَتَغْمِيزٌ
 حُبِّى جُنُونٌ وَأَخْلَامٌ مُخَيَّرَةٌ
 وَفَكْرَةٌ سُرْمَا بِالْغَيْبِ مَحْجُوبٌ

* * *

خَلَقْتُ بِالشَّعْرِ حَوَائِى وَجَنَائِى
 وَقُلْتُ حَسْبِى مِنَ الدُّنْيَا خَيْـالـِى
 حَتَّى أَفْقْتُ عَلَى حَوَاءٍ تَهْتَفُ بى
 وَفِى دَمِ آدَمَ عَاتِى الصَّبَابَاتِ ^(٢)
 فَصِخْتُ يَاوَيْعَ مِنْ أَنْتَسْنَسْنَسُهُ فِكْرُتُهُ
 أَنَّ الْحَيَاةَ هَوَى سَامِى الصَّبَابَاتِ

(١) التشييب : التفرق بالنساء .

(٢) العاتى : هو المستكبر الذى يتجاوز الحدَّ ، جمعه : عتاه ، عتَّى . والصبايات : جمع صباية
 وهى الشوق ، أو رقتة ، أو حرارته ..

يا وَنَحَ لى وَلِفَنُ كُنْتُ خَالِقَهُ
والْيَوْمَ خَالِقَهُ فَنُ السَّمَاوَاتِ

* * *

أَمْ لَوْ أَنَا ؟ مَالِ لَا تَنَادِينِ
حَوَاءُ فَكَسِرِ إِلَى حُبِّ الْمُجَانِينِ ؟
حُبِّ الْأَوْهِيَةِ النَّشْوَى بَعَثَتْهَا
وَعِزَّةٌ عَرَفَتْ ذَلِكَ الْمُسَاكِينِ
هَنَّاكَ تَحُلُوْا انْطِلَاقَانِ وَتَعْرِفُنِ
نَفْسِي .. وَيُغْرِقُنِي مَوْجُ الْأَفْسَانِينِ (١)
هَنَّاكَ حَيْثُ اتَّخَذْنَا رُوحَ شَاعِرَةٍ
وَشَاعِرٍ بِالْهَوَى وَالْمَجْدِ مَفْتُونِ

* * *

هَنَّاكَ حَيْثُ شَرَبْنَا خَمْرَةَ الْأَزَلِ
وَكَانَ قَبْلُكَ يَحْكِي نَشْوَةَ الْأَمَلِ
وَكُنْتُ مَنَى مَكَانِ السَّخَرِ الْمَقْلِ
وَكُنْتُ مِنْكَ مَكَانَ الشَّاعِرِ الْغَبْرِ
وَقُلْتُ لى « أَنَا » قُلْتُ الْكَوْنُ بَعْضُ « أَنَا »
وَقُلْتُ « أَنْتَ » فَقُلْتُ : الْمَوْتُ أَهْنَأُ لى

(١) الأفانين : جمع أفنون ، وهو الغصن الملتف . والنوع من الفن . ويقال أفانين الكلام : أساليبه وطرقه .

يا طيبَ مامرٍّ من أيامٍ فِطَرْتَنَسَا
يا بُؤْسَ ما أَبْقَتِ الأيامُ مَنْ أَجَلِي

حواءُ ؟! ما طَابَتِ النَجْوَى لِمُنْتَحِيبِ
عُودِي إِلَى آدَمَ فِي الْيَمِّ مُقْتَسِرِبِ
لَمْ يَنْبِهِ الْفَنُّ أَنَّ الْحَبَّ خَالِقُهُ
وَأَنَّ أَمْوَاجَهُ فِي الْحَبِّ كَالْحَبِّبِ (١)
وَكَيْفَ يَنْسَى فِي عَيْنَيْهِ جَائِعَةً
أَرَادَهَا اللَّهُ أَنْ تَقْتَاتَ بِالْأَوْبِ
رُوحٌ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَقَاسَمَهَا
سِجْنٌ وَخُرَيْبَةٌ مَجْهُولَةُ السَّبَبِ

يا فَنُّ إِنَّكَ مِنْ حَوَاءٍ مَجْبُولُ
يَاشَعْرُ مَعْنَاكَ ضَمَاتٌ وَتَقْبِيلُ (٢)
لَا تَبْكِيَانِي فَلِلْجَرْمَانِ آخِرَةٌ
وَلَا تَظَنَّنَا فَبَعْضُ الظَّنِّ تَخْيِيلُ (٣)

(١) الحبيب : طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح ، والعلل يُصبح على النبات ، وهو الندى الذي توصله عروق الشجر إلى غصونها .
(٢) مجبول : مخلوق من جبل الله الخلاق بجبل جبلًا : خلقهم .
(٣) تخييل : إفساد للعقل وذهاب لقواد .

لَمُنَى أُرِيدُ الْهَوَى أَفْكَارَ مُلْهِمَةٍ
 فَنَاتِبَةٍ مَلَأَتْ دُنْيَاهَا التَّهَاوِيلُ ^(١)
 أُرِيدُهَا قَبِيلاً يُهْدِي إِلَى قَبَسِ
 مُغَيَّبٍ نَوْرُهُ يَأْسُ وَتَأْمِينِل ^(٢)

* * *

أُرِيدُ حَوَاءَ مِنْ صُنْعِ الْمَقَادِيرِ
 أُسْطُورَةٌ شَرِيبَتْ خَمَرَ الْأَسَاطِيرِ
 مَخْلُوقَةٌ مِنْ سَبِيثَاتِ الْقَنُودِ
 وَالذِّكْرِيبَاتِ وَأَنْفَاسِ الْمَزَامِيرِ ^(٣)
 أُرِيدُهَا فِكْرَةً لِلَّهِ خَالِصَةً
 خُلُودَ رُوحِي وَأَشْجَانِي وَتَفَكِيمِي
 أَسْمُوْهُمَا ثُمَّ تَسْمُوْهُ بِي إِلَى فَلَكَ
 يَفْنَى عَلَى نُورِهِ قَلْبُ السَّمَادِيرِ ^(٤)

* * *

أُرِيدُهَا كَالْأَمَانِي صِدْقُهَا كَلِبُ
 أُرِيدُهَا فَرَحَةً طَافَتْ بِهَا النُّوْبُ

-
- (١) التهاويل : كل ما هوَّل به ، أو ما على الموادج من الالف الأحمر والأخضر والأصفر .
 (٢) التأميل : التلبُّث في الأمر والنظر ، والتدبر وإعادة النظر في الشيء مرة بعد أخرى ليستيقنه .
 (٣) السبيثات : جمع سبيثة : الخمر .
 (٤) السمادير : شيء يترامى للإنسان من ضعف بصره من السكر .

أُرِيدُهَا بِنْتَ آيَامٍ مَعَسِيَةٍ
وَأَنْفُسٍ فِي جَنَّاتِ الشَّوْكِ تَضْطَرُّ
أُرِيدُهَا وَلَهَا مِنْ نُبْلِهَا نَسَبٌ
وَمِنْ جَلَالَتِهَا فِي ضَعْفِهَا حَسَبٌ
وَأَوْ مِنْهَا وَمِنْهُمْ يُمَثِّلُهَا
حَتَّى إِذَا شِئْتُمْهَا تَنَآى وَتَحْتَجِبُ

وحدة

« يا أيُّها الناهي على » تكاسل ،
لستُ الكسول .. بل الكسول زمانى »

أنا وحيدى ؟ أواه من أنا وحيدى
عشتُ فيها حتى أرثىَ الحسدى
« أنا وحيدى » جهنمُ اليأس والبؤس وسلوى المَغلوب والمستبَدَّ
هى ذلٌّ وعزَّةٌ واقتدار وهى ذلٌّ وعزَّةُ المتَّحدى
أنا وحيدى وسوف أذهبُ وحيدى ليت روحى لا تعرف الحزنَ بعدى
أنا وحيدى ؟ أجل فلا شىء يُجدى أنا وحيدى لا أعرف الحزنَ وحيدى

وسابَقنى وحيدى وإن كان صَحْبى	مِلْ عِنى ومِلْ سَمعى ولُبى
ما لِعَقْلِ خلقت يارب فارحم	أنا يارب قد خلقت لِقَلْبى
ما لِعَقْلِ خلقت فليَمْنِصْ عَقلى	ولِتَدْعَ لى الأيامَ أَشلاءَ حُبى
أنا عِطْرٌ مُبَدَّدٌ فى الصَّحارى	أنا حرب الآمال واليأس حَرْبى
أنا سقم وأنت تعلمُ طِبى	وهو الموتُ يا إلهى طِبى

اُخْتِي (١)

« إلى بلهاتى الزيزعة » فى صمتها المسحور «
وهى شقيقة الشاعر .

أُخْتِي قَصِيدَةُ شَاعِرٍ غَزَلَ أُخْتِي تَمِيمَةُ سَاحِرِ الْخَبَلِ (٢)
أُخْتِي هِيَامٌ .. وَأَنْتِ مِنْ أَمَلٍ لَأَنَا الْحَزِينُ عَلَيْكَ يَا أُخْتِي

...

لَأَنَا الْحَزِينُ وَإِنْ طَفَى فَرَحِي وَسَكَرْتُ مِنْ صَحْبِي وَمِنْ قَدَحِي
حَتَّى أَحَسَّ كَهْمَسَةَ الشَّبَحِ وَأَرَاكَ مَائِلَةً عَلَى قُورْبِ
فَيَفِيضُ نَبْعُ الْبَشْرِ فِي قَلْبِي
وَأَرَى دُعَابَ الصَّخْبِ مِنْ ذَنْبِي
وَأَعِيشُ فِي دُنْيَاكَ يَا أُخْتِي

...

كَمْ مَرَّةً أَغْرَقْتَ فِي الضَّحْكِ مِنْ غَيْرِ مَا دَاعٍ إِلَى ضَحْكِ
فَأَرْوَحُ أَهْتِفُ أَيْنَ مُضْحِكُكَ أَهْوِ الزَّمَانُ وَجَدَهُ لَعِبِ
أَمْ طَائِفٌ بِالْغَيْبِ مُحْتَجِبِ
أَمْ إِنَّهَا الْأَحْدَاثُ وَالنُّوْبِ
وَلَكُمْ يُسَلَّى الْحَزَنُ يَا أُخْتِي!

...

(١) عنوان القصيدة فى الديوان « أُخْتِي هِيَام » .

(٢) التسمية : ما يعلّق فى المُنْقَلَبِ لدفع العين ، ج تمام . والخَبَلُ فساد العقل وذهاب القوادر .

أم أنه عقل المجانين ؟ شيطانه شيخ الشياطين
وبذكرو تحلّسو أرانينى وبريحه تسرى تلاحينى ^(١)
وبفنه تسمو أفانينى ^(٢)
يا ليتة يوماً ينادينى
لأغيبَ عن دفيىاى يا أخنى

ولقد أَلُمُّ بوجهك القمرى فأتيةً فى ديمومة الفكر ^(٣)
وجه كوجه إلهة الخفسر إطراقةً لُفَّت بإطراق ^(٤)
أو فكرةً فى ذهن خلّاق
أو خَفَقَةً فى قلب مُشتاق
أو بَمَعَةٍ تكيك يا أخنى

(١) أرانيين : جمع إرئان ، وهو صوت الشهيق عند الكاء ، وكان الأولى أن يجمع إرئان جمع مؤنث سالم فيقول : إرئانات ، لأن الهمامى الذى لم يُسمع له فى اللغة جمع تكسير ، يجمع قياساً جمع مؤنث سالم ، إذ أن جمع التكسير حيث لا يس له قوة جمع المؤنث السالم . والتلاحين : جمع تلحين بمعنى الغناء ، وهو مصدر تخصص بالإنشاد ، ولنا يقيد أن التلحين متنوع الأشكال متعددها ومن هنا يجوز جمعه وتثنيته . أما المصدر الذى لا يجوز جمعه فهو المصدر المحض الذى يفيد مجرد الحدث ولم يخص بالإنشاد أو بوصف إلى آخره .

(٢) أفانيين : جمع أفنون ، وهو الغصن المتلف ، والتنوع من الفن .

(٣) الديمومة والديموم : الغلة الواسعة . ج دياميم ، والديمومة بمعنى الدوام وديموم .

(٤) الإطراقة : مثيل الرأس إلى الصنبر مع سكوت الإنسان فلا يتكلم .

أَوْ زَهْرَةٌ صُوفِيَّةٌ الطَّيِّبِ نَامَتْ عَلَى مَفْرِقِ مَحْبُوبٍ^(١)
 أَوْ آهَةٌ فِي صَدْرِ مَكْرُوبِ أَوْ نَسْمَةٌ فِي جَوْفِ إِعْصَارِ
 تَشْقَى بِمَا تَصِلَاهُ مِنْ نَارِ
 وَسَلَامُهَا فِي كَفِّ جَبَّارِ
 كَسَلَامِ رَوْحِكَ أَنْتِ يَا أُخْتِي

* * *

وَتَقُولُ أُمِّي حِينَ تَلْقَاكِ يَا لَيْتَ قَلْبِي مَا تَمَنَّاكِ
 أَوْ لَيْتَ مَهْدِكِ كَانَ مَثْوَاكِ لَكَ فِي بَنَاتِ الْحَيِّ أَتْرَابُ
 عِرْسَانُهُنَّ لَهُنَّ أَحْبَابُ
 فَأَقُولُ وَالْمَقْدُورُ غَلَّابُ
 الْحِظُّ خَانَكَ أَنْتِ يَا أُخْتِي

* * *

وَإِذَا الطَّيِّبُ وَصَحْبُهُ تَاهَوْا قَالَتْ أَصَابَ الْجِنُّ مَرْمَاهُ
 وَهِيَامٌ بَاتَتْ مِنْ ضَحَايَاهُ قَالَتْ ... وَقَلْتُ أَفْلَسَ الْعُدْرَا
 الْجِنُّ مَأْمُورٌ قَدْ ائْتَمَرَا
 وَاللَّهُ فَكَّرُ حَيْرِ الْفَكْمَرَا
 وَأَذَلَّهَا بِالْغَيْبِ يَا أُخْتِي

* * *

(١) المشرق من الرأس : حيث يُفَرَّقُ الشَّعْرُ مِنَ الطَّرِيقِ : الموضع الذي يتشعب منه طريق آخر ، جمعه : مفارِق .

وَإِذَا الْكُرَى نَادَى الْخَلِيَّتَيْنَا فَأَجَبْتَهُ وَهَجَرَتْ نَادِينَا
 قَالُوا نَأَى مَنْ كَانَ يَسْلِينَا فَأَقُولُ بَلْ مَنْ كَانَ يُبْكِينَا
 وَيَحِيلُ أَحْنَانَا كَقَاسِينَا وَيُثِيرُ فِي نَفْسِي الْبَرَائِينَا
 وَأَظِلُّ أَبْخَسُ مِنْكَ يَا أُخْتِي

وَلَوْ أَنَّنِي طَامَنْتُ مِنْ كَمَدِي لَرَأَيْتُ غَيْكَ آيَةَ الرُّشْدِ
 وَعَرَفْتُ فِيكَ شَقِيقَةَ الْأَبْدِ أَشْبَهْتَهُ صَمْتًا وَإِعْجَامًا ^(١)
 وَشَاوْتِهِ عَمَقًا وَإِلْهَامًا ^(٢)
 وَإِذَا أَنَارَ أَزْدَادَ إِظْلَامَا
 وَإِذَا أَتَرَتْ دَجَوْتُ يَا أُخْتِي

قَاسِ عَلَيْكَ أَنَا ، فَلَا تُغْضِي إِمَّا قَسَوْتُ فَلَيْسَ مِنْ بُغْضِ
 أَنَا فِي السَّمَاءِ وَأَنْتِ فِي الْأَرْضِ أَنَا فِي سَمَاءٍ مِنْ خِيَالَاتِي
 أَخِيَا بِفِكْرِي وَانْفِعَالَاتِي
 فَانْنَأَى بِأَرْضِكَ عَنْ سَمَاوَاتِي
 تَنَّا الْقَسَاوَةَ عَنْكَ يَا أُخْتِي

(١) الإعجام في الكلام : إيهامه ودعا به إلى المعجمة .
 (٢) شأوته : سبقته ، من شأوت القوم أشأوهم شأواً : سبقتهم .

« دَيْنُ » الْوُجُودِ وَقَاوُهُ الْعَدَمُ وَالْمَاءُ سُرٌّ وَجُودِهِ الضَّرَمُ^(١)

وَاللُّغْزُ حِينَ يَبِينُ يَنْبَهُهُمْ وَأَرَى الْحَيَاةَ وَبَدْوَهَا الْأَجَلَ !

وَالْيَأْسُ أَوَّلُ خَلْقِهِ الْأَمَلُ

وَالْعَقْلُ يَنْقُصُ حِينَ يَكْتَمِلُ

وَمِنَ الْجُنُونِ الْعَقْلُ يَا أُخْتِي

أُخْتِي قَصِيدَةُ شَاعِرٍ غَزَلَ أُخْتِي تَمِيمَةَ سَاحِرِ الْخَبْلِ

أُخْتِي هَيَامُ .. وَأَنْتَ مِنْ أَمَلِي لَأَنَا الْحَزِينَ عَلَيْكَ يَا أُخْتِي

(١) الضَّرَمُ : الانْقَاد والاشتغال ، من ضَرِمَتِ النَّارُ تَضَرَّمْ ضَرَمًا : انْقَدَتْ واشتعلت .

هجاء (١)

«حينما كنت نائراً على نفسي راضياً عنها»

لك يا وجهي التعميس هجائي في صباحي ومغربي وعشائي
 أنت يا متحف الدمامة والقُبُح تنزّهت عن صفات البهاء
 مع سبق الإصرار صاعك ربّي لعنة في نواظر الأحياء
 حسب عيشي من سوء خلقك نحساً وبلاء مُزوداً ببلاء
 إنني كلما لقيت فتاة صفعني بالنظرة الشرّاء (٢)
 وهي لو تشدّ الحقائق جنت بغرامي وتيمت بلقائي
 ورأيتي روحاً معطرة الحُسنِ وقلباً مجمّعاً من نقاء
 غير أنّ العيون كالنّاس لا تحفل إلاّ ببهرج وطلاء (٣)
 وعيون الجهال يبهرها القشّر وللب أعين الحكماء
 فاعف عني إذا تهجوئك يا وجهي فلا زلت قذوة الصّرحاء
 إن تهجمت فالحياء عبوس أو تهلّلت فهي نبغ صفاء
 وكفاني أني أعيش بوجه واحد في السراء والضراء

(١) لم يكن دميّا ولكن كان في وجهه حب الشباب ، وقد قيلت هذه القصيدة على إثر كلمة نابية من فتاة داعبها في الطريق ، فقالت له انظر إلى وجهك .

(٢) النظرة الشرّاء : هي التي تكون بمؤخر العين في حال الإعراض والغضب والاستهانة .

(٣) الطلاء : الحمر ، وماطيخ من عصير العنب ، والطلاء كذلك : كل ما طلى به .

وَلِغَيْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَنْشُرَ فِي الْأَرْضِ مَذْهَبَ الْحَرْبَاءِ ^(١)
 مذهب الواغليين في كلِّ عرض والمُجلِّين في سباقِ الرِّياءِ

* * *

إِيَّاهُ يَا وَجْهِي الْمُقْبَحَ عُذْرًا فَهَجَائِي مِنْ صَنْعَةِ الشُّعْرَاءِ
 لَيْسَ دَأْبِي الْأَطْرَاءِ إِلَّا لِغَيْرِي وَحَرَامٌ عَلَى فَمِي لِأَطْرَائِي ^(٢)
 عِشْ لِنَفْسِي خِبَاءَهَا فَهِيَ عُذْرًا وَمَجْدُ الْعَذْرَاءِ مِثْرُ الْخِبَاءِ
 لَا يَغْنُوكَ مَا يُزَيِّنُهُ النَّاسُ مِنَ الْحَسَنِ فَهُوَ مَخْضُ هَبَاءِ
 كَمْ قَبِيحٍ شَأْنٌ بِأَخْلَاقِهِ الْغُرِّ جَمِيلًا يَتِيَهُ بِالْعَوْرَاءِ

(١) الحرباء : دويبة على شكل سمٍّ أبرص ذات قوائم أربع ، دقيقة الرأس ، غططه الظهر تستقبل الشمس نهارها وتلدو معها كيف دارت ، وتتلون ألوانا ، ويضرب بها المثل في الحزم فيقال : « أحزم من حرباء » ويقال : « أصرد من عين الحرباء » لمن اشتدَّت إصابته بالبرد ، ج : حرا بى .
 (٢) الأطراء : الثناء الحسن على الإنسان أو غيره ، والمبالغة في الثناء .



وطنیات

۱۹۴۶

اهداء

إلى « مصر » الخالدة
في قصرها الذي بنته في حِمْيَ التاريخ
وأضفت عليه من سحرها
مُسُوح المجد والعظمة
فطاولت به قصور الخيال في دنيا الشعر والشعراء

بنت السراب

أَلْقَى السَّرَابُ عَلَيْكَ أَرْدِيَّةً
من نَسْجِهِ فَخَدَعْتَ صَرْعَاكَ
تَتَعَطَّفِينَ فَكَلَّهْمَ فَفَرِحَ
وَتَبَاعَدِينَ فَكَلَّهْمَ شَمَّكَ
لولا جفأؤك ... قلتُ ممن شَغَفِي
لَمْ يُبْدِعِ الخِلاَقَ إِلَّاكَ
وَلَكِ الجَمَالُ وَكُلُّ ما مَلَكَتْ
يُمنَى الحِياةَ فَمِلْكَ يُمنَىكَ
يا فتنَةَ يُزْهِمِ الإلهُ بها
فَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ سَـوَاكَ

٤ يولية ١٩٤٦

من وحى الشهداء^(١)

الى روح الشهيد الكريم في جوار الله

مزجت مصرُ دمعها بدمائه ونهاوت تبكيه في بُرَحائه^(٢)
 لهفَ نفسى عليهما وهى تبكى وهو يشرى بقاءها بفنائها
 كبرت نفسه الكريمة أن يخيـا حياة الجريح في كبريائه
 فأبـرت إليه أن حطَّ القيـد .. وطهر سناك من ظلماته
 فأجاب النداء لبئلك يا مصر وللصوت رجفة في دمايه^(٣)
 وتعالى إلى السماء شهيداً جلّ هذا الشهيد في عليائه

أكرموا ذكره فقد أكرم الله ثراه بالفيض من آلائه
 وأريقوا الدموع طيلاً عليه وحميماً يشوى على أعدائه^(٤)
 إنه في الوجود كالفجر والنور وكالليل في خلود بقائه
 إنه في السماء والأرض .. روح سـرمدى مجوهر بصفائه
 طاف في كالأخيال تيمم الشوق وكالصوت غاب في أصدايه

(١) ذكرى شهداء كوبرى عباس .

(٢) البرحاء : الشدة ، ومنه يبرحاء الحمى .

(٣) الرجفة : الزلزلة من رجف يرجف رجفاً ورجوفاً ورجفاناً ورجفاناً ، تحرك .

واضطرب اضطراباً شديداً

(٤) العلى : التدى . والحميم : الجمر يتجحر به ، والماء الحار والقيظ .

فترامتُ على فمي زفراتُ مُلهياتُ من حزنه وبكائه^(١)
قلت هذا الضياء كان تراباً أودع الله فيه سرَّ سمائه
كيف حال الترابُ ياربُّ نوراً عَشِيتُ أعينُ الدُّني بسنائه
فتنادت خواطري إنه الزهر الذي مات في ربيع روائه^(٢)
وتناجت سرائري إنه القالب الذي خلّدت روح مضائه
إن هذا الضياء ذكرى شهيدٍ طهر الله قلبه بضياه

عاش في أرضه غريباً ووئى كشكاة الغريب في حوَّائه^(٣)
عاش في أرضه غريباً .. كما عا ش الألى خَلَفُوهُ من آبائه
رَبُّ ليلٍ أفناه يُزجى إلى اللّسه ضراعات مسرف في دعائه
قال ياربُّ هذه مصر تشكو ظلم هذا الدّخيل في غُوائه^(٤)
رَبُّ إن الحياة موجٌ عَتِي زورق النيل في حناياه تائه
نام ملاحه فألوت به الرّيسح وعى النّوقُ عن إرسائه
رَبُّ .. هذا الوجود من صُنْع كَفِي لك حرمنّا من خيرهِ وهنائه
أنت جبارهِ لك الحول والقُو (م) ة ميّزت صبحه من مسائه
عاش قومي فيه عبيداً أدلاً لستعمر حيااته كفَنائه

(١) الزّفرات : جمع زُفْرَة ، وهى التنفّس مع مدّ النفس الخارج تشبيهاً له بيزفير النار .

(٢) الرّوّاه : المنظر الحسن .

(٣) الحَوَّباء : النفس ، ج : حَوَّابات .

(٤) المُغْلَوّاه : المُكَلَّوْه ، وَغُلَّوْاه الشباب : أوّلُهُ وَحَدَثُهُ .

فَرُّ مِنْ «طَبْرُق» وَ«بِشْرَحَكِيم» كالنعام الشريد في بيئائه^(١)
ويحه مثل الصغار جريحا ولدى البرء ضلّ في طفوائه
جُنَّ بالنصر فاستطار سفاهاً وأحلّ التقتيل في حلفائه

عجب الكون من جماد وحسّ لجبان زئبره كفنائه !
مجرم ظنننا عبيداً لديه فهو يرجو الخنوع من أسرائه
كيف يدمى بناره من أحاطو ه بعطف الوقي في ضرائه
إنها قصّة المهانة تُتلى فوق أرض بلاؤها من بلائه
قصّة الإنكليز في أرض مصر وهى نبت التاريخ منذ ابتدائه

مصر.. لا كُنْتُ من بنى النيل إن عَشِدْ ت ونيل الخلود يشقى بدائه
وأنا ابنُ الفلاحِ عَضْنِي الْفَقْرُ بنابٍ أوّاه من بلوائه
وأنا العاملُ الشقيُّ بجهلى المريضُ المحرومُ من أهوائه
أنا أفنى في مصرَ جوعاً وغيرى يتسلّى بتزبيره وثرائه^(٢)
أنا أفنى في موطنى وعدوى يتلهى بخمره ونسائه
لا عرفتُ الحياة إن عشتُ يوماً وعدوى يتيه في خيلائه !

(١) طَبْرُق : مدينة في ليبيا . وهى مرفأ طبيعى ، وقد جرت فيها وقائع الحرب العالمية الثانية
١٩٤٠ - ١٩٤٢ . وطفوائه من طفلى بمعنى جاوز الحد .

(٢) التبر : قنات الذهب أو الفضة قبل أن يُصاغاً .

ولنهرِ الخلودِ في مَسْمَعِ الْكَوْنِ نَ شَكَاةُ الْمُطْعُونِ فِي أَحْشَاءِهِ
وَأَنَا الشَّاعِرُ الْقَدِيرُ بِفَنِّي أَنْ أَرُدَّ الْحَيَاةَ فِي أَشْلَائِهِ

يَا شَبَابَ الْجِهَادِ نَادَاكُمْ النَّيْلُ فَاحْيُوا أَرْوَاحَكُمْ بِفِدَائِهِ
لِأَنَّهُ النَّيْلُ قَلْبُ مِصْرٍ .. وَأَنْتُمْ يَا شَبَابَ الْجِهَادِ مِنْ أَبْنَائِهِ
أَنْصِفُوهُ مِمَّنْ أَحَلُّوا دِمَاءَهُ حَرَّمَ اللَّهُ سَفْكَهَا فِي سَمَائِهِ
وَلَكُنْكُمْ فِي الشَّهِيدِ أُسْوَةً حَقًّا (جَلَّ هَذَا الشَّهِيدُ فِي عِلْيَائِهِ)

٢١ فبراير سنة ١٩٤٦

قولوا لهم

« إلى عهد الاحتلال الموثق
بأنفسهم والكافرين بمصر »

قُولُوا لِمَنْ نَظَّمَ الرُّوَا يَةً .. لَمْ تَعُدْ تُجِدِي الرُّوَايَةَ
هِيَ فِي الصَّيْمِ مِنَ التَّفَا هَةِ ... وَالصَّيْمِ مِنَ الْقَوَايَةِ
سَمِيتُ مَنَاطِرَهَا النِّسَا ظِرُّ .. مِنْذُ أَيَّامِ الْجَبَايَةِ ^(١)
مَاذَا عَلَيْكَ إِذَا اعْتَصَمْتَ بِصَنْتٍ مَنْ أَعْرَفَ النِّهَائِيَةَ
فَتَرَكْتَ هَذِي الْأَرْضَ .. يَعْمُرُهَا الْأَلَى لِلْفَقْرِ آيَةِ

* * *

قُولُوا لِشَيْخِ السُّوءِ .. مَا ضِيكَ الْبَعِيدَ لَدَيْكَ حَاضِرُ
سَتَظَلُّ نَلْعَنُ عَهْدَهُ أَرْوَاحُ سُكَّانِ الْمَقْسَابِرِ
مِنْ كُلِّ مَوْفُورِ الشَّبَا بَ جَعَلَتْهُ طَى الْحَفَائِرِ ^(٢)
وَالْأَبْرِيَاءِ .. وَأَنْتَ ظَالِمُهُمْ .. وَعَمَّالِ الْعَنَابِرِ
يَا أَوَّلَ الْبَاغِينَ كَيْمَ لَكَ فِي الضَّلَالَةِ مِنْ مَآثِرِ

* * *

قُولُوا لَهُمْ إِنْ الْكِرَا مَةَ دِينُ أِبْنَاءِ الْكِتَانَةِ
جَاءَ الزَّعِيمُ بِهِ فَآ مَنَا وَقَدْ نَسْنَا بَيَانَهُ

(١) التواظر : جمع ناظر وهو العين ، أو سوادها الذي فيه إنسانها .

(٢) الحفائر : جمع حفيرة ، وهي ماحتر من الأرض .

وإليه بَعْدَ الله مَلَأَ جَوْنًا فِي يَدِهِ الْأَمَانَةَ
ولقد رأينا دينكم دين المجانَةِ والخِيَانَةِ
فَارْضَخْ إِذَا لَعْنَتِكَ مَصْرُورٌ فَمَصْرُورٌ لَا تَرْضَى الْمَهَانَةَ

* * *

قولوا للشَّعْبِ النَّبِيلِ وَمَا وَأَبُو الْحَضَارَةِ فِي الشُّعُوبِ
الْمَجْدُ مِنْكَ فَعِشْ لَهُ رَغَمَ التَّعَاسَةِ وَالْكَسْبِ
لَا يُقْعِدُنَّكَ عَنْ مَرَادٍكَ بَطْشُ جِبَارٍ رَهِيْبٍ
فَالْمَوْتُ فِي سَاحِلِ الْعَلَا خَيْرٌ مِنَ الْعِيشِ الْمَرِيْبِ
وَالْحَرْبُ تُخْلِقُهُ الْخَطُوبُ بَ وَلَا يُنْهَنُ بِالْخَطُوبِ^(١)

١٠ مارس ١٩٤٦

(١) نِهْنَهُ عَنْ الْأَمْرِ فَتَنْهَنَ : كَتَمَهُ وَزَجَرَهُ فَكَتَفَ ، وَأَصْلُهَا نِهْنَهُ .

قلب

هانت عليه الحياه وأرهقته الخطوب
وأذهلته رؤاه فلم يعد كالقلوب

* * *

ولم يعد غير ما ... تحكيه عنه الليال
شهد شأى علقما في طعمه فاستحال^(١)

* * *

عوذته بالقران وبالحديث الشريف
من الأذى والهوان ومن دنس الخريف

* * *

عوذته فانقضى في الوهم عمر العذاب
وزاد عما مضى في الحق عمر الرغاب^(٢)

* * *

قلب بني عمره على تمنى الأجل
فلم يكمل أمره إلى هوى أو أمل

* * *

(١) شأى : أميب وشاق ، وبمعنى أجز ، وبمعنى سيق .

(٢) الرغاب : جمع رغب ، وهو الواسع الخوف من الناس وغيرهم .

ولم يكل أمره إلا إلى منتهى
فباركت طهره بالحزن كف الإله

* * *

سألته عن مناه فقال لي بعثها
لمشتري لو تراه تقول أنسيتها

* * *

عجبت للمشتري ما حاله يا ترى
والبائع العبقري يقول لي أو ترى

* * *

وطاف بي كالخيال شيخ برته الخطوب^(١)
وفي يديه صلال طعامها من قلوب^(٢)

* * *

سألته ما أسسه فقال هذا الزمن
وهالي رُسُوه فكله من محن

* * *

وقال قلبي لله أيا ففدُ المنى

(١) برته : نخته وسوته .

(٢) الصلال : جمع صِل ، وهو الحية من أخص الحيات .

أجابه حاله فقد الاماني الضنى^(١)

* * *

يا قلبُ إن المُنَى ورثُها عن أبى
فهل يكون الضنى بعد المنى مطلبى

* * *

رباه ما حاجنى إلى امتداد الأجل
وفى الثرى راحنى بعد انتهاء الأمل

(١) الضنى : المرض أو الهزال الشديد ، والضنى : السقيم والمريض الذى قد طال مرضه ، وقد يوصف به المفرد والمذكر وغيرهما على السواء ، وبعضهم يُشبهه ويجمعه ، فيقول : هم أضناء .

مجد الدنانير (١)

يا ضيعة الدين إن أهـلـوه أذهـلـهـم
 مجد الدنانير عن مجد الرسلات (٢)
 ما بين معتجر يزهو بسبحته
 وما يغمغم من ذكر وآيات (٣)
 وراهب شريق بالدمع لا نُسكاً
 لكنّه الدُّيّر سجّانُ اللبانات (٤)
 كلاهما يلعن الدنيا إذا حُرمت
 يداه ما يشتهيهِ من لـذّـاذات (٥)
 حتى إذا بسط الشيطان راحته
 إليه صاغ له عذب التحيات

(١) قيلت هذه القصيدة بمناسبة مطالبة علماء الأزهر بتحسين أحوالهم المادية .

(٢) أذهلهم : جعلهم يتدلّهون ويقبون عن رشدهم . من ذهل يذهل ذُهلًا : تدلّه وغاب عن رشده .

(٣) معُتَجِر : من اعتجر الشيخ أى لفّ عمامته . يُغَمِّغَم : من غمغم الرجل : إذا صوّت عند الفزع .

(٤) اللبانات : جمع لبانة وهى الحاجة من غير فاقة . ولكن من نهمة . يقال : ما قضيت . منه لبأتى : نهمتى .

(٥) اللذّاذات : جمع لذّاة . وهى صبرورة الشئ شهياً . فهو لذّ ولذيد .

وراح يجمعُ من آثامِهِ خِرْقًا
 لِيُلْبِسَ الحقَّ أثوابَ الضَّلالاتِ
 يا قومُ هانتَ على قلبي ضيلائُكم
 وصار علمُكم بعضَ الجهالاتِ
 إن كان لأبدٌ من دينٍ أُدينُ بِهِ
 ويعصمُ النفسَ من شرِّ الدنيئاتِ^(١)
 فالدينُ دينُ الهوى يسمُو بصاحبه
 إلى الملائكِ في قُدسِ السماواتِ

(١) الدنيئات : جمع دنية بلامز ، وهي التقيمة .

ما تم نهر الرين^(١)

واقعٌ أروعُ من نسجِ الخيال
ومن الأنبياءِ صدقُ كالمُحِمال
ويقينٌ أذهلُ الشكِّ فلم
يبقَ للشكِّ على الأرضِ مجال
وإذا ما استيقظ الحقُّ فلا
عُدَّ في الأحياءِ عبَاد الضلال
لعنةٌ خرقاءُ فرعونيةٌ
تلك يا «هتلر» أم ربحُ الزوال^(٢)
وضحاياك الألى أرهقتهم
شربوا الوهمَ على ذِكرِ الخيال
وترى البيدَ وقد روَّيتُ به
بالدمِ الدافِق من صيدِ الرجال^(٣)

(١) قبلت بمناسبة رجوع هتلر من العليين .

(٢) خرقاء : حمقاء . فرعونية : يشير الشاعر إلى لعنة القراعنة التي يُقال إنها تودى بكل من يجترئ على التربة المصرية .

(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو كل ذى حول وطئ من ذوى السلطان ، وهي صيِّداه .

وَالْعَمَذَارَى أَوْزَدَتْهُنَّ السَّوْعَى
 مَوْرِدًا غَطَّتْ حَوَافِيَهُ الصَّلَالُ^(١)
 وَالْيَتَامَى بَيْنَ مَقْطُوعِ يَوْمٍ عَلَى
 ذُلِّهِ الْجُوعِ وَأَنْصَاءِ^(٢) اِعْتِلَالِ
 وَالثَّكَالَى ذُقْنَ مِنْ كَفِّ الرَّدَى
 حُمَمَ الثُّكُلِ فَابْكِينَ الْجِبَالَ^(٣)
 أَيْنَ يَا جَزَارًا أَرْهَقْتَهُ
 لَبْنَى الْإِنْسَانِ مِنْ دَامِي النَّصَالِ ؟
 أَيْنَ صَرْحُ الْمَجْدِ قَدْ شَيْدَتْهُ
 فَوْقَ أَشْلَاءِ الضَّحَايَا وَالرِّمَالِ ؟
 مَضْرَعٌ لِلْخَيْرِ لَمْ تَخْفِ لِي بِهِ
 بَعْدَ أَنْ صَالَ بِكَ الشَّرُّ وَجَالَ
 أَيْنَ ؟ لَا أَيْنَ ! فَقَدْ ضَمَّ الثَّرَى
 رَائِدَ الْبَغْيِ فَمَا يَجْنِدِي السُّوَالُ

* * *

(١) حوافيه : جمع حافية من حاف عليه فهو حاف ، جمعه : حُمَّة ، وهي حافية . والحافة : من كل شيء : ناحيته . والأصل حَوَافُهُ مثل قصبة . فانتقلت الواو ألغاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ج : حافات . وقد استخدم الشرنوب : الحواف ، بمعنى الحافات . والصَّلَال : جمع صَل ، وهو الحية من أجنس الحيات .

(٢) أَنْصَاء : جمع نَفْثٍ ، وهو المهزول من الحيوان . والنصو كذلك : الإجهاد . يقال : فلان نفث سفره . أى مجهد من السفر .

(٣) الحُمَم : الواحدة حُمَّة : كل ما احترق بالنار ، ومن ذلك الحمم التي تقذفها البراكين .

مِنْ ضِفَافِ الرِّينِ طَارَتْ شُعْلَةٌ
 شَبَّهَا « الْفُهْرُ » ، حَمْرَاءُ الظُّلَالِ^(١)
 ضَجَّتِ الدُّنْيَا لَهَا جَاذِعَةً
 ثُمَّ غَنَّتْ بَعْدَ أَنْ مَاتَ الدُّبَالِ^(٢)
 فَكَتَبُوا بِالنَّارِ فِي تَارِيخِهَا
 صَفْحَةً تَبْقَى عَلَى مَرِّ اللَّيَالِ
 أُمْبَةً مَاتَتْ .. لِتَحْيَا أُمُّ
 شَرِبَتْ مِنْ كَفِّهَا كَأْسَ النِّكَالِ

(١) شَبَّهَا: أَشْعَلَهَا

(٢) الدُّبَالِ : جَمْعُ دُبَالَةٍ وَهِيَ الْقَتِيلَةُ الَّتِي تَسْرَجُ .



أفصاح

١٩٤٦

من احلام الصيف^(١)

هتف الشاطئ بالمدح ألا ترحمني ؟
أنا من يوم خلقتنا عبقرى الشجن
عمرنا عمر هوا نا وهو عمر الزمن
وعلى قربك منى (م) آه ما أبعلى

فأهـرت موجة فى أذن الشط الحبيب
كيف تشكونا وإننا منك ياشط. قريب
نحن فى قلبك يا عاشق نفى ونغيب
ولنا فى الرمل او تعلم تاريخ عجب

* * *

وتلاشت فتنة الأمواج فى حضن الرمال
بعد أن أسكرت الشاطئ من خمر الوصال
وأغارت موجة حيرى فحيئت فى دلال
وانشئت لم تسعد الشط وللشط ابتهاال

(١) استوحاه الشاعر من أسراب المصيفات .

ورأى الشاطئ حيوًا تناجي آدمًا
 فتمنى لو أغاثه المقادير فما^(١)
 ليغنيها على الخطوة لحنًا حالما
 حرم الموج صدا حين ولّى ساهما
 وسرت حواء تختال على نور الأمل
 وأنى آدم يخبأ على نور المقل
 فتغنى الشط والأمواج ألحان الغزل
 نسيما العتب وهما بتغريد القبل
 حين راحت هي تبنى من رمال الشط قصرًا
 يرقص الطل عليه وتذيب الشمس تبرًا
 ومضى آدم بينى من معاني الحب شعرا
 فيزيدان جمال الشط والأمواج سحرًا

• • •

ونفست حواء عن خبتها^(٢) مثل السراب
 ونضا آدم عن صده رائه^(٣) مثل السحاب
 نسجاثوبيهما من صدر أحلام الشيباب
 ثم ناما فوق صدر ال بحر مجنون العباب

(١) أغاثته المقادير : أهلكته ، من غاله يفوله غولا : أهلكه وأخذته من حيث لا يهوى .
 (٢) ٣ ، ٢ - كتابتان عن الجسم والخيال : ، والخيال : التسع من بطون الأرض ، ج : أغنيات
 وخبوت .

عربد الموج وشبّت في رمال الشطّ ثورة
قال للأمواج مالى لم أنم فيكن مرّه
وأرى الأنجم تختال على الآفاق حرّه
لهفتا للشطّ يشكو لبنات البحر أمره

* * *

لهفتا للشطّ يهوى الموج والموج مريد
فإذا ما أقبلت حواء فالكمل عبيد
وهى حواء لها فى كلّ شىء ما تريد
هى كالأقدار معناها قريب وبعيد

فكرة لله لا يعلمها أحكمنا
حارت الأفكار فيها .. مدعرفنا الزمنا
فى هواها قد علمنا وجهلنا المحنا
كلنا عطف عليها وهى لا ترحمنا

شجن^(١)

أعيشُ أم أدعُ الأيامَ للنَّاسِ ؟
 سَمْتُ دُنْيَاىَ مِنْ هَمِّى وَوَسْوَاسِى
 إِنْ قُلْتُ يَوْمًا كَفَانِى مَا شَقِيتُ بِهِ
 أَعُودُ أَنْعِشُ أَخْلَامِى بِإِنْسَانِى
 خَلَدْتُ شَعْرَى فِى نَفْسِى وَأَحْسَبُ بِهِ
 سِينْتَهَى حِينَمَا تَنْشَقُّ أَرْمَاسِى^(٢)
 بِنَاتِ فِكْرِى كُنُوزُ لَاعِبِدَادٍ لِهِنَا
 فَمَا لِقَلْبِى مَنُكْثُوبٌ بِإِفْسَالِى
 إِنْ قَالَ غَيْرِى حَسْبِى الْمَالُ أَجْمَعُ بِهِ
 أَقُولُ حَسْبِى مِنْ دُنْيَاىَ قِرْطَاسِى
 وَهَبْتُ فَنِّى مَا أُوتِيتُ مِنْ زَمَنِ
 عُمرِى وَفِكْرِى وَأَمَالِى وَإِحْسَانِى
 وَلِى مِنَ الْفَنِّ أَشْوَاكُ غَنِيَّتُ بِهِ
 عَنْ كُلِّ زَهْرٍ ذِكْرِى الْعِطْمَرِ مِيسَرِى^(٣)

(١) كان عنوان القصيدة فى المخطوطة أولا : هـ حبران ، ثم ضرب عليه الشاعر وعشّون للقصيدة

و شجن .

(٢) الأرماس : جمع رَمَس وهو القبر . (٣) مِيسَر : متبخر ومُختال .

وللمقادير أحكامٌ مُحَيَّرَةٌ
 منها الرّحيمُ ومنها الجائرُ القاسى
 إذا تمنيتُ شيئاً قال لى زمنى
 ما أنت للنكباتِ السُّودِ بالناسِ
 وإن يمسّتْ فلى فى النارِ منزلةٌ
 كأننى قاتلٌ ألفاً من الناسِ

* * *

ربّاهُ إن يكبّرِ الآتى كسابقه
 فمُدَّ حَبْلَ الرّدى من حَبْلِ أنفاسى
 أفنيتُ عمريّ فى الأرجاسِ أقربها
 فهل تزيّدُ على الأيّامِ أرجاسى

أحلام الكوخ^(١)

هَدَمَ اللَّيْلُ مَا بَنَاهُ النَّهَارُ
وَاسْتَكَانَتْ لِلظُّلْمَةِ الْأَنْوَارُ
وَمَضَى الْكُوْنُ يَشْرَبُ اللَّيْلَ كُشَاً
عَبْرِيّاً حِسَابُهُ^(٢) الْأَقْمَارُ
وَاسْتَحَالَ الْفُضْجِجُ صَنْتاً رَهيباً
زَحْمَتُهُ الْأَشْبَاحُ وَالْأَمْسَارُ
أَيْنَ رَاحَ النَّهَارُ كَيْفَ أَتَى اللَّيْلُ
لِ وَفِيمَ الْإِشْرَاقُ ؟ فِيمَ السَّرَارُ ؟^(٣)
هِيَ حَرْبُ الْبَقَاءِ تَنْتَظِمُ الْخَلَ
قَ سِوَاءَ صَغَارِهِمُ وَالْكَبَارِ

(١) عَتَنَ الشَّاعِرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِقَوْلِهِ : « أَحْلَامُ الْكُوخِ أَوْ مَن أَحْلَامِي » ثُمَّ اقْتَصَرَ عَلَى « أَحْلَامِ الْكُوخِ » وَضَرَبَ عَلَى بَقِيَّةِ الْعُنْوَانِ . وَقَدْ قِيلَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي فِتْيَاتٍ فَقِيرَاتٍ وَلَكِنَّهُنَّ جَمِيلَاتٌ يَمْشِينَ بَيْنَ التَّخِيلِ وَمَزَارِعِ الْبَطِيخِ الْمَتَنَاثِرَةِ ، وَكَانَ جَمَاهُنَّ وَبِزْهَنَ يَجْذِبُ الشَّاعِرَ إِلَى الْإِنْفِعَالِ بِهِنَّ .

(٢) الْحَبَابُ : طَرَائِقُ تَطْوَِرُ عَلَى وَجْهِ الْكَأْسِ تَصْنَعُهَا الرِّيحُ .

(٣) السَّرَارُ : سِرَارُ الشَّهْرِ : أَتْرَ لَيْلَةٍ فِيهِ .

وتداعت في الخافقين قلوب

حين طارت في الخافقين قلوب
عالم جامع وحظُّ مُثَبِّتٍ

وصراعٌ يشيبُ منه المشيب! (١)

فهنا قلبُ عابد الخُبْزِ والمَا

جراحُ أحلامه ونُدُوب (٢)
يتنزَّى دَمًا فلا يجد الدَّم

عَ يُعزَّى به الغريبَ الغريبُ
فإذا اشتاق ما يعافُ سواه

فالرياض المنصَّراتُ جُدُوب

* * *

وهناك المُعْرِضُ النَشْوَانُ

قد تولى تَرْبِيَةَ الشَّيْطَان (٣)

مستحيلاتٌ غيره ممكناتُ

في يديه وقوله الفرقان

ولديه الحياة كُلُّ حَوْرَا

وبحرٌ أمواجه أَلْحَان (٤)

(١) حظُّ مُثَبِّتٍ : متفرِّقٌ من الثَّبتِ أى التفرُّق ، ج : اشتات .

(٢) النُدُوب : جمع نَدْب وهو السريع الخفيف عند الحاجة .. وجمع كذلك على نُدْبَاء .

(٣) تولى تَرْبِيَةَ الشَّيْطَان : أى ادعى أنه ربه وصاحبه .

(٤) الحَوْرَاء من النَّساء : البيضاء . لا يقصد بذلك حَوْرَ عينيها .

وله الأمرُ كلُّما شاءَ أمراً
وإراداتُ عَقْلِهِ سلطان
فإذا شاءَ فالحياة اضطراب
وإذا شاءَ فالحياة أمان

قلت يانفسُ إن هذا قضاء
قَدَرْتَهُ قبلَ الوجودِ السماء
ما أردتُ الوجودَ قَبْلَ وجودي
وبرَغَمِي بعدَ الوجودِ الفناء
وأرى القَصْرَ تَوَامَ الكُوخِ لولا
أَنَّ هذا فقرٌ وذاك ثراء
وأراني لصاحب القصر نورا
ولو آتَى في عَيْنِهِ ظِلْمَاءُ
أنا إنِ مِتُّ ماتَ فنٌ رَفِيعُ
وهو إنِ ماتَ ماتَ طِينُ وماءُ

قالت النفسُ إنَّ دُنْيَا الأَمانِي
هي دُنْيَا الخُلُودِ لِلإنْسَانِ

عش بها تنس أن عُمرَكَ وَلِيَّ

في جحيم من الهوى والهوان

وتُريك الكوخ المُحَطَّم قصراً

شائع الظِّلُ سامِقَ البنيان^(١)

والكساء الرديم يُمِى حريراً

كسروى الظلالِ والألوان^(٢)

قلتُ : والواقع المريرُ فقالت :

ذاك داءٌ يُطَبُّ بالنسيان^(٣)

فطويتُ الأعوامَ والأَيَّامَا

حُلماً رائِعَ السَّنا بسَما

وجَهِلتُ الزمانَ فهو هباءٌ

ونسيتُ المكانَ والأحجامَا

حين شَفَّت رُوحى فشاهدتُ قَصراً

يتحدَّى جماله الأحلامَا

(١) سامِق : مرتفع .

(٢) الرديم : المُلْتَمَق . كسروى الظلال : يريد أنه مخطط وملون كثياب ملوك الفرس ، وكسروى

منسوب إلى كسرى

(٣) يُطَبُّ : يَدَاوَى ويُعالج .

ورِياضاً تُغَرِّدُ الطَّيْسِرَ فِيهَا
وَتُرِيقُ الْأَلْحَانَ تَنْدَى غَرَامَا
وَعَبِيداً يَشْتُلُونَ شَتَّى لِحُونِ
فِي حِمَى الْقَصْرِ سَجْدًا وَقِيَامَا

وَتَبِعَتْ الْحَادَى وَكَانَ خِيَالَا
عَاشَ فِي عَالَمِ الْمُنَى أَجِيَالَا
أَيُّ فَنٍّ سَامٍ وَأَيُّ ابْتِلَاعٍ
جَمَلٌ مِنْ صَاغٍ حَسَنِهِ وَتَعَالَى
الْتِمَاطِيلُ كَالْأَنَامِيِّ كَادَتْ

تَنْهَادَى رَشَاقَةً وَدَلَالَا
وَالرُّسُومُ الْخَرَسَاءُ تَهْتَفُ بِالرَّائِي فَيَجْثُو أَمَامَهُنَّ جَلَالَا
نَفَخَ الْفَنُّ رُوحَهُ فِي حِلَامَا
وَكَسَاهَا جِلَالَةً وَجَمَالَا

عَشْتُ فِي الْفَقْرِ كَالْأَمِيرِ الْمُطَاعِ
شَاعِرِي الرِّغَابِ وَالْأَطْمَاعِ
كُلُّ دُنْيَايَ لِلدَّهْرِ وَجَمَالُ
وَانْبِعَاطٌ إِلَى الْهَوَى وَالْمَتَاعِ

بين حورٍ عَيْنٍ وأكوابٍ خمرٍ
وأغانٍ عُلُوِيَّةٍ الإيقاع^(١)
وندامى كالزهر يرجون صفوى

ويخافون ثورتى واندفاعى
قاسموني مجدى وظنونا نعيمى

خالدًا غير مؤذنٍ بضباع !

ياندامائى والليالى تجورُ
بى حنينٌ إلى البُكا وشعورُ
أفرغوا أكُوسَ المُدامِ فإنى
كاد قلبي مما يخاف يطيرُ
أنا أخشى انهيارَ مجدى وأرجو

أن يقينا أحداثه المقلُور

يا ندامائى ... يالقلبي وعقلي

هاهى الأرضُ بالبناء تلور

يا لقصرى إذ عربد الريحُ فى الجوّ

(م) وشُقَّتْ لساكنيه القبسور

(١) الحورُ: جمع حَوْرَاءَ، وهى البيضاء من النساء .

هَبَّتْ الرِّيحُ عاصِفًا مُكْفَهَرًا
فَأَحَالَ الْقَصْرَ الْمُرَدَّ ذِكْرِي^(١)

رَبُّ مَا كَانَ ذَلِكَ الْقَصْرَ إِلَّا
حُلْمًا لَمْ يَظَلْ نَعِيمًا وَعَمْرًا
خَدَعْتَنِي نَفْسِي بِمَا قَدْ تَمَنَيْتُ
تُ فَهَلْ كَانَ مَا تَمَنَيْتُ شَرًّا
أَمْ تَرَانِي جَبِلْتُ مِنْ طِينَةِ الْبُؤْ

مِنْ فُرُوحِي تَرَى الْفَرَادِيسَ قَفْرًا^(٢)
أَمْ تَرَانِي نَهَبْتُ أَحْلَامَ غَيْرِي
وَلِنَفْسِي مَنَى عَلَى الدَّهْرِ أُخْرَى ؟

وَإِذَا هَاتِفٌ يَهْزُ سَكُونِي :
أَنْتِ . أَخْطَأْتُ فِي التَّمَنَّى مُظَنُونِي
قَلْتُ يَا نَفْسَ قَالَتِ النَّفْسُ : دَعْنِي
مَا تَمَنَيْتُ غَيْرَ مَاءٍ وَطِينِ
ذَلِكَ الْقَصْرُ وَالنَّدَامَى هَبَاءُ
حِينَ تَصْحُو عَلَى صُرَاخِ الْمُنُونِ^(٣)

(١) المرَد : الطويل الأملس .

(٢) الفراديس : جمع فردوس وهو البستان الجامع لكل ما يكون في البساتين (مذكر وقد يؤنث) .

(٣) المنون : الدهر . والكثير المن . والموت ، وهو المقصود في هذا البيت .

فاسمٌ عن بَهْرَجِ الدُّنَى وتطَهَّرَ
 بألوهيَّةِ الهوى والفنونِ
 إن في الفنِّ قوَّةٌ وغلوى
 ويَقِينِي إذا افتقدتُ يقينِي !

وكما يَحْلُمُ الصَّبَا بالغرامِ
 وتهيم الزهور بالأنسامِ
 رَحَّتْ أبْنَى في عالمِ الوهمِ مجدى
 فوق ما خَلَّفَ الهوى من حطامِ
 وَسَرَتْ بى الأوهامِ تَحْتَرِقُ الحجج
 بَ إلى عالمٍ من النُّورِ سامِ
 حيثُ قامَ «الأولب» تمرحُ فيه
 آلهاتُ الأقداس والآثام^(١)
 والقرايينُ من بنى الفنِّ تُزجى
 من بنات الأفكار والأحلام^(٢)

(١) الأولمب : المكلب ، مع أنها في الأصل تعنى الألعاب الرياضية التى كان يحفل بها اليونانيون القدماء قرب « ألبو » كل أربع سنوات .
 (٢) تُزجى : تساق وتُدْفَع .

يا مُنَاى اخلُدِى ويا نفسُ طيبي
أصبحَ الفنُّ كلُّهُ من نصيبي
أين لى بالاله ربُّ الأغاريه
يدِ «أبولو» يملأُ من الخُلْدِ كُونِي^(١)
ويُتَوَّجُ رأسى بما ضَفَّرته
يده من أزاهير وطُيُوب^(٢)
فتناهى إلى من جانب الأفق
قَرِ نداء كَوَسَوَسَاتِ الحبيب
يا غريب الفؤاد لاقيتَ أهلاً
إنَّ ضيف «الأولب» غير غريب

رَنَّ هذا النداءُ فى أذُنِيَا
وسرى كاللهيبِ فى أصغريَا
فكأنى مَزَقْتُ ثوبَ تُرابي
وطويتُ السماءَ روحاً عليَا
وكأنى أصبحتُ فى خاطر التَّاءِ
ريخ معنى مُجَنِّحاً قُدْسِيَا

(١) الأغاريد : جمع أغرودة ، وهى غناء الطير أو الإنسان .
(٢) الطُيُوب : جمع طيب . وهو الأفضل من كل شيء : وكل ما يتلطَّب به من عطر ونحوه
ويجمع كذلك على أطياب .

حين ألفتني أنادِمُ أحلا مى رحيقَ الخلودِ طهرا ندياً
وعذاري «فينوس» يرقصن حولي
ويمجذن فني الأبدية

ثم يَمُنْ معبد الأربابِ
حيث توجن بالخلود شبان
وتغنن للإله أبولو
آية خلدت على الأحقاب
كل ما في الوجود آياتُ فنُ
سوف تفنى والملك للوهاب
غير أن الحياة بالفكر رباً
نيةً طلقه بغير حساب
كل عبدٍ فيها إلهٌ صغيرُ
يتسامى ماجدٌ في الأسباب^(١)

(١) كان البيت في صورته الأولى التي صدر بها المجموعة الأولى من شعره :
كل عيد فيها إلهٌ صغير يتامى ماجد في الأسباب
فغير كلمة يتامى في هذه القصيدة — : يتسامى ، لأن كلمة يتامى توحى بالوهمية الإنسان حينما
يحد في أسبابها ، وبذلك تهتر عقيدة الشاعر الدينية التي كان يحرص عليها في ذلك الوقت .

لَتَمْنَيْتُ أَنْ أَعِيشَ حَيَاتِي
 بَيْنَ تِلْكَ الْفَرَادِسِ الْوَارِفَاتِ
 بِيَدِ أَنْ الْقَيْدَ التُّرَابِيَّ أَضْنَا
 نِي فَخَلَفْتُ عَالَمَ الْآلِهَاتِ
 وَهَبَطْتُ الْأَرْضَ الشَّقِيَّةَ كَالنَّارِ
 سِكَ يَغْثَى مَوَاطِنَ الشَّهَوَاتِ
 وَبَدَأْتُ الصَّرَاعَ فِي زَحْمَةِ الْأَحْ
 يَاءِ سَعِيًّا وَرَاءَ هَذَا الْفُتَاتِ
 وَعِمَادِي خَوَاطِرُ عَبْقَرِيًّا
 تُوْهِى مِنْ السَّمَاوَاتِ آتِ

لَمْ يَكُنْ يَخْطِرُ الشَّقَاءُ بِيَالِي
 لَا وَلَا الْخَوْفُ مِنْ صُرُوفِ اللَّيَالِي
 كُنْتُ كَالطُّفْلِ رَقَّةً وَحِيَاءً
 وَنَزَوَعًا إِلَى سَمَاءِ الْخِيَالِ
 أَحْسَبُ الْأَرْضَ جَنَّتِي أَنَا وَخُدِي
 لِي فِيهَا مَا شِئْتُ مِنْ آمَالِ
 فَإِذَا جَنَّتِي سَرَابٌ وَأَمَّا
 لِي بِبَيْدٍ تَضْجُ بِالْأَسْوَالِ

وإذا بي أجابه الدهرُ فردًا
أرهفته الأيام بالأثقال

هذه الأرض لم تزد بوجسدى
غير طير يسمو على التقييد
همه الحب والينابيع والوكُ
رُ ونجوى رفيقه الغريد
وأنا طائرُ الفنون فما دُنْ
بى حتى أحيا حياة الطريد
ألائى أعيش للفن أعرى

وأخو الطين ناعمٌ فى البرود
ما أذلَّ الحياة إن كان دنْبى
هو زُهْدى فى الجوهر المبود ؟

روعت . هذه التهاويلُ حَسْبى
فاستوى عندها رجائى ويأسى
وانتبهنا أنا ونفسي من الخط
م. وكم ضاع فيه يومى وأمنى

ليت يا نفس والحقائق تُبكي
 لنا وجدنا في الحلم ما كان يُنسى
 ليت يا خاطري ودنياي بحر
 كنت تُرسي حيث الحقائق تُرسي
 ربّ حلمٍ ودِدْتُ لو عاش دهرًا
 ثم ولّى فكان ميلاد بُوس

أنتِ يا نفسِ سرُّ هذا الشقاء
 شدت مجدى على أساس هباء
 من سماء الخيال عُذْتُ لأفقتا
 تَ ثرابَ الحقيقة النكراء
 وهنا الكوخ فانعمى بحماه
 بجمال الطبيعة العذراء
 إن هذا الوجود قصرٌ بناه الله
 (م) هُ ما بين أرضه والسماء
 فدعيني أعش كما شاعت الالف
 حذار حيا بقاؤه للفناء

روح الجهاد^(١)

وقد نشرت بجريدة « صوت الأمة »

في ١٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٦

كَبُرَتْ لِلرَّوْحِ الْأَمِينِ يَهْدِي سَنَاهُ الْحَاثِرِينَ
وَيَكَادُ رَجْعُ نَدَائِهِ يَحْيِي رُقَاتِ الْغَابِرِينَ^(٢)
لِيُرَوْا مَصَارِعَ مَجْدِهِمْ وَضِيَاعَهُ فِي الْعَالَمِينَ
وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الْوَارِثِينَ وَلَيْسَ ذَنْبُ الْغَاصِبِينَ

* * *

وَلَقَدْ سَأَلْتُ الرُّوحَ مَا حَالُ الْكَرَامِ الْوَالِدِينَ
فَإِذَا هُ حَالُ الثَّائِرِينَ وَلَيْسَ حَالُ الشَّاكِرِينَ
وَدَوَا لَوْ اقْتَحَمُوا الزُّمًا نَ فَاصْبَحُوا فِي الْكَائِنِينَ
وَتَقَدَّمُوا يَبْنُونَ مَا هَدَمْتَهُ أَيْدِي الْعَابِثِينَ
هُمْ فِي التُّرَابِ جَوَانِحَ تَهْفُو وَأَلْسِنَةً تَبِينُ
عَاشُوا لِمَصْرَ وَمَجْدِهَا وَسَلَاحُهُمْ نُورُ الْيَقِينِ
وَمَضُوا فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ أَصْبَحُوا فِي الْخَالِدِينَ

(١) حذف من هذه القصيدة أربعة أبيات كان يتوجه فيها بالحديث إلى أحد السياسيين القدامى ورأينا عدم ملائمتها للعهد الحاضر وهذه القصيدة من شعره الثوري السيامي ضد الإنجليز والقصر .

(٢) الرفات : الحطام والفتات من كل ما تكثر والتلف .

وَأَرَى بَيْنَهُمْ أَعْظَمًا بَلَيْتُ وَأَرْوَاهَا فَنَيْنُ
شغلتهم الدنيا عن الـ أخرى بما جمع اليمين
حتى غَلَبُوا حرباً عليـ لنا لا على المستعمرين
والشعب يرقب والحوـ دث كالحجارة لا تلين
والحاكمون بأمـرهم ياذلُّهم في الحاكمين
شَابَتْ نَوَاصِيهِمْ وَمَا سَمُوا حياة اللاعبين
يتفاوضون على الجَلَا وَوَحْدَةَ السَّوَادَى الْأَمِينِ
فَاعْجَبْ لِمَقْتُولٍ يُفَا وَضُ في المَصِيرِ الْقَاتِلِينَ
فِيْمَاطُلُونَ وَيَخْذَعُوبُو نَ وَيَكْذِبُونَ وَيَمْكُرُونَ
حتى تَلَاشَى صَوْتُ مِصْرَ رَ وَكَانَ لِحَنِ الثَّائِرِينَ
مَا بَيْنَ أَحْزَابِ الْيَسَارِ وَبَيْنَ أَحْزَابِ الْيَمِينِ
يَا قَوْمُ إِنْ الْحَقَّ تَضَرُّخُ رُوحِهِ بِالنَّائِمِينَ
سُودَانُ مِصْرَ وَتَيْنُهُمَا لَا كَانَ مَنْ يَقْرَى الْوَتِينَ^(١)
وَأَرَى الْجَلَاءَ قَضِيَّةً طَالَتْ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ
فَاحْيُوا كِرَامًا أَوْ قَوْلُوا (م) وَجَهَكُمْ شَطَرَ الْمُنُونِ
فَالْمَوْتُ فِي سَاحِ الْعَلَا خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الْغَبِينِ^(٢)

* * *

(١) الْوَتِينَ : الشَّيْرَانِ الرَّبِيسِي الَّذِي يَفْذَعِي جِسْمَ الْإِنْسَانِ بِالْذَّمِّ النَّقِي الْمَخْرُجِ مِنَ الْقَلْبِ
جَمْعُهُ : وَتَنٌ ، وَوَتْنَةٌ .

(٢) الْغَبِينِ : هُوَ الْمَخْدُوعُ الْمَغْلُوبُ ، مِنْ غَبَيْتَهُ يَغْبِيهِ غَيْبًا وَغَبَيْتَ فِي الْبَيْعِ أَوِ الشَّرَاءِ : خَدَعَهُ وَغَلَبَهُ .

الجنة الحمراء (١)

أَبْكِى هَوًى أَمْ فَرْحَةً أَمْ أَمَانِيَا عَيِّتُ وَمَا يُجْدَى عَلَى بُكَائِيَا
إِذَا قُلْتُ إِنَّ الْفَجْرَ بُشْرَى هَنَاءَةٍ تُنَازِعُنِي نَفْسِي فَأَرْتَدُّ رَاضِيَا
رَضَا الْحَمَلِ الْمَشْلُولِ فِي كَفِّ جَازِرٍ وَصَبْرِ الذِّى لَمْ يَلْقَ فِي النَّاسِ حَانِيَا

* * *

وإن أَطْبَقَ اللَّيْلُ الرَّهِيْبُ جُفُونَهُ عَلَى تَرَامَتِ فَوْقَ صَدْرِ آهِيَا
تَنُوحُ نَوَاحِ الظَّلِّ أَلْوًى بِهِ مَرَهُ هَجِيرُ الْفَلَاحِرَانِ يَشْوَى الْمَاقِيَا
فَرَا رَحْمَتَا لِلنَّاسِ بَلْ لِي فَمَا أَرَى عَلَى الْأَرْضِ نَاسًا حَالَهُمُ مِثْلُ حَالِيَا

* * *

وَجَامِحَةُ الْأَشْوَاقِ مَخْمُورَةُ الرُّوْى تَرَفُّ صَبَابَاتٍ وَتَنْدَى أَغَانِيَا
تَعِيشُ عَلَى الْمَاضِي وَتَخْشَى رُجُوعَهُ وَتَهْفُو إِلَى الْمَجْهُولِ مَا دَامَ خَافِيَا.
وَتَحْرِقُ بِالْأَوْهَامِ مَا كَانَ زَاهِرَا وَتُنْعَشُ بِاللَّذَاتِ مَا كَانَ ذَاوِيَا
تَرَاهَا فَتَنْسَاهَا كَأَنَّ وَجُودَهَا فَنَاءً .. فَإِنَّ غَابَتْ أَطْلَتِ التَّنَاجِيَا
وَتَحْسِبُهَا أَنْتِى مِنَ الطِّينِ رَوْحَهَا وَتَعْشَقُهَا طَيْفًا مِنَ النُّورِ سَامِيَا
هِيَ الْجَنَّةُ الْحَمْرَاءُ تَغْرِيبُكَ نَاطِرَا وَتَجْفُوكَ قَدِيْسًا وَتَسْبِيْكَ جَانِيَا

* * *

أَرَقْتُ عَلَى أَقْدَامِهَا خَمْرَةَ الصَّبَا وَأَفْنَيْتُ فِي لَذَاتِهَا كُلَّ مَالِيَا

(١) يعبر في هذه القصيدة عن حالة شعورية مع حوالة التي كان يتطاع إليها .

وَضِيعَتْ فِيهَا الْعُمَرُ حُبًّا وَلَذَّةً
 وَضَمَخَتْ أَيَّامِي بِعَطْرِ شَبَابِهَا
 وَقَامَرْتُ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ رَائِدِي
 وَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهَا مَرْفَأُ الْمُنَى
 وَظَاهَرَنِي قَلْبِي عَلَيْهَا فَأَذْعَنْتُ
 وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا يَجْرُ غَرَامِهَا
 وَفِي لَيْلَةٍ خَرَسَاءَ مَقْرُورَةٍ الدُّجَى
 وَعَانَقْتُ فِيهَا الشَّهْدَ عَيْنًا وَخَاطِرًا
 سَعَيْتُ إِلَيْهَا جَائِعَ الرُّوحِ ظَامِيًا
 كَأَنِّي خُطَا السُّكْرَانِ يَشْقِي بِهَا الثَّرَى
 أَرْتَلُ أَشْعَارِي حَنِينًا وَصَبُورَةً
 وَيَسْبَحُ ظِلِّي فِي سَنَا الْبَدْرِ شَائِعًا
 وَلِلصَّمْتِ أَصْدَاءُ كَأَنَّ زَفِيفَهَا
 وَرَحْتُ أَنَادِيهَا عَلَى بُعْدِ دَارِهَا

(١) ضَمَخَتْ : لَطَخَتْ فِي كَثْرَةٍ .

(٢) الْجَهْشَانُ : الْقَرْعُ بِالْبَكَاءِ أَوْ التَّهَيُّؤِ لَهُ .

(٣) مُغَلَّةٌ : مَقِيدَةٌ بِالْقُلَّةِ وَهُوَ طَوْقٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ جُلْدٍ يَجْعَلُ فِي عُنُقِ الْأَسِيرِ أَوْ الْمُهْرَمِ أَوْ فِي أَيْدِيهِمَا ، ج : أَغْلَالٌ ، شَلَاةٌ : أَيُّ أَحْصِيَّتٍ بِالشَّلَالِ ، أَوْ بَيِّتٍ فَبَطَلَتْ حَرَكَتُهَا أَوْ صَعَفَتْ ، جَمْعُهُ : شَلَلٌ .

(٤) الرَّقِيفُ : السَّرِيعُ الْخَفِيفُ .

(٥) الرَّعَاءُ : مُؤَنَّثُ الْأَرْعَنِ ، وَهُوَ الْأَهْوَجُ فِي مَنَاطِقِهِ ، جَمْعُهُ : رَعْنٌ .

ومازلتُ أَقْتَاتُ الظلامَ وأحتقِ
 وأسألُ نفسي هل تُسرُّ بِمَقْلِمِي
 وقالت لي الأوهامُ أينَ وفاؤها ؟
 لقد وهبتني الجِسمَ والروحَ والهوى
 وما أنا يا أوهامُ إلا حياتها
 سأكفُرُ بالأقداسِ في دَيْرِ حُبِّها
 بقُرْبِي منها مُسْرِقًا في رَجائيا^(١)
 وترحمُ أَنَاتِي وتحبي رُفَاتِيَا
 فقلتُ لأَوْهَامِي وأَيْنَ وفائِيَا ؟
 ولم أعْطِها إلا فُتَاتَ شَبَابِيَا
 وما هي يا أوهامُ إلا حَيَاتِيَا
 وأجعلُ شَيْطَانَ الغرامِ إِلَهِيَا^(٢)

• • •

وما هي إلا وثبةٌ وانطلاقةٌ
 وأقدمتُ إقدامَ الجبان على الوَعَى
 وألهبتُ بالأشواق رُوحَ إِرَادَتِي
 ومزَّقَ صَوْتِي هَذَاةَ الليلِ ضارِعًا
 وهبَّتْ تَبَارِينِي الهتاف .. وَخِلْتُهَا
 وَحْيِيْنُهَا فَاسْتَعْجَمْتُ - وسألتُها
 وقالتْ بعينيها .. وهبَّتْ عواطِفِي
 وأطرقْتُ إطراقَ اليتيم على الأَسَى
 وألْفَيْتُنِي أغشى عليها المغنِيا^(٣)
 ترى الموتَ عيناه بعيدا ودانِيا
 وأنسيتُ إلا لَذَّتِي ومتاعِيَا
 ومزَّقَ وجدِي هَذَاةَ الروحِ طاغِيا
 تُصارعُ مثلَ رهبةٍ وتداعِيا
 فكانت كَصَمْتِ القبرِ هاج التَّوْازِيا^(٤)
 لغيرك فاقطع فسحةَ العمرِ خالِيا
 وضجَّتْ بِأَلحانِ الشُّكَايِ سَمَائِيَا

(١) أقتاف : انبعاث : ألتفت أثره .

(٢) الأقداس : يقال « قلَّس الأقداس » للتعبير عن مكان من الميكل كان يدخله عظيم الأحيار من اليهود مرة في السنة .

(٣) المغنَى : جمع مغنَى ، وهو المنزل الذي غنى به أهله ، ويقال ماله عنه مغنَى : ماله عنه بُدْ .

(٤) التَّوْازَى : جمع تَوَازَى ، وهي الحدة والنشاط .

وودعتُ دنياها بشجْوَى وَأَدْمَعِي وهددتُ بالصبر الجريح فؤاديا
وقلتُ لقلبي رُبَّما كنتُ مُخْطِئًا طريق الهوى.. أو أننى كنتُ جانيا
وياربَ ليل طال حتى ظننتُـهُ خلودًا فكان الفجرُ للظنِّ ماحيا

* * *

لَعَنْتُكَ يا خرقاءَ .. ما كنتُ خائئًا ولا كان قلبي فى غرامِكَ لاهيا
ولكنه دهرى وَحْطَى وَمِخْنَى تقاسمُنْ أَيْامى وَزِدْنِ شقائيا
سَأَصْبِرُ يا حَمِقًا إِلَّا عَنِ الْبُكَاءِ وعن ذِكْرِيانى .. آه من ذكرياتيا!
وَلِلدَّهْرِ أَنْ يَقْسُو . وَإِنِّ لَصَامِدٌ وإن حطمتُ سود اللَّيالى جِلاديا
أَلِفْتُ صِراعَ الدَّهْرِ مِنْ يَوْمِ مَوْلَدِي كَأَنِّى عَلَى الدُّنْيَا مُلاقٍ حَسابيا

* * *

ويا سَلَوْتى عنها - إلیک - فلم أكنُ لِأَسْأَلُو مَنْ كانت مَنارَ حياتيا
سَمِعْتُ غناءَ الحِطِّ وانسابَ غائِمِي دموعًا على ماذقته .. ومآسيا^(١)
وطهرتُ نفسى من ترابِ مرقَشٍ يحنُّ إلى رجلاه لهفانِ صاديا
ومزَّتْ أُمالى فباتتُ ذبيحةً مشرَّدةً الأشلَاءَ تطوى اللياليا
وأودعتُ صفْوَى قُمُعمًا من غياهبِ وأنكرتُ حتى بسمتى وعبوسيا
وغامتُ على عيني الحقائقُ وانتفضى لى الشكِّ سيفًا ظامئًا الهدمًا ضيا^(٢)
وحيرتُ من يَأْسِي أَدْنى مَنِئِي فأرحمُ نفسى أم أميت حياتيا

(١) كان البيت ينتهى بكلمة ومباكيا فاستبدلها بقوله ومآسيا .

(٢) انتفضى السَّيفُ : أخرجته من غمده .

حياتي طريقٌ لستُ أدري انتهاءه وقبلًا جهلتُ البدء منذ ابتدائها
وموتى بيدٍ يعزف الغيب فوقها مزاميرَ أشباحٍ تهزُّ الدِّياجيسا
فمالي وللدنيا سئمتُ نداءها أكرسها إِمَّا استجابت ندائها^(١)
دعيني لأبقى المخالدين يضمُّني لأخرج منك لاعليَّ ولاليا!^(٢)

١٤ ديسمبر ١٩٤٦

(١) أكرسها : استخدمها الشاعر بمعنى أدمعها مع أن كرس في الأصل بمعنى تقبض ، وكرش بمعنى قطب وجهه .

(٢) كان هذا البيت في أول الأمر : « دعيني لأحتق التوأمين يضمُّني » . ثم ضرب على « أحتق التوأمين » وعدلًا إلى : « دعيني لريح الموت تغطي مشاعلي » . ثم عدلًا في صورتها الأخيرة إلى « دعيني لأبقى المخالدين يضمُّني » .



أشعار ورسوم

١٩٤٧ ~ ١٩٤٦

المتجردة^(١)

تَجَرَّدَتْ كَالْحُلْمِ العَاطِفِيَّ أَوْ الفِكْرَةِ الحُرَّةِ الثَّائِرَةِ
فَأَيُّ هَوَىِّ عِبْقَرَى الرَّوَى أَذَابَتْكَ أَشْوَاقُهُ الشَّاعِرَةِ

أَظْنُكَ حَوَاءَ بَعْدَ الخُرُوجِ مَشْرَدَةً فِي الدُّنْيِ حَائِرَةِ
وَقَدْ غَابَ آدَمُ يَجْنِي لَهَا مِنْ الأَرْضِ أَثْمَارَهَا البَاكِرَةِ
فَنَامَتْ عَنِ الكَوْنِ وَالكَائِنَاتِ كَسَوَسَنَةِ الرُّوضَةِ الزَّاهِرَةِ
وَرَاوَحَتْ وَقَدْ فَارَقَتْهَا الجَنَانِ تَعِيشُ عَلَى جَنَّةِ الذَّاكِرَةِ
فِيالْيَتَنَى كُنْتُ صَفْصَافَةً تُظِلُّ أُنُوثَتَكَ الفَائِرَةِ
وَيَالِيَتَنَى خَفَقَةُ فِي النِّسِيمِ تَشْعِشِعُ أَنْفَاسَكَ العَاطِرَةِ
تَنَامِينَ ؟ يَا لِلْجَمَالِ الكَسُولِ وَيَا لِلْمَفَاتِنِ الْآسِرَةِ

(١) قالها في فتيات مسترخيات كسالى ، نائمات على رمال شاطئ بلطيم ، وقد عبرَ بينَ الشاعر .

يا فاتنى

قلبٌ يُعَذِّبُهُ هَوَاهُ ما ذنبه إن قبال آه
 سَجَرَ الزَّمَانُ بِهِ فَعَا شَ عَلَى الْبَقِيَّةِ مِنْ مُنَاهُ
 وَقَضَى الْغَرَامُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْكِي.. وَلَا يُجْدَى بُكَاهُ
 وَهَوَاهُ أَنْتَ فَكُنْ لَهُ عَوْنًا عَلَى ظَلَمِ الْحِيَاهُ

يا فاتنى بهواك حَسْبُكَ مَا أَكَايِدُ مِنْ زَمَانِي
 أَحْكِمِ عَلَيَّ بِمَاتَشَا فَاَنْتَ لِي كُلُّ الْأَمَانِي
 إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ الْهَوَا نُ فَإِنِّي أَرْضَى هَوَايَ
 أَوْ كَانَ يُسَعِدُكَ الْفِرَا قُ فَلَا تَجِدْ لِي بِالتَّوَدَانِي

الْكُونُ بَعْدَكَ ذَاهِلٌ وَكَأَنَّهُ فِكْرِي وَحْسِي
 وَحْيَاةُ نَفْسِي مِخْنَةٌ تَفْنِي بِهَا أَحْلَامُ نَفْسِي
 يَا جَنَّةَ الْأَمَالِ كَيْ فِ رَضِيَّتِي لِي هَمِّي وَيَأْسِي
 أَمْسِي مَضَى وَأَخَافُ أَنْ يَشْقَى غَدَى كَشَقَاءِ أَمْسِي

المرأة ... لعبتها الرجل^(١)

صورة امرأة ضاحكة ..
تعمل على كنفها رجلاً راكماً ..

حواء .. ياسر جمال الوجود يا كلّ مانهواه في العالم
يطيب لي بين يديك السجود فقد ورثت الحب عن آدم

رفقاً بما في كفك المشتهاه فهو في الأحلام يا جاحده
جعلته لعبة هذى الحياه فياله من لعبة خالده

كالعابد المفتون يخفي الجبين وروحُه تزجي إليك الرجاء
فما الذي أغراك إذ تضحكين ؟ ذلّ الهوى ؟ أم ذاك طبع النساء

بالله يا حواء لاتحرميه من ضمة .. أو قبلة .. أو حنان
فهو امتداد لأمانى أبيه من يوم أن فارق نغمى الجنان

(١) رأى الشاعر هذه الصورة على خلاف كتاب .

مبعاد (١)

« صورة امرأة تتحدث في
التليفون مترجمة عن الأثير »

سَأَلْكَ .. حين تنام النجوم وتضحو الأمانى على نورها
وَتُنْفِضِ الرِّياضَ بِأَسْرارِها وأسرارها عِطْرَ أَزْهارها
لَنَسْرِقَ من عَمْرِنَا سَاعَةً نعيشُ الحياة على ذكرها
فَأُسْلِمُ نَفْسِي وَقَلْبِي إِلَيْكَ كشاديةٍ في حِمَى طيرها
وجسدى سَتَعَصْرُهُ كَرَمَةً وتسقى شبابك من خمرها
وأعطيك من شفى قبلةً يذوبُ وجُودُك في نارها

سَأَلْكَ طيفاً براه الحنين ودُنَيْباً يَحْنُ إلى فجرها^(١)
فَأَسْعِدْ يَوْمى .. وأحيا غدى وأُطْلِقُ رُوحى من أسرها

* * *

(١) هذه القصيدة موجودة في « المخطوطة » ولكن الشاعر قد ضرب عليها وشطبها مع أنها من
جيد شعره وهي تعبر عن انفعال بامتلاك هذه المرأة الهامسة في التليفون وتفعل في حديثها الدافئ ،
وتخفى الشاعر أن يكون هو ذلك الحبيب الذى تكلمه .
(٢) براه الحنين : نَحْتَهُ وَسَوَاه .

دعيني

يَجِبِي .. بأشواق .. بدمعي الذي هَمَى
بشكِّي ... بإيماني ... وأواه منهما
بذكرى نعيمٍ لم أذُق طعمَ صفوه
وذكرى جحيمٍ عشتُ فيه مُنعمًا
بليّلاتنا النشوى .. بأحلامٍ حَبَّنا
بوحدة قلبٍ صَارَعَ الدهر راغما !!
بقولك لي . . والكون نايٌ مُعطلٌ
ونحن به كَحْنٌ طوى الليلَ ساهما
سأهواك جسمًا طهره في أثامه
وروحاً تُرايبا تعذِّبه السَّما
دعيني ... وفي نجمي من النور ومضةٌ
تمزُق عن روحى الظلام المُظلمًا
وفيلكٍ شبابٌ .. ترتعى في رياضه
أفَاعٍ تَشْمُ العطرَ ريحًا مُسمِّما
دعيني .. فقد تمضى الحياة ... وينتهى
شبابي .. ولَمَّا أَجْنِرْ إِلَّا التَّوهُما

دعبنى .. فقد أفنيتُ فيك مَلاحِي
وأحرقْتُ زهري .. والشباب المحطماً^(١)
وفي الكأس من خمرِ الأمانِ بقيةُ
سيهرِيقُها يأسِي .. وأحيا على الظما^(٢)
تريديني طيراً مهيضاً جناحه
فلا والذي سواك جرحاً وبكسماً
سأنساك .. وهماً أرققتي طيُوفهُ
وحسناً .. وآمالاً .. وحباً محرماً
وأغمي عن الأفق الذي كنتَ شمسهُ
وأنكرُ نفسي حين يحزنُها العمي

دُمى فوق آماقِ اللَّيالي أرقنتِه
وشعري أحواله .. الرّزايا مآتما^(٣)

(١) الملاحن : مسائل كالآلغاز يحتاج في حلّها إلى فطنة ، ولكنه استعملها جمعا للحنن الذي هو : ما صيغ من الأصوات ووضع على توقيع ونغم معلوم (صناعة الألحان) ويعنى باللحن الأغنية الشعرية وجمع اللحن : ألحان ، ولحون .

(٢) سيهرِيقُها يأسِي : سيصبها .

(٣) آماق : جمع سَوْق ، أو سَوْق وهو طرف العين مما يلي الأنف ، وهو يجري الدمع ، ويجمع الموق كذلك على أمواق .

فَأَصْبَحْتُ وَالْحَرَمَانُ خَمْرِي وَحَانَتِي
أَعِيشْ عَلَيْهِ جَنَّةً أَوْ جَهَنَّمَ
إِذَا الْحَسَنُ نَادَى النَّاسَ حَيَّ عَلَى الْهَوَى
فَإِنِّي بِحَرَمَانِي سَاحِبٌ مُنْعَمٌ

نغم

فِي دَمِي .. مِنْ لَحْنِكَ الْمَاضِي .. بَقَايَا نَغْمٍ
لَمْ تَزَلْ تَسْلُو بِهَا رُوحِي .. وَيُرْوِيهَا فَمِي
وَعَلَى أَصْدَائِهَا أَحْيَا .. وَيَحْيَا قَلَمِي
وَهِيَ فِي بُعْدِكَ سُلُوَايَ وَدُنْيَا أَلَمِي

السياسيون القدامى^(١)

الحزاني على الأسمى عاكفونا
بعد أن صارت الأمانى منونا
والألى يحكمون . . لا يعلمونا
أنهم يهدمون ما يبنتونا
والبناء الذى يظنونَه مجداً
سيمحو آثارهم أجمعينا

والملك^(٢)

خلق الله ذو الجلالة أسمى
ليقود الأنعام للمهلكات
ليته مات قبل أن يهبط الأز
ض ليحيا والناس كالأموات

(١) دون الشاعر هذه الأبيات الثلاثة فى غطوطته دون عنوان . وعنوت لها بما يتفق ونزعه
الثائرة على الحكم والحاكين فى العهد الماضى .

(٢) يقصد الشاعر بهذين البيتين الملك فاروق ، إذ كان عمقه مفتاً شديداً فى تلك الآونة نظراً لانحرافه
عن القصد والاعتدال ، ولوقوفه حجر عشرة ضد الأمانى القومية ، ولكن الشاعر لم يعنون لهذين
البيتين كذلك ، فعنوت لهما .

المواكب^(١)

غفا بعد أن مرّت الزّوْبعة يقاسمُ أحلامه مَضْجَعه
شقى أحواله أياؤه صدّى نغمةً بالأسى داميّه
يعيش على حرقِ الذّكرياتِ ويقتات آماله الخادعه
كأنى به فى جحيم الحياة نبيّ جفاه الذى أبدعه
تراهُ فتقرأ فى وجهه ملاحم أَيْامه الضائعه

* * *

جبين كصحراء مَجْهُولَةٍ مشى الصمتُ فى جوفها حاليماً
وعينان تستغرقان الوجود سجد الليل فوق جُفونيهما
إلهيتان ... وشيطانتان تغشاهما ما تغشاهما
وبينهما تجسّم الكبرياء على جدول يسكر العالما
سماتٌ بهم الخيال يمجّد فنّانها الأعظما

* * *

له الله حين أفاقَتْ رُؤاه وهامت مواكبُها فى سَماء

(١) كان عنوان القصيدة أولاً.. المواكب.. ثم ضرب عليه الشاعر وأماها بالوجودية، ولكننا رأينا أن تسميتها بالمواكب أكثر اتساقاً مع موضوع القصيدة ، وهى من تأملات الشاعر فى الحياة والأحياء ونقده للسلوك البشرى وهو ما يسمونه بالنقد الاجتماعى .

طفافات نورٍ ترى روحه بها غير ماقد ترى مُقلّته^(١)
 رأى نفسه قبساً حائراً تحدّ سنانه قيود الآله
 أثيرية غيرٌ محدودة وكونٌ يغيبُ المدى في مداه^(٢)
 رأى حلماً حقّقته الحياة ليشتفّ أعماق بحر الحياة

رأى نفسه .. ليته مارأى وعاش على جسدبه ظامياً
 لقد راعه أنه زائلٌ ستُفنى النيةُ ما أنشأ
 وأذهله أن أيامه زوارقٌ لا تعرفُ المرفأ
 تمرّ بها صرّخاتُ الرياح فتحطمُ مصباحها المطفأ
 ويجهش ربّانها بالصلاة فيغرقها الموجُ مُستهزئاً

وفي غمرة من شعاع الخيال رأى كوكباً كفنته الليلان
 تزفُّ حوالبه من نسوره بقايا سنّى آلهى الجلال
 تحدّث عن أمل الوالدين وعن طهره عيسوى المثال^(٣)
 هو الأُمس أو طفله العبقريّ مضى .. والسعادة بنتُ المُحال

(١) طفافات نور : جمع طُنُوءة وهى دائرة القمرين (الشمس والقمر) ، وما طفا من زبد
 القيدِ ونحوه . ويُقال : « أصبنا طفاوة من الربيع » أى شياسته .

(٢) أثيرية : نسبة إلى الأثير وهو عند علماء الطبيعة : سيّال عُلّ القراغ : إذ هو مادة لا تقع
 تحت الوزن تتخلّل الأجسام ويكون امتداد الصوت والحرارة بواسطة تموجاتها . واللفظة يونانية .

(٣) عيسوى المثال : يشير إلى المسيح عيسى بن مريم .

هو الأَمْسُ منتحراً .. والصفاء مُهالاً عليه تراب السَّوَال

* * *

وعانقَه كالرُّوى الطَّافِرة صبيُّ تلَفَع بالآخِرة
يقول له أين أحلامُنَا وقد كُنَّ كالروضَة الزَّاهِرة
لأفناداه من أنت ؟ ماذا تريد ؟ كَفَى إِنَّ دُنْيَاى بى كافرِه
فقال له أنا من كُنْتُه أنا الفجرُ أو روحُه الحائرِه
أنا فى حياتك معنى يطوف وإن أنكرتُنى الرِّجى الدائرِه

* * *

فَدَى للطفولة سحرُ الشباب وما هو إلا خداعُ السَّراب
مُنَى بعثرتها رياح الزَّمان وألقت بها فى ضمير اليباب
وأوتارُ قيثارة أطرقت على شفتيها لحون العذاب
تسائلها الريحُ عن صمتها فتتركُ للصمت ردَّ الجواب
فيأذرة فوق سطح العُباب نأى الشطُّ فالتجيمى بالعُباب

* * *

يقينُ الحياة وأوهامُها سواءٌ إذا جفَّ إلهامُها
وما نحن إلا سَطُورُ الكتاب وأعمارُنَا هى أرقامُها
وكاتبُها الخالقُ السَّرمدى وتلك المقاديرُ أقلامُها

نُكْفَرُ عَمَّا جَنَى الْوَالِدَانِ فَيَا لِبَرِيَّةٍ مَا جُرْمُهَا^(١)
تَحْفُ الرِّزَايَا بِمِثْلَادِهَا وَتَرْتَقِبُ الْمَوْتَ أَيَّامَهَا

* * *

أَتَفْأَحُهُ سُرُّ هَذَا الشَّقَاءِ ؟ وَمَنْ أَجْلَهَا كُلُّ هَذَا الْبَلَاءِ
تَعَالَيْتَ يَا رَبَّ .. مَاذَا أَقُولُ ؟ وَأَنْتَ الْقَدِيرُ عَلَى مَا تَشَاءُ
أَنَا ابْنُ الطَّرِيدِينَ أَشْكُو لَأَيْنِكَ وَمَلَأَ دُمِي ثَوْرَةَ الْأَبْرِيَاءِ^(٢) :
أَلَمْ تَكُنْ قَدَّرْتَ أَنْ يَعْصِيَاكَ فَلَمْ يَخْرُجَا عَنْ مَحِيطِ الْقَضَاءِ
وَلَا .. فَلَيْمَ صُغِتَ هَذَا الْوُجُودُ ؟ دَحَوْتَ الثَّرَى وَرَفَعْتَ السَّمَاءَ

* * *

أَلَمْ تَخْلُقِ النَّارَ .. نَارَ الْجَحِيمِ ؟ كَخَلْقِكَ لِلدَّارِ .. دَارِ النِّعَمِ ؟
أَلَمْ تَقْضِ أَنْ يُبْعَثَ الْأَنْبِيَاءُ لِكُلِّ هُدًى وَطَرِيقٍ قَوِيمٍ
فَهَذَا نَبِيٌّ بَنَى يَعْـرُوبَ وَهَذَا الْخَلِيلُ . وَذَاكَ الْكَلِيمُ^(٣)
وَتِلْكَ الشَّيَاطِينُ بَنَتْ اللَّظَى فَمَنْهُمْ وَلِيٌّ .. وَفِيهِمْ رَجِيمٌ
وَدُنْيَا الْمَلَايِكَةِ فَوْقَ السَّحَابِ وَنَمْلُ الثَّرَابِ وَطَيْرُ السَّدِيمِ^(٤)

* * *

(١) يَمْضَى الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ الَّذِي يَلْقَى النَّجْمَةَ كُلَّهَا فِي أَمْرِ إِنْجَادِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْوَالِدَيْنِ حِينَ قَالَ « هَذَا جَنَاءُ أَبِي عَلِيٍّ » .

(٢) يُشِيرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِلَى خُرُوجِ سَيِّدِنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَوَاهُ مِنَ الْجَنَّةِ .

(٣) نَبِيُّ بَنِي يَعْرَبَ : سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْخَلِيلُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْكَلِيمُ : سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٤) السَّدِيمُ : الصَّبَابُ الرَّقِيقُ . وَهُوَ كَذَلِكَ مَجْمُوعَةُ نَجُومٍ بَعِيدَةٌ جَدًّا تَظْهَرُ كَأَنَّهَا سَحَابَةٌ رَقِيقَةٌ وَمِنْهُ الْمُهَيَّرَةُ ، جَمْعُ سَدِيمٍ ، وَالْمَقْصُودُ فِي هَذَا الْبَيْتِ : الْجَوْ .

تباركت .. مانع هذا الوجود
وما بإرادتنا أن نجىء
نقايى الحياة وآلامها
وتنلرنا بعير الحساب
وما ذنبنا نحن ؟ ما ذنبنا ؟
لما لم نفارق جنان الخلود^(١)
ولا بمشيئتنا أن نعود
وأخرها غمرات الهمود
ومن ذكره تقشعر الجلود
ولم نقترف ما جناه الجدود

■ ■ ■

حنانك .. لو أن لى ما أشاء
أطهر قومي من الموبقات
أو اخترت عرشا كهذى العرو
أو اخترت ألا أرى عالمأ
فكنت ترابأ كهذا الترا
لكنك نبأ من الأنبياء^(٢)
وأدفع عنهم صرور القضاء^(٣)
ش أو كنت فردأ من الأثرياء
بقائى على أرضه كالفناء
ب أو مزنأ فى جفون السماء

■ ■ ■

حنانك .. أرضك تشكو إليك
لقد أجديت وهى مخضلة
بحولك سويت أبناءها
يعذبهم جهلهم بالغيوب
وتحدو المقادير أحلامهم
وترجو رضاك وجدوى يديك
وما سرها بخفى عليك
فعاشوا كما دشت فى عالميك
ومظلمها مستنير ليدك
فتطوى الطريق على ناظريك

■ ■ ■

(١) إذا لم : يقصد الشاعر بهذا التعبير لولم نفارق .

(٢) حنانك : يعنى رحمة منك موصولة برحمة .

(٣) الموبقات : الكبائر من المعاصى لأنهن مهلكات : واحدها موبقة .

خلقتهمو وخلقت الردى وباركت منجّله الحاصدا
 وأغزيتهم بجمال الوجود يرون به صنّعك الخالدا
 فلم يعرفوك وإن مثلك فانت النشيد ونحن الصدى
 وكم وحّدوك وكم عدّوك فكان هداهم ضلال الهدى
 ومعناك فوق الخيال الشّروء ودون مذك انقساح المدى

* * *

رآك خليلك نور الشّمس وظنّوك في الهند نار المجوس^(١)
 وفرعون خالك في نفسه وناجك آباؤه في أبيس^(٢)
 وسماك « مانا » ظلام الدّجى وناذك « بوذا » بنفس النفوس^(٣)
 وكم في المحاربين من ساجدين أفاءوا إليك بذلّ الرّؤوس
 وكم في المذابح من راهب يريق اللّحون ويّزجي الطّقوس

* * *

(١) خليلك : ابراهيم عليه السلام .. المسجوس : أطلق هذا الاسم على طائفة من الكهّان كان لهم الدور الخطير في الديانة الإيرانية القديمة لاسيما في العهد الساساني ، وقد أطلق هذا الاسم كذلك على فئات من المنجمين والعلماء . وقد أطلق العرب اسم المجوس على قرصان التورمان والكاندافيين الذين حاولوا في القرون الوسطى اقتحام السواحل أو الحدود في بلاد الغرب الإسلامي .

(٢) أبيس : المعجل المعبود لدى قداماء المصريين .

(٣) مانا : أصل هذا الاسم « ماني » (٢١٥ - ٢٧٦ م) وهو مؤسس مذهب المانوية القائل بمبدأين بالوجود : مبدأ الخير ، ومبدأ الشرّ ، والنور والظلام ، وإليه مرجع الزيدية . أدخل ماني في التصوير الفارسي نسق التصوير الصيني ورسم الملائكة والشياطين . بوذا : مؤسس الديانة البوذية ، وهي تقول : إن غاية الإنسان بقائه وهذا ما يسمونه « نيرفانا » (Nirvana) وتبّاع البوذية زهاء ٥٠٠ مليون .

وأنت .. تساميت .. فى كل ما
أحسك فى الفجر روح الضياء
وفى الزهر سِرَّ حنان الندى
وفى النهر تهويم أمواجه
وفى الطفل يا ليتنى قلبه
أحسك تسبيحه الباغما

أحسك فى الليل صمت النيام
وشكوى المناكير من دهرهم
وأذكار مُستوحِش عابِد
وأذمُع أفاقه فى السُّجى
تَحجُّ إليك بآهاتهم
وسحرَ النجوم وهول القتام^(١)
ونجوى المعاميد أهل الغرام
راك فاقسم ألا ينسام
تبيعُ الهوى لتنال الطعام
لتنقذها من أفاعي الظلام

* * *

أحسك فى منار السَّفيين
أحسك فى الحسن معنى الجمال
وفى القبح إذ أنت خلف التراب
أحسك فى الحى فى الميت فى القبر
وعصف الشكوك وروح اليقين^(٢)
رفيف الدُّفاه وهمس الجفون
جمال زوه التراب الغبين^(٣)
فى اللود ينهش جسم الدفين

(١) القتام : الغبار الأسود ، أو غبار الحرب .

(٢) متار السَّين : ما يُقام فى المواقى لتهدى به السُّفن .

(٣) التراب الغين : المخلوع المملوك .

وفى الفنَّ مشرقُ أنسواره وناموسُ أبنائه الخالدين^(١)

■ * ■

لك الأمرُ .. فى من هواك افتتان ولا زلت أشكو إليك الهوان
يُقرِّبُنِي منك ذلُّ العبيد ويبعِدُنِي عنك قهرُ المكان
أريدُ السموَّ وأحشى السقوط فهتِنِي مما قضيتَ الأمان
نشدتك فى صبواتِ الحسان وفى نشواتي بخمرِ الدَّنان
فقالوا غوى شقُّ الخيال يعرِّدُ فى رأسه الأفعوان

■ * ■

وزرتك فى الدَّيْرِ والمسجد فلم تَدُنْ منى ولم تبعِدِ ؟
والفَتَنِى مُغرِّقا فى الرِّجاء فلم تكشف الجُنبَ أو أشهد ؟
أشعتَ وجودك بين الوجود فى الحانِ ألقاك والمعبدِ
وطمأننتَ قلبي وفزعته فياوبحَ لِلْمُؤْمِنِ المُلحدِ !
وأفزعتنى فوسعتُ الفضاء إلَّا فضاءً به ترتدى

■ * ■

أطوف بكونك فى عَزَلَتِي فأنسى بآلامه مخنئ
وأزقبُ خلقك من عالمي جِيعَ ذئابٍ على جيفةٍ
تسخُرهم شهواتُ الحضيض ويخنقهم جشعُ الطَّيْنَةِ

(١) التاموس : صاحب سرِّ الرِّجل . والذي يُطلعه دون غيره على باطن أمره . والتاموس كذلك جبريل عليه السلام . جمعه نواميس .

وعدلك في ظلمهم ناثه وإيمانهم شبه أنطورة
ويغذو التراب أباطيلهم فتسخر منهم ألوهيتي

جنونُ الرؤى وسعارُ الألم رفيقاي منذ صحبت القلم^(١)
عرفتُ من الفن معنى الحياة وكُنْه الخلود وسرَّ العدم
وأكرمتُ نفسي فطامنتُها زماناً .. وغامرت في المزدحم^(٢)
فروعني أن أري العالمين مقابر تنبض فيها الرمم
فعدتُ وكلّي ربوبيّة تطهرها عبرات النادم^(٣)

شربتُ برغمي كئوس القدر وجاهتُ وحدي سهام الفير^(٤)
وما كنتُ إلا لساناً أبان وقلباً أحس ورؤحاً شعر
أحلقُ فوق مرّاق العقول وأزحم في الطين دود البشر^(٥)
وقد أحنى ببكاء الظلام وأنفِرُ من ضحكات القمر
فلم أرَ كالتناس في أرضهم تهاويلَ مختلفات الصور

(١) السّعار : حرّ النار . وشدة الجوع . والتهاب العطش . والجنون .

(٢) فطامنتُها : أوى حملتها على الطمأنينة بالسكون والانخفاض . وقد خفت همزتها للتسهيل لأن أصل الكلمة فطامنتها ، وتخففها العامة أكثر من ذلك فتقول طمّنتها .

(٣) الربوبية والربوبية : اسم من الرب وهو من أسماءه تعالى والنسبة إليه ربّي . ورباني . وربوبيّ .

(٤) الفير : غير الدهر : أحواله . وأحداثه المتغيرة . يقال : لا أراكَ الله بك غيراً . ج : أغيار .

(٥) مرّاق : جمع مرّق وهو الرق . والرق هو الصعود .

فهذا فتى في الشباب الغرير
حوى كونه الكون والكائنات
وقلده الفن تاج الخلود
فلم تهده غير أضوائه
فأعيت مذهب في الحياة
يعيش الحياة كدود الحرير^(١)
ففيه التقى بدوها بالمصير
وما الفن إلا الوجود الكبير
ولم يصغ إلا لصوت الضمير
فياحسرتا للإله الفقير

* * *

وهذا ابن أنثى غوى الفؤاد
رقاب الأماني منقاد
حبته المقادير ملك الثرى
فجن بأهوائه الآثبات
فما خنفته دموع الأسى
رسالته أن يعيث الفساد
إليه .. وطبع الأماني العناد
وألقت إليه أمور العباد
يرى بحرها ماله من نفاذ
ولا طوقته معاني الجداد
فما خنفته دموع الأسى

* * *

وفي الكوخ .. حيث تقيم المحن
براعم لم تحتضنها الرياض
يموت الندى فوق أوراقها
وتقتلها العاصفات الشداد
وكل جنايتها أنها
على ساكنيه ليالى الشجن
ولا نشقت غير ربح الدمن^(٢)
وينكرها الغيث إماما هتن^(٣)
فيدفنها القفر فيما دفن
تريد الحياة فيأبى الزمن

* * *

(١) الغرير: الخلق الحسن . ج غُرَّان .

(٢) الدمن : جمع دمنة وهي العزيلة . أو ما اختلط من البحر والطين عند الحوض فتأبد .

(٣) هتن : هطل وتنايع .

وفوق الذُّرَا حَاكِمٌ فِي عُلَاهُ
 شَيْأُهُ تَوَدُّ اخْضِرَارَ الْجَدِيدِ
 تَنَامُ عَلَى الشُّوْكِ حَتَّى إِذَا
 وَرَاعَ طَوْتُ نَائِيَةِ السَّافِيَاتُ
 يَهْشُ إِلَى رَقَصَاتِ الْمُتَنَّى
 يَرَى قَوْمَهُ أُمَّةً مِنْ شَيْأِهِ
 لَتَسْمَنَ لِلذُّبِّ لَا لِلْحَيَاءِ
 نَمَا الْوَرْدُ كَانَ دُخَانًا شَذَاهُ
 وَغَابَ بِجَوْفِ الرُّوَابِيِّ صَدَاهُ
 وَكُلُّ الرَّدَى كَامِنٌ فِي مُنَاهُ

* * *

وَيَهْفُو إِلَى الْكَأْسِ إِنْ عَرُبِدَتْ
 وَلِلذُّبِ مِنْ حَوْلِهِ شُرَّةٌ
 يَرَى الرَّاعَى الْغُرَّ يَنْسَى الْحَيَاةَ
 فَيُشْرِعُ مِنْ نَازِلِيهِ الْمُدَى
 وَإِنْ أَبْقَظَ الذُّبُّ صَوْتَ الدَّمَاءِ
 وَيَسْجُدُ لِلْمَرْأَةِ الْمُشْتَهَاهِ
 تَصُولُ إِذَا مَا وَهَى جَانِبَاهُ^(١)
 وَيَنْسَى الرِّعِيلَ وَيَنْسَى عَصَاهُ
 لِيَقْطَعَ عَنْهَا سَبِيلَ النِّجَاهِ
 فَلَا تَرْتَقِبُ غَيْرَ نَوْمِ الرَّعَاهِ

* * *

وَذَى لَحْيَةٍ تَرَهَّقُ الْمَاشِطِينَ
 يَهْزُ النَّهَارَ بِأَيِّ السَّمَاءِ
 فَإِنْ جَمَعَ اللَّيْلُ نُدْمَانَهُ
 يَضْجُ بِلُغْنَةٍ أَقْصَادَارِهِ
 فَإِنْ أَنْتَ ذَكَرْتَهُ بِالحِسَابِ
 وَمُسْبِجَةٍ تُعْجِزُ الْحَامِسِينَ
 فَيُبَيِّنُكِ بِتَرْتِيلِهَا السَّامِعِينَ
 رَأَاهُ إِمَامًا عَلَى الشَّارِبِينَ
 وَيَسْخَرُ مِنْ خَالِقِ الْعَالَمِينَ
 أَقَامَكَ رَمَزًا إِلَى الْجَاهِلِينَ

* * *

(١) الشُّرَّةُ : الحُدَّة والنشاط .

وَمُنْتَبِذٍ فِي حِمَى الْأَذْيَسَةِ يُفَكِّرُ فِي الرُّوحِ وَالْآخِرَةِ
فَإِنْ خَطَرَتْ حَوْلَهُ الرَّاهِبَاتِ أَطاحت به النشوة الغامرة
وَرَا حَ بَعِينِهِ يُزْجِي الصَّلَاةَ إِلَى كُلِّ فَتَانَةٍ قَاهِرَةٍ^(١)
بَهَا مَا بِهِ . . شَهْوَةٌ قِيدَتْ فَشَبَّتْ فَثَارَتْ بِهَا الثَّائِرَةُ
وَيَلْتَقِيَانِ فَيَبْكِي الْمَسِيحُ وَيَشْكُو إِلَى أُمِّهِ الطَّاهِرَةِ

* * *

وَمُسْتَقْتَلٍ فِي صِرَاعِ الضَّنَى وَيَغْمِلُ بِاللِّدْمِ مِيتَ الْمُنَى
تَنْقَلُ فِي جَانِبِيهِ الْجِرَاحُ وَتَأْكُلُ جِثْمَانَهُ الْمُشَخَّنَا^(٢)
مَضَى الْمَوْتُ يَغْزِلُ أَنْفَاسَهُ لِأَيَّامِهِ كَفَنًا وَاهِنَا
وَأَبْنَاؤُهُ الْجَائِعُونَ الْعُرَاةَ يَقْدُونَ بِالنُّوحِ صَمْتَ اللَّيْلِ
مَلَاهِيْفُ يَسْتَصْرِخُونَ السَّمَاءَ لَتَرْزُقَهُمْ زَائِرًا مُحْسِنًا^(٣)

* * *

وَمُنْتَحِرٍ بِحِبَالِ الْمَنَى وَنِيَاهُ مِنْ نُورِهَا يَائِسُهُ
يَقُودُ الْحَيَاةَ بِأَوْهَامِهِ وَتَقْتَادُهُ الْقُدْرَةُ الْعَابِسُهُ
عَجِبَتْ لَهُ كَيْفَ يَنْسَى الْفَنَاءَ وَيَعِشُّ أَحْلَامَهُ الْبَائِسُهُ
وَيُغْمَضُ عَيْنِيهِ عَمَّا يَكُونُ إِذَا اعْتَصَرَتْ جِسْمَهُ الْيَابِسُهُ

(١) يزجي الصلاة : يسوقها .

(٢) المُشَخَّن : الذي وهن وضعف ، من أثنته الجراح : إذا أضغته وأوهنته .

(٣) مَلَاهِيْف : أى مظلومون مضطرون ، ينادون ويستغيثون ويتحسرون ، عثر قلوب .

وقامت من الدود ندابةً تُؤن أيامه الدارسه

* * *

وكم واقف عند باب الصّباح وفي عَيْنِهِ لهفَةٌ للمساء
يحسّ كأنّ له بالوجود (م) عهدًا شَطُونًا طوته السماء^(١)
وأنّ له ماضيًا في الفناء تقدّمهُ غابِرٌ في البقاء
فكل الذي ضَمَنَتِ الحياة بما لقنَتْ من فُتُونِ القضاء
له تحت أعماقه صورةٌ تؤكِّدُ أن الختام ابتداء

* * *

وياربّ شيخٍ سقاءُ الزّمان أعْتَقَ مافي كُثُوسِ الزّمان
تحطّم حتى لو أنّ الهوان تجسّم كان مثالَ الهوان
وأطعمه الدّهرُ والفرقدان ليأكله الدّهرُ والفرقدان^(٢)
وتسألُه ما معاني الحياة وماذا وعى من غريب المعان
فيعيّا .. ويشكو إليك الشباب وكيف مضى قبلَ فوتِ الأوان

* * *

وطفلٍ يباركُ ميلادُهُ حنانٌ من الأمّ والوالدِ
ينادونه بالأُملاك الصّغير ويكفونه نظيرة الحاسدِ

(١) شَطُونًا : بعيداً ، من شطنت النار تشنطن شَطُونًا : بعدت .

(٢) الفرقدان : ثنية فرقد . وهو نجم قريب من القطب الشمالى ثابت الموقع تقريباً ، ولذا يُهتدى به ، وهو المسمّى (النجم القطبي) ، ويقترّبه نجم آخر ممّاثلٌ له وأصغر منه ، وهما فرقدان . والفرقد كذلك ولد البقرة الوحشية ، والفرقد من الأرض : المستوى الصلب ، جمعه فرّقد .

وَيَسْتَقْبِلُونُ بِهِ عَالَمًا مِنْ الْأَكْمَلِ الْبَاسِمِ الرَّاعِدِ
 وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا مَا يَنْتَال إِذَا امْتَدَّ فِي الزَّمَنِ الْخَالِدِ
 أَرَأَيْتُمْ مِنْ نَكَبَاتِ الْحَيَاةِ وَمِنْ دَهْرِهِ الْكَافِرِ الْحَاقِدِ

وَيُفَضِّلُ كَرِيحَانَةً فِي عُلَاهُ بِنَاهُ وَهَدْمَهُ وَالِدَاهُ
 تَلَقَّفَهُ اللَّيْلُ مِنْ أُمِّهِ وَأَسْكَنَهُ جَانِبًا مِنْ حِمَاهُ
 وَزَفَّ إِلَيْهِ التَّمَضُّاءُ الْعَجِيبُ يَدَى مُتَرَفٍ أَعْقَمَتْهُ الْحَيَاهُ
 فَرَبَّيْنَهُ وَجَبَّاهُ اسْمُهُ وَمَا لَأَسْمِيهِ مِنْ ثَرَاءٍ وَجَاهٍ^(١)
 فَمَنْ عَمَرَكَ اللَّهُ أَذْنَى إِلَيْهِ أَمْ غَرَسَ الْغَرَسَ أَمِنْ جَنَاهُ ؟

وَيُفَضِّلُ تَخِفٌ لَدَى ذِكْرِهِ قُلُوبُ الْمَسَاكِينِ مِنْ شَعْبِهِ
 يُحْيِيُونَ فِيهِ الرَّجَاءَ الْبَعِيدَ وَيَرْجُونَ لَوْ شَبَّ فِي قَلْبِهِ
 وَيَخْشَوْنَ مِنْهُ الْوَرِثَ الْجَدِيدَ لَظَلَمَ الْأَبَ الْحَيُّ فِي ثَوْبِهِ
 وَيَجْرَى بِهِ الْفَلَكَ السَّرْمَدَى عَتَى الْأُلُوهَةِ فِي جَذْبِهِ^(٢)
 فَيَنْتَفِضُ الْمَهْدُ عَنْ فَاتِكِ تَحَارُّ الْمَصَائِبُ فِي حَرْبِهِ^(٣)

وَيُفَضِّلُ تَمُوتُ عَلَى مَهْدِهِ مُنَى الْأَمْسِ وَالْفَقْدِ وَالْحَاضِرِ

(١) رَبِّبَهُ : رَبَّاهُ وَتَمَهَّدَهُ . (٢) عَتَى : التَّجَاوَزَ الْحَدَّ .

(٣) الْفَاتِكُ : الْغَادِرُ الْمُغْتَالُ .

أَنَّى دُونَ دَائِرٍ وَلَا مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ وَاضِحٍ ظَاهِرٍ
 مِثْلَ نَزْوَةٍ فِي دَمِ الْوَالِدَيْنِ تُوجَّ بِخَمُومِهَا الْفَائِرِ^(١)
 هُمَا وَرِثَاهَا عَنِ الْوَالِدَيْنِ وَذَايَا عَلَى جَمَرِهَا السَّاعِرِ^(٢)
 فَكَانَا امْتِدَادًا لِأَحْلَامِهِمْ وَبُؤْسَهُمُ الْخَالِدِ الْقَاهِرِ

وطفـل ينفـى بآمالـه إلى ظلِّ والده الباسقِ^(٣)
 أَنَّى يَطْرُقُ الْأَرْضَ مِنْ سَقْفِهَا فَيَا لِلطَّرِيقَةِ وَالطَّنَارِقِ
 فَمَا شَاءَ .. فَالْأَرْضُ وَالسَّاكِنُونَ فِدَى أَمْرِهِ النَّافِذِ السَّابِقِ
 وَمَالٍ يَشَاءُ .. فَالزَّمَانُ الْعَنِيدُ مُطِيعٌ كَخُنْجَرِهِ الْهَارِقِ
 وَبَيْنَ السَّمُومِ وَبَيْنَ الصَّبَا كَمَا بَيْنَ فَجْرِ إِلَى غَاسِقِ^(٤)

وطفـل يسير إلى قبره ولَمَّا يَزَلْ فِي ضَمِيرِ الْغُيُوبِ
 تُغْذِيهِ أَنْفَاسُهَا فِي الْحَيَاةِ طَرِيدَةً بِأَسْ دَهْتِهَا الْخُطُوبِ
 فَفِي قَلْبِهِ جَنَواتُ الشَّرُوقِ وَفِي عَيْنِهِ ظِلْمَاتُ الْغُرُوبِ
 وَيَفْتَحُهَا فَيَمْرَى عَالَمِيَا يَعْذِبُهُ السَّلْمُ قَبْلَ الْحُرُوبِ
 تَتَوَّهُ الشَّيْءُ بِهِ فِي الذَّنَابِ وَشَرَعَتْهُ النَّهْشُ قَبْلَ الْوُثُوبِ

(١) اليعقوم : الشديد الحرارة ، جمعه يحاميم .

(٢) السَّاعِرُ : المتَّعِد .

(٣) الباسق : المرتفع .

(٤) الغاسق : الليل إذا غاب الشفق واشتدت ظلمته ، والقمر إذا أظلم بالغيوم .

وباك على أمسه .. ضاحك
يُعيدُ الحكاية من بذئها
وللدهر طاحونة لا تمل
وفي جوفها مثلُ عُمرِ الفضاء
فما هو؟ ما الكون .. ما الكائنات
لقرة فجر بعيد الظلال
وينسجها يشعاع الخيال
تُدورُها نكبات الليال
إذا سورته رغووس الجبال
لعل الإجابة عين السؤال

* * *

وباك على يومه قبل أن
يرى فجره من دجى ليله
أفيرصد بالوهم مافى غد
ويمزج ماذاق من أمسه
فيسكب ماحار من دمه
يحرره الغيب من قيده
قريب الزمان على بُعد
وكل التعاسة فى رصده
بما يخبأ الغيب فى بُرده
ويوقظ مانام من وجده

* * *

وذى صبوة شغفت قلبه
توكله حتى رأى حُسنها
ففيها من الشعر والأغنيات
روى أملاً وروت مثله
وشق على الدهر أن يسعدا
وأضنته إحدى ذوات الخفر
تخلق مما وراء الفكر
ومحر الرؤى والنسدى والزهر
على الحب وانتظرت وانتظر
فجف الغراس .. ومات الثمر

* * *

وَأَغْمَى العَوَاطِفِ شَيْطَانُهَا غَوَى الهوى عبقري النَّزَقِ^(١)
 رَأَى فتنَةً من بَنَاتِ الخدورِ فما زال بالطيرِ حتَّى انْطَلَقَ
 وَأَلْقَى عَلَيْهَا شِبَاكَ المُنَى وجاذِبَهَا الثوبَ حتَّى انْفَتَقَ
 فجاء به نسباً شَبَاعاً يجوعُ فيأكلُ ممَّا مرقَ
 سَوَاءٌ لَدَيْهِ دَمُ الآدَمَى وخمرٌ بكاساتها تُغْتَبَقُ

* * *

وطايرٌ على الفقرِ أَيَّامَهُ يَحِبُّ !! فيا للهوى المتعب
 رَأَى بَثَّ سَيِّدِهِ مَرَّةً فقال هنا غاية المَطْلَبِ
 وراح يصبُّ أَمَانِيَهُ أَغَارِيدَ في نايه المَطْطَرِبِ^(٢)
 تَشْنُّ من الجوعِ أَمْعَاؤُهُ بكاءً على جوفه المُجْدِبِ
 فيحسبه من أنينِ القلوبِ إذا احترقتْ بالضنى المُلْهَبِ

* * *

وَأَعْجَبُ مِنْهُ ابْنَةُ السَّيِّدِ تَبِيعُ الغنى بالغرامِ الصَّدي^(٣)
 رَأَتْ فِيهِ فوق معاني الشبابِ ذراعاً أَشَدَّ وصدراً ندى
 وبين زواجهما حائلان من الحسبِ الضَّخْمِ وَالْمَحْنِدِ
 ولكنَّه الحُبُّ . قَاسٍ عَنيد ولا بُدَّ للسَّهمِ من منفَدِ

(١) النَّزَقُ : الخنقة والطيش في كلِّ أمر : والعجلة في جهلٍ وحُصْنٍ ، والمكان القريب .

(٢) أَغَارِيدُ : جمع أغردة . وهى غناء الطير أو الإنسان .

(٣) الصَّدى : شدة الظلم .

وكم جمع الحب في فيه أخا البؤس بالأزوع الأمجد^(١)

مواليد تجري الليالي بهم على قدر فوقهم قادر
كما كان آباؤهم في الحياة يكوئون والفرخ للطائر
وربما خالفوا الوالدين فقد يولد البر للفاجر
حقائق جلت عن العالمين وغابت عن الباحث الساهر
أرى وجهها المظلم المذلهم فمن لي بوجه لها آخر !

(١) الأزوع : الذئبي القواد ، والمُحجَّب بحسه وجهارة منظره ، أو بشجاعته ، وهي رَوْعَاء ،
ج : رَوْعٌ ، وقلبُ أَرْوَعٍ يرتاع لحذته من كل ما سمع أو رأى ..

من الماضي^(١)

بين يأيى وحيرتى ورجائى
وصباحى مكفئنا بمسالى
بين كأيى وخمرها ذوبٌ وجداً
فى وحى ووحدنى وشقائى
سأعيشُ الحياةَ عبداً لذكرَا
لك وأحى رفاتها بُكائى
أنتِ يامن عرفتُ نفسى فيها
حين أنكرتُ عفتى وحيائى
كيف أنساكِ جنّةً أو جحيمَا
وأنا بالهمومِ بعث صفائى
أنتِ أميى وحاضرى ، وغدى فى
لكِ سرابٌ تهفو له صحرائى
كيف أنسى يوماً لقيتُك فيه
بأمانى قبل حين اللقاء

(١) هذه القصيدة نتجت عن حالة شعورية ومعاناة دعت الشاعر إلى استرجاع ماضيه واجتراره .

لم أَلْجَأْ قَبْلَهُ شَهِيدَ جَمَالٍ
 وَتَى الْقَرَامِ وَالْأَمْسَاءِ
 آه من نظرةِ أَفَاقَتِ عَلَيْهَا
 شهواتي وعربدت في دُمائِي
 آه من همسةِ أَذَابَتْ كَيْفَانِي
 وَأَطَاحَتْ بِحُكْمِي وَذِكَايِي
 آه من موعدِ أَثَاعَتْهُ عَيْنَا
 لِي وَحَمَلَتْهُ بِقَلْبِ الْمَسَاءِ
 آه من ليلةٍ نَسِيتُ بِهَا الْعَمْرَ
 وَأَفْنَيْتُ فِي دُجَاهَا ضِيَائِي
 كُنْتُ فِيهَا الشَّبَابَ أَرْهَقَهُ الْحَرُّ
 مَآءٌ حَتَّى اسْتَحَلَّ فَيَضَ اشْتِهَاءُ
 كُنْتُ فِيهَا الشَّيْطَانَ تَحْرِقُهُ أُتَى
 بِنَارِ الْفِتْنُونَ وَالْإِغْرَاءِ !
 أَسْكُرُ اللَّيْلَ حُبَّنَا فَمَضَى يَحْ
 لَمْ بِالْخَمْرِ وَالْهَوَى وَالنِّسَاءِ
 وَأَثَارَ الْمِضْيَاحِ رَقَصَكَ فَاهْتَزَّ
 (م) خُفِّقَ الْأَشْعَةُ الْحَمْرَاءُ !

أَيُّ خمرٍ ملأتُ كأسِي منها ؟
أَيُّ كأسٍ مجنونةٍ الصَّهباء ؟
حَسْوَةٌ .. ثم حَسْوَةٌ ... ثم غَيْبُو
بَةُ حَسٍّ وَوَسْوَساتُ نداء
وتهاويلُ شاعرٍ سَحَرْتُهُ
بنتُ ليلٍ وشهوةٍ رقطاء
شاعرٌ عاشَ مؤمناً بالمشاء
لِيَّةٌ يَفْنَى في كونها اللّاهِثَى
نَسَجَ العُمرَ من شُعاعِ الخَيالِ
تِ وَغنى الظلامِ لَحَنَ الضياءِ
ثُمَّ أَيْقَظْتُهُ على فجرٍ دُنْيَا
كِ فَسَمَّاكِ جَنَّةَ الشُّعراءِ
أَنْتِ زَيْنَتِي لِي الخطيئةِ حَتَّى
كِدْتُ أَرْتَابُ في عِقَابِ السماءِ
أَحينما رُحْتُ تَجَنَّبِينَ بِأَفْكَا
رَى إلى عالمٍ عن الزُّهدِ نَلَّيْ
وتقولين : مامُقامكِ في الأَرِ
فِيهِ بِلَا لَفٍّ وَلَا حَوَاءِ !!

وتساءلتِ مادعاؤك في دَيزِ
 ي ؟ .. فقلتُ : النوالُ قبلَ الدعاءِ
 فتهللتِ ثم قمتِ إلى المَنَدِ
 بَحِ نشوى وهنانةَ الأعضاء^(١)
 وخِباَ الضوء .. غير إشعاعٍ سَكَبِ
 رى تُحِبُّى المكانَ فى استِحياءِ
 وعلى مَذْبَحِ القداساتِ أَدْبِ
 سنا صلاةَ العواطفِ الحمراء !
 ومضى الليلُ فانطلقتُ وحيداً
 أَتَوَقَّى نواظِرَ الأحياءِ
 وإِخْالَ الأنامِ يذرونَ ما كَا
 نَ فامضى .. والنارِ فى أحشائى
 أَتُرَى تذكُرِينَ ؟ أم أَنَّ أخطَا
 عِلكَ مِنْ بَعْدِهَا مَحَتْ أخطائى
 أنا طَهَّرتْ بالندامةِ ذنبى
 فارْجِعِى أَوْ فامْغِى فى الجفاءِ
 إن تَعُودِى فسوفَ أَنفُخُ فى رُؤِ
 حِكْ طَهْرِى وحكمتى ونقائى
 وإذا ما عَشِقتِ أَرْضَكَ فامْضِ
 ودَعِىنى .. فما نَسِيتُ سَمائى

(١) الوهنانة : من النساء : الكسل عن العمل تنمناً .

يا الهى (١)

بِشْمِ القوم بالطعام .. وجُعنا
وعرّينا .. واستمتعوا بالبُرود^(٢)
وجهلنا .. وعَلِّمُوا أَنْ يَرَوْنَا
فى حمام جَحَافِلًا من عبيد^(٣)
وطنى مصر .. كيف أَحْيَا عليها
- أنا فلاحُها - حياة الطَّريد
وبنو الطَّين يحلمون مع اللي
لِ بنجوى أنْتى ورَنَّة عود
مُهم فى الحياة أَنْ يَقتُلُوا الشَّغ
بَ وَيُلْقُوا آمَالَهُ فى اللُّحود
نحن نشقى ليشعلوا .. وَيَحْ شُعب
خَبَلْتِ: الوعدُ إِنْشَرِ العود

(١) استوحى القصيدة من واقع المجتمع قبل الثورة ، وهى من شعره فى محاربة الإقطاع
والرأسمالية الشرمة فى قوم لا يمدون ما يأكلون .

(٢) بِشْمِ القوم من الطعام : أَكثَرُوا منه حتى اتَّغَمُوا .

(٣) الجَحَفَل : الجيش الكبير ، ج : جَحَافِل .

عَالَمٌ تَفَزَّعُ الْعِبَادَةُ مِنْهُ
 وَوَجُودٌ مَشْمُتٌ فِيهِ وَجُودِي
 لَيْسَ فِي الْأَرْضِ سَيِّدٌ وَمَسُود
 فَدَعُونَا مِنْ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ
 وَالْحَيَاةُ الْحَيَاةُ لِلْأُمَّةِ الْحَرِّ (٢) فَوْقَ الْأَغْلَالِ وَالتَّقْيِيدِ
 ذَاكَ دِينُ الْأَحْرَارِ فِي كُلِّ جِيلٍ
 وَهُوَ دِينُ الْأَبَاءِ بَعْدَ الْجُنُودِ

امراة^(١)

فيك معنى من المعاني ... بعيدٌ عن مرامي العقول والأفكار
هو سرُّ لما أكابدُ في حُبِّك^(٢) من لوعتي .. ووجدى .. ونارى
أترى تعرفينه ؟ لست أدري وأراني لكنَّه غيرَ دارٍ
أنا مزقت عنه كلَّ حجاب نسجته أناملُ الأقـدار
وحشدتُ الخواطرَ الهمَّ تنسا بُ لتفنى في موجك الهدار^(٣)
وتمثلتُ كلَّ شئٍ عن المر أة لُغزاً يـموجُ بالأسرار
وإذا بي أعودُ بعد انطلاقي في بَوَاديك مُوثقاً في إيسارى^(٤)
وأحسُّ الشيطان يضحكُ في نفـسك منى في حيرتى وعشارى
أنتِ . ما أنتِ ؟ جنَّةٌ كجـيم عندها المؤمنون كالـكُفـار
كبريائى هانت .. وما زلتِ أنثى تتلهي .. بمحنتى وانتحارى
أنكرينى ماشفتِ واحترق حُباً^(٥) لغيرى .. وامضى مع التـيار
لست أرجوكِ .. لا .. ولا أنا أخشاك .. ولكنَّه دمي وسُعاري^(٦)

(١) كان عنوان هذه القصيدة « مُعجزة » ثم شطبه الشاعر وهو يرجع شعره وغيره إلى « امرأة ».

(٢) الميم : جمع أهيم ، وهو من الرجال ومن الإبل : العطشان أشدَّ عطش .

(٣) بَوَاديك : جمع بادية أو بَدَاة وهي الصحراء ، وتجمع البادية كذلك على باديات . والإسار : ما يقيّد به الأسير ، ج : أسير .

(٤) السعار : حر النار ، والتهاب العطش ، وشدة الجوع .

وشبابي المحروم .. واللّهفة الهوى
 وحياتي الخرساء مشدوهة الأحلام
 لم تعد غير مسرح لأفاعي الـ
 فاجذبني إليها إلى حياتك حيناً
 وابعثني فقد تخذت أياً
 وأعيدني إلى فجرى فقد ضيق
 وإذا ما أبنت إلا جموحاً

أنت ما أنت؟ حكمتي فيك عمياً
 لم يكن حبنا لقلبي يوماً
 لك مني تشوق يرمض الرو
 آه .. يا حسرتي إذا ضاع عمري
 ، وعقلي مهدد بالدمار
 من مناه .. ولم يكن باختيار
 ح ولي منك خالد الأعداء^(١)
 ويقيني لديك كالإنكار !

(١) يرمض الروح : يحرقها .

الممثل^(١)

و مهداة إلى صديق الأستاذ الفنان
محمد إسماعيل الممثل والفرج

هائمُ الروحِ بالهوى والأمانى خالداً الذاتِ وهو كالنَّاسِ فأنِ
فيه مافي الحياة من مُشكلات فهو فوق النُّهى ودونَ العِيانِ^(٢)
لَوْحَةٌ أثبتَ الزمانُ عليها أبدى الظلال والألوان^(٣)
هو كالطَّيْنَةِ التي نحن مِنها فهو كلُّ الأنامِ في إنسان

* * *

ملكٌ حينما يشاءُ له الفنُّ^(٤) عزيزُ المقامِ والصَّولجانِ^(٥)
أو حقيرٌ عريانٍ مزقَه الجَوُّ غُ وأضنته لوعةُ الحِرمانِ
وإذا ما أراد فهو ملاكٌ قدسى مطهرٌ صمدانى
أو غوىٌ تضحُّ منه السَّمَاوَاتُ مريدٌ إلّا على الشيطانِ^(٥)

* * *

(١) امتاح الشاعر هذه التجربة من جلساته مع الممثلين في نادى الممثلين المحترفين ، ويمد أن عاش معهم تجربة وفيلم فنية ومصادقته لبعض الممثلين فيه وتأديتهم الأدوار المختلفة وخاصة لإبراهيم السيد الذى كان يسكن معه الشاعر ، وكان يمثل في ذلك الوقت في المسرح ، وكان الشاعر يذهب معه إلى المسرح كل مساء .

(٢) النُّهى : الغل .

(٣) أبدى الظلال : الأبدى : مالا نهاية .

(٤) الصَّولجان والصَّولجانة : الصا المحقوقة الرأس ، ومنها : صولجان الملك ، جمع : صَوْلَجَة .

(٥) المريد : الخبيث المتمرد والشَّير . جمع : مُردَّاء .

كلُّ حَيٍّ لَهُ لِسَانٌ وَهَذَا وَحْدَهُ نَاطِقٌ بِأَلْفِ لِسَانٍ
وَلَقَدْ يُعْجِزُ الْبَيَانُ إِذَا عَبَّرَ عَمَّا يَشَاءُ دُونَ بَيِّنَاتِ
بِأَنْفَعَالَاتٍ وَجْهِهِ الْإِنْسَانِي وَاجْتِلَاجَاتِ جَسَمِهِ الْأَفْعَوَانِي ^(١)
بِيَدَيْهِ .. بِحَاجِبَيْهِ .. بِعَيْنَيْهِ ه بِمَا لَا تَقُولُهُ الشُّفَتَانِ
فَهُوَ بَالِكٌ أَوْ ضَاحِكٌ .. وَبَلِيدٌ عِبْقَرِيٌّ .. أَوْ مُعْجِزٌ ذُو افْتِنَانِ
وَإِذَا حَدَّثَتْ يَدَاهُ فَمَرَّحَنِي وَإِلَى الْمَلْتَقَى .. وَدَقَّتْ وَشَانِي
وَاعْذُرُونِي .. أَوْ أَنْتَذُرُونِي .. أَوْ ابْكُوا لِبُكَائِي .. أَوْ فَاهِزْجُوا بِالْأَغَانِي ^(٢)
وَإِذَا حَاجِبَاهُ شَالَا فَاِعْجَبَابٌ مُجِبٌّ أَوْ كِبْرِيَاءُ أَذَانِي
وَبِعَيْنَيْهِ - وَنَحَ عَيْنَيْهِ - دُنْيَا صَبَوَاتٍ وَفَلَسَفَاتٍ مَعَانٍ ^(٣)
فَهُمَا شُمُوعَتَانِ وَهَاجَتَانِ أَبَدًا بِالْوُجُودِ طَوَافَتَانِ
وَهُمَا طِفْلَتَانِ عَرَبِيدَتَانِ وَالْهَيْتَانِ شَيْطَانَتَانِ
يَخْفُقُ الْكُونُ حِينَ تَأْتِلِقَانِ وَتَنَامُ الْحَيَاةُ إِذْ تَحْبُوَانِ
وَعَلَى ثَغْرِهِ وَفِي شَفَتَيْهِ يَتَلَاثَى السُّكُونُ فِي الْهَلْدِيَانِ
شَفَتَاهُ . . أَوْ شَاطِئًا الْبَحْرَ ، بَيَّانٍ . . فَفِي قَلْبِهِ مُحِيطُ الزَّمَانِ
إِنْ يَقْلِبُهُمَا فَحَدَّثَ عَنِ السَّاحِرِ يَشْقَى بِسُخْرِهِ الْخَافِقَ ^(٤)

(١) الأفصان : مذكر أفعى وهو ضرب من الثعابين .

(٢) فاهزجوا : تفتتوا .

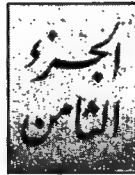
(٣) صَبَوَاتٌ : جمع صَبْوَةٍ . وهى الميل إلى اللهو ، أو الخنثى ، والشوق إلى الحبيب .

(٤) الخافقان : المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيها . من خَفَقَ يَخْفُقُ خَفَقًا وَخَفُوفًا : اضطرب وتحرك .

أَوْ يُتَوَرَّهْمَا فَمَا أَظْمَأَ الْقُبُ لَمَّا تَهَفُّوْا إِلَى خُلُودِ الْحِسَانِ
أَوْ يَحْدُثُ عَنِ الْغَرَامِ فَقَدْ نَصَحَ بِح - أَنْتَ الْخَلِيُّ - عَبْدَ الْغَوَانِي

* * *

هُوَ إِنْ ثَارَ فَالْبَسِيطَةُ رُومًا وَهُوَ نِيَرُونَهَا بِلَا نِيرَانِ
وَإِذَا مَا اطمَأَنَّ فَالْجَدُولُ الْعَاشِقُ يَشْكُو هَوَاهُ الشُّطَّانُ
رَبَّمَا تَلْتَفِيهِ يَنْسَابُ بِشَرًّا وَبِجَنِّيهِ ثَوْرُهُ الْبَرْكَانُ
لَيْتَ مَنْ يَحْسُدُونَهُ عَرَفُوهُ فَهُوَ كَوْنٌ كَهَذِهِ الْأَكْوَانِ
حَيْرَتِي فِيهِ مِثْلُ حَيْرَتِهِ الْكُبَى رَى إِذَا عَاشَ فِي الْوُجُودِ الثَّانِي
أَنَا مَا إِنْ وَصَفْتَهُ .. غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَمَثَّلْتُ عَالَمَ الْفَنِّانِ



ظلال وألوان

١٩٤٧-١٩٤٨

الأصداف (١)

« إلى الإنسانية . . أسرى الكبيرة »

فوق هذى الربأ أقمت وحيدا ومعى معزنى صموتا جهيدا
 أتملى الحياة بدلا عجيبا وأحس الختام بدلا جديدا
 حلقات من الزمان تغايرن وإن كان صوغهن فريدا
 القرون التى مضت . . والتى تأتى سواء إذا نسينا القيودا
 وبنو الأرض مثل ذراتها الغبرة راء تأتى ألوانها التجديدا
 وحديثهم الآمهم وأمانيتهم وإن لم يحققوا التوحيدا
 فأننا أنت حين تسمو وأسمو فوجودى يثم فىك الوجودا
 أم كل الأنام قبضة طين فاعذر النور إن أبى أن يزيدا (٢)
 وانظر الأرض كيف تجمعتنا الأرض مصيرا وأعظما وجلسودا
 فالتراب الذى يصير نضارا كالتراب الذى يصير حليدا

* * *

فوق هذى الربأ تحذت مقامى ومعى حائتى وخمرى وجامى (٣)

(١) عنون الشاعر لهذه القصيدة أولا بـ « أصداف الشاطئ » ثم ضرب على العنوان بقلمه ، وعنون لها بقوله : « الأصداف » .

(٢) يقصد بالأم هنا الأرض .

(٣) الحانة : موضع بيع الخمر ، وهو مأخوذ من التيس وهو الملاك . الجام : الكأس .

حانتِ عالَمُ الخواطرِ في نَفْسِي ودُنْيَا الآمالِ والآلامِ
خَمَرْتِي ما يَرَأَى من ذوبِ وجداً نِي ، وكأُمِّي مواكبُ الأيامِ
قَلَفَتْنِي الغيوبُ بالرغمِ مِنِّي في عُبَابِ من الحوادثِ طام
هو بحرُ الحياة .. سَطَحٌ وأعما قُ ، وغرَقَ آمالُهُم من حطامِ
يترامُونَ تائبينَ حَيَّارِي بين موتٍ دانٍ وعيشٍ دامِ
والمقاديرُ كالأعاصيرِ تهوى بالمناكيدِ من ضحايا الأنامِ^(١)
فَاعفُ عَنِّي إذا جهلتِ فلَانِي لستُ أَذْرى ما غابني أو مَرَامِي^(٢)
عَشَقْتُ نَفْسَهَا الحَقِيقَةُ فازدَا دُخْلاً خفاءً وأوغلتِ في الظلامِ
حينَ رُحْنَا - نحنُ الظُّلالُ - نراها بضريرِ العقولِ والأفهامِ^(٣)

* * *

خَنَقَ الطَّيْنُ وَالظُّلَامُ حِجَابَنَا فَعَمِينَا وما هَدَانَا هَوَانَنَا
نحنُ نرجو من الحَقِيقَةِ أنْ تَكْشِفَ مَحْجُوبَهَا وتَبْدُو عِيَانَنَا
حينَ نرجو من الذي قَدْ بَرَّانَا أنْ نَرَاهُ في قَدْسِهِ إِذْ يَرَانَا
وَيَحْنَا كَالْفَرَّاشِ حُمَقاً وما أَوْهَى حِمَا قَاتِنَا وَأَشَقَّ خَطَانَنَا
الفناءُ العديمُ يطمعُ فيمَا يَتَحَدَّى إعْجَازَهُ الإِمْكَانَا
إنما يَطْلُبُ الأنَامُ مَرَامَا سوفَ يَبْقَى عَنِ الأنَامِ مَصَانَا
قَتَلَ السَّابِقِينَ في الدَّهْرِ يَأْسَا وطواهُم من جَهْلِهِ ما طَوَانَا

(١) مَنَّاكيدُ : جمع نَكَد ، وهو قَلَّةُ العطاء ، ويُقال : رَجُلٌ نَكَدٌ ونَكَدَتْ : عَسَرَ قَلِيلُ الخَبَرِ .

(٢) المَرَامُ : المَطْلَبُ .

(٣) الضَّرِيرُ : المَضْرُورُ أي كل ما خالطه ضَرٌّ .

ليس شيئاً أن تشتهى كلَّ شيءٍ ضاع من يطلب المُحَالَ وهَانَا
فَدَعِ السرَّ خافياً مثلما كا ن ولا تسألُ الورى كيف كانا
وإذا شئت أن تعيش سعيدا فاصحب الدهر جاهلا غفلانا

* * *

إن أشقى الأحياء والأمواتِ آدميٌ يعيش بالفلسفاتِ
يتمنى الخلود بعد المَمَاتِ وهو حيٌّ معذبٌ في الحياةِ
تنظرُ الكائناتُ فيه أخاها وهو في ذاته أبو الكائناتِ
ساخرًا يقطعُ الحياةَ ويلقى مُضحِكَاتِ الأيامِ كالمُبيكاتِ
ساذراً والطريقُ شتَّى المناسِجِ وهو في شاغلٍ عن الغاياتِ^(١)
يتقى حين يطمئن وقد يندُ تتجعُّ الغيثُ في سرابِ الفلاةِ^(٢)
يحسبُ النَّاسَ - وهو منهم - شيها جهلوا أنه إلهُ الرُّعاةِ
قل له - إن قدرتَ ما أنت في الكو ن سوى ذرةٍ من السُّدراتِ
غاية الغيبِ أن تكون كما أُنْ تَ سجيناً ما بين ما ضِ وآتِ

* * *

ذلك الغيبُ ! أى شيءٍ تراه ؟ ضلَّ العالمون فيه وتاهوا
أنا لا عِلْمَ لى إذا كان عِلْمى هو جهل بكائن لا أراه
كائنٍ كلُّ كائنٍ منه يأتى وإليه إذا انتهى مُنتهاه

(١) السَّاذر: الذى لم يهتَمْ ولم يُبالِ ما صنع ، ويُقال : هو ساذرٌ فى الغى : تاه .

(٢) يتجعُّ الغيثُ : يطلبه فى مواضعه .. الفلاة : الصحراء .

وصفوه بما أفاء عليهم وهمو يجهلون ما فُخَّوهُ
وعلى قدر ما يُطيقون خافوا ه وراحوا يستمطرون رضاه
ويقول الذى تمرّد منهم فتساوى ضلاله وهـداه
« ليس إلا أسطورة ذلك الغيب .. ومالى ولا لغيرى إلّاه »
وهو فوق المحلود إذ هو فوق الـ عقل . فالعقل شارد فى مداه
وهو البحر والشواطىء والأسماك والدُّرّ والحصى والمياه
وأنا فى محيطه موجةٌ تفد فى فلا يحتقن بها شاطئاه

* * *

من ترابٍ أنا .. وغيرى تُرابٌ فخداعٌ ما أشتهى وكذابٌ
وهباءٌ مانلته .. ولو أنى ملكٌ يُمنى ما يُظلّ السحاب
إن بؤساً أنى ولدت .. وبؤسٌ أن أبقى .. وأن أموت عذاب
لو أراد الذى له الأمر أن نهد هد ماخان والدَيْنَا الصَّواب^(١)
عصيا أمره ... وكان يسيراً أن يطيعا لو لم يجفّ الكتاب
قلترٌ تنفذُ المشيئةُ فيه وقضاءٌ كَرَبُهُ غَلَابٌ
لست أنت الذى براك .. ولا أنت المريدُ المُقدّرُ الوهّاب
فَدَعِ الموجةَ العتيةَ تُجْزِي لك كما شاء بحرُها الصَّخَاب^(٢)
لا تقلُ لَيْتَنِي وقد نفذ السَّهْمُ م فما ينفعُ العِطَاشُ السَّرَابُ

(١) يقصد بقوله والدَيْنَا آدم وحواء ، وذلك لمصائبهما أمر الله وإخراجه لهما من الجنة .

(٢) العتية : الجيارة .. بحرُها الصَّخَاب : المتلاطم الأمواج .

وَارْضَ بِالْجَدِّ فَالسَّعَادَةُ وَهُمْ أَزَلُّ وَدَعْوَةٌ لَا تُجَابُ

• • •

كَمْ تَمَنَيْتُ لِلْمَنَى أَنْ تَكُونَا وَتَمَثَّلْتُمَا لَجَذْبِي عِيُونَا
لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَنَى لِي لَوْ كَانَتْ فَلَأِنِّي وَهَيْتُمَا الْبَائِسَيْنَا
بَيْنَ جَنَى خَافِقٍ بَعَثَ الْعُمَرَ دَمْعًا عَلَى الْوَرَى وَأَنِينَا^(١)
أَنَا لِلنَّاسِ قَدْ خُلِقْتُ فَمَا أَرَى جَوْ لِنَفْسِي إِلَّا الَّذِي يُفْضِلُونَا
وَلَقَدْ أَسْكَبْتُ الدَّمْعَ لِبَلْوَا هُم وَهُمْ فِي مَنَاحِي ضَاحِكُونَا
رَبِّمَا فَوْقُوا السَّهَامَ لِقَتْلِي فَرَأَوْنِي أَبَارِكُ الْقَاتِلِينَ^(٢)
غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُمْ وَأَرْجَى لَهُمُ الْخَيْرَ وَالْهُدَى وَالْيَقِينَ
وَأَرَاهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي وُجُودِي خَطَرَاتٌ تَأْبَى عَلَى السُّكُونَا
فَلَهُمْ مَا أَقُولُ مِنْ مُلْهِمِ الشَّعْرِ طَرُوبًا أَوْ ثَانِرًا أَوْ حَزِينَا
فَلْيُغْنُوا بِهِ فَمَا هُوَ إِلَّا بَعْضُ مَا يَشْعُرُونَ أَوَّلَهُمُونَا

(١) الخافق : العالم ، والأفق ، ولكنه هنا بمعنى القواد على سبيل تسمية الموصوف بالصفة ، لأن الخافق في هذا الموضع من خَفَقَتِ القواد خَفَقَ خَفَقَانَا : اضطرب وتحرك .

(٢) فوقوا السَّهَامَ : أعلوا لها فُوقًا ، والفُوق من السَّهَم حيث يثبت الوتر منه ، وهما فُوقَان ، جمع : فُوق ، وفُوقَان .

حورية المصيف (١)

عَنْ عَذْرَاءَكَ يَا شَاطِئُ الْحَانِكِ وَاطْرَبْ
وَاخْلَعِي ثَوْبَكَ يَا عَذْرَاءُ فَالنُّورُ مُحَجَّبٌ
إِخْلَعِي الثَّوْبَ فَتَحَتِ الثَّوْبَ نَارٌ تَتَلَهَّبُ
لَا تَخَافِي الْمَوْجَ يَا حَوْ رَاءُ فَالْمَوْجُ مُهَذَّبٌ
أَوْ تَخَافِينَ فَإِنِّي سَأَرَى النُّورَ وَأَذْهَبُ

إِخْلَعِي الثَّوْبَ فَقَدْ جُنْتُ بِهِ الرُّوحَ الطُّرُوبُ
وَأَسْبَقِي الشَّمْسَ إِلَى الْمَاءِ فَقَدْ حَانَ الْغُرُوبُ
وَالْأَمَانِي حَوْلَ أَعْطَافِكَ تَغْلُو وَتُؤَوِّبُ (٢)
وَأَنَا أَرْتُو بِغَيْنِي وَفِي صَدْرِي وَجِيبُ
فَارْحَمِي النَّاسَ فَلِلنَّاسِ عِيُونٌ وَقُلُوبُ

يَابَنَةُ الْأَنْسَامِ وَالْأَمْوَاجِ وَالشَّطِّ السَّعِيدِ

(١) من شعره في المصيف .

(٢) الْأَعْطَافُ : جمع عطوف ، وهو من كل شيء جانبيه ، وهو من الإنسان من لدن رأسه إلى
وركبه ، ويجمع العطوف كذلك على عطايف وعطُوف . تغلُو : تخرج في الصباح . تؤوب : ترجع .

فَصَحَتْ عَيْنَاكَ مَاتُخِّينَ مِنْ شَوْقِ شَهِيدٍ
فَارْفَعِي السُّتْرَ فَقَدْ أَوْمَنْ مِنْ بَعْدِ جُحُودِ
أَشْهَدِينِي .. فَأَنَا الصُّوفِيُّ يَفْنَى فِي الشَّهَادِ
عَذَّبَ الْمَجْهُولَ وَجَدَانِي وَأَنْسَانِي وَجُودِي

آه .. بَلْ أَوَاهُ .. مَا أُرْوَعُ مَا كَانَ خَفِيًّا
أَنْتِ .. يَا وَنَحْكَ .. لَا تَبْقَى مِنَ الْأَسْتَارِ شَيْئًا
انْزَعِي مِثْرَكَ الْمَحْسُودَ .. أَلْقِيهِ .. إِلَيْنَا
لِنَهِيَ الْحَرِيَّةَ الْحَمْرَاءَ لَا تُغْوَى تَقِيًّا
وَمِنَ الْفَتْنَةِ سَحَرٌ يَبْعَثُ الشَّيْخَ صَبِيًّا

آه لَوْ أُنِّي وَخَدِي . هَاهُنَا آه لَوْ أُنِّي
آه مِنْ صَدْرِكَ مِنْ نَهْ لَدَيْكَ مِنْ خَصْرِكَ .. مَنِي
آه مِنْ سَاقِيكَ مِمَّا بَيْنَ فَخْذَيْكَ وَبَيْنِي
حَمَلًا مَعْبُدَ أَحْلَامِي وَأَنْغَامِي وَفَنِّي
وَاسْتِرَاحَا لِهَيْسَامِ الرَّمْلِ وَالْمَوْجِ الْمُغْنَى

هِيَ يَا عَذْرَاءَ ... مَا أَشْقَى ذِرَاعِي وَتَغْرِي

أَسْلَمِي لِي أَمْرَ دُنْيَاكَ فَقَدْ أَسْلَمْتَ أَمْرِي
 ضِمَّةٌ أَوْ قُبْلَةٌ تَطْفِئُ أَوْ تَوْقِدُ جَمْرِي
 مَا عَلَى صَدْرِكَ يَا حُسْنَاءُ إِنْ طَافَ بِصَدْرِي
 مَا عَلَى كَأْسِكَ يَا حُورَاءُ إِنْ هَشَّ لِخُمْرِي

لَنْ يَقُولَ النَّاسُ شَيْئاً فَتَعَالَى وَاطْمَئِنِّي
 لَنْ تَرَى مِنِّي إِلَّا كُلَّ مَا تَرْضَيْنَ مِنِّي
 مَعْبِدُ أَنْتَ لِقَلْبِي مَسْرُوحٌ أَنْتَ لِعَيْنِي
 وَتُغْنِي لَكَ أَحْلَامُ شَبَابِي وَأَغْنِي
 وَيُغْنِي الْكَوْنُ مَا شَاءَ لَهُ مُوْهَبٌ فَنٌّ

لَنْ يَقُولَ النَّاسُ عَنَّا . غَيْرَ أَنَّا قَدْ عَشِقْنَا
 فَلْيَقُولُوا مَا يَشَاءُونَ فَمَا لِلنَّاسِ جُنَا
 نَحْنُ لِلْحَبِّ خُلِقْنَا ، وَيَدِينُ الْحُبُّ دِينَا
 مَا عَلَيْنَا إِنْ أَشَاعُوا السُّوءَ عَنَّا مَا عَلَيْنَا
 حَسْبُنَا أَنْ الْأَمَانِي وَالْهَوَى مَلِكُ يَدِينَا

احلام غجرية^(١)

« إلى ... دنيا »

مُبْنِهِمُ كَالْقِضَاءِ وَالْقَدْرِ مازوته الثياب عن بصرى^(٢)
ومُرِيبٌ كَحُسْنِكَ الْغَجْرَى ماترني عينساك من صور
أَتَقِيهَا كَذَاهُمْ الْخَطَرَ

لم تكن ساعةً من الزمن جَمَعَتْنِي بِوَجْهِكَ الْحَسَنِ
لَهَا مَحَنَةٌ مِنَ الْمِحْنِ حَرَّرْتَنِي وَسَعَّرْتَ بَدَنِي^(٣)
ورمتني بفتنة الفتن

لَيْتَنِي لَمْ أَهَمْ بِغُنُوتِكَ أَوْ تَعَامَيْتُ عِنْدَ رَقَصَتِكَ
أَوْ تَعَامَيْتُ سَحَرَ نَظَرَتِكَ آهَ مِنْ نَارِهَا ... وَجَنَّتِكَ
وقضاء جرى برؤيتك

(١) من وحى راقصات متجولات من سنياط يراهن الشاعر في بلطيم ، وكان الشاعر قد أهداها إلى نرجس ، ثم ضرب على نرجس ، وكتب بدلا منها دنيا.
(٢) مازوته الثياب : ماصرته ونحته .
(٣) سَعَّرْتَ بَدَنِي : أَوْقَلْتَ بَدَنِي وَالْهَيْتَ .

أَيُّ شَيْطَانَةٍ مِنَ الْغَيْدِ أَنْتَ يَا لَيْثَةَ التَّجَالِيدِ^(١)
هَالِكِ عُودِي فَبَارِكِي عُودِي وَأَرِيقِي خَمْرَ الْأَغَارِيدِ
وَاسْتَبِيحِي حَمَى التَّقَالِيدِ

عَرَبْدِي يَا شَرِيدَةَ الْقَدَمِ وَاكْتَبِي قِصَّةَ الْهُوَى بِدُمِي
بِعُثْرِي كَاللَّحْنِ .. وَاحْتَدِمِي وَارْقِصِي كَالنَّسِيمِ .. وَاسْتَلِمِي
كُلَّ رَكْنٍ فِي ذَلِكَ الْحَرَمِ

جَسَدٌ أَحْمَرُ السَّنَا .. جَذِلٌ دَمَوِيٌّ يُثِيرُهُ الْغَزْلُ
لَا فَيْحٌ كَالْجَحِيمِ ... مَشْتَعِلٌ يَسْتَحِي أَنْ تَنَالَهُ الْقَبْلُ
فَتَصِلُنِي مِنْ حَوْلِهِ الْمُقْلُ

وَشَبَابُ كَالْفَجْرِ .. مُؤْتَلِقٌ يَتَنَزَّى ... وَكُلُّهُ نَزَقٌ^(٢)
وَهِيَ تَلْهُو بِهِ ... وَتَحْتَرِقُ وَهَوَاهَا مُعَذِّبٌ قَلَقُ
فِي حَنَائِي الْفُؤَادِ .. يَخْتَنِقُ

لِكَأَنِّي بِرُوحِهَا جَمَدًا حِينَ أَوْهَتْ بِرَقِصِهَا الْجَسَدَا

(١) التَّجَالِيدُ ، تَجَالِيدُ الْإِنْسَانِ : جَمَاعَةُ جِسْمِهِ وَبَدَنِهِ .

(٢) النَّزَقُ : الْخَفَّةُ وَالطَّيِّشُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ، وَالْعَجَلَةُ فِي جَهْلِ وَحُكْمٍ .

وكانى بخافقى سجدا حين مدت إلى المشوق يدا^(١)
تتقاضاه درهما أحدا

أرخص الحسن ربه البارى فاعذرني يا وحي أشعاري
حدّثي الناس .. أى مقدار فوضوى القضاء .. جبار
جمل الحسن سلعة الشارى

ألقرش يا روح مضناك تتحدّى القلوب عيناك^(٢)
وتجيبين كلّ سفّاك وحياة الملوّع الشاكي
وأمانيه .. ملك يمناك

كان قلبي كالهيكल الخرب ضاحك الحزن .. باكي الطرب!
يا الخوف منه .. ويا عجبى حين ألقيت راعش الحجب
فشبيت النيران فى حظبي

قسماً بالجريح من وجدى واصطبار أشقى به جهدى

(١) الخافق : يستخدمه الشاعر بمعنى القواد . لأن الخافق فى الأصل معناه العلم ، والآف .

(٢) مضناك : من أضناه المرض إضناه : أهله ، وعانى منه وقامى .

لو تمثَّلتُ جَنَّةَ الخلد...! من نصيبي .. لكان في وَعْد
تمنحنيهِ وَضَلَّه وحدي

يا سماء وهبتها وَمَضَى إقبلي كما أنا .. وامضي
فاسلكي بي مجاهلَ الأرض وإذا الناس مزقوا عَرْضِي
فاحقرهم إن شئت ... أو أغضى^(١)

سيقولون عنك .. جَنَّةَ نَفْسُها أفعوانة جَنَّة
سحرته في ذات أمسيه وتوَلَّى شيطانه غِيَّه
فكساها جلال حوريه

فليشيروا الظُّنُونِ في أَمْرِي وليطل لي لهم بلا فجر
إنه الحبُّ مُعْجَزُ السُّرِّ ونسداءُ الشَّهيد في صَدْرِي
ونضوب الحياة من عُمُرِي

وأنا .. ياهوى .. إنسان كله لهفةٌ وحرمان
والورى في الضَّلَالِ إخوان لن يكونوا غير الذى كانوا
شهوات تنزرو وطغيان^(٢)

(١) أغضى : اصبرى على أذاهم وتحمل عنهم .

(٢) تنزرو : تلب .

فَدَعِيهِمْ يَصَارِعُوا الْإِحْنَا وَلِنَبَارِكْ بِحُبِّنَا الزَّمَنَا
سَنَعَا فُ الْقُصُورِ وَالْمَدُنَا لَتَكُونَ الدُّنْيَا لَنَا وَطَنَا
وَحَنَايَا الْأَكْوَاخِ لِي مَكَنَا

سَوْفَ نَغْدُو شُدَّاذَ آفَاقٍ وَأُنِيرَ الدُّنْيَا بِإِشْرَاقٍ
حِينَ يَتَلَوُ الوجودَ أَشْوَاقٍ وَخَى أَفَاقَةَ لَأَفَاقٍ^(١)
شَاعِرٍ .. كَالْجَمَالِ .. خَلَّاقٍ

مَا أَحَبُّ الْخِيَالَ مُنْطَلَقَا لَوْ نَسَخْنَاهُ وَاقِعاً أَلِقَا
فَمَزَجْنَا الْآمَادَ وَالطُّرُقَا نَضْرِبُ الرَّمْلَ كَيْفَمَا اتَّفَقَا
لَانْبَالِي أَمَانَ أَمْ صَدَقَا

يَضْحَكُ الْفَجْرُ حِينَ يَلْقَانِي طَلَقَا مِنْ قِيُودِ حَرَمَانِي
وُثْيَانِي ثِيَابُ رَعِيَانٍ وَأَمَامِي فِي الْبِيدِ شَاتَانِ
أَتَصَبَّاهُمَا بِالْحَنَانِي^(٢)

(١) الْآفَاقُ : الضَّارِبُ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ ، وَمَنْ لَا يَتَسَبَّحُ إِلَى وَطَنِ .

(٢) أَتَصَبَّاهُمَا : اسْتَهْوَاهُمَا وَأَشْوَقَهُمَا .

فإذا الطيرُ ناغمُ الصُّبحا درتِ الشاءُ خالصا صرحا^(١)
 فملأنا من طهره القدحا واعتبطنا الفصيل مُنطرحا^(٢)
 فطعمنا غريض ماذبحا^(٣)

ثم نمضى لأيما سُوق بالمهاري العتاق.. والنوق^(٤)
 زاهيات بلاتـزـاويق نتهدين بالدوانيق^(٥)
 والسراويل والأفويق

فإذا ما الظلام وافانا حمكتُ حاجنا مطاينا
 ومضينا نبتُ نجوانا وقنعنا بخير دنيانا
 وحمدنا الله رُجمانا

يومنا عمرنا .. فإن ذهبا لم نسائل عن مُقبل حُجبا

(١) الضريح : بالتحريك الخالص من كل شيء .

(٢) اعتبطنا الفصيل : ذبحناه سليماً من غير علةٍ وهو سمينٌ قتي . والفصيل : ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصله عن أمه .

(٣) الغريض : الطير من اللحم والتمر ونحو ذلك .

(٤) المهاري : بالياء مشددة ومخففة : جمع مَهْرِيَّة ، وهي إبلٌ تجائب تسبق الخيل ، منسوبة لقبيلة مَهْرَة بن حَيْدَان .

(٥) الدوانيق : جمع دائق ، وهو الساقط المهزول ، وسلس الدرهم كذلك .

إن أشقى الأنام... مَنْ نعبا في تشكى^١ مراح وانسربا^(١)
أو تمنى مغيب كتب

آه يا مَنْ بعثت آلامى آه لوجاذبتك أحلامى
وتساقيت خمر أو هامى فتنورت أفق أيسامى
بضياؤه من روحك السامى

ليت لى منك حظ أهليك من مجانيك أو تدانيك
كنت أيقظت كل ما فيك من معانيك .. أو أمانيك
حين ألقاك أو أناجيك

ليت لى مِنْ فؤادك القاسى ما لخمير الحرمان من كاسى
أنت يا مَنْ ذوّبت إحساسى قبلات لطيفها الماسى
حلقت بى عن عالم الناس

ونزلنا فى شوق طفلين فأرخنا رواجل البيسن

(١) انشرب : مضى . وانسرب الماء : سال ، وانسرب فى حجرة : دخل فيها.

بعد ما همهمت من الأَيْن واستهلّت مدامع العين^(١)
مُنْبِئَات عن حبّ قليبين

ثم رحنا في خفّة العَجَل نتحرّى مرأشف القبل
من بيننا في حوزة الكلل بعد ما هوّموأ على أمل
أن تُريهم مننم الحُلُل^(٢)

(١) الأَيْن : التعب .

(٢) مُنْئَم الحُلُل : الحلال المرغرة المرققة .

«س، ج»

وسألتني من أنت ؟ لما جئت أطمع في نوالك
يا هذه .. إني أخاف على حياتك من خيالك
أنا مَنْ عرفتِ ومن جهلت .. ومن تحير بين ذلك
أنا فكرةٌ علويةُ الأنوار .. لم تخطِ بِباليك
ملءُ الزمان وجودها وهي السَّجينة في مثالك

لا تخذلني لَهْفَتِي وَتَهَالُكَ المتهافتين
إني على رَغْمِ الأسمى الجبار .. صخر لا ألين
أنا فوق ماتتخيلين وفوق ماتتوهمين
أنا قصَّة الحرمان .. خالدة المناحة والآنين
أنا دمعَةُ الجَفْنِ الكسير .. وآمة القلب الحزين

يا مَنْ عبدتُ ضياءها ، وزهلتها جسمًا شهيا
أبقى عليك .. فلن أزيدك من سنا الأحلام شيا
أنا لن أبالي حادثات الدهر يُمطرها عليا
مادام بين جوانحي قلبٌ أعيشُ به نبيا
حرمته دُنياه التي فأحاليها ياسا شقيا

فرحة (١)

النور حولك مبهور السنا عجب وبين جنبيك قلب شاعر طرب^(٢)
 وفرحة طافت الدنيا مَزْغَرْدَة شَدَّتْ لها فوق آفاق الروى طنب
 عيدٌ وأهلٌ وإخوانٌ وأمسيةٌ فرحى.. وبُشْرَى لدها يعجز الذرب^(٣)
 والشعر.. ماذا يقول الشعر فى أربٍ يجشوا أمام علاه الشعر والأدب
 عمى أبِلٌ.. تعالى الله.. كم نَعِم له علينا فمنظور ومُختَجِب^(٤)
 أُمْنِيَةٌ طالاً هزّت عواطفنا شوقاً.. وكم سَطَرَتْ فى جها الكتب
 وأذن الله أن تروى جَوَانِحنا بخمرة من شَذاها يخلق العنب
 فالحمد لله.. ما غنّت مطوّقة.. غريدة يتناهى عندها الطرب
 حمدٌ.. لو اننى أقلام وألسنة لكنّ أعجز من قالوا ومن خطبوا

(١) أنشد الشاعر هذه القصيدة بمناسبة شفاء عمه الحاج محمود شرنوبى . وألقاها بنادى محمد على

بيلطيم فى السابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٧

(٢) مَبْهُور : أى غلب نوره الضوء الساطع .

(٣) الذرب : السليط اللسان .

(٤) أبِلٌ : شقى .

أحلام الصيف

هتف البحر بالعذارى فلبّين وجئت أمواجه الهيمانه
وتنادين ما أحبك يا صيف وما أجمل الهوى وزمانه
وتواكبن ينثنين دلالاً ويغنين للصبا ألحانه
دمية عند دمية .. وغزال جنب ظبي .. ودوحة عند بانه
قبلات تجسدت فاستحالت زهرات من المني نديانه
وأغاريد سلسلتها بيد الله .. وأغرى بحبها إنسانه
عبرت بي منهن أغنية سكرى حباها ملك الهوى سلطانه
وكساها الفن الإلهي ثوباً سرق الزهر والسنا ألوانه
بنت غاب توذّ لو يرجع الغاب لثروى أشواقها الظمآنه
عبرت بي فقلت هذا هو الفن .. وإلا .. فلن أكون لسانه
ورأتني حيران منتهب العين فحيّت بالطلعة الفتآنه
واستراحت على الرمال فضجّت صبوات في خاطرى يقظانه
كان في عينيها وفي شفيتها شهوات مخمورة لهفآنه
جاذبتها من لهفتي واحتراقى صرخات مجنونة سكرآنه
خلت قلب الوجود يرعشه الحب فيشدو أنغامه الفرحآنه

حين قالت والليل يتلو على الكون ن أحاديث صمته النشوانه
 ما تكون الحياة من غير حب ؟ قلت شيء لا أستطيع بيانـه
 أنا لم أعرف الهوى في حياتي وأراني لن أصطلي نيرانـه
 لي قلب أخشى الهوان عليه وإياء حماه قلبي وصانـه
 قالت اسأل به خبيراً - فإني ذقت في الحب عزه وهوانـه
 قلت من أنت ؟ . قالت الجنة الحمراء .. واسمى - إذا أردت .. فلانه
 ودنت من يدي فشبت لهيبي وأثارت عواطفي (النعسانه)
 وأدارت علي من ثغرها الدا فيء كأسا .. عبت فيه جمانه
 ثم قالت وصدرها بين كفى (م) تُناجى أنامل رمانـه
 لك منى ماتشتهيه .. ولي من لك غرام تضيء علي حنانـه
 قلت هذا وعد أعيش عليه وأفدى بالعالمين مكانـه
 وصحا الفجر .. فانشئت تنهادى * نسمة حرّة الشذا .. ريانـه
 ثم حيّت بكفها وتوارت فأهاجت لخافقي أشجانـه

* * *

يا هواها الرهيب .. ماذا قضى الغيب علينا .. وما أخذنا أمانـه
 « لك منى ماتشتهى » ؟ يا قلبي لو أطالت من قربها حرمانـه

١٩٤٧

صلاة (٥)

مولاي والأيام يَنْضِبْ جامُها وتموت دونَ تمامها أحلامُها
يا من تقرِّبني إليه مخاوفي ويردّ نفسي عن حماه غمامها
هذا وجودي ليله ونهاره هذي حياتي نورها وظلامها
صبحٌ تبغضه إلى مطالِب للعيش في كفّ الغيوب زمامها
ودجى كتيب الصمت مرتاع الرؤى شابت كواكبه وطاب مقامها
لا الصبح يهديني الطريق ولا الدجى تعست حياة لا يقرّ نظامها
تتوالب الآلام في آفاقها غرقى ومن ميت الضلوع طعماها
حرق على حرق يضيق ببعضها صبر الأنام ولا أزال أسامُها
ومضارعٌ مثلت دورى راغما فيها ومسرحها أنا وحطامها
ياربّ .. هذي الدار ملّ نزيلها فسلامها ألا يدوم سلامها
الهمّين الميسور من أرزاقها تنهال دون مناله آلامها
قلبي ؟ وما قلبي سوى أنشودة خلدت معانيها ومات كلامها
روحي ؟ وهل روحي سوى أفّاقة تغنى على لهب الأسي أّيّامها
شعري ؟ وأيّ قصيدة لم يسقها دمعى .. ولم تُبك الورى أنغامها
ياربّ نفسي قد أطلت سقامها ودواؤها في أن يحين حمامها
أنا لا أذمّ من الرواية بدعها لكن أقول متى يكون ختامها

(٥) هذه القصيدة من وحى قراءته في رسائل الأدباء وكان منها (رسالة إلى الله) فيها مناجاة .

الأماني

يا أماني .. والحياة جـدود !
لا تغبي عني فإني وحيــــــــــــد
وطريقي إلى حـــــــــالكِ شقي
والأماني قريبهنَّ بعيــــــــــــد !

* * *

يا أماني لم يُعْذ من بنائي
يا أماني لا ولا أشــــــــــــــــلائي
فابعثي لي سعادتي من جديد
وأعيدني إلى ظلامي ضيــــــــائي

* * *

يا أماني لم يُعْذ من حيــــــــاتي
غيرَ روحٍ مُكفَّن في رُقــــــــات
يتمنى انطلاقه .. وهو غيــــــــب
مُبهَمُ السرِّ غائمُ اللَّمــــــــحات

* * *

يا أمانى لست شيئاً كثيراً
 أنت شيء لا يُعجزُ التَّقْدِيرُ
 فأمرجى في فضاء وهبى وضجى
 وأرينى من السُّرورِ بشيـراً

أنتِ قصرٌ أحجاره أَيْـامى
 وأزاهيرُ رَوْضِهِ أَنْغـامى
 ومراثيه من ليالى شـبابى
 ودماء عرائس الأحـلام

فيه أنثى شيطانةٌ قُدسيـه
 صورُها عواطفُ الأبدىـه^(١)
 من فتون ونضرةٍ وذُبـول
 وجنون ولبنةٍ عبقرىـه

وحوايه جنّةٌ فينّانـه !
 ومَراعٍ مُخَفَّلـه رَيانـه

(١) الأبدية : مالا نهاية لها .

يَعِشُّ الطَّلُّ وَالنَّسِيمُ رُبَاهِمَا
وَتَنَادَى الْهَيْمَانُ وَالْهَيْمَانُ

* * *

يَا أَمَانِيَّ وَالْحِظْوَظُ عَجِيبُهُ
يَا أَمَانِيَّ لَسْتُ مِثْلَ غَرِيبِهِ
أَنْتِ أَمْنٌ وَنِعْمَةٌ وَغَرَامُ
أَنْتِ قَصْرٌ وَجَنَّةٌ وَحَبِيبُهُ

* * *

هَذِهِ أَنْتِ .. فَادْهِي أَوْ فَعُودِي
هَذِهِ أَنْتِ .. فَانْقُصِي أَوْ فَزِيدِي
أَوْ فَكُونِي كَمَا يُحِبُّكَ قَلْبِي
خَطَرَاتٍ يَشْقَى بِهِنَّ وَجُودِي

٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧

الشاعر^(١)

قبل أن يُبصر الظلام الضياء وتكون الحياة والأحياء
كان من كان بدوهُ بدء دُنْيَاهُ ومن لا يحُدُّه الانتهاء
كان والفكرة العظيمة حُلُمٌ بعضُه الأرض والسما والفضاء
حُلُمٌ يُعجزُ الخيالَ سموًا حَقَّقَتْهُ الإرادةُ العُظماءُ^(٢)
وصَحَا الكونُ بعد غَفَوَاتِهِ الكُبرى وفي جفنه رَوَى عِلْمُنا
واستخفَّ الوجودَ حُسْنُ مَجَالِيهِ وهامت بِكُلِّهَا الأجزاءُ^(٣)
ورَأَى اللهُ كلَّ شَيْءٍ كما شاء .. ولله أن يرى ما يشاء
وتراءى فاهتزَّ قلبُ الرُّوَّاني وتجلَّى .. فانستغثت الأنحاء
وتسامت إليه من كلِّ أفق صلوات ينساب فيها الدعاء
ربُّ ! هذا الوجود من صُنْعِ كَفِّكَ ، فأنت الباقي ونحنُ البناءُ
ربُّ والكونُ كُلُّهُ صفحات لك فيها الأسرار والآلاءُ^(٤)
رب هذا الجمالُ جوهرٌ مَعْنَاكَ ، فمعناه مُستَسِرٌّ خَفَاءُ

(١) قبلت بمناسبة ذكرى شوقي ، وقد نشرت في مجلة الراديو في عديدتها ٧٦٦ - ٧٦٧ .

(٢) الإرادة العظماء : الإرادة المتينة ، من عَصَمَ الشَّيْءَ يَعْصِمُ عَصْمًا : مَنَعَهُ .

(٣) الهيالى : مواضع الصَّلَاح من الرأس وهي مقاديرها عادة . واحدها : تجلَّى .

(٤) الآلاء : جمع (الإلئى ، الأكئى ، الأئى ، الإئى) : النعمة .

رَبُّ وَالْكَائِنَاتِ رَوْحُكَ فِيهَا فَمَدَاهَا صِيرُورَةٌ لَا فَنَاءُ
 رَبُّ كُلِّ الْأَشْيَاءِ تَنْبِضُ فِيهَا حَيَوَاتٌ لَكُنْهَا خَرَمَاءُ
 رَبُّ أَعْجَزَتْ ، فَلْيُذِغْ سِرًّا إِعْجَازَكَ صَوْتُ تَشْيِيعِهِ الْأَصْدَاءُ
 رَبُّ هَذَا الْإِنْسَانُ ظِلُّكَ فِي الْأَرْضِ .. شُعُورٌ وَحِكْمَةٌ وَذَكْيَاءُ
 رَبُّ وَالنَّاسِ كَالْقَطِيعِ وَهَذِي الدَّارُ دَارُ الدُّنْيَا لَهُمْ صَحْرَاءُ
 رَبُّ فَاخْتَرْ مِنَ الْقَطِيعِ حُدَاةً يَتَنَاهَى بِهِمْ إِلَيْكَ الْحُدَاةُ
 رَبُّ وَاخْتَرْ مِنَ الْحُدَاةِ نَبِيًّا تَلْتَقِي فِي كِتَابِهِ الْأَنْبِيَاءُ
 دِينُهُ أَنْتَ وَالْحَقِيقَةُ وَالْحُبُّ ، فَكُلُّ الْأَدْيَانِ فِيهِ سَوَاءُ
 وَاشْفِ خَيْرَكَ الْمُقَدَّسَ حَتَّى تَتَنَاسَى كَيْيَانَهَا الْأَعْضَاءُ
 وَتَتَوَرَّ لَهُ الطَّرِيقَ فَقَدْ يَغْتَرُّ فِيهَا وَقَصْدُهُ الْاهْتِمَاءُ
 وَاجِبُهُ مِنْ عَوَالِمِ السُّحْرِ نَائِيًا تَتَنَاضَى بِهِمْ سِرُّ الْأَرْجَاءِ (١)
 وَيَرَاعَا مُؤَلَّهَا أَبَدِيًّا تَتَسَاقَى رَحِيقَهُ الْآنَاءُ (٢)
 وَلِيَكُنْ فِي اسْمِهِ مِنَ الْخُلْدِ مَعْنَى تَتَمَنَّى جَمَالَهُ الْأَسْمَاءُ

* * *

قَالَتْ الْحِكْمَةُ الْقَدِيمَةُ هَذَا مَطْلَبٌ لَا يُجِيبُهُ الْأَرْجَاءُ
 فَلْتَهْنَأْ بِمَا تَحِبُّ الْبَرَايَا فَبِحَوْلَى الْإِبْجَادِ وَالْإِنْشَاءِ
 بَعْدَ حِينَ تَجْرَى الْمَقَادِيرُ بِالذَّهْرِ وَفِيهَا السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ

(١) تَتَنَاضَى بِهِمْ : تَلَاظَمَهُ بِالْمُحَادَّةِ وَالْمَلَاعِبَةِ .

(٢) الرَّحِيقُ : الْخَمْرُ ، أَوْ الْخَالِصُ الصَّافِي مِنْهَا . وَالْآنَاءُ : سَاعَاتُ اللَّيْلِ ، مُفْرَدَةً : أَنْثَى ، وَإِنْثَى

بعد حين ينوح مَنْ خانهُ الحُظُّ ويشدُّو بالفرحة السَّعداء
 لم يكن من تناقض الخلق بُدٌّ فمحال أن تستوى الأشياء
 كل شيء مسخرٌ لسواه فلنور الصبح كان المساء
 وشقاء مميزٌ بهنـاء وهناء يدبُّ فيه الشقاء
 وقلوبٌ مخمورة بالآماني وقلوبٌ إلى الآماني ظمـاء
 والذي يجمعُ الشتات مثـال عشقته الأصدادُ والنظراء
 ذلك الخالق الذي أنا فيه قوة يشتنى بها الضعفاء

* * *

شاعر الكون لا يقيـله الكون وإن ضمّه تراب ومـاء
 ساحر النور والظلام وكم يسمو فتفتنى في نوره الظلماء
 هو قلبُ الحياة يشدو إذا غنت ، ويبكى إذا شجها البكاء
 هو روحٌ مجسّدٌ روحه الله وفكر عقل هويّه إسـراء^(١)
 صورته مشاعرُ النَّاسِ أفقاً تتلاشى في جوّه الأجواء
 قلبٌ كالحيـاة تقتله الأغـلال وهو المُقيّد العـداء
 ساكنٌ كالقنـاء يخلق بالأحلام مالا يجرى عليه القضاء
 يستلذُّ الآلام في نشوة الوحي وفيها الدّواء والأدواء
 طائرٌ عشّه الزّمان ، ومهوى جانحيّه القلوب والأهواء^(٢)

(١) هويّه : إسرائه : الهوى السقوط من علو إلى سُفل .. والإسراء : السير ليلاً .

(٢) المهوى والمهواة : الجو ما بين الجبلين ونحو ذلك . ج : مهوى .

مِزْمَرٌ لَحْنُهُ الْحَيَاةُ وَيَنْبِوْعُ أَغَانِيهِ مَا تَظَلُّ السَّمَاءُ^(١)
 غَنَوَةٌ ذَابَتْ الْأَحَاسِيسُ فِيهَا وَصَدَاهَا الْقُلُوبُ وَالْأَهْوَاءُ
 قَلْبُهُ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ وَنَجْوَاهُ حَنَانٌ وَرَحْمَةٌ وَإِخْسَاءٌ
 خُلِقَ كَالضِّيَاءِ فِي كُلِّ حَالٍ فَهُوَ فِي الْحَنِّ وَالْمُصَلَّى ضِيَاءٌ
 عَقْلُهُ مَسْرُوحٌ بِنْتِ الْمَقَادِيرِ وَوُشَّتْ ظِلَالُهُ الْأَضْوَاءُ
 مَسْرُوحٌ .. مُخْرَجُ الرَوَايَاتِ فِيهِ مَنْ إِلَيْهِ الْإِحْيَاءُ وَالْإِفْنَاءُ
 أَزَلَى ... مُمَثِّلُوه رُؤَاهُ وَالْأَمَانِي الْمَجْنُونَةُ الْحُسْنَاءُ
 يَشْهَدُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَيْهَا قِصَّةٌ جُنَّ دُونَهَا الْعُقَلَاءُ
 قِصَّةُ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ وَكَمْ حَارَتْ لَدَيْهَا وَضَلَّتْ الْآرَاءُ
 شَغَلَتْهُ عَنِ الْحَيَاةِ مَعَانِيهَا وَأَغْرَاهُ بِاللَّفْيَنِ الطُّغْلَاءُ
 فَاسْتَحَالَ الظُّهُورُ فِيهِ خَفَاءٌ وَاحْتَوَى الْكَوْنَ كَوْنُهُ الْوُضَاءُ
 وَانْتَشَتْ رَوْحُهُ الطَّلِيْقَةُ فِي الدَّهْرِ بِخَيْرٍ مَزَاجُهَا الْإِحْيَاءُ
 وَمَضَى كَالشَّمْعِ يَسْتَبِقُ الْعَمْرَ وَدَنِيَّاهُ ثَوْرَةٌ وَامْتِلَاءُ
 جَامِحِ الْفِكْرِ مُسْتَشَارَ الْخِيَالَاتِ قِصَارَاهُ لَذَّةٌ وَانْتِشَاءُ^(٢)
 لَذَّةِ الْخَالِقِ الصَّغِيرِ إِذَا مَا أَشْهَدْتَهُ الْحَقِيقَةَ الْعَلِيَّاءُ
 يَسْأَلُ اللَّهَ وَهُوَ فِي ذَاتِهِ الْحَيْرَى وَجُودٌ مُشْعَعٌ لِأَلَاءِ^(٣)

(١) المِزْمَرُ : العود الذي يضرب به . وهو أحد آلات الطرب . جمعه مِزْمَارٌ .

(٢) قِصَارَاهُ : القصارى : الغاية . يقال : قِصَارُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا : حُبُّكَ . وكَفَايَتُكَ . وَغَايَتُكَ .

(٣) مُشْعَعٌ لِأَلَاءِ : منتشر الضوء .

فِيُنَادِيهِ : لَا تُرْعَ إِن تَعَاصَتْ عَنْ سَنَّاكَ الظَّوَاهِرُ الجَوْفَاءُ
أَنْتَ مَنِّي مِنْذَ اسْتَوَى الْكَوْنُ طِفْلاً وَاسْتَقَلَّتْ عَنْ ذَاتِهَا الْأَشْلَاءُ
فَاتَّيَرُ لِلْأَنَامِ مَا تَحْبِبُ الْأَغْلَالِ عَنْهُمْ وَالشَّهْوَةِ الرَّقْطَاءُ
رُسُلُ كُلِّهِمْ .. وَأَنْتَ كِتَابِي وَلِسَانِي وَالْوَحْيُ وَالْأَنْبِيَاءُ
سَوْفَ تَشْقَى وَسَوْفَ تَسْعَدُ كَالنَّاسِ ، وَكُلُّ الَّذِي تَرَاهُ ابْتِلَاءُ
فَاحْيَ لِلنَّاسِ لَا لِنَفْسِكَ يَا شَاعِرَ ، وَاصْدَحْ حَتَّى يَمُوتَ الْغَنَاءُ
فَإِذَا مَاتَ وَانْطَلَقَتْ مِنَ الْقَيْدِ فَعِنْدِي لِأَصْغَرِكَ الْجِيزَاءُ
جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَخُلْدٌ يَنَالُهُ الْأَصْفِيَاءُ
لَا يَهُوُلَنَّكَ الْحَدِيثُ عَنِ النَّارِ فَإِنِّي الرَّحِيمُ وَالرَّحْمَاءُ
فَإِذِرْ لَوْلَبَ السَّفِينِ كَمَا شِئْتَ وَلَا تَقْهَرَنَّكَ الْأَنْوَاءُ ^(١)
فَهُنَا الشَّاطِئُ الْمُغْلَفُ بِالْأَسْرَارِ حَيْثُ الْمَسِيرُ وَالْإِرْسَاءُ
وَعَدَا تَلْتَقِي بِذَاتِكَ ذَاتِي لِنَقُولَ الْحَيَاةَ وَالْأَحْيَاءُ :
مَاتَ فَرْدٌ مِمَّنْ شَدَا الْحَقُّ فِيهِمْ أَنْتُمْ النَّاسُ أَيُّهَا الشُّعْرَاءُ
٨ أَيْسُورِ ١٩٤٧

(١) لَوْلَبَ السَّفِينِ : أَدَاةٌ مِنْ خَشَبٍ أَوْ مَعْدَنٍ تَنْتَهِي بِشَكْلِ حَلْزُونِي ، جَمْعُ : لَوَالِبُ . الْأَنْوَاءُ : جَمْعُ نَوْءٍ ، وَهُوَ النُّجْمُ إِذَا مَالَ لِلْغُرُوبِ ، وَيَجْمَعُ النَّوءُ كَذَلِكَ عَلَى نَوَآنٍ .

أشواق

إلى صديقي المرحوم ح. م. ب.

هجع الكون يا حبيبي وعادت
كلُّ روح إلى مقرِّ هواها^(١) ..
كلُّ شيءٍ حولي يعانقُه الصُّمَّةُ
تُ وكلُّ العُيُونِ نامَتِ رؤاها
لم يُعد في الظلام روحٌ شقيٌّ
غير روحٍ مَحَا الظلامُ سناها
هي روحي التي أَحْبَبْتُكَ حَتَّى
قَدَّمْتُ فِيكَ حَزَنَهَا وَأَسَاها

كلُّ شيءٍ حولي كَثِيبٌ إِرْهِيْبُ
يَبْعَثُ الْوَجْدَ أَوْ يَشِيرُ الشُّجُونَا
كلُّ شيءٍ حولي يَشَارِكُنِي الْوَحْدَ
لِدَّةَ وَالشُّوقَ وَالضُّنَى وَالْحَنِينَا
خمدت جذوة الحياة وشبَّتْ
جذوةُ الحبِّ لوعةً وأنينا

(١) المَقَرَّ: موضع الاستقرار، جمع: مَقَارٍ.

ومشى الليلُ ذاهلُ الحسِّ نشوا
نَ يحيى برُوحِهِ العاشقينَا

اسألَ الليلَ يا حبيبي عني
فأنا أسألُ المقاديرَ عنكَ
اسألَ الليلَ ربِّما أسعدَ اللَّيْلَ
لُ نداءٍ يحِيه الليلُ مِنكَ
كم شربناه رُقَّةً وحنانَا
وأرقناه أذمَّعا تنشكي
وغرَّسنا آمالنا فيه زهرا
كيف علنا نبذلُ الزهر شوكا

يا غريبَ الدِّيارِ لأذُقْتَ يوماً
ما أقاسى من مخنئٍ وخطوبِ
يا غريبَ الدِّيارِ هذى مغانيد
لك تنادى .. ومالها من مُجيب
أنت صيرتها من البُعد نُكلى
تتساقى مع الظُّلَامِ نَجِيبِ
وشبابي على رُياها خيال
عائِرُ الظُّلِّ عبقرى الشُّحوبِ

يا حبيبي هذا نصيبي من حبك قلبٌ يعيش للحرمان
هذه واحتي الحزينة تبكي
لك وتشكو إليك ظلمَ زماني
أتراها كانت جناية حظي
يا حبيبي أم قسوة الإنسان
أهلك الكافرون بالحب أهلى
والقضاء الذى رماك رماني

اسأل الليل يا حبيبي عني
واعذر الليل حين يطرق عينا
أنا علمته الذمولى بصمتي
وذمولى مما جنيت عليا..!
رحم الحب كل أغنية مات
ت وحالت رسماً على شفتي
كان يهفو إلى صداها زماني
ليغنى بها الوجود الشقياً..

الغرفة المهجورة

للصديق ح . م . ب ١

أراقتُ عليها معاني الفناء ظلال السكون الحزين الرهيبُ
ولفتتُ مَعَالِمَهَا ظِلْمَةً يصارعها النور حتى يغيب
يكاد الظلام إذا جاءها يفرُّ فإنْ هممتْ لأُجيب
تفزَّعُه دونها وحشةٌ مطلّسة كالشعاع الغريب^(١)
وتُعوّل في صمتها الذكريات فيفترقُ منها الوجودُ الكثيب

مرّوعةٌ .. الظِّلُّ مقرورةٌ تُعربدُ فيها رياحُ الخريف
تُقاسِمتُ عِلَّةً في الضلوع مُسَهَّدة النَّارَ ظمأى العزيف^(٢)
تُسائِلُنِي وهي مصلوبةٌ على مذبحٍ سرمدى النَّزيف
متى كان عهدك بالراحلين وفيهم أَسَاةُ المريض الشفيف
فأطرق حتى يضيغَ السكون ويبكى على الظلام الكفيف

تُسائِلُنِي وهي مذهولةٌ عن الطُفلة الحلوة اللّاهية

(١) مُطلّسة : مطرقة عابسة من طلسم بمعنى أطرق وعَبَسَ .

(٢) مُسَهَّدة النَّار : مؤرقة النار . العزيف : صوت الرمال إذا هبت بها الرياح ، أو هو صوت الرمل لا يندري ما أتاه .

محجبة النور عن ناظري محرمة العزف والناغية^(١)
تسألني عنك يا زهرقي ويأروح ألقى الشاكيه
فتتلو عليها رياح المساء قصيدة يأسى وأحزانيه
مقاطعها صرخات الجنون وآفاق الوزن والقافيه

لها الله ما لطمتها الرياح وما استيقظت في حماها الجراح
وما عانقتها طُيُوف المساء ومانا وحتها طيور الصباح
لها الله منبوذة بالعراء مخضبة بالأمسى والنواح
لها الله منك ومما جنيت على زهرها الآلهى المفتاح
وأنت لك الله يافكرة أطيروا إليها كسير الجناح

مضى العام يا فكرتى فى الجمال ويا نبع أيامى الشارد
مضى العام يا ليتنى مامضى على هذه الصورة الواحد
تُمزقنى عاصفات الشجون وتخنقنى الغرفة الهامد
وتجمع بينى وبين الهموم تهاويل أيامنا البائد
مبعثرة فى حنايا المكان تذكرنى القصصه الخالد

تهاويل ميتة حية متوجهة بجلال القدم

(١) الناغية : الكلمة .

محطمةً كَأَمَانِي الجِيعَ مغلفةً بترابِ العدمِ
أطوفُ بها طَوْفَانِ المِجْوسِ إذا خدرتهم عطور الصنمِ
وَأَسْكَبُ مِنْ حَوْلِهَا الْأَغْنِيَا مُسْعِرَةَ اللّٰحْنِ حَيْرَى النغمِ
كَأَنِّي بِأَصْدَائِهَا فِي الظَّلَامِ تُنْقَبُ عَنْ أُذُنِ لَمْ تَسْمِ

تَهَاوَيْلُ كَالطَّيْرِ فِي أَيْكَةٍ تَمْرُقُهَا ثَوْرَةُ الْعَاصِفِ
تَمْرُ عَلَيْهَا خَطُوبُ الزَّمَانِ فَتَعَطِّفُهَا رَوْحُهَا الْخَائِفِ
وَفِي جَوْفِهَا تَسْتَكِنُ الْهَمُومُ وَتَنْسِلُ حَيَاتَهَا الزَّاحِفِ
مُجَوِّعَةً تَنْشَى الْمُنَى .. مُفْصِّخَةً بَدَمِ الْعَاطِفِ
وَفِي عَالَمِ الْفِكْرِ أَشْأَلُهَا تَطْوُقُ أَفْكَارَى الرَّاجِفِ^(١)

وَأَنْتِ .. وَأَنْتِ الْهَوَى وَالْجَمَالَ وَمَعْنَى بَيْنَ مَعْنَى الْحَيَاةِ
وَأَنْتِ .. وَأَنْتِ الْمُنَى وَالشَّبَابِ تَعِيشِينَ فِي عَالَمٍ لَا أَرَاهِ
وَبِي مِنْ حَيْنِي إِلَى مَلْتَقَاكِ سَعَارٌ يُحْرِقُ عَمْرَى لَظَاهِ^(٢)
فَأَوَاهِ .. أَوَاهِ مِنْ غَنَوَةٍ مُغْلَلَةٌ خَنَقَتْهَا الشَّفَاهِ
أُرِيدُ لِأَسْقِيكَ أَلْحَانَهَا فَيَسْخَرُ مِنِّي قَضَاءُ الْإِلَاهِ

(١) الرَّاجِفَةُ : المتحركة المضطربة .

(٢) السَّعَارُ : حرّ النار .

سأبكيك حتى تموت الدموع بجفني والوهم في خاطري
سأبكيك حتى يغيم الطريق طريق حياتي على ناظري^(١)
سأبكيك قصة حب شهيد قضى وهو في مهده الزاهر
وأمضى إلى حيث يمضى الزمان إلى مرفأ الأبد الآخر
إلى فجوة في رحاب الفناء نزىلا على الأول الآخر

سأمضى وفي شفتي قُبلة سيقتلها جبروت الفناء
وبين يدي رجاء أخاف على روحه من عوادي القضاء^(٢)
بحق الهوى العبرى الشجون على قلبك العبرى الصفاء
إذا مت فامضى إلى غرفتي ولا تنضحى قفراً بالبكاء
فعينك ما كانتا للدموع وروحك ما خلقت للشقاء

هناك أكون وراء الشراب أحبي وجودك من حفرتي
وأحكي لمن غيروا قصتي وأعصر من حزنهم عبرتي
فإن سألوني عن أحب أجاب صدئ غائر النبوة
هنالك حيث تموج الحياة وينتحر النور بالظلمة
تعيش التي احتقرت قلبها وألقته في حمأة الطينة

٢ نوفمبر سنة ١٩٤٧

(١) الناظر : العين ، والناظر : سواد العين الذى فيه إنسانها ، ج : ناظر .

(٢) عوادي : جمع عادية وهي مؤنث العادي وهي الشغل يصرف الإنسان عن الشيء ، ويقال :

دفعت عنك عادية فلان : ظلمته وشره ، وعوادي الدهر : نوائبه وعواقبه .

نسيان

أخطأت ميعادك يا طيفها المحرّى
فهل ترى عادك شوق إلى شعري

مرّت بي الأيام بعد فراقها .
ممسوخة الألوان واللمحات
بكاءة تمشى على جَنَرِ الأسي
محمومة الأفكار والخطوات
كأنها أوهام في ليل مَوْتور^(١)
مُعطل الإلهام ميت الأساير^(٢)

كم قلت للماضي في ذمة الشيطان
وصُنْتُ أنقاضي عن معول النسيان

(١) الموتور : من قُتل له قتل فلم يُترك بدمه .

(٢) الأساير : خطوط بطن الكف والوجه والجبهة ، واحدها : (أسرار) ، والأساير كذلك

محاسن الوجه ، والحدّان والوجتان أيضا .

حتى يثير الحبُّ في أعماقها
عطف الغريب على الغريب العاني
فتعود باكية الحنان .. وتنتهي

بلقائنا أسطورة الحرمان
ورحت أسقيها في الوهم من كأس
وكل ما فيها يبكي ولا ينسى

وطاب لي يأسى وضاق بي صبري
فقلت يا نفسي لا قلب في صدى
ومضيت أحطم كل ما يغري بها
من ذكريات في يدى وفي دمي
وأكف عيني عن مفاتن رسمها

وأثور إن أخرت محاسنها فمي
فما الذي ناداك يا طيفها السحري
فجئت من دنياك بوصلا تُغري

يا طيفها المفتون أستغفر النسيان
 يا طيفها المجنون قد همت بالحرمان
 فامرح كما شاء انطلاقُ خيالها
 واملأ حياتك بالشروء العالى
 فلربما لاقاك طيف مُسهدٍ
 حُرِّمَ الهوى أوحاله من حالى
 يهواك أو تهواه أو لا .. فما أدري
 يا طيفها .. أوَاه لا قلب فى صدرى

الوهية

خَلْتُ نَفْسِي يَوْمًا إِلَهاً عَظِيماً قَاهِرَ الحَوْلِ .. نَافِذَ الأَحْكَامِ
وَاسْتَوِينَا - أَنَا وَمَجْدِي - عَلَى الْخَلْقِ نُسُوًى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ خِصَامِ
وَرَأَيْنَا الشُّرُورَ أُمَّ الْبَلَايَا وَمَعِينَ الأَحْقَادِ وَالْآلَامِ^(١)
فَاتَّفَقْنَا - أَنَا وَنَفْسِي - عَلَى الْخَيْرِ وَمَحُو الشُّرُورِ وَالْآثَامِ
فَانْبَرَى كُلٌّ مَا حَوَى الكَوْنُ وَالذَّهْرُ يُغَيِّى لَحْنَ الرُّضَا وَالسَّلَامِ
وَإِذَا بِي أَحْسُ بَعْدَ عَهْدٍ أَن ذَاتِي مَوْصُولَةٌ بِالْأَنَامِ
أَنَا خَيْرٌ مُحَضٌّ وَمَنْ هُمْ عَبِيدِي لَيْسَ لِلشَّرِّ بَيْنَهُمْ مِنْ مَقَامِ
لَمْ نَعُدْ بَيْنَنَا فُرُوقٌ سِوَى القَدْرِ سِرِّ الإِبْجَادِ وَالْإِعْدَامِ
فَتَسَاءَلْتُ كَيْفَ أَنْمَازُ مِنْهُمْ ... وَوَرَائِي خِيَارُهُمْ وَأَمَامِي^(٢)
وَكَأَنَّ الشُّرُورَ ضَاقَ بِهَا الصُّنُوتُ فَهَبَّتْ مِنْ سَالِفِ الأَيَّامِ
ثُمَّ قَالَتْ : يَا رَبُّ ! لِأَخِيرٍ فِي الْخَيْرِ إِذَا لَمْ تَحْطَمْ قُوَاهُ سَهَامِي
وَامْتَزَاجِي بِهِ وَكَوْنِي فِيهِ - وَلَكَ العِلْمُ - أَصْلُ كُلِّ نِظَامِ
وَكَأَنِّي سَمِعْتُ فِي صَوْتِهَا الْمَخْنُوقِ أَصْدَاءَ حِكْمَتِي وَكَلَامِي
قُلْتُ : فَلْتَهَيِّطِ الشُّرُورَ إِلَى الأَرَارِ .. أَلَا وَلِيخَيَّ السَّنَا فِي الظَّلَامِ

(١) المعين والمعيون من الماء : الظاهر الذى تراه العين يجرى على وجه الأرض .

(٢) أنماز : أنفصل وأنزل .

وليدُ ذلك الصراع على الأر ض .. إلى أن يحين بدء الختام .
وبهذا يخلو لخيري وجهي وعلى الأرض لعنتي .. وسلامي .

* * *

كان حُلماً أفقتُ منه على صَوِّ تٍ قديمِ الصدى بعيد المرامي
لم يكن في الإمكان أبدع مما كان .. فاخضع لحكمتي ونظامي
ذاك كوني ... فاستفتِ ذاتك من أنت .. تجدها مشلولة الإلهام
وإذا ما أبيت إلا جموحاً فامتشق من حِجَاكَ أمضى حُسام
واضرب الليل والنَّهارَ بحدَّيه وَمَزَّقْ به خُذورَ الغمام
فإذا ما شارفتَ أفقَ فحَرْوَلٍ واستعدَّ من ضلالة الأحلام
وبحسبي أن أنسخ النور في عَيْنِيكَ حتى يصير مَحْضَ قَتَام
وإذا أنت حيثُ كنت - غريقٌ في بحار الشكوك والأوهام

* * *

قلت يارب .. إنَّ لي في رِضَا الْعَا جز ظلاً يطيب فيه مُقامي
فاغتفر لي .. فقد تلاشت حماقا في ... وعفواً إذا فقدتُ زمامي
واكفني شرَّ فكرةٍ مثَلتني قاهرِ الحولِ نافذِ الأحكام

قلب بلا حب^(١)

« إلى حواء أوهامى »

تعالى يا بنة الأحلام يا مجهولة الذاتِ
تعالى يا ضياء لم ينور أفق ليلى
تعالى يا حقيقاً لم يزَلْ يُروى خيالانى
تعالى نجمع الماضى الذى راح إلى الآتى
تعالى يا غراماً تاه فى دنيا الصبابات

* * *

تعالى فالدم الفوار يغلى فى شرابي
تعالى فالهوى الثرثار ما زال ينادينى
جموحاً نائر النزوة مشبوب الأرائين^(٢)
وهاتيك أغاريدى أغنيها فتبكينى^(٣)
وأحلام الصبا المحروم أطوبها وتطوينى

* * *

(١) نشرت فى تقرير عن أعمال نادى اليوسفية للروم الكاثوليك بالقاهرة لعام ١٩٤٩ فى إبريل سنة ١٩٥٠ ، وقد نشرت بعنوان « أشواق الربيع » .

(٢) الجُمُوح : ركوب الإنسان رأسه بحيث لا يمكن رده ، النزوة : الوثبة ، وهى كذلك الطموح إلى الشيء والمنازعة عليه . الأرائين : جمع إرئان ، وهو صوت الشهيق عند البكاء .

(٣) أغاريد : جمع أغرودة ، وهى غناء الطير أو الإنسان .

تعالى من وراء الغيب كالتهويمية النَّشْوَى^(١)
 كوحى دافق الأنوار .. كالإلهام .. كالنَّجْوَى
 كسِرُّ في سماء الله لا ندرى له فَحْوَى^(٢)
 تعالى ... لم يَعُدْ في الكأس نسيان ولا سَلْوَى
 تعالى .. لم يَعُدْ في الكأس إلا المرُّ والشكوى

* * *

تعالى كالربيع الطَّلَق ضحيان الأسارير^(٣)
 نَدَىَّ العطر منصور الربا .. نشوان بالنور^(٤)
 تعالى فهنا الكرمه ظمياء الأزامير
 وهذا الحارس اليقظان موهوب المزامير
 وفي أنغامه تحفُّق أشباح الأساطير .. !

* * *

تعالى فهنا الحارس قد هامت به الكرمه
 سقاها الحب من كفيه ناي ساهر النعمه
 سقاها الحب .. فانداحت أغانيها مع النسمه
 تُحيي موكب العشاق مُنسابين في الظلمه

(١) التهويمه : شعور الإنسان بالحاجة عند النوم مع هزّه رأسه .

(٢) فحوى القول : مضمونه ومرماه الذى يتجه إليه القائل ، ج : فحكوى ، وفحكوى .

(٣) ضحيان الأسارير : أى أصابت عاصن وجهه حر الشمس .

(٤) منصور الربا : أى ربا ذات روثق وبهجة من نصر يتنصر نصوراً وثنصرة : كان ذا

روثق وبهجة .

وفى كلِّ يدٍ خصرٌ وفى كلِّ فمٍ بسمه

* * *

تعالى طَهَّرى بالحبِّ آثامى وأوزارى
تعالى فأنَّا وحدى غريب القلب والدار
طريدٌ مثل أيامى شريدٌ مثل أفكارى
تعالى واسكبي سرك فى أعماق أسرارى
فقد تبعث أنفاسك مايطويه قيثارى

* * *

تعالى نخلتُ الحبَّ فقد يخلقنا الحبُّ
لنروى ظمأ الدنيا بما يُوحى به القلبُ
فقد يخنقنا التُّربُّ ولم نعشق ولم نصبُ
وننسى أننا « كُنَّا » وفى أيامنا جذبُ
تركناه بلا رىٍّ وفينا المنهل العذبُ

* * *

تعالى ... فالردى الجبار لا يخنو ولا يرحمُ
وهذا سيفه المخضوب لا يبلى ولا يثلم
يربى ومضه مالا يربى ظلُّه الأقم^(١)
تعالى فالغدُّ المرهوبُ .. غيمان السنا مُبهم
ويا ضيعةً دُنيانا إذا ولَّى ولم نعلم

(١) الأقم : ما كان لونه أغبر ضارباً إلى سوادٍ أو حُمْرة . وهى قنماء . ج : قَمَمٌ .

البعث^(١)

اسبقى الشمس كالشمع وثنوباً وأسألها يا أختها أن تثوبا
طال هذا اللجى علينا وحالت ضحكات الحياة فينا نعيماً؟^(٢)
كل ليل لابد يعقبه الفجر فلا تأخذي الحياة قُطوباً
وانسخي ظلمة المقادير فجراً رائع النور ساحراً مؤهوباً
ودعى النبل ذلك الصامت الثر ثار يمرح على الضفاف طروباً
أو دَريني إذا دَهَتْكَ الجراحا تْ أبادله شوق المغلوبا
وأناديه يا نديم الحَضَارَا تِ سلاما كحُبنا مشبوبا
أيها النيلُ يا أبا الأزلِ المَجْ هُولِ عفواً إذا جهلتُ النسيبَا
ملأت جانحك من نكبات الدَّ هرٍ ما يَمْسُخُ الشُّرُوقُ غُرُوبَا
فتفجَّرت في وجودي دِماء وتدفقت في دماي لهيبا
فاحتقرت الحياة يُثقلها القي د وأقبلت كالرياح غُصُوبَا
أطلب المجد بالكفاح وأبني بعظامي مكانه المَغصُوبَا
ومعى أمة ممزقة الحو ل تُعاني التقسيم والتَّغريبَا

(١) هذه القصيدة تعبر عن حالة الشاعر النفسية ، وتمثل في الوقت نفسه وجدان الشعب المصري وإرماصات الشاعر بالثورة ، وقد أنشدها الشاعر في عيد الجهاد ١٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٧ .
(٢) التعيب : الصياح والصوت والإنذار بالبين .

أُمَّةٌ أَجَرَتْ اللَّيَالَى عَلَيْهَا من تَصَارِيْفِهَا الْقَضَاءُ الْعَجِيبَا
شهدت مولد الزمان وعاشت تتحدَّى قضاؤه المكتُوبَا
وقضى الله أن تهون عليه فمضت تشربُ الحياةَ كُرُوبَا
وبنوها - أَسْتَغْفِرُ الْحَقَّ أَثْبَا هُ بنِيهَا يُضَلُّونَهَا التَّعْذِيبَا ^(١)
حكموا الشَّعْبَ رَغَمَ أَنْفِ بَنِيهِ وَأَحَالُوا الدِّسْتُورَ بَرَقًا خَلُوبَا ^(٢)
وَأَضَاعُوا الْحَقَّ بِالْقَوْلِ مَكْذُوبَا بَا وبالصَّمْتِ عَاجِزًا أَوْ مَرِيبَا
وَمَضَوْا يَعْبَثُونَ.. وَالْغَاصِبُ الْعَرِ بَيْدُ يَرْجُو لِرَشْدِهِمْ أَنْ يَغِيبَا
كَمْ أَعَانُوهُ خُفِيَّةً وَجَهَارًا لِيرُدُّوهُ بِهِ الْمَصِيرَ الرَّهِيْبَا
وَأَغَاثُوهُ .. وَاسْتَغَاثُوهُ كَيْمَا يَسْحَقُوا ثَائِرًا وَيُغْنُوا نَجِيْبَا
خَدَعَتْهُمْ آمَالُهُمْ فَتَعَامَوْا عَنِ مَنَى الشَّعْبِ وَاسْتَحَلُّوا الذُّنُوبَا
فَلْيَنَامُوا يَا نَيْلُ أَوْ فَلْيَمُوتُوا إِنَّ تَحْتَ الرَّمَادِ جَمْرًا شَبِيْبَا ^(٣)
قُلْ لَشَعْبٍ قَادَ الشُّعُوبَ إِلَى الْمَجْدِ قَدِيمًا وَلَمْ يُبَالِ الْخَطُوبَا
ذَهَبَ السَّالِفُ الْبَعِيدُ فَهَيَّءْ لَكَ مَجْدًا عَلَى الزَّمَانِ قَرِيبَا
مِصْرُ أُمِّ الدُّنْيَا وَنَحْنُ بَنُوهَا وَعَلَى جَبِّهَا طَوِينَا الْجُنُوبَا ^(٤)

(١) يُضَلُّونَهَا التَّعْذِيبَا : جعلوها تقاسى العذاب وتُحترق بناره. من صلاه العذاب أو الموان .
أو الذك : جعله يقاسى منه ويحترق بناره .

(٢) بَرَقًا خَلُوبَا : بَرَقًا خَادِعًا قَاتِنًا . من خَلَبه بمعنى خَدَعَهُ وَفَن قَلْبَهُ .

(٣) الشَّبِيْب : الْإِتْقَاد ، من شَبَّتِ النَّارَ تَشَبَّ : اتَّقَدَتْ .

(٤) الْجُنُوب : جمع جَنْب ، وهو من كل شيء نَاحِيته ، أو شَقُهُ ، أو مُعَادِلُهُ ، ويجمع كذلك على أَجْنَابٍ .

انكّرنا كِنَانَةَ الله إن لم نتبوا مكاننا المسلوبا
حسبنا الفقر والجهالة والأمراض نشق بها شباباً وشبيهاً
كيف يحيا الفلاح في أرض مصر تعسا مُجذّب الحياة كثيبها
ويعيش العمال أشقى من البهائم ومن خيرهم نغذى الجيوباً^(١)
وهناك المنعمون وفيهم يجد الشر سامعاً ومجيباً
يتغنّون كلما أهرق الشعب على الحق دمه المسكوباً
إنه منطبق بضيق به العقل وإن كان كالوجود رحباً
فليك القابعون في معبد الحكمة سلاماً أو فليكونوا حروباً
إن للشعب ثورة توقظ الغما في وتحيي قبل الجسوم القلوبا
ومن الموت أن تعيش ذليلاً ضائع الرأي حائراً منهوباً
ومن المجد أن يدين لك المجد قوياً ملء الحياة أرباباً
والحياة الحياة قلباً وحقاً فاصحب الدهر رائثاً أو مُصيباً
عيد الجهاد في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧

(١) البهائم: جمع بهيمة، وتطلق على الصغير من الضأن والماعز والبقرة (الذكر والأنثى في ذلك سواء).

كأس

سكر الليل بكاسات السكون وهفا الكون إلى خمر النغم
فأدر في كفك الراح الحنون وأسأل النشوة نسيان الألم

* * *

قل لها يا كأس ماجد من الدهر علينا
نحن في واديه طيفان على الحب التقينا
فصبحكنا وبكيننا وظمئنا وارثويننا
ووهبنا الحب دُنْيَانَا وما بين يدينا
حين غنت بسمات الملتقى في ناظرينا
غنة ضمت على صفو الأمانى مُهْجَتِينَا
ومضينا والهوى يلدى إلى أين مضينا
ننشر الأحلام خمرًا كرمها في شفتينا
أتراه كان حلما حُب الدنيا إلينا
ثم ولى وانتهى حلم هوانا فانتبهينا

* * *

ومضى العمر كما شاء هوائى فى الغرام
بين شوق وحنين وسهاد ومنام

* * *

آه من حبيِّ يا كُأس ومن ذكرى حبيبي
آه من قلبي وما أشقاه في دنيا القلوب !
آه مما تُشعل الأشجان فيه من لهيب
هاتِ نسيانك يا كُأس إذا كان طيبي
أنت في الحُزن نصيبي وهو في الحزن نصيبي



١٩٤٨ - ١٩٤٩

البعث (١)

على شاطئ فوق الحياة تمددت
على رمله الأحلام صاحبة.. سكرى
تنامين يا أحلام نفسى .. كأنما
سقتك غيوبُ الله من كأسها خمرًا
تنامين .. حتى يقضى الله أمره
فيبدل عسر العيش فى عالمى يسرا
وينضح أيامى القفار بوابسله
من الخير .. أنسى فى تواكبه الشرأ
فأحيا وتحيا بعد موتى حقيقتى
وأبعث من قلبى إلى خالق الشكرا

* * *

أحلام نفسى .. ليتنى كنت قادرا
على بعث ماوئى ونسيان ماجرا
أحلام نفسى .. ليتنى كنت عاجزا
عيبى الحجا .. غفلان لأدرك الفكرا
كأنى بهذا الكون قبر حقائق
تذوب وتفتنى فى حقيقتنا الكبرى
كأنى بهذا العقل ظل خرافة
نشور إذا ولى ونشكو إذا قرأ
وهذا الذى أدعوه قلبى وخافى
وما هو إلا طائر حرم الوكرا
كأنى به فى موكب الحب والهوى
صدى دعوة خرساء مجهولة المسمى
وشعرى .. ومن حب الحقيقة نبعه
ويا ليت أنى عشت لا أعرف الشعرا
كأنى به فى ظلمة الطين ضحوة
أهال عليها الطين من روحه قبرا

* * *

(١) تمثل هذه القصيدة طوفانا من التوتر النفسى والقلق والتمرد على الحياة والأحياء .

وعمرى . . ومن لإظلامه يخلق اللُّجى

وينسى لديه الفجر من يعبد الفجرُ
كأنى به فى حانة الدُّهرِ قطرةٌ حميميةٌ تنهلُ فى قلبه جمرًا^(١)
وحطى وقد غسَّله بمدامعى . ولم أَحَسِبْ فيه لى زمنى أجرا
كأنى به فى قبضة الموت زهرة يبابية الأوراق لاتنفحُ العطرًا^(٢)
ويأسى من الدنيا وسخطى على القضا

وإيمان عقى بالأراجيف مضطرا^(٣)
شقيت وأشقيت الليالى بمطلب تمنيته صباحا .. وحقرته ظهرا .
وما هوَ إلا أن يُطيعَ إرادتى زمانى . وأن أخطى بما أشتهى حُرًا
وأنسى أن الوهم روح طبعتى وأن الذى أجرى حياتى بها أدرى
وأن القضاء الحتم مثل مُسيرٍ إلى غاية تستغرق الكون والدُّهرا

* * *

ومن نكدِ الأوهامِ أنى أفلسُ الحياة كما أهوى . ولم أفنها خبرًا
عَبِيتُ بها فهمًا .. وفى العجز راحة
لمن جعل الدنيا طريقاً إلى الأخرى

(١) الحميمية : الماء الحار ، ج : حَمَامٌ .

(٢) يبابية الأوراق : أى جرداء من يسبب المنزل جعله يباباً أى خراباً ، ويقال : خربوه ويبتوه .

(٣) الأراجيف : جمع لِرَجَاف . وهو الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب .

ولكننى والعقل نورى وظلمتى
أحاول بالأحلام أن أكشف السترا
ومازلت .. والمصباح خاب ضياؤه
أهدد آمالى .. وأرضعها الصبرا

رأيت حظوظ الناس شتى فجاهل
أمير .. وأهل العلم فى كفه أنسى
ونابغة فذ .. يعيش مُسرّدا
يكابد من أيامه الذل والفقرا
فإن مات هبّ النائمون .. فأمطروا

ثراه الجديب القفر مدمعهم ثرا^(١)
وراحوا يحيون الرميم بذكره
وهيهات أن تجدى على الميت الذكرى
لقد كان يرجو القوت .. لأمؤنا به
فظنوه يرجو المستحيل أو الكفرا
فأيّهما أختار لو كنت مثله ؟
لعلّ بحظّ الفدّم فى سعده أخرى^(٢)

(١) ثراه الجديب القفر : الذى ييس لاحتباس المطر عنه .

(٢) الفدّم : التّقليل الفهم العي .

وَيَارُبُّ لَيْلٍ طَوَّقْتَنِي هَمُومُهُ
 وَنَادَمْتُهُ شِكَاوَى وَالْأَدْمَعِ الْحَرَّى
 وَنَادَيْتُ ماضِيَّ الَّذِي رَاحَ وَانطَوَى
 فَأَقْبَلَ جَهْمَانَ الْأَسَارِيرِ مُغْتَبِراً^(١)
 يَنْفُضُ أَذْيَالَ الرُّضَا عَنْ تَذَكُّرِي
 لِأَيَّامِهِ اللَّائِي بِدَأَتْ بِهَا الْعُمْرَا
 فَقُلْتُ أَنَا جِيهِه .. وَفِي النَّفْسِ حَسْرَةٌ
 تُسَعِّرُ أَنْفَاسِي وَتَمْلَأُنِي سُخْرَا^(٢)
 إِلَى أَيِّمَا وَادٍ .. وَفِي أَيِّ مَجْهَلٍ
 مِنَ الزَّمَنِ الدَّوَارِ فَارَقْتَنِي قَسْرَا
 وَأَنْتَ ... فَهَلْ تَنْدَرِي بِمَا أَنَا جَاهِلٌ
 وَهَلْ فِيكَ مِنْ هَذِي لِأَيَّامِي الْحَبْرَى
 لَقَدْ كُنْتَ فِيكَ الطِّفْلَ أَنْسَا وَبَهْجَةً
 فَهَا أَنَا لَا أَدْرِي الصَّفَاءَ وَلَا الْبِشْرَا
 تَمَرُّ بِي الْأَيَّامُ مَشْلُوءَةً الْخُطَى
 وَتَأْكُلُنِي الْأَقْدَارُ مَسْعُورَةً حَرَّى^(٣)
 وَأَسْأَلُهَا عَمَّا اقْتَرَفْتُ حِيَالَهَا
 وَقَدْ يَسْأَلُ الْعَلَّامُ مَنْ يَجْهَلُ الْأَمْرَا

(١) جهمان الأساور : عابس الوجه .

(٢) تُسَعِّرُ أَنْفَاسِي : توقدها .

(٣) مسعورة : متقلدة .

وماهى إلا تؤلمى فى مدارها
كلانا يُقاسى القيد والرغم والقهرا
وأطرق ماضى العمر حزناً وحيرة
فما زادنى عرفاً .. ولا زادنى نكراً

وماهى إلا كربة الوهم طائفاً
وخلفنى المسكينُ أسيانَ مُزوراً^(١)
فعاودتُ تسيارى كما شاء خالقى
ومن أين للمجبور أن يعصى الجبراً^(٢)

أأحلامَ نفسى .. كلُّ يومٍ له غدٌ
وكلُّ غدٍ أمسٌ إذا عهده مرأ .. !
ويومى غدٌ بأك لأمسٍ مُعذَّبٍ
ينادى غداً فى الغيب لم يبرح الخدرا
ينادى غداً ... بالهف نفسى على غد

تكوينين فيه المجد والأمل النضرا
أأحلامَ نفسى ليت لى منك ذرة
أعيشُ بها عيشَ الأسير إذا قرأ

٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧

(١) أسيان : حزين .

(٢) التسيار : الذهاب فى الليل ، والتسيار : المبالغة فى السير :

السراب الخالد^(١)

في طريق يحفُّه الزهرُ النَّضُّ
ر وفي جَوْفِهِ تَفُحُّ الْأَفَاعِي
سِرْتُ كَالطَّائِرِ الرُّضِيعِ يُبَارِي
أُمَّهُ فِي تَحَدُّرٍ وَارْتِفَاعٍ..!
سِرْتُ ظَمَانًا جَائِعَ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ سَجِينِ الرُّؤْيِ ضَرِيرِ الشُّعَاعِ
ملهماً أَسْتَبِيحُ مَا لَا يَبِيحُ النَّأ
(٢) سُ فِي عَالَمٍ قَلِيلِ الْمَتَاعِ
وَحَوَالِيٍّ مِنْ بَنَى الطَّيْشِ أَشْبَا
هُ قَطِيعٍ مُشْرِدٍ فِي يَفَاعٍ..!^(٣)
دُمُهُمْ مَاوَهُمْ .. وَرَاعِيَهُمُ الذُّدُّ
بُ وَأَعْرَاضُهُمْ سُفُوحُ الرَّاعِي
كُلُّهُمْ ذَابِعٌ ذَبِيحٌ فَمَا أَشَدَّ
بَهَ قَلْبَ الْمَرِيحِ بِالْمُرْتَاعِ..!^(٤)

(١) تمثل هذه القصيدة حالة شعورية ضبابية كانت تؤثر على نفس الشاعر وتؤرقه وتجعل الحياة علامة استفهام كبيرة لم يمتد للإجابة عليها .

(٢) اليفاع : المرتفع من كل شيء يكون في المشرف من الأرض ، والجبل ، والرميل وغيرها .

(٣) المريع : مَنْ فَرَّعَ . فكان الرُّوعَ يُلغِ رُوعَهُ أَيْ سَوَادَ قَلْبِهِ ، والمُرْتَاعُ : المَفْرَقُ ، من ارتاع

بمعنى فَرَّعَ .

كفروا بالجمال والحُبِّ والحقِّ
 (٢) وجُنُّوا بالشرِّ والأطماع
 دَمَوِيَّونَ يَسْتَخَفُّهُمْ السَّوْءُ
 طُ إِذَا جَرَدَتْهُ كَفَّ الصُّرَاعُ
 فَلِذَا رَنَّ مَزْهَرٌ أَوْ شَدَا شَا
 دِ أَعَارُوهُ مَيِّتَ الْأَسْمَاعِ

أَلْهَذَا الْقَطِيعُ أَنْفَقُ أَيَّا
 (٢) مَيِّ وَتُفْنِيكَ اللَّيَالِي الْحَزِينَةِ
 أَلْتَلَّكَ الْأَصْنَامَ أَسْحَقُ عَمْرِي
 وَأَغْنَى أَلْحَاقِي الْمَجْنُونَةِ
 مَنْ سَقَانِي كَأْسَ الْحَيَاةِ وَمَنْ صَوَّرَ نَفْسِي مِنَ الْمَعَانِي الْحَنُونَةِ (١)
 مَنْ رَمَانِي إِلَى التُّرَابِ وَمَنْ قَلَّدَ لِلشَّمْسِ أَنْ تَعِيشَ سَجِينَهُ
 مَنْ بَنَى الشَّامِخَ الْمَرْدَ فِي نَفْسِي وَأَعْلَى آفَاقَهُ .. وَرَكُونَهُ (٢)
 ثُمَّ أَغْرَى بِهِ رِيَّاحَ الْمَقَادِيرِ
 رِ فَسَوَتْ سُهُولَهُ وَحُزُونَهُ

(١) الحَنُونَةُ : الشَّفُوقَةُ

(٢) الشَّامِخُ الْمَرْدُ : الْمَرْتَفِعُ النَّاهِمُ الْأَمْلَسُ .

ومشى فيه عنكبوت المنايا
 مستبيحاً أيامه وسنينه
 همجى اليدين يهلم أخلاً
 مى ليبنى أحلامه الماهونه
 ألمخض الوجود والموت جنساً
 أم لسرٌ وحكمة مكنونه
 ليت من في السماء يرحم شكى
 فيربنى ضيائه أو يقينه

من أنا؟ من أكون؟ ما كنت؟ ما بد
 وجودى؟ متى تكون النهاية
 ما وراء الحياة؟ .. ما غاية الله
 ر.؟ وما كان قبل بدء الرواية
 كان من أوجد الورى من تراب
 وله في الوجود أعظم آية
 ثم ماذا؟ .. صمت .. وعي .. وعجز
 وظلام .. وحيرة .. وعمايه ..
 وشكوك تعب أيام عمرى
 وتربنى ضلالتى كهديبه

ومقادير تستحث خطانا

وهي تجرى بنا إلى غير غايه^(١)

وتمرُّ الحياةُ بين سؤالٍ

وجوابٍ يزيد جهل غوايه

ويفرُّ السَّجين من قبضة القيـد

د فتُنسى عند الختام البدايه

ثم يسألُ على المدى أبسواه

وهما كالفقيد .. بعض الحكايه

وكانَّ الذي مضى لم يجرُ به

د فيستأنف الجناة الجنايه

لم أكنُ قبل أن أرى الأرض شيئاً

أم ترائي قد كنتُ في الغيبِ شيئاً^(٢)

أنا أغفَى .. وأستفيق ... وأمشي

وأحسُّ الحياة ملء يديا

أنا أعشى إذا رأيتُ سنا اللـد

و يُحيي بلمحه مُقلتيـا

(١) تستحث : تهيجل، من حثه يحثه حثاً : أعجله إجماعاً متصلاً.

(٢) شيئاً : شيئاً .

وَأَغْنَى الشَّيْطَانُ مَا تُلْهِمُ الشَّهْوَةَ نَفْسِي فَيَسْتَجِيبُ إِلَيَّ
أَنَا أَشْكُو إِذَا ابْتَلَيْتُ ... وَأَشْدُو

حِينَ يَصْفُو الْوُجُودَ فِي نَظَرِيَا
أَنَا أَصْبُو إِلَى الصَّبَاحِ وَأَشْتَا
قُ إِلَى اللَّيْلِ هَادِتًا عَبْقَرِيَا
أَنَا أَحْيَا كَالنَّاسِ مَا دُمْتُ فِيهِمْ

فَإِذَا مَا خَلُوتُ صَرْتُ نَبِيَا
صَرْتُ شَيْئًا يَحَارُّ فِي فَهْمِهِ الْكُو
نُ وَلُغَرًا مُحَجَّبًا أَبَدِيَا
أَسْتَشِيرُ الظُّنُونَ حَتَّى أَرَانِي
ثَوْرَةً تَمْلَأُ الْوُجُودَ دَوِيَا
وَأَرَى الْعَالَمَ الْمُطَطَّحَ بِالْأَو

حَالِ قَبْرًا مِنْ الْحَيَاةِ خَلِيَا

أَنَا أَهْفُو إِلَى الْحَيَاةِ وَرُوحِي
تَشْرَبُ الْمَوْتَ فِي كُثُوبِ الْحَيَاةِ
أَنَا أَرْتُو إِلَى الْغُرُوبِ بَعِينٍ
قَبَسْتُ نُورَهَا مِنْ الظُّلُمَاتِ^(١)

(١) أَرْتُو ، أَيْ أَدِيمُ النَّظَرِ مَعَ سُكُونِ الطَّرْفِ .

أنا أَسْتَقْبِلُ الرِّبْعَ بِقَلْبٍ
 هَامِدِ الْحُسَّ ذَاهِلِ الْخَفَقَاتِ^(١)
 أَنَا أَسْتَشْهَدُ السَّمَاءَ عَلَى مَا
 أَمْطَرْتَنِي السَّمَاءُ مِنْ نَكَبَاتٍ
 أَنَا مَاضٍ إِلَى السَّرَابِ .. فَحْيُوا
 يَا ضَحَايَا الظُّلَمِ شَهِيدَ الْفَلَاةِ^(٢)
 أَنَا مَاضٍ فَلَا تَخَفُوا إِلَى قَبْرِ
 يَ وَلَا تَزْعَجُوا سُكُونَ رُفَاتِي
 حَطُّمُوا مِزْهَرِي وَفَرُّوا بِقَايَا
 هُ وَصَلُّوا فِي مَائِمْ الذِّكْرِيَّاتِ^(٣)
 وَاسْحَقُوا هَيْكَلِي وَأَلْقُوا إِلَى الرِّيدِ
 حُ حَطَّامِي ... وَبَغَيْرُوا أَغْنِيَاتِي
 وَاذْكُرُوا - إِنْ ذَكَرْتُمُونِي - ضِيَاعِي
 وَشُرُودِي وَحَيْرَتِي وَشَتَاتِي
 وَدَعُونِي أَنَّمْ فَقَدْ آنَ لِلْعَا
 لَمَ أَنْ يَسْتَرْيَحَ مِنْ صَرَخَاتِي

(١) الخفقات : جمع خفقة ، وهى اسم المرأة من خفق بمعنى اضطرب وتحرك .

(٢) الفلاة : الصحراء .

(٣) فرّوا بقاياها : انثروها .

صرخة الميلاد^(١)

دعِ النَّائمُ اليَقْظان .. لا تَنسُقه خُمرا
وأمرقْ عليه النَّارَ إن شئت والجَمرا
ومزقْ غِيايات الكَرى عن جُفُونِه
فقد أقسم السِّفاح أن يَخُنق الفجرا
وهذا النَّثوم الِيعْرُبُ كما ترى
يصارعُ بالأوهام أحداثه الحمرا
يعيشُ على المَاضِي السَّحيقِ فليته
يمدُّ له من نَسجِ عَزْمَتِه عمرا
وما الأَمْس إلا اليوم ضِيعته سُدى
ولم تَرعَ فيه الله والمجد والذُّكرا
وما أنا في الأحياء إن زال حاضري
ولم أدخر مجدا .. ولم أحتقب فخرا^(٢)
فقل لفتى الأعراب .. والسيف مصلتُ
على رأسه .. وثباً إلى الحرب... لا سُكرا

(١) أنشدنا الشاعر في عيد الميلاد ١٩٤٨ المفضوب بدم المجاهدين من أبناء العروبة في فلسطين الحريمة.

(٢) أحتقب فخرا : أدخر فخرا . واحتقب الشيء شدَّ حَمَقِيَّةً ، وهو الخزام .

عهدتك سباق الأمانى .. فلا تكن
لدى المخذة الحمقاء أسوانَ مُزوراً^(١)
سألتك يابنَ الخسالدين بحقٍ مَنْ
يُسمونه فِرْعَوْنَ فى المجد أو عمرا
كم ارتاعت الدنيا التى كنتَ ربها
بجَنَفِكَ الجرار .. تُزجيه مُغبراً
وكم قَوَّضتْ يُمْنَكَ عَرِشاً مُوطَّداً
تُخادعه مَكْراً لتُحطمه كِبِراً
وكم شرقت من فيض نورك أمةٌ
غفا قلبها جهلاً وناظرها سحراً
أقمت وهنت الممالك طائراً
على صهوة التاريخ مُنطلقاً حُرّاً^(٢)
فماذا دهى عينيك فاظلم نورها
وأطبقنها خوفاً وأنكرتها ذعراً
أفِقْ فالحيأة المجد... والمجد وثبةٌ
تُعَفِّرُ وجَهَ الدهر مَسْعورةً حَرَى^(٣)

(١) أسوان مُزوراً : حزينا متحرقا .

(٢) الصهوة : موضع السرج من ظهر الفرس ، ومن كل شيء : أعلاه ، ج : صباه وصها .

(٣) مسعورة : متقلدة . الحرى : مؤنث الحران : الشديد العطش ، ج : حركات وحركات .

أَفِقْ فَالْيَدُ الشَّلَاءُ مَوْتُ وَجُودُهَا
ولن يعرف العلياء مَنْ يرهَبُ القهرا
وهذى يَدُ السَّفَاحِ مازال سيفُها
خَضِيْباً يُبَارَى المَوْتُ فِي حَرْبِهِ الكُبْرَى
أَرَأَقَ دِمَاءَ الشَّرْقِ ظَلَمًا وَغَالَةً
وَمَزَقَهُ بَطْشًا وَحَطَّمَهُ جَوْرًا ... !
وما زال يَسْتَشْرِى عَلَى الْأَرْضِ دَاوُهُ
وَأَوَّلُ مَا يُدْنِي الرَّدَى دَاءُ اسْتَشْرَى ^(١)
فَكُنْ أَنْتَ يَا بَنَ الشَّرْقِ لِلدَّاءِ حَاسِمًا
وَأَطْعِمَهُ نَارَ السَّيْفِ .. لَا تَأَلَّهِ بَتْرًا ^(٢)
فَمَا آمَنَ التَّارِيخُ إِلَّا بِمَاجِدٍ
يَحْقَرُ فِي آمَالِهِ المَوْتَ وَالذُّهْرَ

(١) يستشرى : يعظم افتراسه ويتفاقم .

(٢) لَا تَأَلَّهِ : لَا تَقْصُرْ وَلَا تَبْطُلْ .

نشيد

ذكرى شوقي

همست في الليل أنوار النجوم
تسأل الأرض عن الصمت الذي لف رباها

فأجابتها الروابي والغيوم
إنها الشمس التي راحت وماراح سناها

هذي ذكرى نبي الملهمين شاعر الخلد أمير الشعراء
وهب العمر لشكوى البائسين وشدا للأرض ألحان السماء

إنه شوقي الذي أحيا الوجود العربيّا

شاعر الدنيا وكم أطربها ميتا وحيّا

ذوب الحرية الحمراء لحنا قديما

أسكر النيل فأعطاه الخلود الأبديا

أكرموا أخره أكرموها

واحفظوا ذكره مجّدها

توجوها بالأماني والجهود

واجعلوها فجر تاريخ جديد

لحياة الفنّ في الوادى السعيد
 وصلوا الحاضر بالماضى المجيد
 واقبسوا من نورها روح الضياء
 فهى مجدٌ وخلودٌ وصفاء
 نبّه ذكرى أمير الشعراء

يا ليت

يا من تحير فيه قلبى بين إقبالٍ وصدٍ
 إن كنتَ قد أنسيتَ وعدك لئننى لم أنس وعدى
 أنا فى انتظارك لا أريم وأنت فى أخذٍ ورد^(١)
 يا ليت أنك إذ رأيتَ تلهفى وعرفتَ وجبى
 وقرأتَ فى عيني الضنى خيرتنى فاخترتَ بعدى
 ورضيتَ بالأمل القصى وعشتَ بالأوهام .. وحدى

(١) لا أريم : لا أفارق .

يَا أَخِي فِي اللَّهِ

« لى أخى الجندى الشاعر .. كامل أمين »

يَا أَخِي فِي اللَّهِ إِنَّ الْعَهْدَ فِي اللَّهِ وَثِيقٌ
وَطَرِيقَ الْحَقِّ ضَحِيًّا .. نَ فَهِيًّا . وَالطَّرِيقُ^(١)

يَا أَخِي فِي اللَّهِ .. هَذَا الْفَجْرُ مَمْدُودُ الظَّلَالِ
كَانَ لِي بِالْأَمْسِ مُحْرَابُ صَلَاةٍ وَابْتِهَاسِ
ذَهَبِ الْأَمْسِ .. فَلَاتَهْفُ إِلَيْهِ ... وَتَعَالِ
نَزْرِعِ الْأَفْقَ مُنَى حِمْرَاءَ .. يَخْشَاهَا الزَّوَالُ
وَنَوْشِي بِالْقِنَا الْمَخْضُوبِ .. أَعْنَاقُ الْجِبَالِ^(٢)
إِنَّهَا سَاعَةُ إِيمَانٍ .. وَعِزْمٍ ... وَنَضْـالِ
نَبَتٍ فِي الزَّمَنِ الْغَرِيبِ .. بَيْضَاءُ الْمَجَالِ
فَاغْتَنِمُهَا يَقِظَ الْوَجْدَانِ . مَشْشُوبَ الْخِيَالِ
وَأَدْرِ عَيْنَيْكَ فِي الْبَيْسَاءِ .. وَاسْتَفْتِ الرَّمَالَ
فَلَهَا فِي عَالَمِ الصَّمْتِ ... نِدَائَاتُ طَوَالَ

(١) ضَحِيًّا : واضحاً ظاهراً .

(٢) القِنَا : الرماح .

يا أخى فى الله إن العهد فى الله وثيق
وطريق الحق ضحيان .. فهيا والطريق

يا أخى فى الله . هذى القمم الشم^(١) شهود^(١)
لك فيها حسب . ضخم الأحاديث ... معجيد
تربها الصديان .. آباء كرام .. وجلود
توجوا المجد بتاج الخلد ... والمجد وليد
الزمان الكهل غاب وهو فيه الاسود
عرب كالشهب . وضؤون .. مضؤون صيد^(٢)
لم يكن فيهم لغير الحق .. والخير .. وجود
وفراعين .. على أمجادهم ... صلى الخلود^(٣)
ذكرهم فى خاطر الدهر - قديم وجديد
كلهم قلب يناجى واسان يستعيد

(١) القمم الشم : القمم : جمع قمة . وهى من كل شىء أعلاه . والشم : جمع أشم وهو المرفق المتكبر .

(٢) مضؤون : حادون سريعو القطع . صيد : جمع أصيد وهو كل ذى حول وطول من ذوى السلطان .

(٣) فراعين : جمع فرعون ، ملك مصر فى التاريخ القديم .

يا أخى فى الله إن العهد فى الله وثيق
وطريق الحق ضحيان .. فهيا والطريق

يا أخى فى الله ... هذى القمم الشمّ عدول
هذه الرماة تحكى أختها فيما تقول
إنها تنشر اللزوة ماتطوى السهول
ويحها ظمياء .. تخشى الرى من دمّ الفضول^(١)
شربته أزرق المعدن .. مسموم الأصول
ثم دار الزمن المارد عجلان الفصول
وجرى صهيون خلف الوهم والوهم فتول
فبنى قبر أمانيه .. وأغراه الفضول
وأراد الله .. أن ينتحر الحظ الكسول
فإذا ماشاء صهيون .. غشاء فى سيول

وأتيننا .. ولنا بالنصر .. إيمان طليق
نبعث الماضى الذى كفنه الدهر السحيق

(١) الفلمنياء : جمع ظمى ، مؤنث الأظنى ، وهو الأسمر .

يا أخى فى الله .. إن الحرب عمياء الدخان
كان فى عينى نهار . لاتسلى كيف كان
طرق الليل على الهيجاء أبواب الزمان
فاجعل الليلة دهرا من جلال وطمان
واسقى صهيون لظاها .. حمى الغليان
وإذ ناداك من أحلاف صهيون لسان
يتمنى هدنة الحرب .. وإغماد السنان
فاذكر القتلى .. وما ذاقوه من كف العيان
واذكر الحق الذى يصرخ فى كل مكان
وارتقب يومى .. فيومى .. مثلما أعلم ... دان

يا أخى فى الله .. إن العهد فى الله وثيق
وطريق الحق ضحيان .. فهيا والطريق

يا عيد (١)

أَقْبِلْ عَلَى موكب الحيارى يا عيدُ يا وقفاً الحيارى
 أَقْبِلْ وَفِي كَفِّكَ الْأَمَانِي بَارِكْ بِهَا الْبَيْدَ وَالصَّحَارَى
 أَقْبِلْ عَلَى الشُّوقِ وَالتَّمَنَّى كَغَائِبِ أَبْصَرِ الدِّيَارَى
 أَقْبِلْ عَلَى أَكْبُودِ تَلْغَى وَأَعْيُنِ دَمْعُهَا اسْتِجَارَى (٢)
 وَبِرْ مَعَ النَّاسِ حَيْثُ سَارُوا وَدُرْ مَعَ الدَّهْرِ حَيْثُ دَارَا
 وَسَائِلِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَنْ رَأَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَا
 إِذَا دَهَى الْأَرْضَ .. مَا دَهَاها مَنْ شَبَّها فِي الْوُجُودِ نَارَا
 أَشْعَلَهَا فَتْنَةً ضَرْوسًا أَشَاعَتْ الْبُؤْسَ وَالْمَآرَا
 عَلَّمَتْ الْبُؤْمَ كَيْفَ يَبْكِي خَرَابُهَا الشُّؤْمَ وَالْعِمَارَا !
 مَصَارِعَ لَا تَزَالُ تَجْرَى وَعَالَمَ يَشْتَكِي انْهِيَارَا

أَقْبِلْ عَلَى الْعَالَمِ الْكُثِيبِ فَرَحَانِ أَوْ بَاكِى النَّحِيبِ
 وَقُلْ لِمَنْ عَاقَرُوا الْمَنَآيَا عَلَى شَجَى الْمَنْفَعِ الطَّرُوبِ
 عَصْرَتِمْ الْكَأْسُ فَاشْرَبُوهَا وَالْكَأْسُ مَسْعُورَةُ اللَّهِيْبِ (٣)

(١) قبلت بمناسبة العيد وعالج فيها الشاعر نكبة فلسطين .

(٢) الْأَكْبُودُ . ومؤنثه كِبْدَاءُ : من كان عظيم الكبد ، أى من عظم بطنه من أعلاه . ج :

كُبْدٌ . وتلغى : أصلها تَلْغَطَى : حذفت التاء لضرورة الشعر .

(٣) مسعورة : متقلدة .

لاتبردوا بالشراب حتى
والحرب ماتعلمون فوضى
بدأتموها .. فلا تؤلوا
وأرضكم . أرضكم فشقوا
لاتجعلوا رى ما نمته
منكم .. وممن بغى عليكم
فلم يعد فوقها مجالاً

لاتسلكوا أبعد الدروب
تغرى بأسلوبها العجيب
والريح فى أول الهبوب
فى جوفها القبر الغريب
إلا حميم الدم العتيب^(١)
سيان فى شرعة الحروب
للمنطق الرائع الرتيب

كم هدنة أغقت بأخرى
إلا مزيداً من الضحايا
نقدم حتى يقول قوم
ويصبح البر من دمانا
حتى إذا الهيجة استحرت
لأدوا بأكتافنا فقالوا
كأنمما العقل أن يؤلى
فقل لهم تب ما أرادوا

لم نجن من مدهن خيرا
يزيدنا فى الرجال فقرا
النصر للعرب لا مفرا
ومن دماء العدو بخيرا
ودمدم الموت واكفهر^(٢)
السلم بالعاقلين أخرى^(٣)
المقتول للقاتلين ظهرا
أصبح عهد السلام ذكرى

(١) الحميم : الجمر يُبَخَّر به . والقيظ . والماء الحار . العتيب : ما ينتصب .

(٢) استحرت : اشتدت . دمدم : غضب . اكفهر : عيس .

(٣) الأخرى : الأفضل والأجتر .

بنيتم القبر فاسكنوه - ياذله في القبور قبرا
يضمكم شاكيا وترجو - صباؤه او تكون أخرى

أقبلت عيداً ؟ ! وأنت عيد
وددت لو هاجـهـ نـدائـي وهزّه صـوتـي الجديد
الفأك ؟ يا فؤولك ، نحن فيه وموجُ طغيانكم شديد^(١)
أردتم السلم فاستجبناـا والدهر ما بيننا شهيد
وكم بذلت لـنا وعُودا ولم تـم منكم الوـعود
فما وثقتـم ... ولا وثقنا فـحرينا طارف تليد
فأضرموا النار أضرموها فكلنا عندها وقود
ونحن أبناء من شدوها ملاحـمـا روحها الخلود
ومجدنا المجد .. ما علمنا ويعلم الله والوجـود

... ..

أقبلت عيداً ؟ ! فأنت عيد يا عيد .. لوفكت القيود

(١) قرّ: ثبت وسكن. المرید: الخبيث المتمرد الشرير، ج: مرءاء.

(٢) الكونت فولك برنادوت: وسيط هيئة الأمم المتحدة في مشكلة فلسطين.

تهنئة

« لصديق وأخي مسعد أفندي
محمود شرنوبى بمناسبة زفافه »

ملك القلوب بحبّه وتوحّدا وسبى العيون بحسنه فتفرّدا
سملُ عنه عشاق الكمال فإنّه بنفائس الخلق الكريم تقلّدا
عيدُ السعادة كان يومَ زفافه أفديه عبيداً فى الزمان مُخلّدا
دامتْ له التّعْمى ودام دُعاؤنا لازال مُسعد بالأماني مسعدا

حياة

أنا أحيى كطائر حطّم القيد ولما يزل أسير الفضاء
أعشق الموت فكرة فى خيالى أتحدّى بها قضاء القضاء
وأبيت الحياة فى قلبى الحسى وأرثيه قبل حين الرثاء
أنا حىٌ ولست أدري أحقاً أنا حىٌ أم لست فى الأحياء

عيد الهجرة

أكبرت عيدك هجرة المختار عن كل ما أزعجه من أشعار^(١)
 عيدٌ تخفُّ له القرون جلالةً لمقامه المحضوف بالأسرار
 خرج النبي الهاشمي مهاجراً فيه على حذرٍ من الكُفَّار
 وبجنه الصديق ملء فؤاده حبُّ النبي وخشية الجبار
 وهب النبي حياته وحماه من بطش الطغاة وعصية الفجار
 حتى إذا بلغ النكالُ حدوده بالمصطفى وصحابه الأطهار
 تركوا الديار مهاجرين بدينهم مُستبدلين ديارهم بديار
 وأمامهم خيرُ الأنام وخُلَّه متعاطفين على أحبِّ جوار
 حتى إذا أمانا المكائد أشرقت أنوار أحمد في حنايا الغار
 أويًا إلى الغار الكريم فعُشِّشت فوق المغار هواتف الأسحار
 والعنكبوت بنى معالم بيته قسراً من المتصرف القهار
 يشكو أبو بكر إلى المختار ما يلقي فيذكره بلطف الباري
 ويقول والتاريخ ينصت خاشعاً قولاً تخلَّد في فم الأدهار
 «الله ثالثنا» فلا تحزن. ومنَّ ينصره يؤمن من أذى وضرار

(١) أزعجه : أسوقه .

حتى إذا سُميت قريش حربه رجعت رجوع مسربل بخسار
ومضى النبيّ إلى المدينة شَاهِراً سيف الهدى وصحائف الأنوار
وأتى الإله بنصره وبفتحه فعلاً بناء الدين بالأنصار
واشتدّ حول المسلمين ففتّحوا بهدى الحنيفة مُغلق الأمصار
والله ناصر حزبه ومن اتقى بالله أَمَنه من الأخطار

صَلَّى الإله على النبي وآله والمرسلين الصفوة الأخيار
مالاح برق في السماء وما دَجَا ليل .. ولاحت ضحوة بنهار

عام ١٣٦٨

ذكرى المولد

كل حُبٌ مصيرُهُ للذهاب غير حُبِّ الشفيع يومَ الحساب
 ذاك حُبٌ مصيرُهُ لبقاءٍ وخلودٍ ونعمةٍ وثواب
 حُبٌ نبعِ الأسرارِ مشكاة نور السحق .. مفتاحُ رحمةِ الوهاب
 كوكب المجد في سماء الألوهية قطبُ الحقيقةِ الجذاب
 مؤنِّلُ المذنبين في موقف الهوى لَ إذا ما تأذَّنوا بالعذاب
 كعبةُ القاصدين من كلِّ فجٍّ ما استقلتْ دواءُ بسحاب^(١)
 جاء كالصبح بعد ليلٍ طويلٍ خائفٍ مُظلمٍ الجوانح كاب^(٢)
 فأضاء العقول بالفيصل الصا دق من قوله الكريم الصواب
 وهدهد الحكيم ... ينبوعه الوحى .. وأخلاقه الفساح الرّحاب

(١) دواء : من دَوَى يدوى واسم الفاعل دَاوَى للمذكر وصيغة المبالغة دَوَاء على وزن فعّال . وزيدت تاء التأنيث وهي زيادة قياسية ، فيقال : خبرٌ دَوَاء ، ومساءلة دَوَاءة بمعنى تردد ونشهر وقد استخدمها الشاعر في الرّياح بمعنى تحمل السحاب .

وهذه المادة لا توجد في معاجم اللغة ، ومن هنا يقول كثير من القومين إن استخدامها خطأ ، ولكن علم وجودها في معاجم اللغة ليس دليلاً على أنها غير موجودة . لأن هذا الفعل الثلاثى المبرد موجود في الشعر العربي القديم ، إذ وُجد فيه دَوَى بالتخفيف ، يقول عنترة العبسي :

طَرَقْتُ ديارَ كندة وهي تَدَوِي دَوَى الرَّعد من ركب الجلياد

فهى إذن حرية صحيحة ، ولا داعي للقول بأنها خطأ .

على أنه من القواعد المقررة إذا كان الفعل ثلاثياً مضعفًا ، فلا يحفل أن يكون المبرد معلوماً .

(٢) كاب : متفرق اللون من غيظ أو تراب . وكاب : مُظلم .

فى ربيع الشهور جاء ربيعاً نفوس طويلة الإجداب
 من أبٍ معرق النجار وأمٍ هى منه فى عزّة الأحساب
 كرمًا منبتًا فجدهما الأعلى الخليل المنعوت بالأواب
 وأباهلى فدهما فى الصبا الغضّ بريئين من أذى أو معاب
 لم يقيما فى الأرض إلا قليلاً إذ أقاما على نوى واغتراب^(١)
 أو يمتّع كلاهما بشباب أفدح الخطب ميتة فى الشباب
 لهف نفسى عليهما وعليه حينما خلفاه فى الأتراب^(٢)
 خلفاه لليتّم والفقر والوحدة طفل الأحلام والآراب^(٣)
 أتيا الأرض كالسحاب إذا ما وهب الخير وانثنى لغياب
 كان سراً باحابه .. ثم راحا وهو ما زال آية الأحقاب

صلوات المسدى عايه رضيعا خشن المستراح غصّ الإهاب
 تتحماه أعين الظئر ممّا شاع من فقره لدى الأعراب^(٤)
 لا أبوه حى ولا أمه الأيّم ذات اليسار والأنشاب^(٥)

(١) التوى : التحول من مكان إلى آخر . والتوى : البعد . والفراق .

(٢) الأتراب : جمع تراب ، وهو المائل فى السن ، وأكثر ما يستعمل فى المؤنث :

(٣) الآراب : جمع إرب ، وهو الفضل ، والحاجة .

(٤) الظئر : المرضعة لفر ولدها ، ويطلق على زوجها أيضا ، ج : أطور ، أطار ، غطور .

(٥) الأنشاب : جمع نشب ، وهو المال ، والمقار .

لا ولا جدُّه وأعمامه بعد بأحلاف ثروة واكتساب
وسلامٌ عليه بعد سنين مُقْفِرَات كوالح الأثياب
مات فيهن جدُّه فتهوى صرح برُّ وانهدَّ ركن اغتصاب
ومضى المصطفى لخير الرسالات يبارى الحياة أى غلاب
يرتعى الشاء بالقليل من الأجر عفيف المني ظهور الثياب^(١)
قانع النفس إطمئن الحنايا قدسى الرضا قيرير الرغاب
يبلغ الهزل مسميه فيمضى عن دواعى الهوى مضى الشهاب
ومن الهزل مايميت وإن قيه ل بقصد السرور والإطراب

بأبى راعيا يُطيف به الدهرُ غفيضَ العينين من إعجاب^(٢)
بعد حين يرعى الخليفة بالخير وطهر الأخلاق والآداب
بأبى تاجرا أميناً نقيّاً لا بذى حُلْفَةٍ ولا سبَاب
ساكن الروح لاتطيش به البشرى صبوراً على احتمال المُصاب
بأبى خاطباً خديجة بالأخلاق غراء كاللثنايا العذاب
لا بمالٍ ولا بجاه فما الما ل وما الجاه غير لمع سراب
ونجياً لله فى غاره الأنور والليل قاتم الجلاب
مُحِيّاً سُنَّةَ الظلام بما يُلْهِمُ من نورِ قلبه المُنساب^(٣)

(١) يرتعى الشاء : يجعلها ترتعى . والشاء : جمع شاة وهى الواحدة من الضأن والمعز والظباء
والبقر والتمام وحمر الوحش (يقال للذكر والأنثى) . وتجمع كذلك على شياه .

(٢) الغفيض الطريف : المسترخى الأجفان ، ج : اغضاء ، وأغضته .

(٣) المُنساب : الذى يذهب كل مذهب حيث شاء .

يشرق الكون بابتهالاته البيض ويهتز للدعاء المجاب
 وحواليه أمة تعبد الصخر وتوفي النذور للأنصاب^(١)
 تشد البنت خشية العار فيهم وهي في الإرث غير ذات نصاب^(٢)
 ويبيحون ما الضمائر تأبى وعقل الغوى مثل البياب
 ويعيشون كالقطيع فبعض الشاء راع وبعضها كالذئاب
 كل خير مضيع في حمام كل حق مهتد باستلاب
 ضرب الجهل حولهم بسياج من شرور وحيرة واحتراب
 أمة أقفرت عقولاً وعيشاً فحماها في الأرض غير مهاب
 وهو فيهم كليلة القدر في الدهر وكانور في الظلام الخابي
 أمل الكون منذ كان وفي الغيب وقبل الأكون دون ارتياب
 يفرد الحق بالعبادة والحب حنيناً للقادر الغلاب
 خاشعاً والأمين يتلو عليه في الحمى القدسي آى خير كتاب
 قم فأنذر واصبر لحكم الإله الحق رب العبيد والأرباب
 إنما أنت شاهد وبشير وسراج يهدي أولى الألباب

بآى داعياً إلى الله فرداً ثابت العزم كالرؤاسى الصلاب
 لا يخاف الأذى.. ويؤذى فيعفو ويجازى جفاءهم باقتراب

(١) الأنصاب : جمع نصب . وهو ما كان يُنصب ليُعبد من دون الله .

(٢) تشد : تدق بناتها ومن على قيد الحياة .

وينيرُ القلوب بالقول والفعل حيَّ السؤال عَفَّ الجواب
ويُحِبُّ المستضعفين ويُعطى عطفه للفقير دون حساب
يلتقى الكائديه باللين والحلنم وخفض الجناح والتجانب^(١)
همهُ أَنْ يتمَ ماجاءَ لنا (٢) من به من هداية ومَتَاب
فإذا تمَّ للرسالة ما ير جو فمادون ذاك مُحضٌ خِلاب^(٢).

وَيَمَّ الهدى ويعلو صداه ويعمَّ الإسلام كلَّ الرحاب
ويقول التاريخُ هذا الذي جمَّـل وجهَ الزمان بعد اكتئاب
فينيرُ الوجودَ بعد ظلام وتقرَّ الحياة بعد اضطراب
ويعمَّ السلام والحق والعدُّ ل وتُمحى فوارق الأنساب
فبنو الأرض في الحقوق سواء الرؤوسُ الشَّمَاءُ كالآذانب^(٣)
ليس لِلْبِعْرِقِيِّ فضل على الأعجم إلا بسميه لِلْمَلَبِ
وبغير التقوى العزيزُ ذليل وبها العبدُ مُستعزُّ الجناح

هكذا عاش سيدُّ الخلق طرًّا والألى بعده من الأصحاب

(١) الكائديه : الكائد : اسم فاعل من كاد بمعنى مكربه وخدع ، أو حاربه وأراده بسوء ، واسم الفاعل مضاف إلى الضمير من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله . وأصل التركيب : الكائدين له ، ، ومن ثمَّ فإنه لم يلحق آل بالمضاف إليه ، لأن المضاف وصف جمع ، وهذا جائز في اللغة العربية .

(٢) خلاب : خلاب .

(٣) الشَّاء : المرقعة المتكبَّرة .

عصموا دينهم وشادوا فسادوا وأناروا الطريق للأعقاب
 وخلفنا من بعدهم فهلّمنا ما أقاموا للمجد من أسباب
 وافترقنا إلى طوائف لا تحفل إلا بالغنم والأسلاب
 كلُّ حزب بما لديهم فريرٌ يالْقَوْمِ من كثرة الأحزاب
 داؤنا الداء والدواء لدينا في هدى المصطفى ونور الكتاب
 غير أنا بعنا الكرامة بالذلّ (م) فذُقنا المصاب بعد المصاب
 وإذا لم يراقب الله قوم جعل الله سعيهم في تَبَاب

* * *

إيه ياقلبُ والذنوبُ كبارُ والمنايا كثيرةُ الأسباب
 ضاعُ عمري يا حسرتاه عليه في فتوى وشقوى واضطرابي
 لم أقدمُ خيراً ولم أبغ وجه الله (م) فيما أنفقتَه من شبابي
 ليس في صفحتي من الخير إلا أملِي في رعاية الثَّوَاب
 غافرِ الذنبِ قابلِ التَّوبِ مَوْلى الـ

ففضلِ كهفِ المَخْرُوبِ والمُنْتَابِ^(١)
 مُلْهِمِ يومِ لارجاء رجائي حين أُعْطِى كما يشاء كتابي
 أنا إن كنتُ قد أسأتُ فلإني بَشَرٌ أصلُ خلقه من تراب
 ما اقترفتُ الذنوبَ إلَّا لجهلي ولحمقى وحيرتى واحتجابي

(١) المَروِب : من سلب ماله وترك بلا شيء . والمُنْتَاب : مَنْ أَصابه غُلبٌ أو فُتِلَ به نازلة .

ولأني أطعت نفسي وعظمت أمانى شيطانها الكذاب
ولقد عذتُ يافؤادُ فلا تأس على ما فقدته من طلاب
كل ما فاتنا متاعُ غرور فاصنع الباقيات قبل الذهاب
ولنا في الشفيع أقوى رجاء إن هوت كفتى لفقر ثوابي
طف بواديه في خشوع وذل وتمسح بأطهر الأعتاب
قل لخير الأنام حُبك حَسبي يا مناط الآمال يوم المآب^(١)
بك أرجو مع الوسيلة قربى من جناب أكرم به من جناب
كل من فيه أنبياء ومختارون قدماً من صفوة الأحباب
ويقينى بدى الجلال يقينى فهو سبحانه العليم بما بي

(١) المنطوق : موضع التعليق ، ويقال هو منى مناط الثريا : شديد البعد ، وفلان مناط الثريا : شريف على المترلة .

الصديق (١)

أملٌ لا يزال فوق المرام فهو وهمٌ كسائر الأوهام
شابت الأرض وانحنى كاهل الدهر وسرَّ الصديق طيَّ المعامى^(٢)
فهو مازال كالأساطير .. حلم حائر في الشفاء والأقلام
غير أن الخيال أسعد قوماً فأفاضوا في وصفه بالتسامي
والخيالات كالحياة .. حظوظ والأمانى وليدة الآلام !
وضحايا السراب والمثل العليا يضيعون في ضجيج الزحام ..
حدثوا أن من معانيه - لو كما ن - حنان الندى وطهر الغمام
وجمال الصباح تتلو عليه الطيبر ما ألهمته روح الظلام . !!
وانعطاف الفصون رنحها الشوق إلى دافق من النور .. هام^(٣)
ومراح العبير يفضى إلى الروض بأسرار قلبه المستهام
وانطلاق النسيم يحبو إلى الزهر حيَّ الخطأ عفيف الغرام

(١) قيلت هذه القصيدة في أحد أصدقائه الذين كان يوليهم عطفه كل الولاء ، ثم حدث بينه وبين هذا الصديق سوء تفاهم كما يحدث بين الأشقاء ، فانهم قصر المثاليات في نظره وارتمدت نظارة سوداء وقال لعبد المقتدر خطاب سأنظر إلى الحياة من خلال هذا المنظار حتى لا يرى هينى أحد .

(٢) الكاهل من الإنسان : ما بين كتفيه أو موصل العنق في الصلب ، ويقال فلان كاهل بنى فلان : مستخدمهم في المكنات ، وإنه لشديد الكاهل : متبع الجانب .

(٣) هام : اسم فاعل من هام بهم هيماً وهيماًنا : تحير واضطرب وذهب كل مذهب .

وصفاء الأصيل تنسجم الألوان في راحتيه أيّ انسجام
وجلّال اللجى ترقبه حتى ليُحسّ النماء في الأكمام
حدثوا أنّ من معانيه معنى جلّ هذا المعنى عن الأعظام
فهو إن أخلص الأخوة والحبّ (٢) سما عن أخوة الأرحام !!
وإذا حقق الوفاء تجلّت رحمة الله في قلوب الأنام !
صدقوا وصفه ولم يصدق الدهر مناهم فضاع سحر الكلام
وجرينا خلف السراب وعُدنا بعد حين بالأُمّيات رومى (١)
ذهب الصديق والصديق فدُنّيا لنا (٢) يس دُنّيا الذُّباب والأغنام
كم صديق محضته الودّ صرفا كان أقسى على من أيّامى
وصديق سقيته من حناني فسقاني ككؤوس عيش زوام
وصديق جعلت نفسى فداه ذائداً عن حياضه بسهامى
ثم مال الزمان يوماً بحظّى فلذّاه في الرّوع أوّل رام .. !!
وصديق حميته من ضياع فبنى صرح مجده بحطامى !
وصديق جعلت أهلى له أهلاً وعطى لأهله وسلامى
وجعلت الوجود جنة قلبين يعيشان في ظلال الوثام . !
فحياتي حياته في المعاني الآدميّات والوجود السّامى !

(١) رومى : جمع رامة ، وهى موضع بالبادية ، وقد يُتّونه باعتبار طريقه ، وفي المثل :
و تسألني برامتين سكتجما ، يضرب لمن يطلب الشيء حيث لا يوجد ، ولكن الشاعر تصرّف فيه أكثر
من تثنيتة فجمعه جمع تكسیر .

كان بيتي مقامه .. ومتاعى فى يديه .. وزأده من طعامى
 لم أخنه بالغيب .. بل خنتُ نفسى وهلمتُ البناء قبل التمام . !
 حين أطلعتهُ على كل سرٍّ غاب إلا عن ربِّى العلام !
 كان يرضى فتستحيل حياتى فرحة عبقرية الأنغام !
 فإذا ما بكى .. فى ذمة النسيانِ أحلى الأفكار والأحلام
 ثم ولَّى .. فلا تسَلْ كيف ولَّى وسَلْ الدهرَ عن ضحايا اللثام
 وإذا ما سألتنى .. مَنْ صديقى بعد طول التجريب والإحكام
 فهو من لم أطعمه زادى ولم أُلْبِسْهُ ثوبى ولم أُقاسمه جامى^(١)
 وهو من لم أبخه سرى ولم أعلمه أمرى فى ثورقى ونظامى
 وهو من لم أبه حبي ولم أسكنه قايى .. ولم أعِرْه اهتمامى
 وهو حلم .. كهذه الأحلام وهو وهم .. كسائر الأوهام
 شابت الأرض .. وانحنى كاهل الدهر وسرُّ الصديق طيَّ المعامى
 وستفى الدنيا .. وتجرى النهايا ت .. وتطوى صحائف الأيام
 وهو مازال كالأساطير . لفظ حائر فى الشفاء والأقلام
 والأحاديث عن وجود صديق كالأحاديث عن وجود السلام

١٩٤٩/٣/٥

(١) جامى : كاسى .

ابن عمى^(١)

ابن عمى مات ... فامضوا بي إلى قبر ابن عمى
ودعوا همى فقد ودَّعتُ منذ اليوم همى
غير ماجدٍ من الموت الذى آذن قسومى
فرماهم ورماني .. ومضى .. ماشاء يرمى

* * *

ابن عمى مات .. ما بين صباح .. ومساء
مات والأحلام تجلوه .. كما يهوى هواه
مات .. والنعمة والقوة فيه .. والحياء
فدعوني من هوى الدنيا .. وعزوا من نعاها

* * *

أهبها الخلان .. والراحة .. والموت .. هنا
أين من كان يرانا ونراه معنا
أين من كان يحاكي نضرة الدنيا لنا
غيبَ الثرب سنياه وهو فى أعيننا

* * *

(١) صُدفت الشرنوبى كان من جلساء الشاعر وكان يؤثّر الشاعر بحبه وإخلاصه .

أَيُّهَا الرَّاحِلُ والغِبْرَاءُ قَبْرُ .. فوق قَبْرِ
أَيُّهَا السَّاكِنُ .. والوَكْبُ بِالْأَقْدَارِ يَجْرِي
أَذِنِي مِنْكَ .. عَلَى قَرَبِكَ مِنْ سُرِّي وَجْهِي
أَذِنِي مِنْكَ .. فَمَا أَذْرِي .. بِمَا أَصْبَحْتُ تَدْرِي

* * *

أَذِنِي مِنْكَ قَلِيلًا وَادُّنُ مِنْ رُوحِي قَلِيلًا
إِنْ لِي فِيكَ رَجَاءٌ وَرَجَائِي أَنْ يَطُولا
فَلَقَدْ صَاحَبْتُ - مُذْ فَارَقْتَنِي - الصَّبْرَ الْجَمِيلًا
وَبَقَلْبِي مِنْ تَبَارِيحِكَ نَارٌ لَنْ تَحُولَا^(١)

* * *

أَيُّهَا الرَّاحِلُ .. مَاذَا بَعْدَ فَقْدَانِ الْحَيَاةِ
مَا الَّذِي بَعْدَ انْتِخَائِي يَعْلَمُ اللَّهُ مَدَاهُ^(٢)
بَعْدَ أَنْ يَجْرَى قَضَاءُ شَاءَ أَنْ يَجْرَى الْإِلَهَ
حَارَ فِيهِ كُلُّ مَنْ دَبَّتْ عَلَى الْأَرْضِ خُطَاهُ

* * *

بَعْدَ أَنْ يَطْبُقَ جَفْنِي وَتَرَى الظُّلْمَةَ عَيْنِي
ظُلْمَةُ الْمَوْتِ الَّذِي مَازَقْتَنِيهِ إِلَّا بِظُنِّ

(١) التَّبَارِيحُ : الشَّدَائِدُ ، وَتَبَارِيحُ الشَّمْسِ : تَوَجُّعُ .

(٢) انْتِخَائِي : خُرُوجِي وَتَحَرُّيْ مِنَ الدُّنْيَا .

ظلمةُ الفقْد الذي ييأسُ فيه المُتمنى
ظلمةُ البين عن الدنيا .. وعن نفسى .. وعننى

* * *

ما الذي بعد انعتاقى وزوالى عن رفاقى
أين أمضى ؟ وإلى أين ؟ .. وقد فُكَّ وثاقى
سيصلُّون على روحى .. ويبكون فراقى
ويقولون إلى الله .. شبابًا فى البواقى

* * *

سيقولون إلى الله .. شبابًا وكهولا
ويبكون كثيرًا ظننه الناس قايلا
شاعراً عاش .. ولم يصنع بما قال جميلا
غير أن يرى ما كان .. ويرجو المستحيلا

* * *

شاعرا عاش كما شاء الذى الأقدار أمره
والذى يلفظ بالعبد .. فما يُغلب صبره
والذى لاشيء إلا عنده يطلب سره
والذى الرحمة من أوصافه .. والقهر قهره

أيها الرَّاحِل - والدنيا بما فيها .. تهون
حينما أذكر .. ما تصنع بالناس المنون
الرَّحَى الشَّمْطَاء .. لا تفتأ تجريها السنون
والبرايا بين شديها .. قلوب .. وعيـون

* * *

شغلتنى عنك أحزاني .. فلم أشهد سواك
ورأى وجهك أهلونا .. ومولاك يـراك
وجرى نعيك فيهم وتولتكَ البـسواك
وأنا أجهل ما تخفيه من حرٍّ أساك

* * *

ذقتُ في موتك ماذقت .. وما زلت صبوراً
وأرى نعيك أعماني .. وقد كنت بصيراً
وبعادي عنك أنساني .. وقد كنت ذكوراً
غير أن أبكى منَعاك .. وأستوحى القبورا

* * *

طبت في مَنَواك ما شاء الرحيم المستعان
وعلى دارك غفران .. ونور .. وأمان
وعلى أكبادنا بعدك .. سلوان الزمان
أيها الخالد .. لا تغنى لمعناه .. معسان

يا قلمي

أَصَامْتُ أَنْتَ أَمْ نَشْوَانُ يَا قَلْمِي ؟
أَمْ أَخْرَسَتْكَ اللَّيَالِي السَّافِحَاتُ دَمِي؟^(١)
أَمْ غِيضَ نَبْعُ الْأَمَانِي الْحُورِ فَانْطَمَسَتْ
آيَاتُ نُورِكَ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلُمِ ؟^(٢)
أَمْ وَدَّعَ الْخَافِقُ الْمُسْكِينَ صَبُوتَهُ
فَنَامَ عَنْ دَهْرِهِ .. وَالْدَهْرُ لَمْ يَنْمِ ؟
أَمْ أَنَّ عَهْدِي بِأَحْلَامِ الشَّبَابِ مَضَى
وَكُنْتُ تَرْجُو شِبَابِي دَائِمَ الْحُلُمِ ؟
وَأَيَّ حَالٍ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةٌ ؟
أَمْ أَيَّْ عَهْدِ شِبَابٍ غَيْرِ مَنْصَرَمِ ؟
أَفْدَيْكَ مَا دَارَ فِي وَهْمِي وَلَا خُلْدِي
أَنَّى سَأَلْتُكَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالنَّدَمِ ؟

(١) السَّافِحَاتُ : جمع سافحة وهي التي تسفل وتُريق الدم أو الدمع من سفح الدم أو الدمع
يسفح سَفْحًا وسَفُوحًا: سَفَكَه وَأَرَاقَهُ .

(٢) غِيضَ نَبْعِ الْأَمَانِي : أي اخنق وامتنع . الحُورُ : جمع حَوْرَاءَ ، وهي البيضاء من
النساء ولا يُقصد بذلك حَوْرَ عَيْنِهَا .

بالأمس كنت مشير النقع في بلد
 ألقى إلى الزمن الباغي يد السلم
 واليوم لاذاقت الأقلام ما برحت
 تسقيك دنياك من حزن ومن يم

* * *

كم ليلة يا شهيد الصمت حاملة
 رصعتها بالدرارى البيض من كل^(١)ى ؟
 ... حاكى صريرك فيها كل ما سمعت
 أذن الحياة من الأصوات والنغم^(٢)
 حكيت شذو القمارى فى تهجدها
 تببت تبعث نجواها مع النسم^(٣)
 ولوعة البلبل المهجور ألبسه
 بعد الأحبة أثواباً من السقم
 صحبتنى فى زمان ملّ صاحبه
 فما تغير ما أحببت من شيمى
 صحبتنى فى غرامى والهوى قسم
 وما جبانى إلا أيسر القسم

(١) الدرارى : جمع درى ، وهو الكوكب المتدفع فى مضية من المشرق إلى المغرب .

(٢) الصرير : الطنين .

(٣) القمارى : جمع قمرى ، والأثنى قمرية ، وهو ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت . ويجمع كذلك على قمر .

فكنْتَ صاحبَ سرِّي في رِضا وِقْلي
 وأقربَ الناسِ عن شكواي في صمم
 أشكو إليك فتصفي لي .. وتكتب ما
 أُملي عليك أمينًا غيرَ مُتهم
 وكنْتَ لي في صراعِ الدهر مُعْتَمِدًا
 في حالة الوُفر أو في حالة العدم
 لم تَبْغِ أجراً على الحالين من أحد ..
 ولا خشيت الأذى من ظالمٍ غشم
 وكم رسمت لأخلاق الوري صورًا
 مزجت ألوانها بالماء والضرم
 والناس لولا سجاياهم سواسية
 وأكرم الناس أوفى الناس بالنعم
 فما سيئتَ وقد شاركتني مِحنِي
 ولا برمتَ وقد قاسمتني ألمي
 وكم أخى رحمٍ أنسته شهوته
 ما قالت الكتب والأخلاق في الرحم

* * *

يا صاحب الأَمْس .. ما للأَمْس مُرتَجِعُ
 والذكريات تعيد الروح في الرَّمم

والأمس عمرى .. فيومى لم يرم .. وغد
 غيب .. وتأميله ضرب من الوهم^(١)
 وميل قلبي أمان مهدها نصر
 زغب الحواصل لم تنهض ولم تقم
 وأنت قد تذكر الماضى .. وما وأدت
 كفاه من أمل غال ومن هم
 وقد نقول احترقنا لهفة وأسى
 ولم يعد ما طوته راحة العدم !
 رحماك رحماك .. لولا برح عاصفة
 من الحنين إلى دنياك لم أهم !!^(٢)
 ولى مع الفن ميثاق بدأت به
 عمرى .. وأعطته روى أعظم القسم
 أخلصت للفن حتى خائى زمنى
 فكيف أنساه والميثاق ملء فمى
 عوداً إلى التوح يا صدأح .. منطلقاً
 واسلك طريق العلا .. إن العلا حامى
 قد عشيت فى السّفح حتى ضيّقت بي وبه
 فما وراءك إلا شامخ القمم !!

١٩٤٩/٤/٢٧

(١) التأمل : الرقب والرجاء .

(٢) البرح : الشدة . والعلاب الشديد . ويقال « لقي منه بنات برح » : الشدائد والدواهي ،
 والبرح : الأمر المدهش المصعب .



١٩٥٠ - ١٩٤٩

أنا في شعري

أنا في شعري .. وشعري قصّتي لست في جسمي .. ولا في رسمه
بين كفّيك وجودي خافقا وفؤادي .. غارقا في دمه :!
ويح لي منه .. ويا ويح له ولمن يسبح في عَيْلِهِ^(١) !
ربّما أحزنني في فرحتي وشدّتُ اللحن في مأْتَمِهِ !!

(١) العَيْلُ : البحر . والبئر الغزيرة الماء ، ج عَيْال .

اليها (١)

« إلى التي لا أزال أغمرها بجي وهيامي
وأشواقى . . إلى تلك التي لا أدرى متى
أراها .. والتي يجتبل إلى أحباتنا أنها تخاطبني ..
وتصلني وتهجرني . . وتكتب إلى ...
أنا في يدك صحيفة
بيضاء فاكتب ما بدا لك ...
وأكتب إليها ... »

أخت أحلامي اللوهاب ... مرحى
بخيالاتك التي في خطابك (٢)

حدثيني وأكثرى .. واعلذريني
إن نأت بي الأحداث عن محرابك

حدثيني عن كل شيء سوى الحب .. فلإني أصبحت أكره ذكره
واسأليني عن كل شيء سوى الحب .. فلإني أصبحت أجهل أمره

حدثيني ولا نظني بي الظن .. فما زال لي فؤاد يحن
لاتقنولي إني فقير إلى الحب .. فذكره في فؤادي تشن

(١) تمثل هذه القصيدة شفافية الحب وروحانيته وتخلّصه من النوازع الأرضية .
(٢) مَرَحَى : جمع مَرَح ، وهو اشتداد الفرح والنشاط ، أو التبخر والاختيال . ومَرَحَى :
كلمة تعجب تُقال للرأى إذا أصاب .

أنا كالناس غير أنني عرفت الحبَّ معنى من السماء عليا
وهمو يعرفونه . . شهواتٍ ووجودًا مُدَنِّسًا أرضيًا

حدَّثيني عن كلِّ شيءٍ سوى الحبِّ فلإني لم ألق في الناس حُبًّا .
وإذا شئتُ أن نكون حبيبي . . فلا تجعلى شبابك ربًّا .

اعبدي فكرة من النور ... عليا
تستثير الخيال والوجدانا
نحن لم نأت للحياة لنفنى
ثم تفنى من بعدنا ذكرانا

نحن جئنا لنعبد الله في الكو . . وليست عبادة الله إلهوا
إنها أن نذوب في كل معنى من معاني الوجود . . يخلق صفواً

دُونَك الغانيات في كلِّ أرض
فانظري . . كيف عِشْنَ للشهوات؟^(١)

(١) الغانيات : والفَوَّانِي : جمع غانية . وهي مؤنث الغاني . وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها
عن الزينة .

والرجال الرجال .. أعمام الطي
ن فتاهوا في عالم الظلمات

وإذا شئت أن تكوني ابنة الطي .. فلا تطفئ سراج وجودي
وإذا شئت أن تكوني كما أم .. فغنى معي نشيد الخلود

هاهنا . هاهنا حياة المعاني
ظهرت من حقارة الإنسان
هذه أمنا الطبيعية لم يطلق سواها من القيود كياني^(١)

هاهنا انعبد الإلهي منذ كما
ن وكُنَّا .. في عالم الأسرار
تخضع النفس في حماه .. وتحلو
سبحات الأرواح والأفكار

كلُّ شيء هنا يمثل جزءاً
من كيان الخليقة اللانهائي^(٢)

(١) الكيان : الطبيعة والخليقة .

(٢) اللانهائي : غير المنتهي .

هذه الحبة الضئيلة تروى

قصة السديانة السماء !^(١)

والفرّاش الوديع في جرمه الوّا

هِن كالتسر في رحاب الفضاء^(٢)

ووراء الأشياء .. روح تُلبّي

رغبات الحياة .. في الأشياء

حلوّة هذه الطّبيعة كالحلّ

م .. إلهيّة كطفل جميل

كل حين .. تجلّي بثوب جديد

من أعاجيب فنّها مغزول

كلّما جثتها وعندي سؤال

جاءني حسنّها بألف جواب

(١) السديانة السماء : السديانة : شجرة من شجر الأحراج ، غليظ الساق . متين الخشب .
السماء : المرقعة المتكبرة .

(٢) جرمه الواهن : الجرم : الجسد ، ج أجرام . جروم ، وجروم ، وجرم الصوت : جهارته .
الواهن : الضعيف .

وإذا ضقتُ ساعةً بمصائب
فلديها تفريجٌ هذا المصاب

فدعى الناسَ يحلموا بالأعاصيرِ
ر .. وحييَّ معي حياةَ السكون
وتعالى .. فبادليني صفاتي
وعن الصَّبر والرِّضا حدثيني

حدثيني عن كلِّ شيءٍ سوى الحبِّ (٢) فإنِّي لم ألقِ في الناسِ حُبًّا
وإذا شئتُ أنْ نعيشَ سعيدين .. فلا تجعلِي شهابك رُبًّا

صلاة الشمس

سَبِّحْهُ يَا شَمْسُ بِاسْمِ الْخَالِقِ وَاسْكِبِي نُورَكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَإِذَا قَبِلْتَ وَجْهَ الْمَشْرِقِ فَاقْرَأِي لِلنَّيْلِ تَارِيخَ الزَّمَانِ

هَاهُنَا يَا شَمْسُ مَجْدٌ لَمْ يَزَلْ صَوْتُهُ يَحُلُّ أَسْمَاعَ اللَّيَالِي
أَيَقْظُ الدُّنْيَا صَدَاهُ فِي الْأَزَلِ وَلَهُ عَاشَ الْقُرَاعِينَ الْأَوَّلِي (١)
نَيْلُنَا بَارِكِ اللَّهُ عِلَاهُ وَرِعَاهُ
مَجْدُنَا سَارَ فِي أَنْوَارِهِ رَكْبُ الْحَيَاهِ
سَاحِرُ الْأَصْوَاءِ زَاهِي الْأَفَقِ يَتَغَنَّى بِاسْمِهِ كُلُّ لِسَانٍ

حَدَّثَنِي النَّيْلُ الْمَجِيدُ الْأَعْظَمُ مَسْرَحَ الدَّهْرِ وَمَحْرَابَ الْخُلُودِ

(١) القراعين : جمع فرعون . وهو ملك مصر في التاريخ القديم .

الأول ، والأوائل ، والأولون : جمع الأوك . ومؤنثه أولى . ج : أوك . وأوليات . ضد الآخر . وإذا جعلت الأول صفة لا تصرفه فتقول لقيته عاماً أوك . وإذا لم تجعله صفة صرفته فتقول : مارأيت أنه أولا ولا آخرأ .

واسأل مصرَ وناجي الهرما	آية العايباء في سفر الوجود
حدثيها	كيف صلى الدهر في محرابها
واسألها	كم شدا المجد على أبوابها
كلّ لحنٍ بالأمانى خافق	ودّ لو دام صدهاء الخافقان ^(١)

حدثني يا شمس عن تاريخنا	مذُ شهدت الدهر طفلا وغلاما
كم شعوب قبست من نورنا	فكسوناها خلودا وسلاما
كلُّ مجدٍ	لمحة من مجدنا العالى التليد
كلُّ خالدٍ	نفحة من خلدنا السامى المجيد
كلّ تاريخ عظيم مشرق	قد وعاه ورواه الهرمان

(١) الخافق : المتحرك المضطرب . من خفق يخفق بمعنى اضطرب وتحرك . والخافقان : المشرق والمغرب . لأن الليل والنهار يخفقان فيهما .

خمسة وعشرون عاماً

٢٦ مايو سنة ١٩٢٤ ء

٢٦ مايو سنة ١٩٤٩ ء

خمسٌ وعشرون عاماً مرّت سَحَاباً جَهَاماً^(١)
 فما زرعنَ صفاءً ولا حصذنَ سلاماً
 وما زرعنَ سوى اليأسِ ناضراً بَسَاماً^(٢)
 ولا حصذنَ سوى العمرِ أنجماً تترامى^(٣)
 يدور رأسي إذا ما حسبتها أيّاماً !
 وأفقد العقل إمّا حسبتها أحلاماً
 مشيتُ فيها على الشوّك لا أملٌ اعتزّاماً
 أكافحُ الحقدَ .. والحقَّ قسدين .. والأوهاماً
 واليأسَ .. والبؤسَ .. والهَمَّ .. والآسى .. والأناماً
 وأجبتُهُ الدهرَ فرداً ذا مرّة .. مقداماً^(٤)
 أسقى المنايا منايًا من همّي .. وبساماً^(٥)

(١) الجَهَامُ : السَّحَابُ لا ماء فيه .

(٢) النَّاصِرُ : الحَسَنُ المَشْرِقُ ذو البريق الصَّافِي .

(٣) الأَنجَمُ : والنَّجْمُ ، والنُّجُومُ : جمع نَجْمٍ أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها ..

(٤) التَّجَبُّرَةُ : القوَّة ، والعقل أو شدَّته ، والأصالة والإحكام ، ج : مِرَرٌ ، وأَسْرَارٌ .

(٥) السَّامُ ، السُّومُ : جمع سُمٍّ ، كُلُّ مادَّة سامّة ..

وَكَلَّمَا رَاثَ دَهْرَى سَهْمَا .. بَرِيتِ سَهْمَا
وَكَلَّمَا اعْوَجَّ رَمْحِي قَوِّمْتَهُ .. فَاسْتَقَامَا
لَا يَعْرِفُ الْخَوْفَ قَلْبِي وَلَا أَهَابَ انْهَزَامَا
وَلَا أَبَالِي جَرَى الْحِظِّ (م) مُدْبِرًا أَمْ أَقَامَا
مَادَامَ عَزَمِي جَلِيدًا عَلَى الزَّمَانِ .. هَمَامَا ^(١)
وَمِلْتُ ثَوْبِي مِنَ الصَّيْدِ أَرْوَعُ .. لَا يُسَامَى ^(٢)
حَلَبْتُ دَهْرِي وَحَظِي فَمَا بَلَلْتُ أَوَامَا ^(٣)
وَلَا اصْطَنَعْتُ خُلُودًا وَلَا ادَّخَرْتُ حَطَامَا

خَمْسَ وَعِشْرُونَ عَامَا ذَابَتْ جَوَى وَسَقَامَا ^(٤)
تَهَوَّى عَلَى أُمِّ رَأْسِي حِجَارَةً وَرِجَامَا ^(٥)
كَأَنَّمَا تَرَجُّمُ النَّوَى رَفِيهِ .. وَالْأَنْفَامَا
وَتَنَاطَلِي فِي حَيَاتِي سَحَابًا تَفِيضُ ضَرَامَا ^(٦)
لَمْ أَذَرِ فِيمَ تَوَلَّتْ وَكَيْفَمَا ... وَإِلَى مَا

(١) جَلِيدٌ : قَوِيٌّ صَابِرٌ عَلَى الْمَكْرُوهِ ..

(٢) الْأَرْوَعُ : الذَّكِيُّ الْفَرَادُ الْمَعْجِبُ بِحُسْنِهِ وَشَجَاعَتِهِ ، ج : رَوْعٌ .

(٣) الْأَوَامُ : حَرَارَةُ الْعَطَشِ ، يُقَالُ فِي جَوْفِهِ أَوَامٌ وَأَوَارٌ .. وَالْأَوَامُ كَذَلِكَ : الدُّوَارُ .

(٤) الْجَوَى : ضَيْقُ الصَّدْرِ مِنْ دَاءٍ لَا يَكَادُ يُبَيِّنُ عَنْهُ اللِّسَانُ ، وَهُوَ أَيْضًا اشْتِدَادُ الْوَجْدِ مِنَ الْعُشْقِ أَوْ الْحُزَنِ ..

(٥) الرِّجَامُ : جَمْعُ رَجْمَةٍ ، وَهِيَ حِجَارَةٌ تَنْصَبُ عَلَى الْقَبْرِ .

(٦) تَنَاطَلَى : تَلْتَهَبُ وَتَتَوَقَّدُ ، وَالضَّرَامُ : الْإِثْمَادُ وَالْإِشْتِمَالُ .

وسوف أبلغ حيني كما بلغت الفطاما^(١)
والجهلُ آخر علمي وإن دُعيتُ الإماما

سُمتُ ذاني وظلّي وصَبَوْتِي.. والغراما^(٢)
وصار أقصى أمانِي^(٣) أن أذوق الجِماما^(٣)
وبات عيْثي على الأر ض مخنةً وغراما
سُمت حتى التمني! والدمع والابتساما
والأرض والساكينها والأفق.. والأجراما
والحسن والعاشقيه والزهر.. والأنساما
والشعر.. والفكر.. والفن... والهوى والهياما
والليل يشبه حظّي والنور يحكي الظلاما
فلست أطلب شيئاً مهما دنا.. أو تسامى
وما أريد حلالاً من المني.. أو حراما
حسبي وفوق مُرادى ألا أطيل المُقاما
وأن أرى لحياتي نهايةً.. وختاماً

ياربّ لازلت حيّاً أصرار الأيما
أطفو على السطح.. ظلاً من السكون مقاما

(١) الحين : الملاك ..

(٢) الصبوة : الليل للهوى ، أو الحنين والتشوق إلى الحبيب . ج : صبوات ..

(٣) الحمام : الموت ..

وَأَسْكُنُ الْقَاعَ رَوْحًا مَعْدَبًا مُسْتَهَامًا^(١)
لَا يَرْحَمُ السُّطْحَ ضَعْفَى وَلَا يَقِينِي انْحِطَامًا^(٢)
وَلَا أَرَى لِي فِي الْقَا عَ مَضْجَعًا .. أَوْ مَنَامًا^(٣)
وَلِي مِنَ الْأَرْضِ قَبْرٌ سَيَحْتَوِينِي رِمَامًا^(٤)
لَا بَدَّ مِنْهُ .. وَإِنْ طَا لِي فِي الْمَقَامِ وَدَامَا
يَا رَبِّ .. فَاغْضُ عَنِّي شِقْوَى وَهَبْنِي السَّلَامَا
وَفِي يَدَيْكَ زِمَامِي فَلَا تَمُدَّ الزِّمَامَا .. !!^(٥)

وَيَارْفَاقَ حَيَاتِي وَصَفْوَتِي .. وَالنَّدَامِي
دَنَا الرَّحِيلَ .. فَلَا تَقْ طَعُوا لِعَهْدِي ذِمَامَا^(٦)
وَلِنْ جَزَعْتِ .. فَلَا تُنْ رَفُوا عَلَيَّ مَلَامًا^(٧)
وَلِنْ مَضَيْتُ فَلَا تَنْ رَفُوا الدَّمْعَ السَّجَامَا^(٨)
خُفُّوا إِلَى حِمْلِ نَعْثِي وَأَلْبِسُونِي الْقِتَامَا
وَأَشْبِعُونِي وَدَاعَا وَحَطِّمُوا الْأَقْلَامَا

(١) مُسْتَهَامًا : هَانَمًا .

(٢) انْحِطَامًا : تَكْسُرًا وَنَهْشًا ..

(٣) الْمَضْجَعُ : مَوْضِعُ النَّجْوَى ، وَالْفُجْجُوعُ : وَضْعُ الْجَنْبِ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ نَحْوَهَا .

(٤) الرِّمَامُ : جَمْعُ رِمَّةٍ . وَهِيَ الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ .

(٥) الزِّمَامُ : الْخَيْطُ الَّذِي يَشْدُقُ الْبُرَّةَ أَوْ فِي الْحَشَاشِ ثُمَّ يَشْدُقُ إِلَى طَرَفِ الْقَوْدِ ، ج : أَزِمَةٌ ..

(٦) الذِّمَامُ : الْعَهْدُ وَالْأَمَانُ وَالْكَفَالَةُ ، وَالْحَقُّ وَالْحُرْمَةُ ، ج : أَذِمَّةٌ ..

(٧) الْمَلَامُ : الْعَذْلُ وَالْعَنْبُ ، ج : مَلَاوِمٌ ..

(٨) السَّجَامُ : الْكَبِيرُ ..

وتَوَجُّوا بِالْأَقْصَا حَى جَبَانَتِي .. وَالْخُرَامِي^(١)
وَأَسْتَغْفِرُوا لِي فَيَا طَالَمَا اقْتَرَفْتُ الْأَثَامَا
وَلَمْ أَرَاقِبْ لَجَهْلِي الْوَاحِدَ الْعَلَامَا

فَإِنْ مَرَرْتُمْ بِقَبْرِى مُسْلِمِينَ لِمَا مَا^(٢)
فَلَمْ أَحْيِي صَدِيقَا وَلَمْ أَرَدْ سَلَامَا
فَلَا تَقُولُوا طَوَاهِ الْبَلَى رَحِيقَا وَجَامَا
فَرَبَّمَا كَانَ مَوْتِي بَعَثَا .. وَصَمْتِي كَلَامَا
وَرَبَّمَا صَارَ جَسْمِي تَحْتَ الرَّغَامِ رَغَامَا^(٣)
وَذَبْتُ فِي الطَّيْنِ طِينَا فَمَا أُرِيدُ انْقِسَامَا
وَلِإِنَّا جَعَلْتُ الدِّيَابِجِي كَأَسَا .. وَصَمْتِي مَدَامَا
فَلَا تُثِيرُوا ظَنُونَا وَلَا تُدِيرُوا أَتْهَامَا
وَوَدَّعَوْنِي خَفَافَا كَمَا أَنْتِمْ .. كَرَامَا
وَلَا تُزِيدُوا زَحَامَ الْقُبُورِ حَوْلِي زَحَامَا
وَلَا تَقُولُوا فَقَدْنَا هُ فِي الْخُطُوبِ حَسَامَا
أَوَمَات .. لَمْ يَقْضِ حَقًّا وَلَمْ يَبْلُغْ مَرَامَا
فَحَسْبُ حَى شَقَاءَ خَمْسَ وَعِشْرُونَ عَامَا

(١) الْخُرَامِي : عَشْبَةُ طَوِيلَةُ الْعِيدَانِ ، طَبِيبَةُ الرِّيحِ ، فِيهَا نَوْرٌ كَنُورِ الْبَنْسَجِ ، وَلَيْسَ فِي الزُّهْرِ
أَطِيبٌ رِيحًا مِنْهُ ..

(٢) التَّلَام : الْقَتْلُ الْيَسِيرُ .

(٣) الرَّغَام : التَّرَاب ..

حياتي (١)

الحمد لله على ما قضى والشكر لله على ما أمر
فما أظنَّ الأرض تحوى فتي وجوده قد كان لإحدى الكُبر
مثل فتي يدعونه شاعرا وما بغير الموت يوماً شعر
حياته ليلٌ دميمٌ الروى مروّع الأشباح .. كابي الصُّور^(٢)
تفترس الأحداث آماله وترتوى من دمها المنهمر
أحمق منه وهو يبنى المني تلك المني إذ تتحدّى القدر

* * *

أتى فلم يفرح بميلاده إلا نديماء الأسي والفكر
حيران لا يعرف عن نفسه إلا كما يعرف هذا الحجر
يبكى بلا دمع وفي قلبه ما يُغرق الدنيا إذا ما انفجر
وربما زان له ضعفه أن يشتكي آلامه للبشر
لكنه يخشى مواساتهم في محنة .. الصبر فيها انتحر
فينطوى .. والله أدري بما يشور في بركانه من شر
لا يعرف الصبر .. ولكنه لما رأى طول الظلام اصطبّر

(١) « تمثل هذه القصيدة هدنة نفسية في أحضان الإيمان » .

(٢) دميم الروى : قبيح الروى ، ج : ديمام . كابي الصور : أى متغير الصور من غيظ أو ظلام في الرؤية .

بين أمانيه .. وبين الردى عهد قديم العهد .. باقى الأثر
فكلما رفَّ على أفقه ضياؤها .. عاجله فاندثر
وكل يوم منذ من عمره مقبرة فى صحراء العمر^(١)
أجدائها الملقاة فى جوفها أحلامه المحترقات الزهر^(٢)
وكل حين عنده مأتم لميت فى قلبه يُحتَضَرُ
يمضى كما يأتى .. فلا نأمة يبكى لها أو نغمة تُذكر^(٣)

* * *

يهفو إلى النسيان فى عالم ليس من الأحزان فيه مفر
أخلاقه البيضاء .. ميراثه عن الكرام الوالدين الغرر
فهى الثراء الضخم إن فاقة حلت به ... ومجلده إن فخر
وفى حنايا صدره خافق دقاته لثائرة لا تقـر
تدق باب القبر مجنونة وتؤذن الثاوى بقرب السفر

* * *

كم عاش للناس بأحلامه وآب .. لم يحمد .. ولم يفتكر
يرثى لكل الناس فى حزنهم ويحتفى بغيرهم إن عـبر
حتى غدا فى موجهم ذائبا كأنه سمع لهم أو بصر

(١) كلما فى الأصل وعجز البيت يوجد فيه خلل عروضى وصحته صحيحه ..

(٢) الأجداث : جمع جدت ، وهو القبر .

(٣) النأمة : الصوت الضعيف أيا كان .

لكنهم والطين معبودهم وأهمهم أم الخنا والدُّفَر^(١)
هدؤا عليه ما بناه لهم ولم يراعوا قلبه المنكسر
هذا يهوذا الذي باعته وذلك بيلاطسه المحتقر^(٢)

* * *

في عمره حقل فسيح المدى لم يدر ساقيه ولا من بذر
حقل من الأوهام تنمو به أشجارها مختلفات الثمر
الموت في زقومها كامنٌ والجنة الحمراء فيها سقر^(٣)

* * *

نهاره قزمٌ سريع الخطى معذب الآصال داجي البُكر^(٤)
والليل وحشٌ فوقه جائم مُشوّه الخلقه دامي الظُّفَر
يظل يسقيه بلا رحمة ويقرع الكأس له إن فتر
فإن غفا .. مدّ له مسرحا حلوده فوق مرامي النظر
تمثل الأحلام في سجنه رواية الماضي الذي قد غبر
رواية الماضي .. وفي بعثها بعثٌ لتاريخ الأسي والسهر

* * *

(١) أم الخنا والدُّفَر : الدنيا الداهية ذات الآفات والتواب .

(٢) يهوذا المكابي : قائد يهودي حارب قواد انطوخيوخس ، طهر بيت المقدس ، قتل في الحرب (١٦٠ ق م) . بيلاطس : حاكم اليهودية (٢٦-٣٦) أسلم المسيح للموت وغسل يديه قائلا : وأنا برى من دم هذا الصديق ..

(٣) الزقوم : شجرة مرّة كريهة الرائحة في جهنم ثمرها طعام أهل النار ، والزقوم أيضا : كل طعام يتنحل ..

(٤) القزم : الضئيل الجسم القصير القامة (لواحد وغيره مذكرا أو مؤنثا) ، ج : أقزام .. والآصال : والأصل والأصلان ، والأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت حين تصفر الشمس لمغربها .

وعاودته الذكريات النكر
معطل المجتاف لا يستقر
معربد الأمواج .. طاغ .. عكر
وهو لها مستسلم لم يثر
بالسطح .. لا يدفع عنه الخطر
شارفت منجاة .. هوى وأنحدر^(١)
صاحت به الأعماق .. لا تنتظر

قال وقد ضاقت به نفسه
رباه هذا زورق حائر
كان هذا البحر في جوفه
ظلت رياح الدمر تلهو به
لا يباغ القاع .. وإيمانه
أرثى لنفسى .. وله .. كلما
وكلما حن إلى شاطئه

* * *

عبدك .. فاصفح إن لساني عشر
فقد وجدت اليأس عين الظفر
يتيمة عذراء .. مثل الدرر^(٢)
ما تلهم الشمس . ويوحى القمر
أستغفر الله .. وأشكو القدر
محطّم السود .. عيى الوتر
فم النصيح القدم .. إنا هدر^(٣)
ماذا ترجى في الغد المنتظر
ويسحق الوهم .. ويفنى الضجر
والشكر لله على ما أمره

رباه .. هذا أنا في زورق
أفرغت كأسى .. من رحيق المني
كانت لنفسى مثل غيرة .. منى
أفنيّت عمري .. أتغنى لها
حتى جرى ما أنت أذرى به
فعدت والحسرة في أضلعي
ألتهم اليأس .. وأحشوبه
وكلما ساعطني صاحب
أقول ما يرضيك يا خالقي
« الحمد لله على ما قضى

(١) السَّجَاة : النجاة ، وهى التخلص من الأذى ، يقال . هو بمنجاة من كذا ، أى بموضع

نجاة ، ج : سَجَاة .

(٢) الدرر : جمع درّ ، وهو اللؤلؤ العظيم الكبير ، والواحدة درّة ..

(٣) القدم : الثقيل الفهم النحى ..

روحانيات

« سبحانك »

« ١ »

تعاليتَ .. لا مولى سواك .. خلقتنى
ولم أك شيئا قبل بدء وجودى
وأشهدتنى ما كان عني خافيا
وربَّ شهيدٍ العَيْن غير شهيد
تُعرفنى آيات كونك أننى
قديم .. فكونى فيه غير جديد
فمعنى وجودى فى معانى وجودها
كمعنى نشيدى فى كلام نشيدى
وإن كان سرِّى فى الحقيقة مُبدعا
فسرِّى فى الأكوان قبل شهودى
تعاليت .. ألبست المعانى مظاهرا
تشير إلى نور .. هناك .. بعيد
وراء حدود الغيب .. تهى فيوضه
على خافق فى الصدر .. جدَّ جهيد^(١)

(١) الفَيْضُ : الكثير الغزير ، ج : فَيُوض .

مظاهر تبدو للعيون وتخفى
 وأسرارها العليا وراء قيود
 محبة .. لولا ضيالك .. جهلتها
 فعشت بعقل في الوجود شريد
 تُسيرُ إلى الأرواح نجوى غرامها
 بتدبير مُبدٍ للحياة ... معيد
 تعاليت .. لم تُبدع من الخلق كونة
 بلا حكمة تهدي فؤاد رشيد
 فما ذرة في الكون إلاّ عندها
 مكان ركوع أو مكان سجود

١ ٢ ١

أحسن الظنّ بالعلّيّ الكبير
 فهو ربّ الإحسان والتدبير
 واسأل الله فضله .. فهو ربّ الـ
 فضل .. واذكر تيسيره للعسير
 وتضرّع إليه في كلّ وقت
 فإليه مصير كلّ مصير !
 كلّ حينٍ لرَبِّنا نفحات
 فتعرض لها بقلبٍ طهور

لا تدع للهوى عليك سبيلا
 فالهوى سيد القوى الغرور
 وامحق اليأس بالرجاء .. وسلم
 وكل الأمر للعلم الخبير
 إن شر النفوس نفس يؤوس
 دائم سخطه على المقلود^(١)
 حاله في الحياة من حال إبليس .. قنوط من الرحيم الغفور
 إن معنى الإبلis من جعل اليأس
 س من الله حفظه في الأمور^(٢)

(٣)

نودع من نودع .. ثم نمضي
 إلى ما كان من هزل كجداً !
 كأن الداهيين بنو قنا
 ونحن بعيدهم أبناء خلدا
 نقول متى نتوب . . ونحن نعصى
 ونسأله النجاة بغير جهدا

(١) نفس يؤوس : انقطع أملها وانقضى طمعها ..

(٢) إبليس : عكم جنس للشيطان . وأبلس من رحمة الله : يتس .

وننساه .. ويزكرنا .. فننطفئ
 ونسعى في الضلالة دون قصد
 ونطمع أن يكون لنا ظهيرا
 ونحن نعيش في حسدٍ وحقد
 تعالى الله .. كيف يكون عوناً
 لماضٍ في الغواية مستبداً
 تركنا الأمر بالمعروف ... حتى
 كأنَّ الأمر بالمعروف مُردٌّ^(١)
 ببسوت الحق تنعى من بناها
 ودور اللهو لا تُحصي بعد
 وصار العدل فينا مثل بيت
 من الأوهام .. قام بغير عمد
 فلأن شئنا فبكرٌ مثل زيد
 وإن شئنا فبكرٌ غير زيد

(١) المردى : المهلك ، من أردى فلاناً : أهلكه ..

(٤)

لا بَدْ للمخلوق من رُبِّه

فى صفوه الفانى .. وفى كربه^(١)

وفى يسار العيش أو يسره

وفى ابتعاد القلب ... أو قربه

وكيف لا . ؟ وهو القوَى الذى

لا أمر للمخلوق فى جنبه

هل من غنى بادٍ سوى فضله

أو من هوى باقٍ سوى حبه ؟

(٥)

أنا بالباب واقفٌ ... فدعونى

أَتَطْهَرُ بفيضكم ... وشئونى

أنا بالباب واقفٌ ... وسأبقى

واقفا فاسمحوا .. ولا تحرمونى

أُمنونى على مصيرى إذا ما

سكبت أدمعَ الوداع جُفونى

(١) الكَرْبُ : الحزن والغم الذى يأخذ بالنفس ، ج : كُرُوب .

وانظروني قبل الممات بلحظ
قُلُوبِي من نور عَيْن اليقين^(١)
وإذا ما ذكرتكم فاسمعوني
وإذا ما نسيتكم فاذكروني
أذكروني أذكركمو .. وإذا ما
نِسْت يوما عن ذكركم .. أيقظوني
لا تقولوا : عصيت .. أو كنت .. أولا
ترتّب غير أَخْلَبْنَا بِالْوَتِين^(٢)
فرجائي فيكم .. رجاء ذليل
في عزيز بحولهِ .. ومتين
وبكم أحمي ومنكم أرجي
وذنوبي على يدي وديوني
إن لي في « وما خلقت » مكاناً
أزلياً من قبل أن تخلقوني^(٣)
وبنعمي « ورحمتي » وبسرّحتي
« غافر الذنب » سوف أمحو ظنوني

(١) التحظ : النظر بغير العين من جانب الصدّغ .

(٢) الوتين : الشريان الرئيسي الذي يغذي الجسم بالدم التي الخارج من القلب ، ج : وكُنْ وأوتنة .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون » .

وبأسرار لطف « قل يا عبادى »
تَوَجَّوْنِى .. وبالرضا جَمِّلُونِى^(١)
فأنا عبدكم .. ومالى مواكم
فالطُّفُوا بى ... بفضلكم .. وارحمونى
أُنْقِذُونِى مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْرِقَ الدُّنْيَا
يا بأمواجهها سفينة دينى
شأنكم رحمة . وفضل .. وعفو
والمعاصى والمهلكات شُئُونِى
وإذا لم يكن لشيئ نصيب
من حماكم .. فما أشدَّ شجونى

(١) يشير إلى قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين أمرتكم على أنفسكم لا تقبلوا من رحمة الله .. » إلى آخر الآية .

من دموعي^(١)

على أفقٍ سحابيات وفي نفسي أعاصيرُ
نهاري التائه الحيرا ن تقدير وتديبير
وليلي الشارد اليقظا ن أوهام وتفكير

* * *

وفي راحتي العاجزة الشلاء آمال^(٢)
وفوق من بنات الدهر أحمال وأنقال^(٣)
وفي صدري كتابات وفي رجلي أغلال^(٤)

* * *

سحاباتٌ من الأيَّام م والآلام والهمم
تموجها كما تهوى أعاصير من الوهم
تُعذِّبني وتُضنييني وتقتلني بسلا جرم

* * *

أعاصير من الأوهام م تخدو ركب أيَّامي

(١) تمثل حالة شعورية انسكبت فيها نفس الشاعر بلموع بروحه .

(٢) الشلاء : المصابة بالشلل ، أو التي ييسف فبطلت حركتها أو ضعفت ، ج : شلل . .

(٣) بنات الدهر : شدائده ، ويقال : بنات الأرض : المواضع التي تخفى على الراعي .

(٤) أغلال : جمع غُلّ ، وهو قيد من حديد أو جلد يجعل في عنق الأسير أو المجرم أو في

أيديهما .

تجوب مجاهل الدنيا لتسكن تيسه أحلامي
وفوق أزهري الظمأى تنقل خطوها الدامي

* * *

نهاري ليلة بيضا ء أو سوداء .. لا أدرى
يمرّ كصورة ممسو خة الألوان .. في فكري
تمثل قصة الإنسا ن .. منذ بداية الدهر

* * *

وليلي حائر الأنجم مخنوق الخيالات
صبغت بلونه عمري وأحلامي الشريدات
وفي مذبحة المهجو ر أحرقت ابتهالاتي

* * *

وفي راحتي الشللاً ء نأى صامت ملجم
أغانيه .. أمانى العُمر ميّنة بلا مأثم
تجىء فلا أحس بها وتمضي دون أن أعلم

شاعر الحب والمجد

وفي تأبين الشاعر الخالد علي محمود طه ،

لا أنا خالد ولا أمنيئاني فوداعاً مسارح الذكريات
ووداعاً مواكب الفتن الحُر ودنيا الأحلام والصُّبوات
أقفرت واحتي وصَوِّحَ كَرَمِي وطفنت عِلَّتِي .. ومات أَسَاتِي^(١)
ودنا الشاطئُ البعيد .. فرفقنا بسفيني يا آخر العاصفات
هوَّني ما استطعت من ثورة البَحِّ ر .. ورُدِّي أمواجه العاويات
وارحمي .. إن تلك العواصف تلدري رحمة .. وحدثني مع الحادثات
ذهب العمر .. وانطوت صفحات ويح لي من سطورها الكايبات^(٢)
لست أدري . كيف اصطبرت على ما أمطرتني الأيام من نائبات
ذهب العمر .. قطرة في محيط دموى .. مروِّع الثُّورَات
وأطلَّت نهايتي .. وهى أبهى منظرا من مفاتن الغانيات
هذه غاييتي التي كنت أرجو لها .. وهذا الختام بلد حياي
فارتقبني يا ليلُ بعد قليل عند تلك المقابر الثاويات^(٣)

(١) صَوِّحَ : ذبَّل وجف . الأساة والإساة : جمع آسى ، وهو من يُعالج الجراحات ..

(٢) الكايبات : المظلمة .

(٣) الثاويات : المستقرات والمقبات ، من ثوى بالمكان وفيه بئى ثواءً وثوياً : أقام واستقر .

لم يعد غير ليلة وصباح وأورَى في ضجة النائحات

قدرٌ لافرارٍ منه .. وكأسٌ أزلّ .. مقسم القطرات
تلتقى حوله الشفاه .. فما أشبه حال الأشواك بالزهرات
الأساطين عنده كالصعاليك ونجم السما .. كصخر الفلاة^(١)
مصرعٌ كلنا مسوق إليه واجتماع .. مآله للشتات^(٢)
ومصير أمشي إليه كما تم شئ .. وتمشي النمل في الحفرات
وسواء لدى الحقيقة سعي في اضطراب أو مشي في أناة^(٣)
قصة بلوها صراخ وعقبا ها .. وحربٌ يدعونها بالحياة
هكذا شاء ربنا .. فأرخني من أراجيف هذه الفلسفات^(٤)
وأدرُ ذكر من مضى من قديم أو جديد .. فهذه .. مثل هاتي
وسل الأرض .. هل خلّت لحظات من بكاء النعاة والنأبات؟^(٥)
وسل الليل والنهار .. وما يبسن الثرى والسما من كائنات
قل لها مات شاعر الحب والمجد .. فكم قد أرقّت من عبرات ؟

(١) الأساطين ، والأساطنة : جمع أسطورة وهي العمود ، ويقال : هم أساطين الزمان ، أي أفراد وحكماءه .

(٢) الشتات : التفرق ..

(٣) الأناة : الحلم والوقار ..

(٤) الأراجيف : جمع إرجاف . وهو الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب .

(٥) النعاة : جمع ناع ، وهو الذي يأتي بنجر الميت ، أو المشيع ، ويجمع على « ناعون » كذلك .

مات مَنْ نَغَمَ الحياةَ وَمَسَاقًا ها رحيق الخلود في كلمات
 شاعر. الفكرة الجديدة .. تفننا د عصي الأوابد الشاردات^(١)
 رائد الموكب الذي فجر الشُّعْ رَ ينابيع بالهوى .. دافقات
 ساحر العالمين في «كَلْبَطَرًا» أَى حلم جلاه في النغمات
 طائرٌ طَوَّقَ الوجودَ جَنَاحًا ه .. وغنَّاه أروع الأغنيات
 لم يقف عند دَارِيسٍ من طلولٍ أو يَشَبُّبٌ بالأعظم النخيرات؟^(٢)
 صاحب الزورق الشُّرودَ ومَلَأَ حُ سفين العواطف التائبات
 النَّدَى المشبوب .. والفاتك الصُّو في .. والضاحك الجريح الشكاة
 الأنيقُ الرشيقي .. والسلسلُ الرِّقَ رَاقُ .. صافي الخيال والمرآة
 أَلُولِيٌّ الألفاظ .. لايتَصَبَّأُ ه ضجيج البهارج الزائفات^(٣)
 مُنشئُ الجنَّتين .. هاتيك للرو ح .. وهذى للخمر واللذات
 الرِّبيعِ الظمآن .. والحالم اليقَ ظانُ .. والمارد الجميل السَّمات
 الطليقُ الوثَّاب .. لم يخلُ أفقا من عذارى أحلامه الخالدات
 البديعِ الفتَّانُ في كلِّ ما يَحْ فِق في شعره من الآيات

(١) الأوابد : جمع أبدة ، وهي الأمر العجيب يُستغرب له ، وأوابدُ الكلام غريبه وعجيبه .
 والشاردات : جمع شاردة وهي في اللغة غرائبها وتوادرها .

(٢) يشر الشاعر إلى بدء القصائد العربية القديمة التقليدية ، حيث كان الشعراء يتغنَّون فيه بالأطلال
 الدارسة والرَّسوم التي عفى عليها الزمن ، أو يشيِّبون بإنساقه فنيته ولم يبق لها وجود .

(٣) البهارج : جمع بهَّرج ، وهو الباطل ، أو الرديء ، أو الدرهم الزائف ، ويقال : بهرج
 الكلام : زيفه . يتصبَّأه : يستهويه ويشوقه ..

القوى العِملاقُ .. لم تكفه الأ
 وأرانا من الملاحم فُنا
 أقسم الدهر .. ما شدت مثلها الذن
 صدق الدهر .. وهو جدّ كذوب
 ظلّ يسقيه وهو يشرب حتى
 ظل يسقيه وهو يشرب ظمًا
 بين خُذها .. وهاتِها .. ولكم يج
 لافح الشوق .. لا يلدُّ له الما
 شاعرا بالحياة ... ترجف بالفت
 دافقًا .. لا يصدُّه دون مجرا
 مؤمناً بالجمال والحق والخير
 مسلماً في اعتقاده .. عالمياً
 دينه ربّه .. فكلُّ بني الأر
 يا لَدنيا أقامها .. يالفن
 يا لروح مقلّس .. كان لا يؤ

رضى فغنى بعالم الآلهات
 مُعجِزَ السحر .. قاهرَ البيّنات
 يا .. ولارتلت شفاه الحياة
 حين يغرى الأحياء بالأمنيات
 صرعه الكئوس مختلفات
 نَ لهيفَ الفؤاد والنزعات^(١)
 حل يؤس الحياة في خُذ .. وهات
 ضى .. كما يستبيه سحر المواق^(٢)
 نة من حوله .. وبالفاتنات^(٣)
 ه نقيق الضفادع العاجزات^(٤)
 ر .. طليق الأسباب والغايات
 في هواه المجنّح العاطفات
 ض أخوه .. على اختلاف النّوات
 شاده بالخواطر الملهمات
 من إلا بالنّور والنّيرات

(١) لهيف الفؤاد : عثرته ، والآهيف : المظلوم المضطر يستغيث ويتحسّر .
 (٢) لافح الشوق : محرقه . يستيه : يأسره . المواق والمآق : جمع موق ، وهو مجرى
 السمع مما على الأنف .
 (٣) ترجف : تتحرك وتضطرب اضطراباً شديداً .
 (٤) النقيق : صوت الضفدع ..

يالنفيس كريمة .. عَصَمْتَهُ من ضلال الخلائق السافلات ^(١)
 يالْعقلِ محطِّق .. كان لا يَحْ فِئِلَ إِلَّا بِالْخَلْقِ وَالْمُعْجَزَاتِ
 يالقلب طواه في صدره الرَّخْ بِ قوَى الرَّجَاءِ وَالْخَفَقَاتِ
 يالْعمرُ أَفْنَاه .. لم يَكْ إِلَّا خَفَقَةً فِي جَوَانِحِ النَّسَمَاتِ
 يالْفنُ بَنَاه .. هَشَّ لَهُ الْمَجْدُ وَحَيَّ أَبْرَاجَهُ الشَّاهِقَاتِ
 يالدَّاءِ سَقَاهُ مِنْ كَأْسِهِ الْمَرْ (م) شَرَابِ الدُّمُوعِ وَالْحُسْرَاتِ
 ياليوم طارت إليه المنايا دَاهِيَاتِ تَمُوجِ بِالذَّاهِيَاتِ
 سَوَّدَتْ فَجْرَهُ .. وَأَلْقَتْ عَلَى مَعْدِ نَاهِ ظِلَّ الْفَوَاحِشِ الدَّاهِيَاتِ
 قَامَ فِي صَبْحِهِ .. سَلِيمًا مُعَافًى عِبْقَرُ الْآمَالِ وَالرَّغْبَاتِ
 يشهد الكون أَنَّهُ عَادَ لِلْكَوْنِ نِ جَدِيدِ الْإِلَهَامِ وَالصَّلَوَاتِ
 يالْحلم شداه مَزَقَهُ الْمَوْتُ تِ وَأَلْقَى صَدَاهُ لِلْسَّافِيَّاتِ ^(٢)
 يالْقَبْرِ حَوَاه .. لم يَحْوَ إِلَّا جَسَدًا لَا يَبْعُدُ فِي الْهَامِدَاتِ
 يالْمَجْدِ غَذَاهُ نَوْرُ الْأَمَانِ وَسَهَادِ الْجَفُونِ وَالْأُمُوسِيَّاتِ
 يالْتَبِيلِ أَجْرَاهُ فِي شَعْرِهِ الْخَا لِدِ حَرِّ الضَّفَافِ وَالْمُوجَاتِ
 يالمصر تَهْتَاجُهَا صَعْقَةُ الْهُوْ لِ وَتَحْيِي آلَامَهَا الدَّارَسَاتِ ^(٣)

(١) السَّافَلَاتُ : جمع سافلة ، وهى مؤنث السَّافِلِ وهو النَّزْلُ الْخَاسِيسُ .

(٢) السَّافِيَّاتُ : جمع سافية وهى الريح التى تحمل الرِّابَ وتلذذه .

(٣) تَهْتَاجُهَا صَعْقَةُ الْهُوْلِ : تَهْتَاجُ : تَتَوَلَّشَقُّهُ أَوْ ضَرُرُ . وَالصَّعْقَةُ : مِنْ صَعَقَ الرَّجُلُ بَصُقَتْ صَعَقًا : غَشِيَ عَلَيْهِ وَذَهَبَ عَقْلُهُ .

مات شوقي .. وحافظ .. وخليل
يا لشرقٍ أعطاه من قلبه العا
والعاليان .. والمغيَّبُ آتٍ^(١)
شق أغلى الممّوع والبسمات
كيف أمسى بها .. من الأموات؟
يا لأرض ضاقت بطنياه حيا

* * *

أيها الخالدُ الّذى كان بالأمة
أيها الكوكب الذى غاب فى التّر
أيها الشاعر الذى كان يوما
أنت لازلتَ فى الضمائر حيا
لك فى الكون دولة .. ومكان
حسبك الله .. كم أرفقت على السّد
حسبك الله .. كم شدّوتَ فأشجيت
حسبك الله .. وهو أكرم من وفّ
وعلى قبرك الأشمّ دمّوع
من سراجا يضيء فى الظلمات
بِ حزين الشعاع والومضات
قمةً لاتُنال بالنظرات
خالدا .. مشرقا .. برغم الممات
يتحدّى تقلّب الحادثات
م وأحلامه من العسبرات
ت .. وكم قد رويتَ من حرّقات
فى جزاء الكرام بالجنّات
وسلامٌ مُبارك الرّحمات

(١) يشير الشاعر فى هذا البيت إلى موت أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، وخليل مطران ، وعلى الجارم ، وعلى محمود طه .

طال الطريق (١)

طال الطريق .. فمن يقول لسادر
حيران .. حسبك .. قد بلغت مُناكا (٢)
وطرقت أرضاً .. ضاع عمرك كله
من دونها .. وتمزقت قلماكا
فجرت قلبك جنوناً .. تسقى به
زهرَ المني .. وجنيتهَا أشواكا
وهلعت صرحاً للشباب مُشيّداً
لتقيم للمجد العظيم سِماكا (٣)
وجرى القضاء بحكمه .. وكعهده
فخسرت هذا في الحياة وذاكا
وبقيت وحدك .. لاثملُ تساؤلاً
والحيرة الخرساء .. رجع صداكا

(١) و قال هذه القصيدة بمناسبة فشله في دخول كلية دار العلوم إحدى كليات جامعة القاهرة .

(٢) السّادر : الغافل .

(٣) الصّرح : القصر ، البناء العالي .. البيت المزوّق .. والسّماك : كل ماسمك . حائطاً كان أو سقفاً . والسّماكان : نجمان يُبران ، أحدهما في الشمال وهو السّماك الرامع ، والآخر في الجنوب هو السّماك والأعزل ..

وطوى عُباب الدَّهر ما أَمَلْتَه

يا ليتَه لَمَّا طواه .. طواكا

• • •

طال الطريق .. فمن يقول لسادر

حيران .. حَسْبُكَ يا جعلت فداكا

أبت اللَّيالي أَنْ تَغَيِّرَ ثوبها

وظللت تصبغ ثوبها بلماكا

رُحماكَ إِنْ اللهُ بِالْخِ أمره

وهو اللَّطيف .. فَنَادِه رُحماكا

رُحماك . ضاع العمر .. وانقضت المني

والأمر . أَمْرُكَ .. لا إِلَهَ سواكا

لولا رجائي فيكَ .. قلَّ تصبُّري

وقطعت حبل شقاوتي .. لولاكا

فأمنن بعفوك .. إِنْ أَرَدْتَ .. وناديني

فالعبد . عبْدُكَ .. والقضاء قضاكا

حظوظ

مكانتي .. أصغر من حقّي وحاجتي أكثر من رزقي
 وحكمة الخالق في خلقه أعماقها .. أبعد من عمقي
 الناس .. هذا ثوبه سندس وذاك يشكو الخرق للخرق
 وبينما تلقى الذي نجمه عالي دنيء النفس والخلق
 تلقى فقيرا ملء أسماه فكر .. وفن .. معجز النسق^(١)
 مقادر بالغيب محجوبة وحكمة أعيت على الخلق
 أفنيت أيامي على بابها وفي يدى غل .. وفي عنقي^(٢)
 أطرقه مستصرخا شاكيا حيران بين العقل والحمق
 فما شفت وجدى .. ولا كففت دمعى .. ولا أضفت إلى طرق
 فعدت والحسرة في أضلعي والغصة المرة في حلقى^(٣)
 أصبحت لا أهفو إلى حاجة أكثر من حريرة العنق

* * *

فلتشرق الشمس بأنوارها أو فلتغيب عن مسرح الأفق

(١) الأسماك : جمع سمك ، يقال : ثوب سمك : خكك بال وسمك سمك السمك للضرورة وأصلها التحريك .

(٢) الفل : قيد من حديد أو جلد يجعل في عنق الأسير أو المجرم أو في أيديهما ، ج : أغلال .

(٣) الغصة : ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب ، ج : غصص ..

سيان .. مادام الذى أشتهى	فوق الفسيح الرُحْب من طرقى
ولتسرع الأيام فى سيرها	أو فلتسير وَهنا .. وفى رفقى
فغاية الأيام مهما عدت	كغائتى .. والفضل للسبق
أمنى الذى أسرفت فى نعيمه	لاقيته يوما بلا شوق
وحاضرى .. أنأى على قُربه	من الغد المحجوب عن أفقى

دهرية (١)

الليل والسقم والقيود والأمل الضائع الشريد
وثورة الوجد في كيانى طليقة مالها حدود
وحيرة الفكر حين تغشى سماء السحب والرعود
ولوعة الحر حين يمسى وزاده النار والحديد
والموكب الضخم وهو يعلو وخلقه السائق المريد
يصب من سوطه جحما تشوى بنيرانه الجلود
على صراط من المنايا يشب من تحته الوقود^(٢)
رواية لونها طريف لكننا ثوبها تليد
يادهر ما فيك من جديد فهل ترى ناظرى جديد
أسماء أحداثك التواهى يضمهن اسمك الوحيد

* * *

آمنت أن الحياة أنثى من طبعها الوصل والصدود
وأعجب الأمر في هواها أنثى إلى جبهها مقود

(١) كتب مقدمة هذه القصيدة على لسان الممثل إبراهيم السيد وهما يسيران أثناء معركة فلسطين وكانت القاهرة مليدة بالغيوم ، والكآبة تملو وجوه الناس ، فقال له إبراهيم : في الطريق .. سأقطف ولكن وأنا أبتسم .

(٢) الصراط : الطريق الواضح .

فربما يقرب البعيد	فيارفاق الطريق غنوا
والدرب من دوننا مديد	غنوا فأحمانا ثقال
ماضج في خاطري نشيد	سوف أغنى .. وأستعيد
مادام لي في الثرى وجود	وسوف أهفو إلى الأمانى
وإن أذلتني القيود ^(١)	وسوف أصبو إلى انتعاق
أنى كأحداها عنيد	فأبلغوا هذه الليالى
من حرّ آلامها سعيد	وأنى رغم ما أقاسى
أنى على ظلمها شهيد	حسبي وحسب الحياة منى

(١) الانتعاق من الشيء : الخروج والتحرّره .

اطلال راقصة (١)

(إليها .. إلى المسكينة التي تهلتها
الحياة ، وما زالت تعيش على ذكرياتها)

أطرق .. أطرق .. فقد ضُكَّ اليبس
ل .. وألقى عليك ثوب ظلامه !
أطرق .. فالحياة في قلبك المظلم
لِمِ ماتت موعودةً في حُطامه !
يابنة القمر مزقتك سوافيه
ه .. فلا تذكرى أسى أيامه (٢)
واقبى في غياهب الليل حتى
يشرق الفجر من وراء غمامه (٣)
* * *
اقبى هاهنا ولا تفغرى فَا
لُ بقول مستحدث .. أو مُعاد (٤)

(١) أنشدها الشاعر في « كازينو » صفيّة حلمي الذي كان يسمى « كويانا » في عجز شطاء
متزيّنة بأرخص المساحيق وبشكل غير متنقّ بحيث تمثل « عروس المولد » ، والبنات يتضاكن عليهن
فأثر الشاعر من هذا الموقف ، وتخيّل أنها كانت راقصة وكانت ملكة جمال في الوقت نفسه ، وكان
الناس ينظرون إليها نظرة إكبار لا نظرة احتقار كما يحدث لها الآن من البنات اللاتي يتمازرن عليها .

(٢) السّوّى ، والسافيات : جمع سافية ، وهي الريح التي تحمل التراب وتذرّه .

(٣) الغياهب : جمع غيب . وهو الظلمة

(٤) لا تفغرى فاك : لا تفتحيه مندهشة .

ودعى الليل مثلما جاء يمضى
والبسى من دُجَاه .. ثوبَ حِدادِ
ودعيني أصفى إلى همسه الحَا
تربين الآزال والآبـَاد^(١)

لا تضجى ولا تضيقى بصمى
فهو زادى وعُدنى وَعَتَادى

* * *

دونك الكأس فاشربيهـا وذوق
لذة الموت فى ثنايا الرِّحى
اشربيهـا فأنت قصّة دنيا
ها .. ونامى فى حضنها واستَفِيقى^(٢)
واسألِها فعندها علمُ أيا
مك منذ التقيتما فى الطَّرِيقِ

اسألِها ولا تكفى بكاء
فوق أطلال فجرِكَ المَشْنوقِ

* * *

(١) الآزال : جمع أزل، وهو القدم، والآباد : جمع أبد، وهو الدَّهر، ويجمع كذلك على أبود .

(٢) استَفِيقى : استيقظى .

قَصَّةُ الكَأْسِ أَنْتِ مِثْلُهَا يَوْمُ
 مَا .. فَقَدْ كُنْتُ مِثْلَهَا .. لِلْجَمِيعِ
 يَوْمَ كَانَ الزَّمَانُ فِيكَ رُبِيعًا
 عَبْقَرِيًّا وَكُنْتُ رُوحَ الرَّبِّيعِ
 دَفَنْتِ عِطْرَكَ الْأَعَاصِيرَ يَا بَدْرُ
 هَاءَ فَايَكِي وَاسْتَمْنَعِي بِاللُّمُوعِ
 وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعِيشِي عَلَى الْوَهْ
 مِ فَغْنِي قَبْلَ انْقِفَاءِ الشُّمُوعِ

* * *

لَا تَشُورِي عَلَى الْحَيَاةِ فَقَدْ جَفَّ (م) تَزْهُورُ الْحَيَاةُ فِي رَاحَتِكَ^(١)
 كُنْتُ وَالْحَسَنَ وَالشَّبَابَ فَأَصْبَحَ
 مِ وَمَا مِنْ أَوْلَاءِ شَيْءٍ لَدَيْكَ
 فَاعْذِرِي النَّاسَ إِنْ مَضَوْا عَنْكَ لَا يَنْدُ
 وَوَنَ ، فَالْأُورُمَاتُ فِي عَيْنَيْكَ
 وَدَعَى الذُّكْرِيَّاتُ تَقْنَنَاتٍ مَا أَبْ
 قَتَ أَفَاعِي الظُّلَامِ فِي شَفَتَيْكَ

* * *

(١) رَاحَتِكَ : ثَنِيَّةُ رَاحَةٍ ، وَهِيَ وَاحِدَةُ الرِّيحِ ، أَيْ الْأَكْفُ ، ج : رَاحَاتُ .

لم يُعْذُ فَيْكَ مَا يَسِرُّ الْعَيُونَا
 فاعذرى العايشاتِ والعايشينا
 نَسَلْتُ رِيثَكَ الْمَنَايَا وَأَبْقَيْتْ
 جَسَدًا هَالِكًا وَرُوحًا حَزِينَا
 وَبَقَايَا قَلْبٍ وَأَثْلَاءَ نَفْسٍ
 وَشِعَاعًا تَحْتَ الرَّمَادِ سَجِينَا
 وَحُطَامًا قَدْ عَضَّعَتْهُ الرِّزَايَا
 يَتَنَزَّى مَدَامَعًا وَأُنِينَا .. (١)
 فَإِذَا مَا أَعْيَاكَ خَبِثَ الْغَوَاثِي
 فَاعْمُرِي كَيْدَهُنَّ صَفْحًا وَلِينَا
 وَإِذَا أَبْقَضْتَ شَجَوْنَكَ حَوْرًا
 ءِ وَأَغْرَتْ بِقَبْحِكَ الشَّامِتِينَا
 فَاسْخَرِي مِنْ جَمَالِهَا وَصِيَاهَا
 وَاحْقَرِيهَا بِكَثْرَةِ الْعَاشِقِينَا
 أَوْ عَظِيمِهَا .. فَرَبِّ شَيْطَانَةٍ مِنْ
 كُنْ قَالَتْ فَأَبَيْتِ الْوَاعِظِينَا

(١) يتنزي : يوثب ويسرع .

حَدَّثِيهَا عَنِ الْهَوَى وَالرَّفَاقِ
 وَاللَّيَالَى .. وَالْخَمْرِ .. وَالْعِشَاقِ
 وَجِسْمٍ أَشْقَيْتَهَا بِالتَّنَائِي
 وَجِسْمٍ أَسَعَتْهَا بِالتَّلَاقِ^(١)
 حَدَّثِيهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى الْحَدِّ (م) بَّ .. فَمَا عِنْدَكَ مِنْ غَيْرِ الْنِفَاقِ
 حَدَّثِيهَا عَنِ الْفَتَى النَّاعِمِ الْمُنَى
 رَاحَ .. نَذَلَ الْعَوَاطِفَ الْأَفَاقِ^(٢)
 كَيْفَ أَغْرَاكَ ذَاتَ لَيْلٍ .. وَوَلَّى
 هَارِبًا مِنْ عِفَافِكَ الْمَهْرَاقِ
 تَارِكًا ثُوبَكَ الْمَرْقُوقَ لِلنَّاسِ
 رَ .. وَعَصَفَ الرِّيَّاحَ .. وَالْأَشْوَاقِ
 حَدَّثِيهَا مَا دَامَ فِي كَوَكَبِ الْعَمَلِ
 رَ شِعَاعٍ مَهْدَدٍ بِالْمَحَاقِ^(٣)
 ثُمَّ غَيْبِي عَنْ زَحْمَةِ الْمَوَكِبِ الْأَغْفِ
 مَيَّ .. وَعَيْشِي لِلْحُزْنِ وَالْإِطْرَاقِ

(١) التَّنَائِي : الِابْتِمَاد .

(٢) الْمَرْحَاح : التَّشْيِيط .

(٣) الْحَاق : مَا يَرَى فِي الْقَمَرِ مِنْ قَفْصٍ فِي جَرْمِهِ وَضَوْؤُهُ بَعْدَ انْتِهَاءِ لَيْلَى اكْتِمَالِهِ ، وَلَيْلَى الْحَاق : لَيْلَى مَرُورِ الْقَمَرِ فِي مَرَحَلَةِ الْحَاق .

أطرق أطرق فقد ضمك الليـ
لُ .. وألقى عليك ثوب ظلامه !
أطرق .. فالحياة في قلبك المظـ
لم مانت موعودة في حطامه
يا ابنة القفر .. مزقتك سوافيـ
ه .. فلا تذكرى أسي أيامه
واقبى في غياهب الليل حتى
يُشرق الفجر من وراء غمامه

على ضفاف الجحيم

« إليك يا قاهرة .. إلى أضواءك القاسية التي طالما هدّبت
عينى وأنا قابع هناك فى الجبل المضياف بصخوره الخالية ..
وكلايه الماوية .. وصمته الكئيب ..

ثم إلى هؤلاء المترفين الكسالى .. الذين ينكرون على
إيماني بالألم وعادتي للموع ، وإخلاصى للأحرار ،

لأنى هنا - أيتها المدينة الحرة الفاجرة المجنونة
أحبس فى جفنى الرؤى السّجينة والأدمع الوالهة السّخينة^(١)
إنى هنا أغربل السّكينة وأزرع الخواطر الحزينة
ملء ضفاف الوحدة المسكينة وفى يدي فجرى سبيلينه
يوم تزول الوحدة الملعونة

إنى هنا .. فعربدى وثورى ملء عنان اللّهُو والسّرور
ومزّق بضحكك المخبور غلالة ينسجها تفكيرى
لتستر العريان من شعورى ويحجب اللّافح من سعيرى^(٢)
الجائح المتمرّ الضّريـر يودّ لو يعصف بالقصور

(١) الأدمع الوالهة : المتحمّرة الحزينة .

(٢) ويحجب اللّافح من سعيرى : لتحول دون إصابتها من الثورة المتعلّقة فى نفسه إلى تشبه النار
تصيب وجهه من يترّس لها وتقرقه .

وساكنيها عابدى الفجور
 الغافلين عن أسى الفقير
 الوالغين فى الدِّم المهدور
 إني هنا .. يا جنة الحقير
 وليس لى فى الأرض من نصير
 ألبسنى ممزق السُّتور
 أقرأ فى ظلامها مصيرى
 بعد احتراق الأمل الأخير
 هذا أنا فى العالم الكبير
 متخذاً من أرضه سريرى
 وتحت سقف الأفق المَطِير
 أنام نوم العاجز الموتور
 وفهقهات الرُّعد فى الديجور
 ومن ضراعاتى إلى المقلور
 وأنت يا زنجية الضمير
 فتُفجِّرين ضحكة المغرور
 النائمين فى حِمى الحرير
 ولوعة المشرِّد الملاحور^(١)
 من غصب الكادح والأجير
 أكل جوعى وأضْمَ نيرى
 إلّا ضميرى آه من ضميرى
 وجاء بى حياً إلى القبور
 وأعرف الغاية من مسيرى
 وفرقة الصّاحب والعشير
 فوق ربّا المقطَّم المهجور
 من الحصى والطَّين والصُّخور
 والعاصف المزمر المُرور^(٢)
 على نباح الكلب والهريز^(٣)
 تسخر من عجزى ومن قصورى
 وقلبى المحطَّم الكسِير
 تدرين قدرى وترين نورى
 وترتدين كفن القبور

(١) المدحور : المبتعد المطرود .

(٢) المُرور : الذى أصابه البرد .

(٣) الموتور : من قتل له قتيل فلم يترك بئاره . والهريز : صوت الكلب دون النباح .

هازئة كالزمن العيهور من المثاليّ الفتي الطهور ^(١)
 فلتهزئي .. فلست بالمتهور وتغرقى هزءاً فلن تثيري
 إلّا دخان الحاقد المسعور وثورة المقيّد الأسير ^(٢)
 ولن تعيشي في فم الدهور إلا بفنّ الشاعر التقدير
 الحائر المضطرب المَروور تحيّة الخلد إلى العصور ^(٣)
 وآية الجبار في المجبور ونفحة الأقداس في الماخور ^(٤)
 الواحة السجواء في الهجير تشرب نار القلغد المسجور ^(٥)

لترسل الظلّ إلى المحرور

إنّي هنا أيتها المدينه الحرّة الفاجرة المجنونه
 أحبس في جفني الرؤى السّجينة والأدمع الوالهة السّخينة
 إنّي هنا أغربل السّكينه وأزرع الخواطر الحزينه
 ملء ضفاف الوحده المسكينه وفي يدي فجرى ستعبدينه
 يوم تزول الوحده الملعونه

(١) الميهور : الفاجر .

(٢) المسعور : المجنون . والحريص على الأكل وإن ملء بطنه ، ج : مساعير .

(٣) المروور : الذي غلبت عليه الميرة وأهاجته ، فهو ممرور . والميرة : العقل أوشدته ، أو

الأصالة والإحكام ، أو القوة . (٤) الماخور : بيت الرّيبة ، أو متجمّع أهل الفسق .

(٥) المسجور : المتقعد .

تحية تقدير

و إلى الأستاذ الكبير عزيز أباطة لمناسبة تشريفه
الاجتماع التمهيدى لتأليف نقابة المؤلفين - بنادى
نقابة الصحفيين فى يوم ١٥ من يونيو ١٩٥٠ .

عزيز الحمى .. مادون نبئك من وِردِ
وبى لهفة الظامى إلى كوثر الخُلدِ
حببتك فاعلم أن حبك يساعى
إلى المجد .. والحب العظيم أخو المجد
بنوك الألى نادوك والبحر صاحب
وزورقهم حيران محتجبُ القصد
ضحايا السفوح الجرد .. مهما تنسّموا
فغاية مرقاهم إلى الكُتب الجُرد^(١)
أعيزك ممّا يملأ الدهر عيشهم
به من أفانين التعاسة والكيد^(٢)
يضيئون .. والأيام تشرب نورهم
تتركهم لليأس والبؤس والسُهد

(١) السفوح : جمع سَفْح ، وهو أسفل الجبل الذى يظلّ فيسفع فيه الماء . وتسّمى الشوّه : حلاه
وركيته .

(٢) الأفانين : جمع أفشون ، وهو التّوَح من الفنّ ، ويقال أفانين الكلام : أساليبه وطرقه .

ويستنبتون الصخر .. والناس حولهم
 من الخير في ظل كظلّك ممتد
 أبا الشعر ما جدوى يرأى وسحره
 إذا لم أنل حقّي .. ولم يأتلق سعدى^(١)
 وما نفع مقدم تجهم حظّه
 وفي راحتيه يضحك الصّارم الهندى
 أبا الشعر لما عربد الموج طاغيا
 وألقيت للحيتان آخر ما عندي
 أتيت .. وفي قلبي أماني كلّها
 بنور محيّاك المبارك تستهدى^(٢)
 رأيّناك أقوى شاعر وأعزّه
 بيانا وسلطانا على الزّمن الوغد
 فحقّق منّي الفنّ الجميل وأهليه
 فقيرك لا يسدى .. ومثلك من يسدى
 رعاك الذى فوق السّماوات عرشه
 وأولاك ما يرضى المعالى من الحمد

(١) البراع : القلم .

(٢) الحيا : الوجه .

من وحي رمضان

٥١٣٦٩

على دارك يا جارى صباحَ الخير من دارى
سلاما لا أريد بقو له إلا رضا البارى
فقد أوصى كما تعلم قلبَ الجار بالجار
ومن حقك أن تأمن آلامى وأخطارى
ومن حقى أن تستر عارى إن بدا عارى

* * *

ولكننى على عينيك أشكو ظلم أَيْـامى
يمرُّ الشهر بعد الشهر والعام مع العام
ولا تسمع أنأتى ولا ترحم آلامى
أجوع .. وفى يدك الخبز .. أعجزه بأحلامى
وأدحوه بآماتى وأكله بأوهامى^(١)

* * *

ويا جارى .. كم من ليلة ظلماء كالقبر .. !
طوانى ثوبها الداجى وأطفالى على حجرى^(٢)

(١) أدحوه : أبسطه وأوتسعه .

(٢) الداجى : المظلم

أَهْذِهِمُ وَأُبْكِيهِمْ وَأُبْكِي مَعَهُمْ عَمْرِي^(١)
وَأَنْتِ بِمَا تُكَابِدُهُ مِنَ الْآلَامِ لَا تَسْدِرِي
فَمَا أَذْنَاكَ مِنْ عَيْنِي وَمَا أَنْتَ عَنْ فَقْرِي

* * *

وَلِي يَا جَارَ - مِثْلَ النَّاسِ - زَوْجٌ مَا أُحْيِي - لَهَا
وَمَا أَقْسَى حَيَاتِنَا عَلَى الْفَقْرِ وَأَشْقَاهَا
تَرَى زَوْجَكَ فِي النُّعْمَةِ لَا تَبْرَحْ دُنْيَاهَا
فَمَا تَفْتَأُ تَرْتِيئِي بِمَا تَسْفِكُ عَيْنَاهَا
وَمِنْ سَوَاكَ سَوَائِي كَمَا شَاءَ وَسَوَاهَا

* * *

وَيَا جَارِي أَتَى الشَّهْرَ الَّذِي أَعْرِفُهُ وَحْدِي
فَعَمْرِي كُلُّهُ رَمَضًا ن .. حَرَمَانٌ ... بِلا خَدٍّ
فَهَلْ تَعْلَمُ مَا أُخْفِي مِنَ الْحُزْنِ وَمَا أَبْصُرِي
أَخَافُ إِذَا أَتَى الْعِيدَ كَمَا جَاءَ عَلَى وَلَدِي
وَعِنْدَكَ كُلُّ مَا تَرْجُو وَفَقْرِي .. كُلُّ مَا عِنْدِي

* * *

أَخَافُ إِذَا أَتَى الْعِيدَ وَنَادَانِي الْمَوَالِيدُ

(١) أهذهمهم: أحرهم حركة رقيقة مُنْظَمَةٌ .

أبانا .. ذهبَ العُمرَ وأشقَّتْنا المواعيد
لكلِّ النَّاسِ أعيادٌ ونحن .. أمَّا لنا عيد ؟
وكم قلتُ لنا صبراً فربُّ النَّاسِ موجود
وما بالصبرِ يطفى غلَّةَ الحرمان .. منكود

أخاف على حياءِ النفس أن أبذله كفرا
أخاف على عفافِ الزَّوج أن تهريقه قسراً^(١)
وأن ألبس عار الدُّهر .. بعدَ تصبُّرى دهرا
فأقتل خشيبة الإملا ق ... أو أسرق مضطراً^(٢)
فأزدادُ على خسرى بما أصنعه خسراً

أيًا جارى سألنى خالقَ الجنَّة والنَّار
سألناه لأشكوك إلى ساحة جِبَّار
وأسأله بحقِّ الفقر .. أن يأخذ لى ثمارى
فإن سألتنى عفووا ساعفوا دون إصرار
فقد أوصى - كما أعلم - قلبَ الجار بالجار

(١) قسراً : حوة .

(٢) الإملاق : الفقر .

ويا عيد

رمضان ١٣٦٩ هـ

يونيه ١٩٥٠ م

رقرقت فيك ملاحني وغنائني
ولمن أغنى إن لقيتك صامتا
أشرق على وجه الليالي كوكبا
وأفقس على جذب الحياة صبا
ويا عيد يا أمل السماء إذا دجت
تجري الحياة بليها ونهارها
ملء الحمى باكون طال حنينهم
يستنبتون الصخر لا يرثي لهم
فانفج بمائك قفرهم وانسج لهم
واطرق على الكوخ المحطم باب
ويا واهب النعماء كم من أكبد
يا عيد.. رغم تكاثر الأرزاء^(١) !
ومراكب الأبحان ملء سمائي
ضاق الجلال معطر الأضواء
من كأسك الروحية الصهباء
بالحادثات مواسم الغبراء
ولك المكان الفرد في الآناء^(٢)
للفرحنة النشوانة العذراء
قلب وآخر سعيهم لهباء
من نورك المسحور ثوب هناء
صيفاً على سكاته التعماء
في الأرض ظامئة إلى النعماء^(٣)

(١) ملاحن : يستخلصها الشاعر جمعاً للحن الذي هو ما صيغ من الأصوات ووضع على توقيع ونتمم معلوم (صناعة الأبحان) ، ويعني باللحن الأغنية الشعرية ، والقياس في جمع اللحن : الأبحان ولشعون .. كما أن الملاحن في الأصل : مسائل كالأغاني يحتاج في حلها إلى فطنة . والأرزاء : جمع رزء ، وهو المصيبة .
(٢) الآناء : ساعات الليل ، ومفرده : آنى ، إني .
(٣) التعماء : الخفض والدعة ، والمال ، ج : أنعم .

قل للألى ذهب النقى بعقولهم فَنَسُوا ضحايا الدهر والبأساء
لاتجعلوا يومى على عِلاته حربا على الأيتام والفقراء

الأرض دونك فامضِ فى آفاقها وامزج قريب فُساحها بالنَّائى^(١)
وسل المدائن والقرى عن حالها فى زحمة الشهوات والأهواء
تنبئك ثرثرة القطيع بأنّه ضاقت عليه منافذ الصحراء
الأرض مازالت كعهلك مسرحا للقصة الملعونة الشوهاء
والناس قابيل وهابيل وما من آدم فيهم ولا حواء
موسى لديهم كاذب ومخادعُ والسامرى مصدق الأنبياء^(٢)
يتهافتون على الحطام وربّما شربوا السموم ليظفروا بدواء
ويمجّدون السلم وهو وسيلة فى شرع أحكمهم إلى الهيجاء
شعب يعيش على دماء ممالكٍ وممالكٌ تحيا بغير دماء
ومقاصِرٌ للعدل شامخة الذرا الظلم فيها سيّد الزعماء^(٣)
ميزانها المخبول وجه منافق وبنائها من أعظم الضعفاء
المدفع الجبار فصل قضائهم والهدم غايتهم من الإنشاء

(١) الفُسّاح من الأرض الواسعة . من فسّح المكان يفتح فسّاحةً : وسّعه فهو فسّاح وفُسّاح وفُسّح

(٢) السامرى : من ينتمى إلى السامرة ، وهو عظيم من عظماء بنى إسرائيل من قبيلة السامرة .

(٣) المقاصر : والمقاصير : جمع مقصورة ، وهى الدار الواسعة المخصصة .

إن يحكموا فالشاة ذئب وادع والذئب إن عدلوا صريع الشاة^(١)
 في كل واد للسلام ماتم مجنونة تبكى على العقلاء
 الكون فيها والحياة رهينة بالوثبة الذريّة الحقاء

* * *

الأرض دونك فامض في آفاقها حتى تملّ بها من الإعياء
 فإذا تعبت فألق حملك واسترح في الشرق وامتد أطول الثوباء^(٢)
 فهنا الكسالى الفاشلون تحوطهم نُوب الزّمان السود بالظلماء^(٣)
 (يقفون والفلك المحرك دائر) ماضٍ مضى البارق العداء^(٤)
 سكرُوا بأوهام الحياة وأسلموا سُفن المنى لمصارع الأنواء^(٥)
 وتنكروا للمجد وهو أمانة ورثوا مفاخرها عن الآباء
 انى نظرت فمّ شعب ضائع عفن الحياة ممزق الأشلاء
 أذناهم في القيد مثل رغو سهم رغم اختلاف القدر والسيماء^(٦)
 يتقاسمون الذلّ لقمة سائل عجزت طبيعته عن الإعطاء

(١) الشاة : جمع شاة وهى الواحدة من الضأن والمز والطباء والبقر والنعام وحمر الوحش ويقال للذكر والأنثى ، وتجمع كذلك على شياه .

(٢) الثوباء : حركة للثَم لا إرادية ، نتيجة الفتور من هجر كسل أونوم .

(٣) النوب : جمع نوبة ، وهى النازلة والمصيبة .

(٤) البارق : اللّامع المتألّئ . العداء : الشّديد العدوّ .

(٥) الأنواء : جمع نوء ، وهو النجم إذا مال للغروب .

(٦) السيماء : العلامة .

الَّذِينَ فِيهِمْ سُبَّةٌ وَمَعَرَّةٌ يَمْشِي الْعَزِيزُ بِهِ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ^(١)
 وَالْكَفَرُ فِلْسَفَةٌ يَهْمُ بِحَبْهَا مَنْ شَاءَ أَنْ يُدْعَى مَعَ الْحُكَمَاءِ
 أُمَمٌ عَلَى الْمَاضَى تَطِيلُ بَكَاءُهَا وَتَنَامُ عَنْ مُسْتَقْبَلِ وَضَاءِ
 رِمَمٌ يَعَافُ الدُّودَ رِيحَ طَعَامِهَا وَتُعَدُّ رَغْمَ الْمَوْتِ فِي الْأَحْيَاءِ^(٢)

يَا عَيْدُ يَا ضَيْفَ الزَّمَانِ أَسَامِعُ أَمْ لَسْتَ تَسْمَعُ دَعْوَتِي وَنِدَائِي
 مَا زَالَ قَوْمِي يَحْسِبُونَكَ مِثْلَهُمْ غُرًّا تَهْمُ بِزُخْرَفٍ وَطِلَافِ
 لَبِسُوا لَكَ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ وَتَحْتَهُ أَجْسَامُ عِبْدَانِ الْهَوَى أَمْرَاءِ
 لَبِسُوا لَكَ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ فَقُلْ لَهُمْ الْعِيدُ عِيدُ الْقَلْبِ لَا الْأَزْيَاءِ
 وَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ قِصَّةَ الْمَجْدِ الَّذِي شَادَتْ دَعَائِمَهُ يَدُ الْقُلَمَاءِ
 مَجْدُ الْعَرُوبَةِ وَالْخُلُودِ بِذِكْرِهِ ثَمَلُ الْفُؤَادِ مِنْوَرُ الْأَرْجَاءِ
 وَاشْرَحْ لَهُمْ مَعْنَى الْحَيَاةِ وَقُلْ لَهُمْ الْمَجْدُ لِلْحَرِيَّةِ الْحَمْرَاءِ
 وَامْلَأْ مَسَامِعَهُمْ بِصِيحَةِ شَاعِرِ فَتَحَتْ يَدَاهُ الْخُلْدَ لِلشُّعْرَاءِ
 (تَاللَّهِ مَا دُونَ الْجَلَاءِ وَيَوْمَهُ) عِيدُ نَكُونُ بِهِ مِنَ السُّعْدَاءِ

(١) السُّبَّةُ : العار . والمعَرَّةُ : الأذى والنساء والمكروه ، والمعرة كذلك : موضع الحرب .

(٢) الرِّمَمُ : جمع رَمَّة ، وهي النِّظَامُ البالية .

أنا ... وانت

هذا مكانك في الهوى ومكانى
يا روح أحلامي ونبع خواطرى
رغم اختلاف الدار مقتربان
ومناى فى فرحى وفى أشجائى
لهفى عليك قريبة وبعيدة
محجوبة الأنوار عن أجفائى
الليل بعدك حائتى .. ومدامعى
خمرى .. وأشباح الأسى نلعمانى

جرت الحياة بنا على أقدارها
روح تعيش على الجمال وفكرة
ما بين حيرتها وبين قرارها
الخلد واللاهوت من أسرارها^(١)
نهبُ الظلام ضياء قلبينا معا
ونحدث الأيَّام عن أفكارها
كانت لنا دنيا .. وصوح زهرها
فسلى رياح الموت عن آثارها^(٢)

لولا احتراقى فى الهوى ووفائى
فعلى الطريق - كما علمت - مقابر
لطوى الظلام قداسى وضىائى
مازات أرثى أهلها ببيكائى
شربوا من الشهوات أعتق خمرها
ومضوا .. بلا صوت ولا أصداء
ولهم على ظهر الحياة بقية
شتان بين تراهيم وسمائى

(١) اللاهوت : الله ، وعلم اللاهوت : علم يبحث عن العقائد المتعلقة بالله .

(٢) صوح زهرها : ذبل وجف .

هل تذكرين .. وقد سمعتِ لحنوني وأنا .. وأنت .. ولهفتي وحنيني ^(١)
 عادتكَ أحلام الشباب .. فقدت لي أهواك .. رغم تعاسي وشجوني
 أهواك؟ .. ليتك صنتها عن مسمعي حتى أكون شهيدها .. وتكوني
 كانت تعلِّة عاشق ونعيمه لو كانت الأقدار طوع يميني

(١) اللحنون : جمع لحن . وهو ما يصيغ من الأصوات ووضع على توقيع ونغم معلوم (صناعة الألحان) ولكن الشاعر يستخدم اللحن للأغنية الشعرية .

عهد علينا

يا من تمرّ بنا الدنيا بأجمعها فلا نرى عندها دنيا .. ولادينا
حبا لكم .. إن سلونا كل شاة ولم نكن عنكم يوما يسالينا
وعندكم علمنا .. والله ثالثنا وإن ظلمنا .. وسمينا مجانينا
أنحن نشغل عنكم .. لا وربكم وربنا .. والذي يعطى المساكينا
ويجمع الشمل بين العاشقين .. رضا منه وحبا لمن عاشوا محبيننا

* * *

أبعدكم نعيش الدنيا .. ونطلبها ونحن منكم .. وإن كنا بعيدينا
عهد علينا .. وإن طال الطريق بنا ألا نرى غيركم في القفر هادينا
عهد علينا .. وإن أكثت وسائلنا وغاب في التيه دون القصد هادينا^(١)

(١) أكثت وسائلنا : جحدت وقصرت. التيه : المفازة لاعلامه فيها يتهدى بها. ويقال : أرض تيه متصلة ، ج : أتياه ، جج : أتايه . الحادى : الذى يسوق الإبل بالهداء ، ج : حداة .

الدار (١)

هذه القصيدة إليك وحدك ، فاقريها ، فأنت فيها ، وأنا ، بين معانيها .

كذبت هند.. حين قالت لك القلـب عزيزاً بالحـب والإيمان
كذبت هند.. حين قالت لك الحـبُ (م) وما شئت من رضىً .. وحنان
فلقد أخلفت مَوَائِقَهَا القـد م وباحت بالسرّ .. قبل الأوان (ن)
ومضت تشهد الأنـام على حـي (م) وأغرّت بضبوق خـلاّتي (ص)
كذبت هند .. لا أقول بطبع غير أن الدلال .. سرّ الغواني
وهى فى الحـب جنتى .. وججيمى وجنوى .. وعزّى .. وهوانى
وأنا فيه .. مثلما عهدتـنى قبل بدء الوجود .. والأكوان
أستشفّ المنى .. خلال الزمان وأذوق المحال .. كالإمكان
وزماني على .. والعجز من طبعى فلنـى على الحقيقة فان

(١) كان عنوان هذه القصيدة : « يا غريبة الدار » ولكن الشاعر اختصره إلى « الدار » فقط .

(٢) الموائيق : جميع مَوَائِق ، وهو العهد .

(٣) الصبوة : الميل إلى اللهو ، أو الحنين والتشوق إلى الحبيب ج : صَبَوَات .

وزماني مني .. وإن كنتُ عنه
وهو داجٍ حيناً .. وحيناً مضى^(١)
كذبت هند .. فلتكن أخت عفو^(٢)
ولتكن في فراقها مثل هند^(٣)
يوم كانت مني .. وكنت هواها
كنت معني جلالها .. وبهاها
الها .. لا أشم ما يبعث التـر
عبرياً .. لوضاقت الأرض بالليـد
وأحطت الجو الذي هو فيه
ثم ألقيت .. للآلئ يسكنون الـ
قائلا .. فلتك الحياة نهـارا
وليكن نور شمسهم .. هو هاديـه
هؤلاء الآلئ يضيـقون بالنـو
نائيا في الوجود والحسبان
عبرى في البخل .. والإحسان^(٤)
فألق صرت خلة الحرمان^(٥)
يوم كان الزمان من أخذاني^(٦)
قبل أن أصطلي بنار الهوان^(٧)
وسناها المحجوب عن أجفاني
ب ومن يسكنونه من دخان
لي لأسكنته ذرا وجداني
بضباب الفناء .. والنسيان
أرض مرماتها بغير امتنان^(٨)
مثما كان قبل خلق الزمان
هم إلى نور ربها الصمداني^(٩)
ر إذا كان عالي الفيضان

(١) داجٍ : مُظلم .

(٢) الخلة : الخصلة ، يقال : فيه خلة حسنة وخلة سيئة ، ج : خلال ..

(٣) الأخدان : جمع خدن ، وهو الصديق .

(٤) أصطلي بنار الهوان : أستلقى ..

(٥) المرعى : عطى السفينة قرب الساحل ، ج : مراكس

(٦) الصمداني : اسم من أسماء الله الحسنى .

هؤلاء الأئمة ينموتون لشيء الليل فلا يحرمون من أكفاني
أنا فيهم أعيش يا هند وحتدى عبد قلبي وعبد ما أحراني
قريباً بالذي أكن من الوجود وبالسافيات من أشجاني^(١)
ما أنا عندهم ولا هم همي^(٢) ولا نومهم لعيني بهاني

قربى مرتقالك يا هند ما أسطه ن فقد أتعب الصعود جناني^(٣)
أنا يا هند.. لا أزال أيتها اللوا قف بين السفوح .. والكثبان
أناظر النور خلف وجهك ينسا ب على العالمين والأزمان
وأنا بين مؤمن القلب حيرا ن سعيداً .. بقلبي الحيران
أتمنى عليك أن تلهميني بعض ما تلهمينه من معاني
قانعاً بالذي تحيين منى سابحاً .. في وجودك الرباني
كوكب يبعث الحياة .. ويجلو ما وراء الأكوان^(٤) .. من أكوان^(٥)

قربى مرتقالك يا هند .. حتى التقى بي .. عند اشتعال التفاني[[]
عندما يصبح الضجيج سكونا في خيالي .. والنوح مثل الأغاني

(١) السافيات : جمع سافية ، وهي الريح التي تحمل التراب وتلته . ولكن الشاعر استخدمها هنا في الحزن والهم اللعينين .
(٢) المرتقى : الرق وهو الصعود .
(٣) الأكوان : جمع كون وهو عالم الوجود .
(٤) الأكوان : جمع كون وهو الوجود المطلق العام .

عندما تغرب الحياةُ وَمَنْ فِيهَا ويبقى الباقي .. ويفنى الفاني
 عندما تنتهى النهاية حتى لا أراى .. والحق أرى أراى
 عندما تنطقين .. سبحان ربى فأصلى فى قبلة « السبحان »
 عند ما تسمعين فى آية « الملك » سلاما من ربنا الرحمن
 أنتهى عنده .. وأدرج فيه برداء الجلال والإيمان
 ثم نمضى عن الوجود ومن فيه لنفنى فى الانتهاء الثانى
 قدس هو .. ورحمة .. وانطلاق من قيود الجزاء والغفران

ياجنونى .. من لحظة أنا فيها قاب قوسين .. من حمى الدبّان
 أشتكى عنده الهوى .. وألئى توبة لا تزال ملء جنانى
 توبى عن تعشقى .. واصطبارى وهيامى بالروح والريحان
 ياجنونى .. من لحظة .. تنتهى لوجود .. مقدس .. روحانى
 أنشئ عنده بخمر شهودى لمكانى .. وأين منى مكانى
 عندها أرتقى إليك .. وأسعى بفؤادى مع الضياء الوانى^(١)
 عندها أستحيل لله سرا غاب إلا عن خالق الإنسان
 سرّ عبد أطاع داعية الحبّ بقلب معناه فوق المعانى
 ياجنونى منها .. ومنك .. ومما جمعه .. لذاتنا .. من آمانى

(١) الوانى : القاتر الضعيف الكليل البهى .

إليه يا هند .. ما لقلب .. قلبي يشهد الحب .. خافياً .. كالعيان
لست أدري أيّ القلوب أخوصد رى وأيّ الأسرار ما في كياني
أتراني أرى بعيني من نو رك ما تيمت به ألعاني
لست أدري نهايتي مادهاها ؟ بعد طول السهاد والحرمان
أترى ألتقيك ؟ ما لبعيد عن فؤادي وخاطري .. وهو دأن ؟
أترى ألتقيك .. أين .. وما تخلص نفسي من وحدتي .. وزماني
والقيود التي أكابد .. من ذا في وخطو الزمان قيد عنائي
لأنامل راحتي .. لا .. ولا عمري طوع الأغلال والأرسان^(١) :
فسلام عليك .. ما عشت .. مني وسلام على فؤادي الفاني
وسلام على المحبين قبل وعلى الدارجي في أكفاني
فمن الحب بلوهم .. وإليه منتهاهم .. ومن سقام سقاني
وسلام عليك .. ما شيعتني عبرات من جفئك النديان
فلقد عشت كالأنام .. زمانا باسم الوجد .. ضاحك الأحزان
ومضت ساعتي وليس بكفى سوى راحتي .. وثوب أمان
وسلام على هوانا من الله سلام القداسة الرباني
وسلام على يوم ألقاه وحي على يدي .. وهواني

(١) الأرسان : جمع رسن ، وهو ما كان من الأزمّة على الأنف ، وجمع الرسن أيضا على أرسن ؛



مع الريح

١٩٥٠ - ١٩٥١

سكرتي (١)

ألا إنَّ سكرى .. سكر عبدٍ له كأس
سواه له كأسٌ ~~غيره~~ ... وله نفسٌ
سوى نفسه .. يا حسرتنا .. ثم حسرتنا
لنفسى من كأسى .. وواحسرتنا كأسى

شربت . فأعماني الرِّحيق . فخطئى
ألا أيها الساقى .. فلانى غداً أخسو^(٢)
وأشرب ياساقى .. وأنت بسكرتى
علم .. إذا فاضت بموجاتها الكأش
غداً لى طلى ياساقى .. فامض .. فلانى
هلوك انتشاء .. لم تذق مثله النفس^(٣)
أراك كائن مقبل بك -- مدبر --
وأنتك مثلى .. مبحر بى .. لا ترسيب^(٤)

(١) فى حانة الحياة وحظه فيها .

(٢) أخسو : أشربه جرعة بعد جرعة .

(٣) الطلى : الخمر ، والطلاء : كل ما طلى به .

(٤) لا ترسو لا تثبت ولا تتوقف .

أنا ناك .. أو قل لي .. إذا ما تركتني
قليلاً .. لأصحو .. ما الذى ضُمن الطرس^(١)

أمّا قضاء الله - ياساق - مخرج
أنا ناك ياساق .. فماني - غداً - رأس
أفكر .. هل شاء القضاء .. وأنت هو

فقلبك ما زالت عواطفه تفسو
وما زلت تُذلني إلى الشراب .. وتملأ
كثوس .. وتغريني .. وما في فمي حس

أنا ناك ياساق .. وحسبك ما ترى
فما في دمي روح .. ولاني يدي أنس
نعم .. دَعْنِ .. يا اللهم رحماك .. واكفني

وجود سقاة الإنس .. ما وجد الإنس
نعم دَعْنِ ياساق .. فبينى وبين ما
تعيش حدود .. لا يخف لها الحدس^(٢)

وجودى الذى فيه أنا .. غير ما ترى
نعم يا الذى أعنى .. فعالمى القدس

(١) الطرس : الصحيفة . والكتاب الذى عني ثم كتب ، ج : طروس ، وأطراس .

(٢) الحدس : القراءة ، وفي اصطلاح المناطقة ، مرعة انتقال الذهن من المقدمات إلى النتائج .

وإن كنتُ ملء الطين ذاتاً وحاجةً
فقد خلقتُ للطين هاتيكُم الشمس

تباركت يارب السماوات.. ها أنا
وها أنت.. في كل الوجود.. لك المجد

جری ماجری.. فامح الغداش الذي جرى
إلهي.. أو أثبت.. فإني لك العبد
أقمت قيامات علي.. وجاز بي
قضاؤك.. ما دبرته.. النحس والسعد

أمر بذاتي في مسائي وضحوتي
وحظي من ذاتي.. هو القرب.. والبعد
أمر بها اليوم الذي أنا قيده

كما قد مررت الأمس.. والأمس حاضري
ومرجو ما يأتي به المجهل الفرد
نعم.. مر بي ماضي.. يارب.. مقبلا

علي.. فأعماي.. ولي النظر الوقْد^(١)

(١) النظر الوقْد : النظر المتلألئ.

ظلامٌ أضافته الليالي .. وطلسمت

غواشيه .. فهو التَّيه .. والضُّيق .. والسَّهْد^(١)

أضافته .. حتَّى شاب .. وهو تَوَّاهما

لها فيه أحلام .. وفي ضمِّه قصد

ليالي .. وهى الذاهبات - على المدى -

هباء .. وفجرى دونها الدهر - مرتدٌ

كفرت بها ربَّاه .. فامنن .. فربَّما

بكيت أمِّى يوماً .. وأفنائى الوجد

وأنت لمن يبكى .. وإنى لنادمٌ

وإن كان ذنبى أننى - للورى - ضدٌ

فهم عبدوا الطاغوت .. واستمرُّوا القذى

وهاموا بدنياهم - وردَّوا .. وما ارتدَّوا^(٢)

ولاسبَّحوا للحقَّ .. أو قدَّسوا العلا

أو استمَّنَّحوا السَّقِيَّانَ مِنْ عِنْدِهِ الْوَرْدِ^(٣)

(١) طَلَّسَمَتْ غواشيه : غُمِضَتْ وَأَبْهَمَتْ. والغواشى : جمع غاشية وهى الغطاء ، أو غلاف القلب . وداء يأخذ فى الجوف ، والمعنى أغمض وأبهم خطاؤه أو غلاف قلبه .

(٢) الطَّاغُوت : الشيطان ، والسَّاحِر ، وكلُّ رأسٍ فى الضلال يصرف عن طريق الخير . ج : طواغيت وطواغ . استمرُّوا : استطيُّوا القذى ، أو وجدوه مريئاً .

(٣) السَّقِيَّان : جمع سقى وهو إزال الفيث من السماء .

ولإني أقيهم .. يا إلهي .. وسيدى
وما بيننا ظلّ - من البعد - ممتدّ

نفختُ لهم ناي .. وغنيتُ ألحني
وأطعمتهم زادي .. وفتّحت مسكني^(١)

وقلت لهم هذا مكاني .. وأنتمو
أحبة قلبي .. ما أراد مُكوّني

لكم هو .. ما ساقبتموني ودادكم
صفاء بروّني .. ويلهم أرغني^(٢)

ولإني المُنْتَبِكُ .. وخادم وفدكم
وعبدكمو .. عبد الضيفِ وَضَيْقِنِ^(٣)

لكم جلوتي .. نشوان .. يغمرني الرضا
مدى ما أرى فيكم نديما يحبّني

فماذا جنت كفّاي منهم سوى الذي
يطير له قلبي شعاعاً .. وينفني ؟!

(١) ألحن : جمع لحن ويستعمله الشرطون للأغنية الشعرية خروجاً به على حقيقة العرفية التي وضع لها.

(٢) الأرغن : آلة موسيقية .

(٣) المُنْتَبِكُ : المُنْغِي اسم فاعل مضاف إلى مفعوله « كم » ، وَالضَيْقِنِ : من يتبع الضيف وهي ضَيْقِنٌ ، وَضَيْقِنَةٌ .

وماذا بعيدَ العطف منى عليهمو
سوى ماترى نفسى .. وترويه أعينى
ملاحم من شعر الزمان .. جميعها
دموع .. وأَنات .. تغيب .. لثنتنى^(١)
خضبت بها أفقى .. ورطبت واحقى
وإن لم يكن فيها غناءً لمجتنٍ
وماذا بقلبي - عاد - بعد تجاوزى
سنى الطفل .. يا أنعم بهاتيك من «سنى»
ألا كم يعد يا قلب فيك سوى المنى
منى الأمس والمجهول .. والحاضر الدنى
منى الأمس يا قلباه .. والغيب دونها
وأنت بمعنى الغيب ذاكى التفتن
وأنت بمعنى الغيب أدرى .. فطلما
فَرَزْتَ إلى تحقيقه مِنْ تَطَنُّنِي

(١). ملاحم : جمع ملحة ، وهى كتابة عن عمل شعري طويل يتألف من أناشيد عدة نُظمت في وصف حرب من الحروب ، ووصف جيوشها وأبطالها والأمكنة التى دارت فيها ، تشرك الآلهة في وقائعها وتقوم على الأساطير والخرافات كإلياذة هوميروس وما شاكلها ، ولكن الشاعر استخلفها بمنى القصيدة التى تعبر عن تجربة في الحياة من تجاربه التى عبر عنها بشعره .

فما عدت إلا بالذى أنت أهله

من الهم .. والوهم الضَّلُول .. المدجّن^(١)

حنانك قلبي .. فالمنى .. أنت عالم

بتخداها .. علم الجهول المزكّن^(٢)

حنانك قلبي .. وامض بي .. حيث لا نرى

سوى اليأس في واديه .. سامان .. أصفرا

نرى اليأس في واديه .. والموت عنده

وأخبار ما يجرى .. وآثار ما جرى

نرى اليأس قلبي .. فهو أولى بنا معاً

وأقرب رحى بالضحايا .. بنى الثرى^(٣)

نراه كأيام .. لقيناه عندها

كريما .. رحيب الباع .. لا ينكر الورى

فهم عرفوه - قبلنا - خير راحة

يضىء إليها اللاهثون من السرى^(٤)

(١) الضَّلُول .. والفَكِيل : الكثير الضلال المبالغ فيه ، وصاحب الغوايات والبطالات . المدجّن : الذى دخل فى الظلام .

(٢) المزكّن : المشبّه الملبّس . (٣) الثرى : التراب .

(٤) السرى : سِر عامّة الليل (يذكر ويؤثّر) .

وهم عرفوه غير هذا وحاكما
 عجيب القضا يا - عادلاً ما تهوَّرا
 مليكاً له في كل بادٍ ومبهم
 من الذَّهر سلطان يذلَّ الشجيرا
 وهم عرفوه شاعرا كل حظُّه
 من الشعر .. أن يبكي على اليوم أشهراً
 كما عرفوه - دون ذلك - تاجراً
 على ظلمه .. يبتاع منه .. ويشترى
 ونحن عرفناه على كل حالة
 وعشنا - على عينيهِ - يا قلب أعصرا
 عرفناه عرفان الأجيَّة بعضهم
 رفيقاً على حاله - سرّاً - ومظهراً
 فما كان إلا اليسر في كل عسرة
 وما كان إلَّا للملِّمات مطهراً ..^(١)
 فما لِكَلِينَا بعد - يا قلب غيره
 رجاء وإن أفنى .. وأضنى .. وحيَّراً

(١) الملِّمات : جمع مُلِّمة وهي النازلة الشديدة من شدائد الدَّهر .

نعم يا بن أيامي الحزينات دائما
ويا عاهل الآلام في كل ما أرى
هو اليأس مهوانا القديم.. وحصننا
فدونك.. فاجعل أول الحب آخرًا^(١)

(١) المهوى : السقوط من علو إلى سفلى .

الأفعى (١)

وإليها في كل جحر .. وبين
أحضان أي ثعبان ؟

اشغليني بما تريدني مني واملئي بالغرام سمعي .. وعيني
بفنون الإغراء .. باللهب الثا ثر من جسمك البديع الأغن^(٢)
جسمك العبقري .. شكلا. وظلا الغوى .. الغنى .. عن كل حسن
أشغليني .. فقد تنالين من عُمرى يوما .. نقضيه كالحالمين
عند هذا الركن القريب من الأزل ضي .. وإلا .. فعند أبعد ركن
هو يوم .. كأي يوم .. سيمضي أو مضى .. فالحياة .. لون كلون
سنقضيه وحدنا .. ثم ترضين .. وأشكو .. أو تثنين .. وأثني
بين خمر رخيصة .. وأغانٍ ساقطات .. تجرى على غير لحن
ودخانٍ مُعطرٍ نتعاطا ه .. بعيدا .. في وكرنا المستكن^(٣)
وحديث مهلهل عن ليالي لك .. وعن قلبك الصغير المُسن
ونكات حفظتها عن أبي النوا^(٤) يس أو عن جُحا الحكيم المفن^(٥)
تتقاضينني عليها حياتي وتقولين .. قد رجعت بغبن
هو يوم كأي يوم .. سيمضي أو مضى .. فالحياة .. لون كلون

(١) تمبر هذه التجربة عن رفضه للمرأة حينما يكون غاصبا عليها .

(٢) الأغن : ذو الغنة في الصوت . (٣) المُستكن : المستر .

(٤) الفن : صاحب الموهبة الفنية ، وهو مبالغة من فن .

سنفضيه وحلنا .. ثم ترضيه
وبعيتي لهفة .. وانتظار
اشغلي .. وقربيني من كثر
كرمك المشتبه .. القريب من الأذى
خفيت فيه من أنوثتك الحمى
يا بذة الليل .. والخطيئة .. والآ
قصة أنت ألفتها الليالي
أشعليني نارا .. فلن تحرق مني إلا ما
ثم يبقى لدى من صبوأت
أشعليني .. وعريدي .. واذيقني
واسحربي ظلاً لظلك في العا
ثم عودي إلى .. بعد قليل

ن وأشكو .. أو تشتمين .. وأثني
وبعينيك ما يثير .. ويضني
مك .. أجنى قطافه .. وأغني
دى .. وإن كان غاية المتعنى
راء .. دنيا .. حدودها فوق ظني
فاق .. والسجن .. والهوى .. والتعنى
من شذوذ وحيرة وتجن
جفف الصدر منى
ثروة في مواسم الحب تغني^(١)
في مالم أذق .. وتيهي .. وضني
لم .. وامضي كما تشائين عني
تجليني .. كما أنا .. فاطمئني

لا تظني أنني سأعطيك أيًا
لن تنالي مني .. سوى ما تنال ال
عمرات من الظلال .. تناديك وتكفي عليك .. وهي تغني
مستكونين في قصبي بيتنا , تهدم الريح جانبيه وتبني

(١) الصبرات : جمع صبرة ، وهي الميل إلى اللهو ، أو الحزن والتشوق إلى الحبيب .
(٢) الدجى : جمع دجئة وهي الظلمة ، أو الغيم المطبق الریان المظلم لا مطر فيه .

أنشودة الغرباء^(١)

الندامي .. وما أحبَّ الندامي حرموني - على البساط - المدّاما^(٢)
حرموني .. وخمرهم من عصيري ومضوا - دون أن يقولوا سلاما

* * *

أيها الراحلون عني - رويدا فمن الهجر ما يكون حراما .. !
أيها الراحلون عني .. وأنتم صفوة الكأس .. لذّة .. وانسجاما
أيها الرحلون .. أغلقت الحّا نة أبوابها .. وباتت ظلاما
وجفا الكأس راحتي .. ونأى السّا قى .. وأغفت عيني ضنّي وسقاما^(٣)

* * *

أيها الراحلون .. مانمت عنكم إنما نمت حيرة .. وانعطاما
كنت يوما .. وكنتمو .. ثم شتم ما أراي - قبل الختام - الختام
بعتموني بفرقة .. أنا فيها أوجد العاشقين خمرًا .. وجاما^(٤)
لم يعد لي من حبكم غير أحلا م .. صداها يشتت الأحلاما

(١) تعبر هذه القصيدة عن حالة شعورية تمثل فترة من حياته ، فرقت فيها الحياة بينه وبين أهله وأصدقائه وسنّاره .

(٢) المدّام : الخمر .

(٣) الضنّي : المرض أو المزال الشديد ، وهو كذلك السّقيم والمريض الذي قد طال مرضه ، وقد يوصف به المفرد والمذكر وغيرهما على السواء ، وبعضهم يشبهه فيقول : هم أضناء .

(٤) الجّام : الكأس .

ذكريات .. أبكى لها .. وأغنى
 وهى لى بعدكم هوى .. ونداما
 أيها الراحلون غنى .. وعن كأ
 سبي .. وحالى .. لاترهقونى ملاماً
 إن تغنيتُ أو بكيت .. فإنى
 عبد قلبى .. مداماً .. وابتساما
 إن تغنيت .. أو بكيت .. سواء
 أعشق الناس .. من سلا .. ثم هاما

* * *

أيها الراحلون .. لاتذكرونى
 شاديا يملأ الدنيا .. أنغاماً
 أيها الراحلون .. لاتذكروا منى
 إلا الأوجاع والأسقاما
 أذكرونى .. أخا الليالى الحيارى
 فى هواكم .. وابن الموع البتامى
 سوف أحيى لكم .. وإن كنت عنكم
 نائبا .. لا أرى لديكم مقاما
 سوف أحيى لكم .. فإن مت يوماً
 فاحفظونى .. فقد حفظت الذماما
 أيها الراحلون .. إن مت يوماً
 فلقد مت قبله أياماً .. !
 فوداعاً .. على المحبة والشو
 قى .. وداعاً .. ولهفة .. وسلاما
 أيها الراحلون .. مهما جفوتهم
 فأتنا من عهدتمونى غرامنا !

(١) الملام ، والملائمة : التروم ، والتروم : العذل والعيب ، ج : ملاموم .

(٢) اللّمام : العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة ، ج : أذمة .

عاد الربيع أو أين أنت ؟

عاد الربيع ولم تعودى يا نبع أفراح الوجـــــود
عاد الربيع .. ولم تعودى فعلام أمنحه نشيدى ؟
ولمن أغنى .. والفضاء الطلق يسخر من قىـــــــــــــودى ؟
وبأىّ لحنٍ والأغاريد العذاب .. هجرن عودى^(١) ؟
أنا للفناء .. فلا تمنينى بأحلام الخلـــــــــــــود ..

(١) الأغاريد : جمع أغرودة ، وهى غناء الطير أو الإنسان .

سلوى

ذهبت عنك - يا حزين - الهموم فاسأل ما استطعت . فاللطيف قديم
أو فبأك الأيام .. وأبك مع الأيام م .. حتى تنسى .. وأنت العليم
أيها الذاهب - الغداة - مع الأوز هام .. تسعى وراءها . وتبهم^(١)
ذهب الأمس ... والذي أنت فيه ذاهب .. والغد المرجى .. مقيم

* * *

فاهف - ماشئت - نحوه وامض ماشئت ت إليه .. وتناجه .. وافن فيه
فهو غيب .. وأنت تأنس بالغيب ب وتشقى .. وأنت من عارفه
لك ما للذين راحوا .. فأبأ و لك منهم .. فى الحق .. والتمويه
ولك اللذ لمن همو .. أنت فيهم من نبيى .. وجاهل .. ونبيه^(٢)

* * *

لك ما للذين راحوا .. وما أذ مت قديما .. إلا وأنت .. جديدا
أنت كالخلق .. فكرة ومثالا مبدئاً ... فى تأمل .. أو معيدا
أنت كالتناس .. ما وصلت حباً لك .. إن قائدنا لهم أو مقودا
لم تكن ذات لحظة رب شىء فأفنى .. تشهد الربيب المريدا^(٣)

(١) الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس . ج : غدوات .

(٢) اللذ : إحدى لغات اسم الموصول للمفرد ، وهى : الذى ، والذير ، والذذ ، والذذى ،
ولذى .

(٣) الربيب ، والربوب : زوج الأم الذى يرى لها ابنها من غيره ، ج : أرباء وأربنة .

يا رفيقي

و لنخرج الشاعر الحر الأستاذ محمد كمال عبد الحليم
الحامى ديوانه الرائع «إصرار» وفيه بحث جديد
لفكرة الحياة المثالية التى يهفو إلى تحقيقها كل
مؤمن ببلاده ووطنيه وإنسانيته ، فكان من أثر
اشعاعه فى نفسى هذه الآيات التى أضاعها بين
يديه تحية خالصة لديوانه الخالد العظيم .

يا رفيقي .. وأنت موحى قصيدى وإليك العظيم من تمجيدى^(١)
يارفيقي - وأنت أنت .. بنفسى ما تمنيه من رجاء مجيد
تتمنى لنيلك العز والمجد وتلك الآمال .. سر وجودى
فأنا فى الذى تحس .. وتبلىو أنت .. رغم ابتعادنا فى الوجود

* * *

يارفيقي .. ونحن - ما قلت - جرحا ن يسيلان من دمٍ وصديد^(٢)
بيدينا دواؤنا .. فالتمسسه فى نشيد .. يخلو سرايا الجنود^(٣)
والتمسسه فى مدفع آدمى يتغنى بمدفع من حديد
والتمسسه فى الحقل يخضعه ألفاً^(٤) ح كرها .. بكفه المكودود
والتمسسه فى عامل يبدع المصنوع فنأ بفكره المجهود
والتمسسه فى كل ما يعمل الشئ ب .. وبارك حياته من بعيد

(١) موحى قصيدى : منتهى .

(٢) هذه الكلمات مقتبسة من شعر الشاعر محمد كمال عبد الحليم فى ديوانه «إصرار» .

(٣) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلثائة .

ذلك الشعب .. والحياة تساقب — هـ كثوسا .. من الضنى .. والجمود
 لم تنزل فيه من حياة الأولياء — ن .. بقايا .. من عزة .. وصمود^(١)
 نحن منه .. فنحن نصلى كما يص — لى .. ونشقى بحظه المنكود
 يارفيقي .. والشعب يغمره الصن — ت .. تسمع لصوته المخمود
 إن تحت السكون .. تعوى الأعاصير — ر .. انتظارا ليومها المعهود
 يوم لا ينفع الأفاعى فحيح — ويكون الفضاء .. زار الأسود^(٢)

* * *

يارفيقي — ونحن — ماقلت — «روحا» ن يضجّان في حديد القيود^(٣)
 لا يكن لحنك البديع نواحا دائما .. وانطلق بحلو الشيد
 أو .. فخافت به . إلى أن يواتي لنا صباح .. متوج بالسعود^(٤)
 عنده ننفخ الأراغن بالنجوى ونحي أنغامها من جديد^(٥)
 يارفيقي .. وليس هذا غريبا فبعد الآمال .. غير بعيد
 بعد حين .. سنلتق — وينادى كل شيخ فينا .. وكل وليد
 من أنا .. دون عزة وعلاء وطموح على الليالى وطيد ؟

(١) الأول : جمع الأولى ، وهو الأحن والرجل والأقرب .

(٢) الأفاعى : جمع أفعى ، وهى الحية من شرار الحيات . فحيح الأفعى : صوتها . زار الأسود : صياحها من صلوها .

(٣) هذه الكلمات مقتبسة من شعر محمد كمال عبد الحليم في قوله : روحان يضجان ... الخ

(٤) فخافت به : خفضه أو أخفه . والسعود : جمع سعد ، وهو اليأس وتقويض النحس .

(٥) الأراغن : جمع أرغن ، وهو آلة موسيقية نفخية ، وقد جمعه الشاعر بالرغم من أن

اللفظة يونانية .

من أنا .. إن رضيت للوطن الأم
 من أنا - في الحياة - إن حَمَلْتَنِي
 من أنا .. والوجود حولي فسيح
 الحياة الحياة حولي .. وما أَرُ
 والأمانى العصماء ملئى .. وفيها
 جِدْ عيش الأغلالي والتقييد
 مَيّت الذات .. فانيا في ركودي
 إن تقيدت بالصوى .. والحدود^(١)
 جوه منها ضرورة اوجودي^(٢)
 كل مالى .. وعدتني .. وعديدي

• • •

يارفيقى .. مامصر؟ ما الشعب؟ ما فر
 يارفيقى مامصر . ؟ وهى من العا
 يارفيقى ما الشعب .. ؟ وهو بقايا
 يارفيقى ونحن أبناء فرعو
 كيف ضاع الذى ورثناه عنه
 يارفيقى ونحن أخلاف عمرو
 يا رفىقى .. ونحن فى القيد سبّا
 انطلق فكرة .. وحلّق خيالاً
 وافض ما قبلك الحر من نو
 فَعَدَّ بيننا .. وفيه أمانيب
 عون . ؟ ما عمرو؟ ما كرام الجلود
 لم كالسيد العريق الطريد
 حام ضاع من خيالٍ شريد
 ن .. وحراس مجده فى الوجود
 وبقينا نبكى لمجدٍ فقيد
 أين من والدٍ مكانٍ وكيد
 ن .. كفانا رُضاً بنار القيود
 وانبعث وثبة بغير حدود
 ر على أفقك الحزين .. المديد
 نا .. جنود .. أكرم بها من جنود

(١) الصوى ، والأصواء : جمع صوة ، وهى ما حُكِّطَ وارتفع من الأرض ، وما نصب من الحجارة ليستدل به على الطريق .

(٢) وما أَرُجوه منها : أيسر منها ، من زجا الشيء يزجو زجواً ، وزجواً ، وزجاء : تيسر واستقام .

ولنا في السماء .. مجد نُحْيِي ٤ .. ونحيا لفجره المنشود
فسلام عليه يوم نلاقى حُسْنَه زاهيا بنور الخلود
وسلام على الحمى وبنيه من ضحايا الحرمان والتشريد
الكرام الألى استحالوا عبيدا لعبيد .. سادوا . بفعل عبيد

انا

أنا سرُّ الجنون .. قبل الجنونِ قبل أن تستقلَّ كاف بنونِ
أنا ظلُّ الهوى القديم .. ومعنا ه .. ومَجْلَى جماله المكنون^(١)
أنا روح المعنى .. وآية ملك الـ خلق .. قبل الإبداع .. والتكوين
أنا وجه الوجه الجميل .. ومرآ ه .. ومهدى ندائه الكينونى
« كنت » قبل الأكوان .. ذاتاً وسراً ملء معنى محبة « الياسمين »^(٢)

(١) مَجْلَى : مصدر ميمي من جلاجلو جلاء بمعنى ظهر ووضع . المكنون : الخفى المستر .

(٢) الأكوان : جمع كَوْن ، وهو عالم الوجود .

لولا .. ولولا (١)

هذه الأبيات ظلُّ بعيد .. لموجدة من مواجد
أستاذي في الله ، السيد العارف الأكبر مولانا
الإمام محمد ماضى أبى الزمايم .. قدس الله أسرارَه
ورضى عنه وأرضاه ،

لولا .. ولولا .. ولولا عبداً قديماً لمولى^(٢)
لأصبح السرَّ جهراً متى .. وأصبحت قولاً
وغبت عن كل شيء مما بدا .. وتجلَّى
لولا عناية عين الرحمن .. حين تجلَّى

لولا .. ولولا .. ولولا كرامة .. ماتخلى
سبحانه .. وتعالى مولاي .. مادمت مولى^(٣)
فإنه هو يدرى أنى تفانيت ذلاً
وأنه .. وهو ربى بعبده الذلُّ أولى
وأنى .. وهو ربى مسكينه ليمن إلا

(١) أنشد الشاعر هذه القصيدة بمناسبة زيارة الشيخ أبو الزمايم إلى بلطيم ، وكان الشاعر من

بين مردييه .

(٢) المولى : الربِّ .

(٣) المولى : العبد .

وإِنتِبه فكن لى ياربُّ .. قولا .. وفعلًا^(١)

مولای .. مادمت أهلا	فسوف ألقاك أهلا
ولست أعرف - مولا	ى غير ذاتك أهلا
ولا لغيرك فضل	وكيف يملك فضلا
إلا بفضلك ربى	ربى تعالى وجلًا
هو الكريم المرحبى	لِماهُ دقَّ وجَلًا ^(٢)
فى كل حين وآن	مادمت أملك قولا
ولى بنجواه وجدُّ	والهجر يعقب وصلا

مولای .. ما كان بعدى	إلا انطبعا وقتلا
وقد تجرد قلبى	من كل غير تخلى
فكن لعبدك - ربى -	ما دام للفضل أهلا
وامننْ .. وصلَّ .. وسلَّم	« مولای زكى وصلّى »

(١) وإِنتِبه : أصلها وإِنتى هو ، فوضع ضمير النصب محل ضمير الرفع للضرورة الشعرية ، وبنائه على الكسر فى محل رفع خبر إن وهذا غير صحيح . لأنَّه لم يرد له فى كلام العرب نظير فيما أعلم .
(٢) لماه : أصلها لما هو أى الذى هو ، فوضع الشاعر ضمير النصب أو الجرح محل ضمير الرفع ، وبنائه على الضم فى محل رفع لأنَّه صدر صلة للموصول ، وهو مثل التركيب السابق « وإِنتِبه » لم يرد له نظير فى كلام العرب فيما أعلم .

قومي (١)

وقفت عمرى على قومي وآمالى
وبعتهم همتى .. والمطمح الغالى (٢)
أخيتى لهم وأفدى مجدهم كلفا
بالعالمين .. جواداً غير بخال
إن ضاحكوا دهرهم .. باريتهم فرحا
ورحت أشلوهمنى القلب والبسال (٣)
وإن تنادوا إلى همٍّ يُؤرقهم
ألقيت فى النار أنفاسى وأوصالى
قومي .. وهم زينة الدنيا وبهجتها
وفى سماء المعالى نجمها العالى
أعمامى الصيّد - فى الإسلام منبتهم
والعيسويون فى التاريخ أخوالى (٤)
أهوى هواهم .. وأفدى منهمو شهبا
يشيّلون العلا .. بالعلم والمسال

(١) هذه القصيدة تمثل إنسانية الشاعر وإيمانه بالرحم الإنسانية لا إيمانه بالفردية الخاصة .

(٢) المَطْمَح : هو المهدف السامى الذى يتطلع إليه المرء .

(٣) باريتهم : عارضتهم وناقضتهم .

(٤) الصيّد : جمع أصيّد ، وهو كل ذى حول وطول من ذوى السلطان .

قطرة خمر

و كنت أُنشئ عليها أن تسيل ، وهي على حافة
الكأس .. ولكنها .. ولكنها سالت ،

سالت القطرة من كأسى التى هى كأسى .. وأنا الحاسى لماها^(١)
سالت القطرة من كأسى .. وما شددَ تظمائى إلى برد نَدَاها
أو لظاها .. فهى كأسى وحدها وأنا وحدى .. على الدهر - فتاها

هذه الكأس أنا شاربها وهى تدرى أننى عبد طلاها^(٢)
هذه الكأس رفُوقُ دائماً بالندامى .. فلماذا لا أراها ؟
صرعت حتى .. وأنت يقطتى ووجودى .. ومضت نحو مداها
تثبت العقل وتمحوه كما شاء من فجر - وفى البلد - ضيها

يابنة الدنيا .. ومَجَلَى حسنهما والردى العاصف من نار أساها^(٣)
كيف لم ألقك يوما .. مثلما لقي الناس الألى .. ذاقوا هواها
هم أساغوك .. وساغوك .. ندى عبقرى .. ونعيما .. ورفاها

(١) التى : حافة الكأس .

(٢) الطَّلَا : الخمر .

(٣) مَجَلَى : مصدر ميمى من جلا يجلو جلاء بمعنى ظهر ووضع .

وأنا .. ما ذقت مما ذقتك .. إلا حرقاً عشت أخواها
أنا - يا كأسى التى أشقيتنى كأسك الحى .. عيوناً .. وشفاها
وفؤاداً .. خافقاً .. ملتهبا يتمناك - على الدنيا - إلها
نذر العمر لأحلام الطلا وطوى العمر انتشاءً .. وانتباها
راضياً حيناً .. وحيناً ساخطاً قيد جبارين .. روحى .. وهواها

أنا يا كأسى التى أذبلتنى من سقى كرمك بالخمير القديم
أنا ساقبك .. فلا تستكثرى لحياى قطرات من حميم^(١)
أنصبها .. لتحلو .. مثلما يتصبى مرة الراى حميم^(٢)
أنت يا كأسى .. وما أقربنى منك .. فى أعماق معنك الختم^(٣)
لا تكونى جمرات دائماً فأنا الشرب الحى .. والنديم^(٤)
حينها يا كأس .. مادام الهوى ملء حباتك .. يفنى ويهم^(٥)
لا تغيب مرة واحدة واسبحى يا كأس فى سرى وهم^(٦)
قبل روحى وقلبي .. وانشرى فوق أشواق أفواف الغيوم

(١) الحميم : الماء الحار .

(٢) انصبها : استهوها وأشوقها . الحميم : القريب الذى تودّه ويودك .

(٣) الخيم : النام من غم الشيء يحتم خبأ : أتمه وبلغ آخره وفرغ منه .

(٤) الشرب : القوم يشربون ويحتمون على الشراب .

(٥) حينها : أقبل وعجل .

(٦) الهم : جمع أھم ، وهو من الرجال العطشان أشد العطش .

واذهبي بي .. عن مَوَامِي وحدتي واسحقي ذاتي .. كما يهوى العليم^(١)
وانشري سحر كملتي .. واجعلي دون مثواك .. حَمِيَّاي العديم^(٢)
وابعئي أسرار ما أسقيته من يد النور وجسدواه العيم
باعث الفيض الذي أغرقني وطفاني .. وهو بي برّ رحيم

قلب حائر

تحيّر قلبي .. من يحب ؟ ومن يسلو ؟ ومن هي من دون العذارى له أهل ؟
ولو كان قلبي جليماً لأراحنى وجنّبي مادونه النار والقنل^(٣)
ولكنه قلبي .. وقلبي خميلة يبابية الأغصان .. ليس لها ظل^(٤)
على أن فيه من ندى الحب قطرة يهيم بها الصّادي ويزكوبها المحل^(٥)

(١) الموامي : جمع مَوَامِي ، وهي المفازة .

(٢) الحَمِيَّاي : النحر ، وحَمِيَّاي كل شيء شدته وحدته .

(٣) الجليّم : الصخر ، ج : جليّام .

(٤) الخميلة : الشجر الملتف ، ج : خمائل . يبابية : جرداء .

(٥) الصّادى : المطشان . المحل : الجذب ، والجرح الشديد ، ج : أمحال ، ومُحَوَّل .

اخوتي^(١)

إخوتي أحباب قلبي من بنات وبنين
فلهم عطفى وحبى دون كل العالمين

نحن فى البيت زهور تملأ البيت عطورا
وهناء .. وصفاء وجمالا .. وسرورا

نحن إن كنا صغارا فأمانينا ، كبار
ولنا الحب رداء ولنا المجد شعار

قد عرفنا حب مصر مذ عرفنا والدينا
نحن منها وإليها وهى منا وإلينا

(١) ألقاها وهو مدرس فى مدرسة بلطيم الابتدائية للبنات .

اشواق

يا حبيبي ملأ الفجر انا كاساتنا من ضياه ونداه
فاصح يا حلو .. فقد حنَّ للقياك السَّنا وشدا الطير غناه

كل شيء هاهنا يسألني يا حلو عنكا الروابي والغصون
كل شيء هاهنا يذكرني أكثر منك يا القاسي الحنون

أيها الهاجر لاذقت حنيني وولسوعي بلياليك الحسان
لم أعد أملك إلا ذكرياتي ودموعي وبقايا من أمان

آه يا هاجر من مرَّ الليالي
وهي تجري بين سقم وملال
آه من حبي .. ووهمي .. وخيالي
وأمانٍ كلما طافت بيالي
أشعلت نار حنيني الموصل

عُدْ إِلَى الْعَرْشِ فَقَدْ أَوْحَشَهُ بَعْدَكَ عَنْهُ مِثْلَمَا أَوْحَشَنِي
يَا حَبِيبَا لَيْسَ فِي قَلْبِي وَلَا عَيْنِي مِنْهُ غَيْرُ نَارِ الشَّجَنِ

يَا حَبِيبِي مَلَأَ الْفَجْرَ لَنَا كَاسَاتِنَا مِنْ ضِيَاءِ وَنْدَاهِ
فَاصْبِرْ يَا حُلُو .. فَقَدْ حَنَ لِلْقَبِيكِ السَّنَا وَشَدَا الطَّيْرُ غِنَاهِ

عودة

ملأت بالدمع كأسى أبكى به أمنياني
فلا تظني فؤادي قد نام عن ذكرياني

يا من أخاف عليها من لوعتي وحنيني
لا تنكريني فإني أحبت فيك شجوني

داريت حبك حتى لا أبتلى بحسود
إذ أنت أجمل عندي من كل ما في الوجود

وكم وهبتك قلبي وقلت روحي فداك
ولم أزل .. غير أني محير في هواك

أغريتني بالتمنى فصار طبعاً لديا
فبالذي ضاع مني ماذا جنيت عليا

لا تسأليني عما يقوله الناس عنا
فكل ما أنا أدريه .. أننا قد عشقنا

لا كنت .. إن كنت أدرى عن غيرنا أيّ شيء
وكيف .. والحبّ أعمى عينيّ عن كلّ حيّ

مازلت أذكر يوما نويت هجرك فيه
فكان حبّك أقوى من كلّ ما أبتغيه

ورحت أوسع نفسي لوما .. وهجرا .. وذلاً
حتى استرحت .. وعاد الفُرام أقمى .. وأحلى

وها أنا بعد طول السهاد .. والحرمان
قد عدت .. فاستقبليني بلمحة من حنان

هذا أنا .. فاعذريني إذا سئمت اصطباري
فما كحالكِ حالي ولا كنارك ناري

يا من أغار عليها من كلّ شيء تراه
وكلّ حسن بديع لحسنها منتهاه

لكلّ حبٍّ أوان ككلّ ما هو فان
وأنت .. حبك فوق الردى - وفوق الزمان

اعطوها حقها

« لمناسبة مطالبة المرأة بحقها في الانتخاب »

أفسحوا للذي تريد المجالا ودعوها إذا أردتم كمالا
إنها رحمة .. وصبر .. وحب كرمتم فطرة .. وعزت خصالا
افتحوا البرلمان .. وانتخبوها فلکم فاقتم النساء الرجالا
ولديکم تاريخها فاقسروا تجدوها على النبوغ مثالا
وانظروا كيف صاغت الأجيالا واستطاعت أن تخلق الأبطالا
وانظروا الأرض لوخلت من سناها لاخلت كيف تشتكى الإمحالا^(١)
مزقوا هذه الغياهب عنها تعرفوها .. حقيقة .. وظلالا^(٢)
تعرفوا القوة التي لم تروها فتقيموا لمجدها تمشالا ..
واذكروا آية الحكيم فقد تصلح لو تعقلونها الأحسالا
« وعصى آدم » وما قال حوا فسبحان قوله وتعالى^(٣)
واخضعوا مرة لحكم الليالى « فالليالى من الزمان حبالى »

(١) الإشمال : الإجتداب .

(٢) الغياهب : جمع غيب وهو الظلمة .

(٣) يشير إلى قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » .

عبرى

والقيت في ذكرى مرور المرأة وقام أمين ، و بنار
الاتحاد النسائي و في ٢٣ من إبريل سنة ١٩٥١

يتناهى الأنام والأَيَّامُ ولك الخلد دولة ... ومقام
يجثم الفكر خاشعا حول مثوا . لك .. وتروى أمجادك الأَقلام^(١)
ويقولون عنك متَّ .. وآثا رُك نورٌ لا يعتريه ظلام
أيها الميت .. كم من الناس حيَّ هوميت .. لولا الخطا .. والكلام

عبرى .. له على الشعر حق فَمَرَّاقِي نبوغه لا تُسرام^(٢)
الزُعَامات .. كالحياة .. فتون فهي بعث .. أو ثورة .. أو سلام
وهو فنُّ من الزعامة مختصا ر .. وخلق من الزعيم جسام
جاء في أمة من الشرق حيرى مزقتها الأغراض والآلام
باعثا في الوجود وثبة روح آبد .. لا تحده الآطام^(٣)
خافقا كالحياة .. يَقْظان كالنو ر طليقا كأنه الأنسام
السياسات حوله .. عصابة تبسنى .. وأخرى رجاؤها الانهدام؟

(١) يجثم الفكر حول مثواك : أى يلزم مكانه أمام متزلك فلا يرحها .

(٢) المراق : جمع مَرَّق ، وهو الرق ، والرق الصعود .

(٣) آبد : خالد . الآطام : جمع أطم ، وهو الحصن ، أو البيت المرتفع .

وهو ماض كأنه آيةُ الفَجْرِ .. إذا حَفَّ جانبيه القتام^(١)
حاملاً ملء ذاته فكرة البهـ ث لشعب تقوده الأوهام
جاهلٌ .. يحيا .. وقد نقد الدهـ ر .. كما عاش في المتاهات سام

ويروحون يبحثون - وخلف الليل دوح . بها البناء يُقام
جهلوا أمرها وحجَّ بها عنهم ضباب - من صنعهم .. وغمام
وانتهى سرُّها إليه فما أغنى .. ومن حوله الكسالى نيام
شاعها صيحة .. ففكَّت قيود وارتقت أمة وتم نظام

أيها الثائر المحرر ماذا من معانيك تدرك الأفهام ؟
لم يزل صوتك الندى كما كان . وإن غاب وجهك البسام
آه لو تستطيع رجعة ميت قبلما يؤذن الحياة الختام
لرأيت الذى غرست وقد آ فى ثمارا كأنها الأحلام
بلغت مرفأ الأمانى - يا قاسم - حواء - والرياح جهام^(٢)
بلغته .. وحققته ما أرادت رغم ما أُرصدت لها الأيام
لأنها في أيها الحبيب كما شئت .. كفاح .. ويقظة .. واعتزام

(١) القتام : الغبار الأسود ، أو غبار الحرب .

(٢) المرفأ : مرمى السفن ، ج : مرفأى . الجهام : السحاب لأماء فيه .

باركتها « هدى » العظيمة حتى لقيت ربها .. عليها السلام^(١)
ولدينا من روحها نفحات هن للنيل - صبوة .. وغرام
لم يزل سيرها على وجهها الأهدى . ومن حولها الصخور فتام^(٢)
حاربوها .. وما يزالون .. والمو كب يجرى .. وروحه الإقدام
لست أدري .. وليس غيرى أدري ما مَدَى ما يريده الأقوام ؟
أقيودا .. والكائنات انطلاق ؟ أم ركودا .. والعالمون اضطرام ؟
أم يقولون : إن للدين حداً تحمد الحرب - دونه - والخصام ؟
وهو الدين حجة الجهل إن خا ر .. وأعيأ بيانه الإفحام

أيها المرجفون .. قد ذهب الأئسُّ وهلّ الضحى .. ومات الظلام
ولها حقّها الذى يدفع التا ريخ عنه .. والعقل .. والإسلام
وغدّ بيننا .. ومنه سندرى أحلال تحريرها أم حرام ؟
والأقّى العالى من السيل لا يمه نع تهداره حصى أو رجام^(٣)

(١) يشير إلى الزعيمة المصرية هدى شعراوى رائدة الحركة النسائية في مصر .

(٢) القتام : الجماعة من الناس ، ولا واحده من لفظه ، ج : فُؤُمٌ ، فُؤُمٌ . والفتام كذلك خلاف النطاء ، وهو ما تفتشه في المودج ونحوه .

(٣) الأقى : السيل يأتى من يمد . الرجام : جمع رجمة ، وهى ما يوضع بين الحقلين من حديد أو حجر ليميزهما . والرّجام كذلك جمع رّجم ، وهو الحجارة التى توضع على القبر ، أو البئر .

صمت الظلال

هذا الطريق الطويل الملهي الظلام^(١)
قد حار فيه الدليل وضجّ منه الزحام

* * *

هذا الطريق الطويل متى يرى منتهاه
متى يراح الضليل فيه .. ويلقى عصاه^(٢)

* * *

حسبائه لا تبزال مخضوبة بالدماء
تروى عليها الصلال ملاحم الأشقياء^(٣)

* * *

الجائعين العرايا والناعمين الكساة
راحوا جميعا ضحايا آمالهم في الحياه

* * *

راحوا فما من سعيد منهم .. ولا من شقي

(١) الملهم : الظلام الكيف .

(٢) الضليل : الكثير الضلال المبالغ فيه ، وصاحب الغوايات والبطالات .

(٣) الصلال : جمع صلّ ، وهو الحية من أخت الحيات . ملاحم : جمع ملحمة ، وهي كتابة عن عمل شعري طويل يتألف من أناشيد عدّة نظمت في وصف حرب من الحروب ووصف جيوشها وأبطالها والأمكنة التي دارت فيها ، وبالرغم من ذلك فإن الشاعر يطلقها على قصص الأشقياء .

الشيخ مثل الوليد والحُرَّ كالمُوثَّق^(١)

* * *

فسلَّ رمال الطريق هل تذكر الراحليسن
تلق الجواب العتيق يأتيك عبر السنين

* * *

ليس وراء السـؤال إلا سؤال سـواه
فاقنع بصمت الظلال عما تقول الشفـاه

قبلة

و كانت قرأ شعري في تأثر واحضال ، فوجدتني
- دون وعي - مندفعاً نحوها لأضمها ،
وأقبلها . . ففضبت . . أو تفاضبت ،

حينما رحت تهزجين بشعري وتقيمين صفحة بيديك
لم يدع لي الهيام شيئاً من العَقْل .. فقَبِلت - جامحاً - شفتيك
فاعذريني .. فربَّ عامٍ تـوَلَّى وأنا مهمل المكان لـديـك

(١) الموثق : من شُدَّ في الحبل وغيره ، أو من أحمك بمهْد .

يا شرق

مجدُّ يهان .. وعزة تتضعضع حَتَامَ أَنْتِ عَلَى الزَّمانِ مُصَيِّعٌ ^(١)
 في كل يوم حادث وضحية وبِكلِّ وادٍ مَاتَمَ .. وَتَوَجَّعُ ؟
 ما أَنْتِ فِي الدُّنيا ؟ وماذا تَرتجى ولكلِّ حرٍّ فوق أَرْضِكَ مَصْرَعُ
 ما زلت من ماضيك أَقرب ثاكل عهداً بما يُدمى العيون .. وَيُدْمِعُ
 أَيُّسَسَتْ ؟ أمْ آمَنْتِ أَنَّكَ زائِلٌ ومن العقائد ما يَصْرَّ .. وَيَنْفَعُ
 يا معبد الطاغوت .. دينك باطل فلكلِّ لائمٍ في رِحابِكَ موضعٌ ^(٢)

* * *

أُمم كَأطرافِ الجذيم .. فناوَّها لِارِثْ عَلَى نُوبِ الحِياةِ .. موزِعٌ ^(٣)
 أبناؤها الغرباء في أوطانهم كَفُّ مُصَفَّقَةٍ .. وَأُذُنُ تَسْمَعُ
 ومضلِّلٍ وهب الحياة المذهب النارُ بعضُ دُعائِهِ .. والمدفعُ
 ومؤمِّلٍ عند الكريهة حفظه بعد الكفاح .. مَنِيَّةٌ لا تَدْفَعُ ^(٤)
 أشلاءَ معركة الحياة .. وعندهم أن الجهادَ تَنابَذُ وتَقاطِعُ ^(٥)

(١) حَتَامَ : أصله حتى ما ، حذفت ألف ما الاستفهامية تخفيفاً ، ومعناه : إلى متى ؟

(٢) العَظَاوُت : الشيطان ، وكلُّ رأسٍ في الضلالِ يصرف عن طريق الخير ، ج طواغيت رِحابٌ ، رَحَبٌ : جمع رَحْبَةٍ وهى الأرض الواسعة ، وَرَحْبَةُ المَكان : ساحته ومُتَّعَهُ .

(٣) الجذيم : من قطعت أطرافه بسرعة .

(٤) المؤمِّل : المَرَجى الترقب .

(٥) التَنابَذُ في الجهاد : المحاربة به . وتَنابَذَ القوم عبارة عن اختلافهم وتفرقهم عن عداوة .

فإذا تنادوا للفداء تفرقوا وإذا تداعوا للسلب تجمّعوا^(١)
 ما ضاء مطلعهم بنجم ثاقب إلا وكان القبر ذاك المطلع

* * *

يا شرق .. والأيام دائبة السرا والليل حولك .. والردي .. والبلقع^(٢)
 طال الطريق .. وفي حداثك فتنة ووراء وجهك أفعوان أبقع
 ما زلت أنظر دون فجرك غيمة يحمومة .. للنسم فيها منقع^(٣)
 يا شرق .. والتاريخ وثبة أمة ترجو الحياة .. ورأسها مترفع
 أخشى عليك .. وأنت تحلم عابثا ألا يكون لما يفوتك مرجع

(١) السلب : جمع سلب ، وهو ما يسلب ويتزعزع قهراً .

(٢) السرى : سير عامة الليل (ويذكر ويؤثّر) . والبلقع : الخالي من كل شيء ، يقال :

مكان بلقع ، وطريق بلقع ، ج : بلاقع .

(٣) يحمومة : الشديدة الحرارة .

اعتذار

سامحيني إذا شذوت .. وألقيت إلى الريح ثورتى .. وظنوني
فالهزار الغريب .. قد يتغنى وبجنيبه عاصفات الشجون^(١)
أملئ . واحة .. وعمري صحرا .. وكأسى فيأضة باللحون^(٢)
والدموع التى غسّلت جراحى بنداها .. باتت بغير معين
والطريق الذى احتوانى بالأمسس .. بعيد عن ناظرى .. وهو دونى
والرفاق الذين نادمتهم كأسى طواهم عنى ضباب السنين
صرت وحدى وآه من صرت وحلى ثم آواه من صداها الحزين
والغد العبقريّ إن كان من حظى .. فأنواره لغير عيـونى
فإذا ما أطلقت نفسى .. وغنيت .. فأصغى إلى .. أو .. سامحيني

(١) المزار : طائر حسن الصوت (فارسي معرب) . ويقال له : هزار دستان . لأنه يغنى ألحانا كثيرة .

(٢) باللحون : بالأغنيات .

الحكمة

رأيتها تمشي وفي كفها عكازة كظهرها الأحسب
تشكو إلى المجهول حرمانها وضيقها بالعالم الأرحب

* * *

ومثل شهقات سراب يموت كانت خطاها فوق وجه الطريق^(١)
من حولها ألف خيال يفوت وليس فيهم عارف أو صديق

* * *

ظننتها تبحث عن نفسها مثل .. فألقيت إليها السلام
وكان خوفي سوء إغصاتها أشد من خوفي ظنون الأنام^(٢)

* * *

لكنها حيت .. وقد أسبست أجفانها .. واستضحكت في حنان
قلت إلى أين .. فقالت إلى لحيث .. حيث البحر .. والشاطئان

* * *

قلت لها ما البحر .. قالت تراب أنبت فيه الماء سر الأزل
أمواجه أنت .. وهذي الكعاب والياس من شطآنه والأمل^(٣)

* * *

(١) شهقات : جمع شهقة ، وهي المرة من تردد النفس في الحلق بحيث يُسمع فيصبح صتيحة .

(٢) الإغضاء : الصبر على الأذى والتحوك عن مصدره .

(٣) الكعاب : جمع كعيب ، وهو كل ما ارتفع وعلا (أي الشرف والجد) .

قلت لها من أنت قالت كيان كل كيان فيه منى حياه
أنا هو الناقوس .. والمُعَمَّدَان .. والمعبدا القدسي .. وروح الصلاة^(١)

* * *

أمشي ومصباحي على راحتي تطفئ منه الريح .. أو تشتعل
للأرض عندي عالم فاضل وللسماء العالم الأفضل

* * *

في الكوخ تلقاني .. وبين القصور أبيع أنوارى لمن يشتري
وربما مرّت على الدهور لم يكسبوا منى .. ولم أخسر

* * *

الموت من ذاتي كما للحياه فجوهرى مشرق معناهما
أنا .. وما يظهر مجد الإله لاشيء في الناموس إلا هما^(٢)

* * *

غريبة أحياء .. وكم من غريب آتست دنياه بروحي الحنون
وعدت إذ لم ألق لي من حبيب أسأل نفسي من تراني أكون

* * *

(١) الناقوس : مضرب النصارى الذى يضربونه إيدائنا بحلول وقت الصلاة ، ج : نواقيس .
والمُعَمَّدَان : الذى يعمد بالماء للتوبة داعيا إلى الرجوع عن الخطيئة ، والذى بشر بمجيء المسيح ،
وهو يوحنا المعمدان : ابن زكريا واليسايات من أنساب يسوع المسيح .
(٢) الناموس : جبريل عليه السلام ، وصاحب سرّ الرجل ، والذى يطلعه دون غيره على باطن
أمره ، وبیت الراهب ، ج : نواقيس .

وأطرقت تسكب من عينها شجون فكر .. ومعاني خلود
ثم مضت .. كأنها لم تكن تملأُ - من حينٍ - على الوجود

* * *

ومثل شهقات سراب يموت راحت خطاها .. وهي تطوى الطريق
من حولها ألف خيال يفوت وليس فيهم عارف .. أو صديق



القصاصد النثرية

افكار

« إلى لحظات الإشراق الخالدة في تاريخ الظلام »

أيها الفلق المثلّث بضباب الألم^(١)
أيها الفجرُ المحيرُ بين النور والظلمة
هذه صلواتي أبعثها إليك باسمه الدمع دامعة البسمات
لعلّ فيها بقيةٌ من عبير روحى^(٢)
تسبح وتهم ... في محرابك الصامت
لتوقظ في قلبك الناسى معاني الرحمة والإشفاق

* * *

هذه صلوات زهرة برية
أذهلها نسيم الغروب
غروب الشباب في ربيع العمر
وطيرت الأعاصير عطرها أبابيد^(٣)

(١) الفلق : المصباح ينشق من ظلمة الليل ، والطريق المظلم بين الربوتين . والمثلّم : من يشدّ اللثام على وجهه . والثام عبارة عن نقاب يوضع على القم أو الشفة ، ج : لم . والضباب : محابٍ يَغشى الأرض كاللحان ، ويكثر في الغداة الباردة .

(٢) العبير : أخلطاً من الطيب ، وقوم عبير : كثير .

(٣) أبابيد : يقال : ذهبوا أبابيد : فرحاً متبذرين ، وطير أبابيد : متفرقة .

وأرهمقت عودها لفحات الجحيم في التيه المقفّر

تیه الأشجان والحرمان

فكوفى نداها الحنون الباسم

وانقلبها بيديك الصوفيّتين

إلى الأصيص المجهول في البستان المجهول ^(١)

يا خمرقى في ذنان الغيب

باركتك نسيمات الخلود في الوادى الأقدس

ورقرقت أمواجك الناعمة النائمة .. يد الله

خالقُ الحان والندمان .. والخمر والساقى

وعطّرتك أطيباه .. وكرمّتك أقداره

فلم تطوّف بك أنفاس عريبد

يشربك ليحيا . ثم يموت

وأنا ... كأسك الظامى*

أجِنّ إلى قطرة يتيمة من نورك الخمرى

أشربها فأحيا .. ثم أموت .. ثم أبعث ..

كأساً من الشعر لو تُسقى الشمس بها

ترنّحت ومشى التاريخ مكرانا

(١) الأصيص: وعاء كالجرة له عروتان يُحمل فيه الطين ، وهو أيضا وعاء تزرع فيه الرياحين ،

ج : أصاصي .

يا زَهْرَتِي الشَّقْرَاءُ فِي وَاحَةِ الْمَجْهُولِ

كَمْ طَابَتْ النَّجْوَى لِلطَّائِرِ الْمَجْهُولِ

فِي وَاحَةِ الصَّدْرِ

وَجُنْتُ الْآيَامَ .. شَوْقًا إِلَى الْأَنْغَامِ .. وَالْعَطَرِ وَالْأَنْسَامِ

يَا زَهْرَتِي الشَّقْرَاءُ فِي وَاحَةِ الْمَجْهُولِ

* * *

يَا خَلَقَ أَوْهَامِي .. يَا رَبَّةَ الْأَوْهَامِ

يَا نَارَ أَحْلَامِي .. يَا جَنَّةَ الْأَحْلَامِ

هَذَا هُوَ الْكَوْنُ .. كَوْنٌ كَمَا شِئْتَهُ .. فِي مَشْرِقِ الْعَمْرِ

أَنْوَارُهُ ظُلْمٌ .. أَفْرَاحُهُ أَلَمٌ ... وَحِبُّهُ حَقْدٌ

هَذَا هُوَ اللَّحْنُ .. عَنْ مَسْمَعِي صَنَعْتَهُ .. كَيْمَا تَغْنِيهِ رَوْحِي

اتَّسَمِعَهُ رَوْحُكَ .. يَا رَوْحِي

فَتُسَعِدُ الدُّنْيَا بِالْحُبِّ وَالنَّجْوَى

مَنْ قَبْلَ أَنْ نَمْضِيَ قَلْبَيْنِ مُحْرَمَيْنِ

مَنْ فَرَحَ الْعَمْرِ .. فِي مَغْرِبِ الْعَمْرِ

* * *

يَا صَفْوَةَ الْأَشْجَانِ .. وَالسُّهْدِ وَالتَّحْنَانِ .. وَالْحُبِّ وَالْحَرَمَانِ

يَا هِمْسَةَ النَّشْوَانِ .. مِنْ خَمْرِ الْهَامِ

يَا فِكْرَةَ الْفَنَانِ يَا سِحْرَ أَنْغَامِهِ

قلبي رضيع الحانٍ والله ساقيه
 يهفو إلى قطره من نورك الخمرى
 أو نسمة حره من طيبك السحرى
 أو دمعة ثره تبكيه أو تبكى ^(١)
 شبابه الحيران فى مهمه النسيان ^(٢)

أمل

أن أبعث من قبر النسيان
 وأن تبهرنى أضواء الحياة الخالدة
 حياة الفن والحب والحرية
 فهى الحياة التى أطمئن إلى أنها من خلق الله
 والله - تعالى - فنان محبوب . حرّ اليد والفكر والإبداع
 هو الذى خلق الفن قُبساً يهوى ويضلل ليهدى
 وهو خالق الحب جنونا وعقلا
 وخالق الحرية .. انطلاقاً مقيداً بأغلالٍ أثيرة
 مشاعة فى ملكوته الأعظم .. شيوع روحه الأمين
 فى قلبي ونفسي وروحه وعقلي وخاطري ... و.. أمل ..

١ (١) الثرة : الغزيرة ، من ثر السائل يشترثراً ، وثرودا : غزير وكثور . فهو ثر ، وثار ، وهى ثرة .

(٢) المهمة : المقازة ، والبلد المقفر ، ج : مهامه .

حياتي

حياتي دميةٌ لم تتم
فقد شوه خلقها مثالها الفنان
بعد أن أودع فيها من ذاته أروع المعاني وأبدع الأفكار
ولكنها معان سجينه .. وأفكار مقيده
لم يأن لها أن تطفو
فالدّمية خرساء العين زنجية اللسان
أراها في خيالي كأنها تنادي الزمن
أيها المجنون في عذوه
إمض بي إلى خالقي
فلاني أرجو أن يذكر عني أُنّى شقيّه
من يوم أن كنتُ في يديه
لاحول لي ولاقوة
ويا فرحتا إن أنا شاركت غيري من الحيات
في جهاد السماوات

حتى إذا فتحت أبوابها
حمدت من المأساة ختامها
وقنعت عنه . برضاه غنى وعن حزنى وصمقى
حين أحترق وحدى بأشجان الوحدة
وشغله غنى بسواى من دُمَاهِ
فى مَثَلِهِ المجهول

أولى

بين أفراحِ المواليد أتيتُ العالمًا ؟
لست أدري أمريدًا جئتُهُ أم مرغما
أو أنا أدري .. كما يدري ذبيحُ آلا !
لإنها النار فلا تلقوا عليها ضرما !

آخري

أيها النَّاسُ لقد نفضت من عمرى يدى !
وهفت روحى إلى رُويّة ما يَطْوِي غَدِي
آه لو أملك أن أعرفَ كُنْهَ الأَبَدِ
آه لو أنى لا أعرف معنى الأبد
فهو أعمق من ظلام اليأس
معجزة لا إرادة لها فى إعجازها
لغز طلّسه السّاحرُ الأعظمُ
فاستغلقت أسرارَه
وأظنّه خالد السرّ
لا يكشف إلا لعينه السّاحره
فى وجهه السحري
ويا ليتنى أعلم ما بعد فناء المُوجدِ ؟
أهو بعثٌ رَهنتُ ساعته بالموعد ؟
أم .. أم هو الوهم .. مُبْعِدُ الدانى .. ومُلتقى البعيد ؟
أم هو الزّيد
الفكرة التى نذت عن ذهن المحيط
فى ثورته على السّابحين والغرقى

صلوات

اللهم إني تبت إليك من ذنوب أنت تعلمها وقدرتها فكانتُ
وأنا أعلمها ولم أقدرها وكانت
اللهم فاجعلها كأن لم تكن
لأنني أريدها ألا تكون .. وأنت ربي وأنا عبدك .

اللهم إن كنت عصيتك فلا أعرفك
وقد عرفتكَ
وكثير من الناس غيرى أطاعوك ولم يعرفوك
فعرّفهم إليك وقربني منك ..

اللهم إني رأيت الناس في أعمالهم
فرأيت أشباح فاتكين وأرواح جازرين
وأنت صنعتني على عينيك
شبح إنسان .. وروح ملك

أو هكذا أريد أن أكون يارب وأنت قادر

اللهم فباعد بيني وبينهم بيدك الرفيعة

وأيدني بك اللهم وأسعدني بك لي ولهم

اللهم إنك في السماوات معبود ... ومعبد .. وعابدون

وفي الأرضين كذلك

وفي الفضاء كذلك

لاهم افتح بيني وبينك سبيل حُبِّك

لأسمع صلوات الملائكة والجنة والناس وتسبيحهم

في السموات والأرضين

لأفني فيها وفيك.

اللهم يأمُلهم الإنسان أن يحب

والحيوان أن يُشَبَّل

والطير أن يحنو

أنا أُحِبُّك ... فأحِبِّني ... مریدا

وأنا أحنو على الناس .

فامنحهم يقظة القلب .. لاغفوته .. وصفاء النفس ... لا رنقها

وانطلاق الأسر .. لا أسر الانطلاق
ولو مُرَادَيْن...

لا همّ إني ظامئٌ إلى منهل صوره لي حنيني إليك
جائعٌ ملهمٌ بوحى الخبز السماوى
الذى أتلقّى فتاته حينما يزدرى الحرمان ...
إلا قلبا يخفق بك ... ولسانا يذكرك .. وعينا تراك
لامم فارونى ..

واشفنى بقطرات غيثك الأزلى الأبدى
وأعطنى

وأنلنى واو بقية كسرة
من مائدتك الأزلية الأبدية

لاهمّ إني نعتت نفسى فى كأس من الفكر الشائر والجد العاثر
وأذبت ترابى فى محيط التراب
ولكننى كنت أرى روحى ترفُّ على أثباجه
تناديني نداء المستغيث بالأمل
... أفقٌ يا قبرى من رقدتك

فما بقى على فراقنا إلا ما يعلم الله ...
فاسمُ عن طريق المعلوم فقد التاث
وانتظر المجهول فهو الغياث

لا همَّ إن القابل أعمى ... يتخبط في دياجير غيبك
والماضى أعمى مثله
ولكنَّ بيديه مصباحاً يشيع الظلمة في حاضري
وقد ملته ... وملت مصباحه
فهو من التراب
فابعث إلى من غيبك ..
أيها المجهول .. المعلوم
إشعاعاً تملأ على طباق فكرى ونظري
فأنت وحدك الهادى
وأنا وحدى الضلول
وحسبى ندائى
ولك فرض تضرعى
يا أكرم مضيف لأفقر ضيف

لاهمَّ إنك للكون والكائن ... كشراع السفين

تمضى دونه إلى الهاوية .. فلا تَرفق بها

وإلى الناجية ... فلا تحنو عليها .

وتسير (به) إلى الهاوية

فتخفق ذؤابته على السطح كنزاع الغريق

ألا فانظروا ... ها هنا حي يموت

وتسير (به) إلى الناجية فتأمن مكر الطريق

ألا فانظروا ... ها هنا ميت يحيا

لاهمَّ ... فسرّ بي .

أنا الزورق الهيمان رغم شراعه

إلى ناجية العدم -

لأرى عالماً أحقُّ إليه

حنين الشعاع الغريب في بيداء الأفق الدّاجي

إلى نافذة الشمس بعد الغروب

اللهم يامنقذني من التَّيه !

وقاذقني في القفر !

ويا مطفئى بنوره !

ومضيئى بنوره !

ويا مُسعدى بإشقائى !

ومُشقىّ بسعادتى !

يا رَبُّ

إلى من تكلنى

إلى نفسٍ همُّها الخير للناس والنعمة ؟

وهمَّ النَّاس لها الشر والعدوان ؟

أم إلى ورقة صفراء من ورق الخريف يقال لها القلب ؟

كلما رنَّ فى أعماقه نداء الحنين إلى الصديق ..

خفق خفقة المحموم ثم جُنَّ

حتى إذا لقيه فأواه ونصره ..

نادته ألسنة الأشباح الهائمة فى مروج الشرِّ

فيشُّون ويدسُّون

وينحتون من أيامهم تماثيل الفتنة ليعرضوها عليه

ثم ليصطفُّوا من حوله

ليبيعوه كلَّ متحفٍ بدرهم

حتى إذا استيقظت الفتنة

وجمعت من حولها الرقى والتمائم
هبت الورقة الظامئة هبوب الاعصار
ثم نامت بين أحضان الجدوب
وهى يارب كأحضان القدر الساخر تضم يتيما فقيرا
أم تكلنى يارب إلى الناس ؟
وهم من علمت يوم عصاك أبوهم
وأنت تعلم يارب أنهم شأؤه فى المعصية
فحراثوا الأرض وزرعوها شوكا وقتاداً
وطردوا الأفق ثم نشروه هلاكاً مرسلاً منك إليهم
ثم منهم إلى أنفسهم
وأقبلوا على شهوات الطين
يسوقونها طائفة وعاصية
إلى حيث تقام مذبحه السماء ... فى الأرض !!
ليطعموها شهية لهم
على مائدة خمرها دم النسك
وساقىها جازر النبوات وصريع النبيين
أم أنت ... يارب ... موكل إلى عقلى ؟
هذا الأرقط الخالد فى رأسى

على أمواج من الشك القاتل واليقين الزاهل
لا يهتدى ولا يقرُّ
وكان أبي أن يقرُّ ويهتدى
ثم انقاد ... فأراد
بعد أن خبّله صفحتك الخالدة
ونداؤك الخالد

(أفق يا مخلوق ... فما أنذا)

(أنا الملاح المجهول)

(صانع السفينة بيدى)

(ومُسِيرها بريحي)

(ومجرها على موجى)

(أنا صاحب المحيط الأعظم)

(من بدئه الذى لا تعرف)

(إلى نهايته التى لا تعرف)

(فدع شكك ... وارقب يقينى)

(أما ترى فجره الصادق)

(ونبعه المرتوى)

(ورحيق نبعه الرقراق)

يسبح في محيطه ويهم
(أمانذكرفى ... ياأخا عبدى ؟)
(أيام كنت أشقّ عليك الظلام ... وأمنعك الصخور)
(أنا .. هو ... هو)
(ولاشيء إلا أنا)
(وما أنت منى إلا همسة خاطر)
(فارفق بنفسك وبأخيك)
(واجنح إلى)
(أهلك بفجرى)
(وأروك بنبغى)
(وأطهرك برحيقى)
ورفقت به يارب فهديته إليك
ورفق بى فأراحنى
وجنح إليك بى
وجنحت إليك به
فهديتنا بفجرك
ورويتنا بنبعك
وطهرتنا برحيقك

فحيينا بك

وفنينافيك

يا نهايتى ... أنا بدوك

يا آخرى أنا أولك

يا من لا أول له معروفنا

ولا آخر له مكشوفنا

قرب لى نهايتى

كما أحب وأرجو

وكما تحب وترضى ..

٢٤ مارس ١٩٤٥



النثریات

امشاج

الحبيبان درّتان في صدفة مهما طغت عليها الأمواج فهي أبداً على السطح .

* * *

لا شيء من نعيم الدنيا يعدل سعادة رجل يحب امرأة أحبته .

* * *

الحظ في الدنيا كالكرة في الملعب ربّما فانت اللاعب ليتلقّفها المتفرّج

* * *

لعل قطرات الندى على الزهر دموع ملاك عشق الشمس ... ولعل
في الشمس طبيعة الأنثى .. تجفف الدموع ... لتصبّ النيران ... !!!

* * *

هل المستقبل ... يا حبيبي ... إلا ذلك الأعشى الذي يتخبط في
دياجير الغيب ؟ يحمل في يمينه الأمل ... وهو رضاك ...
وفي يسراه اليأس ... وهو قلاك ...
ويا ويحي إذا لم يَسْتَرِدَّ ما أودعته يُسرى أخيه الماضي في يدي ..

* * *

أيها الفلق المثلّم بضباب الألم
أيها الفجر المحير بين النور والظلمة
.....

هذه صلواتي أبعثها إليك
 باسمه الدمع دامة البسمات
 لعل فيها بقية من عبير روحى
 تسبح وتبهم
 فى محرابك الصامت
 لتوقظ فى قلبك النسيامى
 معانى الرحمة والإشفاق ...

* * *

لا تطالب بالحق الذى لك ... حتى تؤدى الواجب الذى عليك

* * *

بين الطريق الذى تسلكه .. والطريق الذى يجب أن تسلكه .. فارق
 يسير .. وذلك .. هو أن تعرف ماذا تريد .

الفن

هل الفن إلا انطلاق وخلق .. وثورة روح على جسمه
تكلفه العيش في نوره فيقبس منه على رغبه

* * *

الشك :
وما الشك إلا ربيع العقول وإن كان في لفحه كالخريف

* * *

الأرض :
هي الأرض شطرنج هذا القضاء ونحن على ظهرها كالمتنمى

* * *

اليأس :
إذا فقد المرء آماله أقام على عمره ماتماً

* * *

إذا خوت البطون من الطعام ، امتلأت الأفكار بالثورة

* * *

بين الشعراء أصنام لا تحطمها كثرة المعاول وإنما تحطمها قوة
اليد الهادمة ..

أضيفوا إلى ألقاب شعرائنا لقب (شاعر مقتضى الحال) .

لا زالت مصر بلد (من قال) لا (ما يقال)

وأنكر إن قالوا أحبيت جاهداً ويقسم قلبي إنه لعميد !!!
وأعلم إنكارى هواي مضاعفاً أسأى ولكنى لذلك مريد

* * *

لأن أكون زهرة فى دمنه خير من أن أكون شوكة فى الرياض ..

* * *

قلت لمجنون مرة .. لعلك جائع لا تجد الطعام . فنظر إلى نظرة رثاء
وقال .. بل أنا مكتظ أرجى الجوع .

مثل المرأة والرجل كمثلي حية بنى لها الأرقط بيتا من الزهر فى جنة
فينانة ثم أخذ يشبل عليها ويسوق لها من هوام الأرض ما أسمنها حتى
إذا شبعت وارتوت .. احتمت بالشوك ثم قالت له .. هلاً أطمعنى
نفسك .. ؟؟؟

أنا ونفسي

بين نفسي وبينى عداءً أظنه قديماً
فما خلت من آثاره لحظة من لحظات عمزى وما أظنها ستخلو .. ففى
المجتمع الآهل بالصحب والأصدقاء .. وكلُّ يلتمس السبيل إلى
الضحك والإضحاك بما أوقى من حذى وقدره على الانفلات من حدود
التفكير الأسود ... أجلى مقيدا بأغلال خفية .. تحول بينى وبين
المشاركة فيما يأتية الناس وما يدعونه من فنون الدعابة والمرح ..
بله الاندماج فيه ..

أنا الساعة جالس .. وعن يمينى إنسان دقيق الحس مضحك مهذار
له قدرة على ابتكار النكتة وابتداع المضحكة من النوادر .. فهو إذا
أخذ فى فنٍّ من فنون القول ... لابد من أن تتخلله المضحكات ...
ولو اقتضى الحديث فى هذا الأمر الجدُّ كلَّ الجد ..

وقد يروى حادثة تفجع القلب وتكلمه ويصير يتقلب فيها إلى أن
يجد أو يوجد منفذا لدعابة .. فما يبقى من الوجوم المخيم على
السامعين أثر ... وعن شمالى إنسان آخر لا يقل عن هذا مشاركة فى
فنون الهذر والضحك والفكاهة .. ولكنه يمتاز عن أخيه بأن لدعاباته

(أو فيها) نوع عقلى أضفاه عليها تعليمه وثقافته .. فهو خريج مدرسة من مدارس المعلمين .. وكلاهما فوق ذلك يضرب فى فن الشعر بِسَهْمٍ قد يطول وقد يقصر ، وإن كان التفاوت بينهما فى الجودة والفنية منمازاً ..

ومع هذا أو مع أنى أنا الآخر مصاب بنكبة الشعر فما الشعر إلا نكبة . غير أن إحساسى بوجودهما يكاد يتلاشى فى محيط صتى وسكونى وتبرمى بالحياة والاحياء . فما أحد فى هذا العالم ببالغ من نفسى مبلغاً ضؤل شأنه أو خطر فكل ما أمامى ومن أمامى من الأشياء والأشكال والأناسى هوى منشورة تكاد تنعدم .

* وكل الذى فوق التراب تراب *

وما أظن ذلك إلا استجابة لابد منها لكل ما قاسيته وما زلت أقاسيه من نفسى وفكرى ... فمتى يموت إحساسى؟ ومتى أنتهى إلى عالم لا أثر فيه لآلامى ولا لآمالى ؟ !

أظن المسافة قد قصرت فالشعور بالآلم والانفعال به بدء السمو عن المادية إلى الروحية ، ولعلّ هذا هو بعض العزاء لى ، وإن يظلمهم جناح البؤس الروحى العظيم !

لك يا مصر

لك يا مصر من شبابي أنضره وأقواه .. ومن أمانى أعظمها وأنبلها
وحياة الشاعر يا مصر .. شباب وأمانى ...

لك يا مصر من قلبي لإيمانه ، ومن عقلي فكره وبيانه ، ومن روحي
ضفائها .. ومن نفسي جمالها .. وحياة الإنسان يا مصر .. قلب وعقل
وروح ونفس .. لك يا مصر من وجودي أعظم ما فيه من سنى
الجهاد وأيام العمل .. ولك من حياتي أروع ما تحوى من سمو
وطموح وكفاح وأمل ..

* * *

هذه يدى يا مصر .. يدٌ باركتها يدُ الله .. فلم تمتد إلى ريبة .. ولم
تعلق بها فاحشة .. ولم يدنس طهرها حرام ... وفي يدى يا مصر . قلم
لم تغالزه شهوة ، ولم يسخره باطل .. فهو للحق لأنه من الحق ..
وما أقولها تخيلاً ولا تجملاً - وليس فى قولى ما يضير .. لأنه وحى
الضمير ..

وقد يقول غيرى إن قلمه من قصب الفرداديس ، وهو فى الحق نأى

إبليس ... وقد أقول أنا إن قلمي قطعة من الحطب .. وهو في الحق
أثمن من الماس وأعلى من الذهب .. وسواء على أكان قلمي من السماء
أم من الأرض .. فحبك يا مصر مداده ، ومجدك قرطاسه .. وخلودك
أعلى أمانيه ...

إن أمجاد العالم - يا مصر - أقباس من شعلة مجدك .. وحضارات
التاريخ من صنع حضارتك ، ولك المجد في الأولى .. فلم لا يكون
لك المجد في الآخرة ؟

ولقد أشرقَت على العالم - يا مصر - يوما .. فهديت الحائر ، وأنرت
الدياجر ، وألهمت الشاعر . وأعجزت الساحر .. ولقد أتى عليك ...
يا مصر ... حين من الدهر لم تكوني فيه شيئاً مذكوراً ... والذنب
ذنب الغاصبين يا مصر لا ذنبك أنت . ولا ذنب أبنائك .. فقد
كانت معاول الغاصبين أقسى من القدر .. فلم ينفع أبناؤك تضرعهم
إلى الله أن يُذهبَ الغاشية ويصنع بالغاصبين الظالمين .. ولم يكفهم
يا مصر ما أنت فيه من فقر وجهل ومرض .. فزادوك جهلا
وزادوك مرضا .. وزادوك فقراً .. وسوّلت لهم أنفسهم أن
يبنوا صرحهم على حطامك . فاستأسدوا واستدانوا .. وخذعوا
ومانوا ... ومهدوا السبيل للمستعمر في قلبك أنت يا أمنا العزيزة ..
وأترك المستعمر بناره وحديده وبطشه وغدره ... فأعان الأولون

الآخرين ، واجتمعت كلماتهم على إذلالك فكان لهم بعض ما أرادوا .
ولكن عناية الله لم تحرمك من نظرة حانية انعقدت إشعاعاتها فتكوّن
زعيمًا تشرق على يده شمس مصر في الآفاق نوراً لا بنائك
- يا مصر - وناراً على أعدائك . . . ويومئذ يفرح المؤمنون
بنصر الله ... ويحقّ الله الحق ويمحقّ الباطل ولو كره الكافرون .

٣٠ ديسمبر ١٩٤٥ م

ظلال واللوان

فى ساعة صمت
والليل كأنه قلب العاشق المهجور
أخلد إلى السلوى .. بعد أن جاهد أشباح هواه
فأجهدته ... وألقت به على تراب الواقع
والكون كله كالآهة المقرورة
تنبعث من قلب طائر مستوحش
دوّخته الريح .. فلم يجد له بين الرياض عشا يأوى إليه
وأنا ... فى وحدتى
أمثل راهباً من رهبان الأساطير
لم يكمل دوره بعد
لأن الشاعر الملهم الذى بدأ القصة ...
لم يرد أن يكملها .. حتى يستوحى عالمه الأثيرى الحالم
معانى القوة والخلود
ومن حولى ... ذكريات غير مسطورة
إلا فى صفحات الوهم ... الطائرة فى مهب الريح
.... وتستغرقنى أحلامى وخیالاتى

فأنظر من وراء الحجب
لأرى الأهرام الثلاثة ... قصائد المجد الخالد
التي لازالت تتحدّى بمعانيها كل شاعر ظهر في هذا الوجود
ومن فوقها مصر
أم التاريخ
وفى يدها مشعل الحضارة والحرية
تحدّ سناء قيود وهنائة
صنعتها يد المستعمر الغاصب
ودعمها بخيائته وظلمه
كل طائش الأحلام من صنائعه
وهي تهتف بي
يابنيّ العزيز
إن لك في هذا الوطن مكاناً لا بد لك من أن تناله
رغم كل الخطوب والشدائد
فأنت مني .. ولك خيرى .. وعلى غاصبيك لعنتي
أنا مصر ... يا بنيّ
خلقت الحضارات ... وأقامت دعائم الحرية في كل زمان ومكان
وهذا مشعل الخالد ... في يدي

مشعل أشعلته يد الله
 وباركته نفحات هذا الوادى الأقدس
 وغذاه النيل العظيم
 بزيت تفجرت ينابيعه من جنان الخلد
 ولقد أبى على الغاصبون وأشياهم
 أن أرفع يدى به
 لأنير للعالم طريق المجد والعظمة
 ولكن الله الذى خلق هذه اليد
 وبارك هذا المشعل
 أبى عليهم ما أرادوا
 وهكذا يابى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون
 ولقد رأيتك يا بنى ... تمشى وكأنك واقف .. فما خطبك ؟
 قلت يا أمّاه ...
 إن القيد الذى غلّلك
 لازالت فى قدمي منه حلقات
 تغلنى عن المسير
 وتحول بينى وبين الاندفاع فى طريق
 وقد رانت على عيني من ظلمات الاحتلال ما حجب أمامي الطريق
 حتى رأيتك تهتفين بي

وفى يدك هذا المشعل
فأفاقت فى خاطرى ذكريات عنه
فأضوؤه فى ناظرى آثار لم تمت
منذ كنت فى عالم الغيب ... خيالاً أطوف بالكون طوفان الفكرة
العظيمة فى ذهن الفنان الأعظم .

وسوف لا تموت هذه الآثار النورانية
فإن النور لا يموت
ولقد أقسمت عيناي منذ رأيت المشعل الألاء فى يدك المقدسه
لتعيشنّ على سناه .. ولتقتاتنّ بضوئه
حتى تتم رسالة القوة .. ويعمّ الضياء العالمين
على يدى الإعصار الرحيم
الذى يزيد النور قوة وشيوعا

ونفاذا فى أعماق الظلمات المشدودة ستائرهما على القلوب والأفهام
والأنفس والأرواح ...

هذا الإعصار الذى كمنت فيه قوى الحضارات المتعاقبة على شاطئك...
الأخضر .. منذ فجر التاريخ

... قالت مصر ... وإني لأعرفه يا بنى

إنه الزعيم المرتجى

الذى يمنح مصر من خبره مداد الحياة



الرجل والأغاني

«يا مالك الملك»^(١)

الأسدُ في غابها بيقرّر مصيرها التوق
وفِ أوّل القايمه أبكم له لسان مَلُوق
والشعبُ مفلوق وصوته في مهجته مَخْنُوق
ولو يسيرُ أمور الشعب أحسّابه
يَبَات ويضبخ سعيد الحال وباله يروق

* * *

أُلف من الفلاحين ما يملكوش فدّان
وفرد يملكُ أُلوف من مال ومن أطيّان
وولاده يتعلموا في الجامعة بالمجّان
وابن الفقير ينطرد من المدرسة ويصّيع
وإن جه يطالب بحقّه ينسجن في لُومان

* * *

(١) هذه قصيدة زجلية يعبر فيها الشاعر عن الحالة السياسية في مصر واتحدارها على أيدي الملك ويطائنه من الحكّام الذين يتسلطون على الشعب ومقدراته ويتناسون مصلحة العامل والزارع وغيرهما من أبناء الشعب الحقيقيين. وفي هذه القصيدة يبين الشاعر أن مصر ليست عزبة لحاكم، وليس الشعب خادماً له، ويتمنى في الوقت نفسه أن يخرج فاروق ويطائنه من مصر.

والعامل اللى اندفن قبل الممات مَغْبُوسون
وحالتُه مايرضهاش عاقل ولا مجنون
لو يَغْبَا ساعه يبيع الحلّه قبل الهُون
وإن حبّ يوم فى السّنة يجيب للعيال احمه
معناها إنّه حيصبح بعدها مَذْبُون

يا حاكم الشعب لازم تَبْنِي أَحْكامك
على رضا الشعب واوعى تعيش فى أوْهامك
أو تفتكر مصر عِزّه واحنا خدامك
دا الظلم له يوم مِسِيرَكْ تنكوى بناره
وتبكي وتنوح على عمرك وأحلامك

يامالك المالك عدلك تاه فى ظلم الناس
الكلب فى مصر له خُدام وله حُرّاس
وابن البلد حقّه ضاع بين النّسا والكاس
يارب قرّب نهاية الظلم واشعدنا
ويطلع الكلب مِ الدولة مع الأنجاس

طواف

طوّق يا روح بالوادي الأمين وانهل زادك من نور اليقين
واسأل المختار في روضته آية تهدي قلوب الحائرين
إنه يا روح .. نور الحق بين العالمين
صفوة الخلق .. حبيب الله .. خير المرسلين

قبلى الأرض التي سار عليها خير من رفّت على الأرض خطاه
واسكني نجواك ما بين يديها فلدبها نبع أسرار الإله
صاحب الحوض الذي يروى قلوب الظامئين
يوم لا يغنى شفيع وهو خير الشافعين

سيد الناس أئى الدنيا يتيما عربيا قرشيا هاشميا
ألهم الدنيا الطريق المستقيما وهدى الكون صبيا ونبيا
دينه الحق وفيه رحمة لليائسين
وأمان للحيارى وهدى للمتقين

يارسولا منه يستوحى الزمن كل لحنٍ من أناشيد السلام
باسمك التاريخ غنى وافتنن وهدى للنور أبناء الظلام
هذه روى تناجى عيذك الضاحى المبين
فتقبلها طوفا حول واديك الأمين

موال

بعد ألى كان من هوانا ليه تجافينى
وتحرّم النوم وأحلامه على عيني
باللى هواك فى فؤادى جمر يكويني
مادمت قاسى على مين حيسعدنى
لا قلبى ناسى ولا كامى مسلينى

فلسطين

فلسطين يا كعبة العالمين ويا مهبط الوحي والمرسلين
نُفِدتْ حِمَاكَ بِأَرْوَاحِنَا فنحن الأسود وأنت العرين^(١)

أقيمى على الدهر عرش الخلود وهزى بصوتك قلبَ الوجود
وهبى فهذا أوان الصراع وقد آن للبغي ألا يسود

سنحميك من كل وغدٍ أثيم ونُصلى أعاديك نار الجحيم^(٢)
ونكتب بالسيف تاريخنا ونبعث مجد الجدود القديم

فلسطين نحن شباب الفداء هتفت بنا .. فأجبتنا النداء
فحيى العروبة في حربها وحيى بنى العرب الأقوياء

(١) الحمى : الشيء المسمى . العرين : مأوى الأسد والفئيق والذئب والحية العظيمة ،
وهوفاء الدار ، ج : عرن ، والعرين كذلك العز والمنعة
(٢) نُصلى : نكفئهم .

محوتِ بنوركِ جنح الظلام ولازلتِ للنَّيلِ حدَّ الحسام
فأنتِ هوى الشرقِ .. أنتِ الحجاز وروح العراقِ .. وقلب الشام
لكِ المجدُّ في الأرض منذ القدم فمدُّى جناحيك صوب القمم
فقد أقسم العربُ أن يفتدوك فإنَّما وجودٌ وإنَّما عدم

فلسطين يا كعبة العالمين ويا مهبط الوحي والمرسلين
فقدى حماك بأرواحنا فنحنُ الأسود وأنتِ العرين

(١) الصَّوْبُ: الجهة ، والمطر بقدر ما ينفع ولا يؤذى . القمم : جمع قمة ، وهى من كل شىء أعلاه .

انت

أنت دنيـسـى الـتى تـهـتـف بـى فـاسـكـبـى عـطـرك فـى رـوحـى اسـكـبـى
واعـصـرى قـلبـى خـمـسـرا واملئـى كـأس أـيـامـك مـنـها .. واشـربـى
واغـمـرى الكـون شـبـابـاً ومـنى
وانـسـخـيه نـغـمـةً فـى لـحـنـنا

يـابـنةَ الفـجـرِ وأحـلام الـندى
كـل شـئ لـأـمـانـيك فـسـدى
لـاتـقـولـى مـن أنا .. يـافـتـنـى
أنت كـأس لـم أـذـقـها أبـدا
أنت لـحـنٌ فـى حـيـاتـى خـالـد
وأنا والكـون للـحـن صـدى

أنا عـطـر نائـم فـى شـفـتـيك أنا شـوق حائـرٌ فـى ناظـريـك
أنا طـيـف سـابـحٌ فـى أفـق راعـش الأتـوار مـن خـلق يـديـك
فابـعـثـى رـوحـى مـن غـفـوتـها واسـحـرنـى نـغـمـاً فـى أذـنـيك^(١)
كـل ما أشـدـوه فـى دـنـيا الـهـوى فـهو مـنـك .. يـاحـيـاتـى.. وإلـيـك

١ بـنـايـر ١٩٤٨

(١) غَمَوْتُ : اسم للمرة من غَفَا يَغْفُو غَفْوًا : قام نومة خفيفة .

اغنية المولود

اتمنى يا قاسي واتمنى يا عيني
جسائي فرج ربّي بالخير يراعيني
اتمنى يا قلبي

هادائي بهديه سيد ، ومين في بهاء
وف حسنه يا عني غير القمر في سماه
ينه--اغى ويواوى ليّه واقنواوى
وضحكته تساوى ماتماكه يميني
اتمنى يا قلبي

فاتت سنين وايام وانا وابوه عايشين
ما بين رضا وسلام وإن كان فؤادنا حزين

كنّا بـنـتـرـجـاه وبنطلبه من الله
لـحـمـدٍ ما شـفـناه يرضيه ويرضيني
اتمنى يا قلبي

يا رب اعيش والاقية والقى اللّٰى بـاتـمـنّاه
يحمى بإديه أراضيه والخير يجينا معاه
وتهنّى بيه أهله وابوه ويسلم له
يا رب ويدوم له ويكيد عدويني
اتمنى يا قلبي

اتمّنّى يا قلبي وتهنّى يا عيني
جاني فرج ربّي بالخير يراعيني
اتمنى يا قلبي

حسنك يا روحى عليه

من أغاني فيلم « فنتة »

حسنك يا روحى عليه يا مشعللة نارى
مختار أقولك إيه يا شاغله أفكارى

حسنك يا روحى عليه

هزى قوام العود واسبى عقول الناس
واحكى أغاني العود بغصنك الميَّاس
وفرّحى الموعود يا خمره من غير كاس
ونقل الرّجلين على نغم روحى
وصوّر بالعين أحلامى وجروحي
يا جنتى ونارى حسنك يا روحى عليه
يا لحن أوتارى مختار أقولك إيه

صبا وجمال ودلال وقوام
وروح بتسبح فى الأحلام
قوليل أقول لك إيه يا مشعللة نارى
حسنك يا روحى عليه حيسر لى أفكارى

موال

من أفاني فلم ، فنة ،

يا تاجر المرّ قَطُر منه واسقيني

وانسى دوا الصبر الا الصبر كاوبى

أنا بعت عمرى وكان الدل شاربنى

وادی ختام قضى دم ودموع وجراح

ومسير رياح العدم يا عين تظفني

موال

من أفاني فلم ، فنة ،

ياجنة الحب مين بڈل نعيمك نار

الى وهبته الحياة .. والّا القضا جبار

صبحت بعدك شريد النوم ، طريد الدار

غريب مالباش إلا الدموع والليل

والسرّ ما يعلموش غير عالم الأسرار

انت وانا

من أعاني فيلم ، فنة ،

والكون لنا	انت وانا
والحب سرّه في قلبنا	ومين يفرق شملنا
ويطير معانا في جونا	نفنى لجنه في عشنا
ونقول لها ونقول لنا	والدنيا تفرح زيننا
وانا	انت

كان الأمل سرّ لقانا	لا اتقابلنا في أول يوم
وصحيت على فجر هوانا	حسيت بروحي تفوق م النوم
وسكرنا والحب مدامنا	وبيننا بالعين أحلامنا
وقلت لك وانت	وقلت لي انت

وانا	وانت
نوره بيهديني	انت في سمايا قمر
ويهنى أحلامي	

بيحيني	وانت في أرضي شجر
من حرّ آلامي	

وامعد شبابي بسحر هواك	ياريتني أعيش العمر معاك
وتقول لي وانت	واقول لك انت
وانا	انت

هات كاسك

هات كاسك واشرب واسقيني وبخمرة قربك أرويني
أدى جنة حبي وغرامي وادى أحلامك وادى أحلامي
ووصالك فتح لخيالى دنيا هنيه

الزهر بين صاحي ونائم والطير على الأغصان هايم
وادى القمر فى الموج عايم ونوره فى عنيك وعنيه
فين القمر وبهاه من فنتتك وبهاه
خلبه يطير فى سماه وسيني أطير فى سماك

محرك وجمالك فى عنيه
وصالك وأمالك فى ايديه
أروها بحبي وأحلامي وتشم عيسرها فى أنغامي
ووصالك فتح لعنيه

حبيبي

حبيبي جاني وهنائي ونسيت في قربه أشجاني
ماكانش ظنّه أشوفه تاني بعد اللي كان من هجراني

حيّته بعد ماشفت هواه سبب نعيمى وهنايا
وكنت قبل ماعيش وبّاه أقاسى في الوحدة شقاي
ولما حيّته سقاني من كاس غرامه ورواني

روحه الجميلة بتسعدني وحسنه بيفرّح قلبي
ساعة ماشوفه قريبمني أحسد فؤادي على حبي
ولما يسمع ألعاني يعطف عليّ ويهرواني

حبيبي مين زى حبيبي في حسنه ولا في كلامه
رضيت به م الدنيا نصيبي ورضيت بهجرة وخصامه
ويوم ماجاني وهنائي فرّحنى بعد ما بكّاني

رد الجواب

رَدَّ الجواب إن كنت صحيح حينئذٍ حُبَّكَ
ما تسببني قلبي جريح وتسبب قلبك
رَدَّ الجواب

أنا عارفه إنك مخلص لي وأنا مش هانساك
ووهبت لك روعي وعقلي ورضيت بهواك
ولما جيت ابني أمالي زى الأحباب
شغلت أفكاري وبالي بدلال وغياب

رَدَّ الجواب

سؤال سألتني بعينك وجاوبت عليه
وادی زهر أحلامي في إيدك تقدر ترويه
لو كنت عايز تسعدني ونعيش أحباب
ارحم شبابي وطني وابعت لي جواب

رَدَّ الجواب

يا فتني

يا فتني بحسنك وجمالك طمن قلبي وارحم روحي
متغني بقربك ووصالك وداويني وجفف لي جروحي
يا فتني

كان حبك روضه من الجنة واحنا الاثنين طابرين فيها
يا ماسمع الكون من ألحاننا يا ما فرحت روحي بأمانيتها
إيه اللي خللاه نار على أنا لوحدي
وليه فؤادي احتار ويقاسي من وجدي

يا فتني

الليل مهما يطول وأنا سهرانه والصبح في عيني ليل ثاني
طول ما انت بعيد وأنا خيرانه والفكر مزود أشجانني
ارحمني م الأفكار ومن ضني سُهدي
واقظي لهيب النار يتم لي سعدي
يا فتني

حنيت للقاء

حنيت للقاء بعد ما فُتِكَ
وحعيش ويَّاك وابني سعادتك

حنيت للقاء

إن كنت حلفت انك تَنسى أنا مش حانسك
وإن كنت أَسِيت والأَحْتِشِي حافرح بأَساك
واسمع نجواك وارحم شكواك
وان جيت تعاتبني راح أقولك

حنيت للقاء

قلبك مع قلبي حيتهنى وينول في هواك اللى اتنى
وبعد النار حنشوف جنبه ونجلد فيها أفراحنا
ومُنْأى افي أعيش وأقولك

حنيت للقاء

ما اقلدشى أتحمّل بعلك وازاى حَقْدِ
وغرامك فى رضاك أوصدك كله مقْدِ
واد قلبي معاك ونعيمى هواك
بيغنى لقلبك ويقول لك
حنيت للفاك

أحلام

أحلام شبابي وغمامي كلها أوهاام
بتطوف على في منامي وتزيدني آلام

أشوف جمالك في جمالها أشواق رؤياك
وأشوف دلالك في دلالتها أتمنى رضاك
وآجي أسألها امتي يعوذلي صفوا الأيام

تبعد عني وتعلمني

إن الأحلام كلها أوهاام

حلمت انك ضمتني بأيديك الاتنين
وبكاس شفايفك وسقتني خمرة حبيبين
وجيت اشوف عيني في عينك إقمت من النوم
ولقيت عيلدي راح من ليلدي
وبكيت عليه وعلى الأحلام

.. . . .

أنا روجى سكرانه بحبِّك وفكرى سابح فى جمالك
 واللى جمع قلبى وقلبك جمع آمالى وآمالك
 ليه تحرمنى فرح الأنعام
 وتعلِّمنى ان الأحلام
 كلها أوهام

يا هاجر

يا هاجر والهوى فى قلبى يزیده نار على ناره
طويت قلبى على اُحْبَى ودمعى باح بأَسْراره

يا هاجر والهوى فى قلبى

أَقْضَى اللَّيْلُ شَجَى سَهْران ودمعى فى الجفون حيران
وأشرب خمره الْأَشْجان لوحدى والهوى فى قلبى

يزیده نار على ناره

يا هاجر والهوى فى قلبى

غرامك سرَّ نَجْوايا وقربك فرحى ومنايا
وبعدك حزنى وشقايا هايم والهوى فى قلبى

يزیده نار على ناره

يا هاجر والهوى فى قلبى

سَقِيتَنِي الْكَاسَ وَخَلِّيتَنِي وَأَنَا مَسْكِرَانِ وَجَافَتَنِي
يَارَيْتَكَ أَبْعَدَ مَا سَقِيتَنِي شَفَتَنِي وَالْهَوَى فِي قَلْبِي
يَزِيدُهُ نَارَ عَلَى نَارِهِ
يَا هَاجِرَ وَالْهَوَى فِي قَلْبِي

مِنْ شَعْلِكَ وَشَاغَلَنِي عَلَيْكَ بِتَحْيِيٍّ وَبَابِنِ فِي عُنَيْكَ
بَتَكُونُ وَيَأَى وَتَتَسَانَى وَالْفِكْرَ مَعَكَ
وَالْأَوَّلَ كُنْتَ بَتَهْوَانِي

عَلَّمَنِي غَرَامَكَ وَغَرَامِي مَعْنَى الْأَوْهَامِ
وَأَتَمَنِي أَشُوفَكَ فِي مَنَامِي لَوْ كُنْتُ أَنَامُ

علمى قلبى الحنان

علمى قلبى الحنان واعطى ورقى لـحالى
يكنى تعذيب الزمان يكنى تسهيد الليالى

* * *

يا أمانى العمر حنى ليه تزيدنى أسىه
ياترى إيه شوقى من غير دموى تكوى عنقه
اسمى لحنى وغنى وعلمى قلبى الحنان
يكنى تعذيب الزمان

* * *

اذكرى الماضى الجميل واحفظى ودى وعدى
وارحمى قلبى العليل يكنى آلامى ووجدى
خفى الهجر الطويل علمى قلبى الحنان
يكنى تعذيب الزمان

* * *

كل ما تمرّ السنين كل مايزيد الفسار
وانتى يرضيكى الآنين والهنا فى حبك حرام

يَأْمُرُ الْبَاكِي الْحَزِينُ عِلْمِي قَلْبِي الْحَنَّانُ
يَكْفِي تَعْلِيلِ الزَّمَانِ

* * *

وَيَعْبُدُ اللَّيْلُ مَضَى وَتَكُونُ لِي وَتَصَافِينِي
أَرَوِي مِنْ كَاسِ الرِّضَا مَهْجَتِي وَادْفَنِي أَشْجَانِي
وَاللِّقَا يَمْحَى الْهَوَانُ عِلْمِي قَلْبِي الْحَنَّانُ
يَكْفِي تَعْلِيلِ الزَّمَانِ

مين أسعد منى يا دنيا

مين أسعد منى يا دنيا	مين أبهج منى يا دنيا
بعد انشغال الهال	ونوحى وشهدى لىالى
عطف على وقال	وجفف دمعى الغالى
وسكرنى بخمرة حبه	ووعدنى بجنة قريبه
ووصف لى حنينه لحي	وحكى له على اللى ضنائى
وعذاب قلبه وقلبي	مقدرتش أدارى حنائى
وسكت له قبل ما أشكى	وبكى له قبل ما يبكى
مين أسعد منى يا دنيا	

* * *

ما بين حنينه وتعذبي	فى الحب نلت نصيبي
والعمر كله ثوانى	حيموت بقرب حنيني
فرحان مشغول متهنى	مين أسعد منى يا دنيا



القصبة والمسرحية

مطعم التاريخ

« تمثيلية في فصل واحد »

المنظر : « مطعم التاريخ » في مكان لم تَطأه قدم - التاريخ
جالس يفكر وحوله فريق من مساعداته ... يخرج من
صمته ويلتفت إليهن قائلاً « في تَأْثُر واضح .. »
- وبعد ... ؟ أنا يائس . هذا مالا شك فيه ... يائس إلى
حد ألى فكرت في إغلاق المطعم ... ولم لا ؟ وهذه الأيام
تمرُّني عجلة . دون أن يطرق بابي أحدٌ من الزبائن ...
حتى زبائني القدامى ... تركوا أنصبتهم من الطعام حتى
عفنت .. ولكشها طعام على كل حال .. بل وطعام
نفيس ... لأنه مبارك بيد القدم والعراقة .. ومع ذلك ..
فإن الصعاليك من أبناء أصحابه يأبون إلا أن ينقصوا
منه في كل حين ... ويا ويلى من أبناء خوفو ورمسيس !...
ويا ويلتا من أبناء عَمْرٍو وعُمَر ، إنهم لم يَنْزُروا من طعام
آبائهم إلا الفتات ، وما أراه إلا ذاهبا بفضل جوعهم

الطويل (وابتغيت إلى مساعدته « حُرِّيَّة » هيه .. !
وأنت يا حُرِّيَّة .. ؟ !

ألم يَعُدْ لك في هذه الأرض عشاء كما كان لك ؟
حُرِّيَّة : أنا ؟ - : أظنها لا تخلو من كثيرين من عشاقى ، وأنت
يا سيدى تعلم أنها لم تخلُ يوما من كثيرين .
- هذا صحيح .. ولكن ! لا شيء
إذن فما رأيك ؟ وأنت لست في حاجة إلى أن أنبئك
إلى ما حلَّ بنا من ضيق بسبب بظالتنا .
- رأيي ؟ ... (ترى أشباحاً من بعيد) إنهض يا سيدى ..
إنهض يا سلام ... ما أجمل الصبر ..
... انظر (ينهض التاريخ متثاقلاً إنه ليس فرداً
واحداً .. هذه وفود !)

التاريخ : (فى عظمة)
- بالضبط .. هذا ما كنت أنتظره على كل حال .. فمايتست
ولا شككت لحظة فى
حُرِّيَّة : (ثائرة) كفى يا سيدى كفى .. لقد كدت تقذف بنا فى
هاوية الزمن التى لا تردُّ هاويا
« يسمع لَغَطٌ فى الخارج »

التاريخ : (إلى مساعداته) - صه ، هاتوا السرفيس ..

(يطرُق الباب الزجاجي للمطعم) أهلا وسهلا .. تفضّلوا

(يُفَتِّح الباب ويدخل كثيرون من أجناسٍ مختلفة)

مرحى مرحى

(تأخذ الوفود رهبةً شديدة في البدء تنتهي بحالة من

الأنس اليسير) .

التاريخ : (في وقار) بالطبع أنتم تعلمون ما الكون كله فيه من

ضئلك وعسر .. ومنكم من كان يذهب إلى مُضيفه ومعه

طعامه .. وهذه السياسة نفسها ... أرجو أن تكونوا

منتبهين إلى أنها هي المتبعة معي من قديم .. فأنا لا أقدم

طعاما من عندى إلى أحد من زبائنى ... بل هو

الذى يحضر طعامه لنفسه بنفسه ... وحسبه منى أن

أحتفظ له - (بصورة طبق الأصل) من طعامه يعرف

أبناءؤه فيها ما كان عليه أبوهم من يسر وعسر ، ويخل

أو جود .. والآن أرونى أطمعتمكم ..

« ينشر كل منهم أمامه ما معه من طعام »

لا أنا لست جائعا ... فقط ... أريد أن أسأل كلا عن

بلده برغم ما في سؤالى من فضول .

- لا - لا فضول ولا شيء . اسأل .
- هكذا ... طيب .. أكتفى بالقليل من الكلام (ويشير إلى أحدهم) ..
- مثلا ... أنت يا سيدى من أين . ؟
- أنا .. من انجلترا ! هل تعرفها . ؟
- أعرفها . ؟ أعرفها . ؟ حدثنى حدث .. أو .. فانتظر ..
- (ينادى ...) سياسة .. يا سياسة (تظهر)
- نعم ..
- هات الأطباق الذهبية (إلى الانجليزى) ياما أطيبه من طعام يا سيدى ... ستراه ... وستشم فيه عبق صاحبه ..
- وهى منكم ... أنتم الألى قارعتم الأهوال .. حتى بنيتم قصور أمجادكم على أشلائكم - (ضاحكا) فى خبث وأشلاء غيركم بالطبع ..
- (تظهر سياسة حاملة الأطباق)
- إنها جديدة .. وما أتيتك بها إلا لأن ذوقك فى تناول الطعام يهتف بمثل ما فيها من ألوان ..
- (يرفع أعطيتها ويتنهد) آه ياسيدى .. آه ... غفر الله لها ... وبارك فى أبنائها ...

الانجليزى : « فى اهتمام » من يا ترى ؟

فيكتوريا : ... أوه .. أنت يا سيدى لست ذكيا كما يجب أن تكون ... لكن لا بأس ... فأننا أعرفكم .. لأنها صاحبة الطعام ... فيكتوريا وعندى من أمثالها كثيرات .. ولكنّها فوقهن بكثير ، كم أنا سعيد بوجودك هنا . الذكريات والحوادث تنثال ، ويدي هذه ، كم سمرت لكم فى صفحاتى من مواعيد لوجبات ومآدب وأنماط من الأطعمة ، وأنماط من الأكلين ، ألف زبون وزبون ، وأنت أخيراً طعامك جيّد بل ' (ينظر إلى أطعمة الآخرين) إنه أجود طعام رأيته منذ اليوم شرّ ياسيد ، إطعم على بركة الله (ضاحكا) ومجبة فيكتوريا ..

(إلى غيره)

- وأنت يا سيدى ... ما اسمك ؟ ... آسف .. أريد .. من أى بلد ؟ (فى أناقة) من فرنسا ..
- هذا حق .. فقد رأيته تُحدّ النظر إلى صاحبتى (حريّة) (يلتفت إليها - ولعلها لم تنزل على عهدك ..) (إلى حريّة) أليس كذلك (تهزّ كتفها صامتة)

- لماذا سكنت يا بنيّه ؟ وأنت يا سيدى ؟

ويجى .. صفرة وشحوب ! .. أحالُ عاشق هذا ؟! أم ..
الفرنسى : لاشيء يا سيدى على الإطلاق .. غاية ما فى الأمر .. لا ... فـ
حرّية : لا فافاة .. ولا تلعنثم ... خير لك أن تصمت ... وأنت
يا تاريخ ... سلامة عينيك .. انظر ... هذا الدم الكابى
على ثوبه .. إنه دمه ... وهاتان الشريحتان من اللحم
الغريض ؟ إنى لأودّ لوجفّ عليهما حلقه .. هاتان الشريحتان
.. المصبوغتان بدم .. أظنه ليس دمه .. وأظنه كريماً ...
أو هو كذلك .. فما فقد لونه بعد .. وما زال شاهداً
على جريمته ... إنه الجمل الذى استنوق فى واديه ...
واستأسد فى غيره .. صحيح أنه من فرنسا ... وصحيح
أنه كان لى عبداً ألّهته على كثيرٍ ممّن عشقونى ؛ أما اليوم ..
التاريخ : ما خطبك يا بنيّه .. عذراً يا سيدى فما أظنها عرفتكَ
بعد ...

حرّية : (منفعلة) ... أنت تغالط نفسك .. أو فلأجرو قليلا ...
فأقول ... إنك لا تعرفه أكثر منى ، لقد حاول أن
يخنقنى يوماً ... بعد أن فارقتهُ وألقيت بنفسى بين
أخضان قومٍ فارقتهم عن كره فترةٍ لم تطل .. عادوا

بعدها أشد ما يكونون حرصاً على وإيماناً بي .. فلم
يكسر شوكتهم عسفهُ وطُغيانه وغدا تعلم صدق
ما أقول ...

التاريخ : أهذا ممكن ؟ .. أهذا جائز . ؟ ... أهذا معقول . ؟
يا بنية ... خيرُ لك أن تصمتي فقد كدت تفسدين على
الحديث ... وتُسيئني بقيّة الزبائن .. ما علينا
(إلى آخر)

فأنت مثلاً ...

في عظمة - من أمريكا -

أمريكا ... يا سماء أفعلى ... آه .. تذكرت شيئاً ...
شيئاً واحداً يا سيدي ... ومع ذلك فهو عظيم
« لنكون » ... أنت من آل لنكون ...

(إلى حرية) إنه صديقك يا شقية

حرية : ولنا الفخر

- لك أم له .. ؟

- لِكَلِينَا

إذن فقومي على خلعتي ... فهو زبون جديد .. ! ...

(ضاحكا) والغريال الجديد ...

- له (عُلَاقَة)

- وَأَنْتَ عُلَّاقَتُهُ طَبْعًا ... هَا هَا هَا هَذَا جَمِيلٌ ...

(إِلَى آخِرِ)

وَالسَّيِّدُ ؟

- أَنَا . ؟

... أَوْ شَارِبِكَ

- (فِي انْفِعَالٍ) مِنَ الرُّوسِيَا الْبَيْضَاءِ

- أَوِ السُّودَاءِ ... هِيَ الرُّوسِيَا وَكَفَى ... إِنْ لَكُمْ عِنْدِي ..

صَحَافًا وَصَفَحَاتٍ ... إِنْنِي أَعْرِفُكُمْ ... وَلِي فِي دِيَارِكُمْ

جُولَاتٍ كَانَتْ كَثِيرًا مَا تَنْفَعُ .. وَلَقَدْ تَرَكْتُكُمْ مِنْذُ

قَلِيلٍ .. وَالنَّارُ تَتَلَهَّبُ تَحْتَ الْحَطَبِ فَمَا حَالُهَا الْيَوْمَ ...

- حَالُهَا ؟ ! أَنْتَ أَبْلَهُ يَا سَيِّدِي ... انْقَدَ شَبَبٌ وَأَحْرَقَتْ ...

وَأَحَالَتْ الْحَطَبَ الْجَاثِمَ الْمُسْتَعْصِي عَلَى الْأَكْفِ . خَبْرًا

مُبَارَكًا ... وَمَاءٌ سَائِغًا لِكُلِّ ذِي سَاعِدٍ . وَرَأْسٌ .. وَلَقَدْ

أَيَقُظْتُ صَبِيحَتَنَا النَّائِمِينَ تَحْتَ تَرَابِ الزَّمَنِ وَمَا هِيَ

إِلَّا أَيَّامٌ أَوْ شُهُورٌ ... حَتَّى يُؤْمِنَ كُلُّ جَائِعٍ فِي الْأَرْضِ

بِدَيْنِ بَطْنِهِ هُوَ ... لَا بَطُونُ الشَّرْهَيْنِ مِنْ عَبِيدِ الْإِنَانِيَةِ

وَالطَّمَعِ .. حَوْلَ عَيْنَيْكَ غَنَى حَوْلَ ... فَسَتَنْقَلِبُ إِلَى

بَعْدَ قَلِيلٍ .. فَمَا تَرَى أَغْزَى مِنْكَ عَلَيْكَ .

التاريخ : أيكون ذلك ؟ أحقاً . ؟ لأكاد أصدق .. فهذا الطعام
الذى أمامك ... أراه جديداً فى نوعه .. وصنعه وشميمه ..
مع أن مظهرك لا ينبئ عن ثراء ..

- هه .. ثراء ؟!! (مشيراً إلى رأسه وساعده) .. الثراء هنا
يا سيدى ... وليس فى بذلة من حرير وقصر من ذهب ..
إننا فنينا عن ذواتنا ... وحيننا بفكرة واحدة - هى
(السعادة للجميع) ...

- السعادة للجميع . ؟ .. إن هذه الكلمة فى مفهومها
كانت حاملاً مخبولاً لحالم مخبول من مخابيل الماضى ..
إن الإنسانية التى أعرفها أنا .. إنسانية النار والحديد
والدم .. كان فيها من ينادى لنفسه بالسعادة .. على
حساب الآخرين .. فبذل من نفسه ونفيسه ... ولما لم
يقدر .. ألقى بقفازه فى وجه الجميع .. ليحقق مثله
الأعلى .. « الشقاء للجميع » وصاحبك هذا النائم
بجانبك .. ما أظنك إلا أحد هؤلاء أ .. أ يقظه إن
شئت ...

الروسى : لا يا سيدى ... لا ... دعه حتى لا يقلبنا بنفسه فلم
يبقى معه سلاحٌ يقلبنا به .. وبرغم هذا فإنه لا يفرغ من

معركة إلا ليقع في أخرى ... وله النصر والغار في البدء ..
وعليه الدائرة في النهاية ...

وهذه ثيابه الممزقة ... وجسمه المحطّم .. وأعضاؤه
الجريحة ... شهود عدول .. والعجيب أنه كالقطّ
بسبعة أرواح قابلة للزيادة .. فهو لا يموت ولا يترك
غيره ليزوق صفو الحياة ... إنه ألماني ...

ألماني ... ؟ ! ما أشقاني به .. وما أشقاه بي .. من
صاحب السجلات المزدانة بالكواكب الدامية والنجوم
الأوافل ... ألماني ...

(يستيقظ النائم) في تحسّس

من ؟ من ينادى ألمانيا ؟ المجد لألمانيا .. ! نموت ونحيا
ألمانيا

نحن معك يا سيدى ... نموت ونحيا ... ألمانيا نعم
نحن معك ... نَمَ واسترح ... فأنت متعب ... تحتاج
إلى راحة ...

(تسمع له غمغمة خفيفة ... يواصل بعدها نومه)

التاريخ : مسكين ... أنا أرتى له .. وأعجب منه ... وأعجب به
أيضا .. فهو يشغلنى بنفسه والسلام ... أما هؤلاء ...

هؤلاء الذين يُشغَلُونَ بأنفسهم عنى (يرى شعباً خلف
زجاج الباب)

سحنة غريبة (ترى من يكون صاحبها ...)
ينادى (كسل .. ! يا كسل) ... يظهر أنه نائم ..
ولا تثريب عليه فهو (ينادى) كسل ... هـ ...
(يقوم متجهاً إلى الباب فيفتحه ... يبدو على الطارق
كثير من الخوف ...)

الطارق : هذا مطعم التاريخ ؟ !

التاريخ : وأنا التاريخ فمن تكون ؟ !

الطارق : لكن .. مالك ياسيدى هكذا ؟ جاهم الوجه ... ثائر
الخطاب ؟

أنا . ؟ لا يا سيدى ... ومع ذلك ... ف ... لم لا تدخل ...
أنتنظر شيئاً ... ولكن ... لا ... قف ... لقد سألتك
من تكون .. ؟ .

أنا . ؟ أنت .. ؟ .. لا تعرفنى .. ؟ يا ربى ... وهل على
ظهرها من لم يلهج بذكرى ويسبِّح بحمدى ؟ .. أنا .. ؟
عجيب ... قل لى أنت ... من أنت .. ؟ بل آه ...
تذكرت ... أنت التاريخ ... معذرة .. فقد حطَّم الجهاد

أعصابي تُرى يا سيدى .. أى شقاء يكتب على الإنسان
حينما تختاره العناية ليتزعّم أمة .. ولو رغباً عنها ...
ولو كره أكثرها ..

التاريخ : وكيف يكون زعيمها رغباً عنها ؟ .

الطارق : سنعود إلى الجهل فى الخطاب ؟ يكفى أن تعلم أننى زعيم
حزب فى أمة ... أو أمة فى حزب ... هيه ... عشرون
عاماً يا سيدى ... عمرٌ طويل ، وأنا أجاهد لتحرير
وطنى .. حتى أقمت صرحه السامق على أشلاء صحتى ..
وراحتى .. وشبابى .. آه .. (يتهالك على مقعد) وبرغم
هذا خرجت من المولد

بلا حُصص ...

وبلا قشر أيضاً .. وباليث الأمر وقف عند هذا الحد ..

فها هى بطنى ! .

بطنك ... أنت جوعا ؟ !

أكاد أموت من الجوع ..

مسكين .. على كل حال .. فأمامك فرصة لتتناول طعامك

.. عن إذنك يا سيدى هه .. (يقوم)

عن إذنى ؟ إلى أين ؟ أنا ضيفك ... وما يحقّ لك أن

تتركنى هكذا بلا طعام ..

(التاريخ يجلس مشمراً عن ساعديه كالمثأهب لعراك) - وبعد
يا حضرة الزائر العظيم ... كأنك أتيت إلى هنا لأطعمك
أنا ؟ ... من قال لك ؟ والآن ... وقد أجزتني حدّ
الصبر .. دون أن تقول لى ... من أين أقبلت ولا من
أنت .. أمامك الباب مفتوح

الطارق : تريد منى الخروج ؟ لن أخرج .. لن يكون هذا .. أنا
جوعان .. جوعان وعندك من طعام آبائى الكثير ..
فلا تأكل علىّ حتى .. إن .. إن خوفو ورمسيس .!
التاريخ : هـ .. ؟ . ماذا تقول . ؟ صه ويحك ... أنت إذن ...
فهمت .. خوفو ورمسيس ! أنت من أبنائهم ؟ ..
لا يا سيدى ... بل ... يا بنىّ إنّ آبائك المناكيد حينما
كانوا يأتون إلى هنا كان كثير من زبائنى ينقصه
الشبع ... فلا يفتأ آباؤك يفيضون عليهم ممّا معهم حتى
يكتظّوا شبعاً وريّاً ... أما أنت ... (مشيراً إلى الزبائن
الآخرين) (أنظر يا بنى .. انظر ... إنهم أصبحوا
والدنيا لهم .. وأصبحت واحسرتاه ولاحظ لك من
دنيا ولا آخرة ..

الطارق : وما ذنبى ... وأنا وحدى من جاهد وضعى ...

التاريخ : إن كل ذنبك محصور فى هذه اا (أنا) ... تقلفها
فى وجه غيرك .. فلا يردّها إلّا ب (أنا) أشد منها
وأنتكى وهكذا تمرُّ الأيام ... وتمضى السنون ،
وكاكم سيّد أخيه ... وستظلون هكذا حتى يقيض الله
لكم من تجوز روحه حدود الأنانية المهلكة .. لتنتقل
فى فسحات الأمل المُدعّم بأسانيد العمل .. لأنكم يا بنى
تعيشون على فتات المائدة القديمة .. فما أحوجكم إلى
طعام جديد ..

(يقف الطارق الغريب)

- والآن يا سيدى ؟

التاريخ : لا شيء .. وحبذا لو تفضلت فذهبت ..

الطارق : إذن فأنت تطردنى ؟

- آسف حقاً فقد فهمتنى خطأ ... كلُّ ما أريدّه أن تأتيني فيما

بعد ... وفى يدك .. ولو وجبة واحدة ... (ينادى)

(ينادى) - كسل .. يا كسل ... يا ملعون ...

يقبل كسل فى إعياء (وهو يفرك عينيه)

- نعم ... يا ... سيدى ...

التاريخ : تعالَ فهذا صاحبُ لك .. شيعه إلى الباب ...

الطارق : لا يا سيّدى ... دَعُهُ يَنْتَمِ فَقَدْ أَشَقَانِي اسْمُهُ فكيف

به هو ... إني ذاهب وحدى لأُطعم نفسي

- أرجو لك التوفيق ... « كأنما يحدث نفسه »

- يا حسرةً على الجائعين ... يعرفون أنهم جائعون ... ثم

لا يسألون أين الطعام ؟

البقر الآدمي

و من أساطير الواقع :

هى قصة عجيبة ما فى ذلك شك
ولكنك إذا سألت عن صاحبها
قيل لك إنه أصبح فى التراب حقيقة واقعة
تبدأ القصة من حيث تنتهى
وقد تعجب ثانية لهذا التناقض
ولكنه تناقض محبوب
لكنها قصة الظلم والعدالة
فبدونها موت ونهايتها كذلك
ولكن الموت الأول موت معنوى أليم
والموت الثانى موت مادى أشد إيلاما
نحن فى قرية (...) من أعمال مديرية (....)
الأرض أرض الله
غصبتها من عباده (فلان)
وسجّل على أفهام الناس أنها أرضه
لأنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ مصر

هكذا زعم

وهكذا سَوَّلت له نفسه أن يفرض على أبناء هذا الوادى حكما لم تطمح
نفس «نيرون» يوما في أن تباغ من الظلم بعض ما بلغه ظلم
هذا الغاصب

ولقد أشرق صباح

كان أشد حلكة من الخواطر السود
تنساب في وجدان يائس محطم شريد
وأقبل على القرية الوادة خيل ورجل
انظر معي

هاتان عيناه النضاختان بالاستبداد والقسوة
وهذا شاربه الذي تتحدى ذؤاباته نور الجو في الجو
وهذا وجهه الخنزيرى الأحمر

وجسمه المشبوح العظام
تنطق كل عضلة فيه بالجريمة
جريمة الغدر والغيلة وسفك الدماء
ينزل الفارس المغوار من فوق جواده المطهم
وينظر إلى رجاله ... أشباه الرجال
نظرة الأمر العجلان
فيهبطون إلى الأرض المنكودة

ويأخذون في شدّ خيولهم إلى الشجر القريب
 ثم يتناولون فيما بينهم حديثا
 تعجب أسماع الأهلين من رطافته
 ثم ... ثم ينزع كل منهم عن نفسه لباس الخديعة والمكر ، ويقتحمون
 على القرية الآمنة سيّاح الطمأنينة والسلام
 وبالعصى والكرابيج
 وبما هو أقسى من العصي والكرابيج
 من ألقاظ السباب والزجر
 يتفرّق الناس .. إلا واحدا
 هو ذلك العملة .. المتهالك على نفسه
 من شيخوخة وضعف
 « يا عملة »
 نداء رنّ في أذن الشيخ
 فأجابته أصلا به المرتجفة
 وعيناه الزائغتان
 ولسانه المعقود
 « فين خفرا »
 « تحت الإذن أفندم »

« يَلَلَا هَات خَفْرَا »

وإلى بيت الشيخ الضعيف
يذهب الجمع ... تراودهم الأحلام

ولم لا ؟

ألم يكونوا في ديارهم أشدَّ ما يكون البائس المحروم
جوعاً .. وعُزْباً ... وضنكاً

ويمضى شهران

والقرية تُمسي وتصبح

ولاحديث لهم « إن كان ثمة سماح بحديث »

إلا ابنة الشيخ فلان ... والشيخ علَّان

وجدوا الأولى مطروحة فوق أرض الساحل

مجزورة بيد مجهول ... معروف

هو أبوها المنكوب في عيشه ... برغم تفاهة هذا العيش

فقد عرف أن الحاكم الجديد ... أغراها وأغواها

وقدح الإباء زناده في رأس الشيخ الفاني

فكان نصيب ابنته الهلاك

فأما الثانية ... فقد كان أبوها أضعف إيماناً بالكرامة.

أو قل إنه خشى العار ... فخشية العار وحدها

هى التى دفعته إلى أن يذهب بابنته بعيدا
هناك ... عند أهله الأبعدين
ولا يدرى أحد ... إلا الله ... ماذا قدر لها من مصير
وأقبل الشيطان على القرية ذات يوم
ولكنه كان فى هذه المرة شيطان الدم .. لاشيطان الإثم ... وأسرى فى
أذن الحاكم أن عذب هؤلاء الناس .. فما خلقوا إلا للعباب
ونزل الحاكم من القصر ... يهز أعطافه
كقرود الطواويس
وأذن فى الناس بالمال فأتوه رجالا كالتحديدين..
ومن بينهم رجل
أراه فى فكرى .. فأكفكف الدمع .. وأحبس الآهة
مسكين

إنه لا يجد المال الذى يدفعه ... فإيعذب
« خذوه فغلوه .. ثم العذاب صلوه ... ثم فى سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا فاسلكوه ... إنه كان لا يؤمن بالإذلال .. ولا يدفع ماعايه
من مال »

ويمضى الرجل إلى قاع السجن كاللقى المطروح
وهناك .. يراوده شبح الموت جوعاً

فتنهتف به روحه الظامئة إلى ورد الحياة

«ماذا عليك ... إذا بعت البقرة»

وينادى المسكين سجّانه .. ياسيدى السجّان

«أنا عندى بقرة : وسأبيعها لأسدّ الديون»

ويذهب السجّان إلى سيده الأعلى

ويرجع السجّان إلى عبده الأدنى

ويخرج الرجل من سجنه مذوما ملحورا

وفى البيت الساكن

تنشب المعركة .. معركة الحياة والموت

إن البقرة وجودهم وحياتهم .. وكل ما قسم الله لهم .. كيف يبيعونها..

وعلى أى شئ بعدها يعيشون

قالت زوجته التبعة :

«بغنى أنا .. ولاتباع البقرة»

قال الزوج التّعس :

«لأن أبيعها هى لأعيش .. خير من أموت فى السجن .

وشبّ نزاع..

أخذت بعده المرأة طريقها إلى بيت أبيها .. طالقاً..

وانطلق الرجل إلى بيت الحاكم ... وفى يده دنياه (بقرة)

فكان جزاؤه على وفائه بالوعد

جزاء المستضعفين الأرقاء

صفعات ... وركلات ... وكرابيج

واطمأنت به الحياة يوما أوبعض يوم

حتى إذا آواه الليل

شب في رأسه أوارُ النعمة

فمضى قلما .. إلى حيث يعلو خوار رزقه (بقرفته)

وتحت ستار الظلمة .. تقدم إلى حيث شدت قوائمها

ومضى بها إلى بيته خائفا ... يترقب

وانحلت عرا الظلام

وافتقد الحراس البقرة فلم يجدوها ... فأخبروا الطاغية

وشاع الخبر في القرية « إن فلانا سرق »

كأنما سرق ما ليس له

وشم المسكين رائحة الدخان .. فخشى النار

وذهب إلى قصاب القرية يسأله الرحمة

والرحمة هنا .. هي أن ينتهي بالبقرة إلى بطون الأكلين

وبات الناس هذه الليلة .. قريرى البطون والعيون

وعلم الظالم بما كان فماذا يصنع ؟

إن هذا المخلوق الذى سَوَّلَ له نفسه (الخبيثة) أن يعصى أمر من
لا يعصى له الناس أمراً .

لابد له من جزاء أوفى على هذه الفعلة النكراء
وليكن الجزاء من جنس العمل

وهتف الطاغية فيمن حوله : « هاتوا الجزار .. »
وأقْبَرَ الجزار

وثار الطاغية فى وجهه : « أين القرمة ؟ »

قال الجزار : هاهى ذى

قال الطاغية : فأين الرجل ؟

قال الرجل : « نعم سيِّدى »

قال الطاغية : نم على القرمة

وامتثل المسكين .. وهل كان له إلا أن يمتثل

وهبَّت الذئاب والكلاب من كل صوب وحذب

تنسل إلى بطن الوادى

لتدفن خياشيمها فى لحمه المنشور

والذى خلق الإنسان ليأكل لحم الحيوان

كذلك خلق الحيوان ليأكل لحم الإنسان

٢٤ مارس سنة ١٩٤٦

بنت الحاكم

« نعمة حب مظلوم »

- ناظك

- نعم يا ماما

- خوشتي جوّه

- حاضر يا ماما « بعد لحظة » لكن يا ماما ... أنا مش باحبه هوّه ..

أنا بحب منظر جميل .

- معلش ... لكن ... خوشتي جوّه .

دار هذا الحوار اليسير بين الأم التركية وابنتها عن الحاكم

التركي لقرية من قرى الريف المصرى فى عام ١٨٩٦

وكانت مصر فى هذا العهد كالدمية المحطّمة فى يد لا ترحم النّمى

لأنّها لا تفهم قداسة الفنّ الإلهى حين يبدع فى ملكوته ما شاءت له

القدرة على الخلق والإبداع .

وأجّت فى صدر الفتاة زفرة محترقة ... لم تجد لها متنفساً إلا بين

جدران الغرفة المجاورة لمكان الأم ...

وعرفت أمها أنّها لن تنتهى من آهاتها إلا إذا أدخلت هى على نفسها

شيئا من السرور والدعابة ... فأقمت ما كان بيدها من ملابس...
ووطئت نفسها على تسليية الفتاة :

- يا بنتى ... انت لسه صغيرة... ودا فلأخ ... وبابا قلبه حاديد...
رحمه مافيش ... وأنا ... يخاف عليكى منه قوم قوم معايا ...
نروح نزور جماعة قارايبب ... يللا

لم تجب ناظلك ... فقد شقَّ عليها أن تجيب ... اللهم إلا بدمعة
صامتة سألت على خدها فى ذلة وانكسار ..
وتحاملت على ذراعى أمها ... وانثالت عليها الخواطر من كل
جانب ... كيف تذهب معها إلى هؤلاء (القارايبب) وتتركه
وحده ... يكدح ويشقُّ الأرض بمحراثه الصدى ... دون أن
تخفف عنه آلام العمل بنظرة حانية ... أو لفظة رقيقة ...
أو ابتسامة شقراء ..

ولكن أمها لم تمهلها لتتم هذه الخواطر ... فقد جذبتها من يدها..
دون أن تعير ضجرها عناية أو رعاية ..

وللحب قاموس لا توجد فيه ألفاظ « الجاه والحسب والنسب والمال
والأصل ... فكل هذه الأوصاف إن هى إلا قيود لا يعرفها من عرف
الحب الذى لا يعرف الحدود والقيود .. حقا إنه فلاح وابن فلاح..

وصحيح أنها ابنة الحاكم ... والحاكم (التركي) ... ولكن
للنظر واللفتة والابتسامة من السحر والقوة والنفاذ ما تمحى أمامه
كل هذه الفروق ..

... ولقد رأيته أول مارأته ... وهو جالس على شاطئ التربة
وأمامه منديله الباهت .. وفوق المنديل ترقد لقيمات عفنيات ...
وطبق مجرود فيه قليل من « المش » وبضع ورقات من « السريس »
وهو يجيل فيها عينيه حائرا ... كأنما يخاف أن يغتالها كلها ...
فلا يبقى لأخيه الصغير الذى يسقى الفحل من هذا (الطعام)
نصيب .

رأته فانسريت من فمها كلمة أغنت عن كل ما يقال
في مثل هذا الموقف .. فقد قالت « مسكين » ولم تزد ... وأحس
هو بوجودها قريبة منه فسالت على جبينه المفلوح قطرات من
العرق ... زادته ارتباكا وزادته ألما ... ودقت من مكانه ...
فهب واقفا ينتفض ... لا جرأة وانفعالا ... بل خوفا وإشفاقا ..
فقد عرفها .. وكيف لا يعرفها ؟ وإن جمالها وجلالها لينمان
عليها ... إنها ابنة الحاكم .. ورئت في أذنه الباطنة هذه الكلمة
الأخيرة « الحاكم » ...

... يا للصاعقة .. إذن فقد دنا ميعاد الموت .. ولم لا ؟ . لنفرض

أن أباهما أقبل في هذه الساعة المشثومة ... ووجدها هكذا واقفةً
 بلزائمه فماذا يظن؟ لا شك أن أول ما يتبادر إلى فهمه أن بين
 ابنته وبين هذا « الفلاح » حباً .. أو قل ... إن وقوفها هنا
 مجرداً عن أى معنى من معاني الحب كضيل باللقاء بنور الشك
 في نفسه ... وحرى به الساعة « إذا كان حقاً يخاف على نفسه
 وعلى أهله من أن تنصب عليهم لعنة الطاغية » حرى به أن يذهب ..
 وأن يذهب بعيداً إذا أمكن ... وحبذا لو انشقت الأرض فابتلعت
 قبل أن يحدث ما استقام في الحسيان .

ولكنها أثبتته في مكانه بنظرة آمرة متوسلة ... وقالت لها عيناه :
 « دعيني أذهب » . وقالت له عيناه : « بل ابقى في مكانك »
 واقتربت منه .. فزادته وهما على وهم ... ووهناً على وهن ...
 ودار بينهما حديث :

- مين يملك الأرض دا ؟

- سيدنا ... ياسنى

- مين سيدك

- والد ... حضرتك

- با با يملك دا كله ؟

- « ضاحكاً في سداجة » وأكثر من ده يا ست ... سيدنا الحاكم

ربنا يزيدہ... خذ الأرض كلها مِننا... واحنا كلنا بنشتغل عنده.
وأطرق- وأرسلت هي وجهها إلى مكان آخر... ثم عاودته النظر..
فرآته يمطر الأرض بدموعه الواكفة... دون أن يتنبه إلى هذه
النفترات المسترخية اللينة الضارعة التي تطوق بها شعره الفاحم
الغزير.. وجسده الضامر القوي ووجهه الأسمر الفاتن... وجبينه
المسحور الأملس... و.. جلابيه الأزرق رمز القوة والحياة والنماء..
ورأت هي أنها أطالت الوقوف... فأخذت سمتها إلى البيت وفي
عينيهما من مرآه آثار تلوح وتختفي... كلما أخفق قلبها أوسكن..
وفي خلوة بعيدة عن العيون راودها حلم غريب من أحلامها
الغريبة... فقد تمثلته واقفاً إلى جانبها في حفل أقيم لزواجهما
وضحكت ملء شبابها لهذا الحلم الفكه... ثم أخذتها رجفة طارئة
كهذه الرجفة التي تنتاب إنساناً ملأ قلبه الحنان على إنسان آخر أقل منه
شأناً، وأضال نصيباً في الوجود والحياة.. وما يقم كلاهما من متاع وزخرف
وقالت لنفسها :

وماذا يضيرني من مثل هذه الصورة... إنها حلم آثم مافي ذلك شك..
ولكن... أني لي أن أحكم على تصارييف القدر.. فقد يجعل مني أنا...
ناظك بنت محمود أغا... زوجة ل.. ل..
ولم تكمل... فقد عاودتها النكسة..
والعزة بالإثم خيالاً ما بعده خيال.. فهي تصور لصاحبها أنه

أسمى خلقاً من غيره ... وأرق طبيعة من سواه .. وهى
وهى ابنة الحاكم... وهو .. هو « ابن الفلاح » العار الآدمى
الفضيع الذى يبرأ منه... بل من ذكر اسمه على اللسان ... مثل
هذه المغرورة من بنات النوات

ومرّت الأيام ... وهى تزداد فى كل يوم ميلاً وانعطافاً ... إلى هذا
الآبله الذى لا يعرف لغة العيون والقلوب ... بعد أن أنساه
الفقر والجهل والمرض .. أن للعيون لغات تفهمها القلوب ...
وله فى ذلك العذر كل العذر ...

فالفقر والجهل والمرض ... كلمات ثلاث إذا أخذت طريقها إلى
قلب إنسان تركته هملأ لا يدري من أمور الحياة إلا أن يتمنى ...
وحرامٌ عليه أن يتمنى غير ثلاثة .. هى الدرهم .. والقلم ...
وقوة البنان .

ياما تحت جناحك ياليل ناسات مابينا موش
إلا وجمر الدموع تحت الخدود مفروش
وياما فوج الحزين نايم ... ولا هموش
إن كان غيره حزين الجلب أوفرحان
« بكره يساوى التراب اللّى له باللى مالوش »

« موال أحمر » همس به حامد في سمع الليل... فتجاوبت أصدائه
في كل مكان .. وهومت حول نافذة مفتوحة .. تجلس فيها
الفتاة الشجيّة الخليّة ... وهى ترقب ركب النجوم يخفى حيناً
ويبدو حيناً كما تخفى أحلامها وتبدو.

... واعتصرت قلبها لوعة مرّة .. وحزن شديد.... وحامت بعينيها
حول المكان الذى سمعت منه الصوت ... فوجدته واقفاً
هناك ... حيث يغيب آخر الشاطئ في أول النهر ... وفتفت في
نفسها ... ما أجمل الليل .. وما أروع صمته وما أبدع هذا
الصوت الدافئ الحنون ... يغمر الكون بصفائه وقوته وجماله ...
وما أطيب النزول إلى ساحة القمر ... حيث ينشر ضوءه الخفيف
الناعم في جنبات الوادى الأخضر !!

(وهمست) ... إنها ليلتي أنا ... وليته هو ... أنا في مكاني ...
وهو في مكانه ... ويا حبها من ليلة ... لو أنني أصبتُ من حديثه
وبادلته الحديث ...

وهبت من مكانها ... وألقت بشالها العذافي الناعم فوق كتفيها
الريقتين ... وهبطت الدرج ... واستغرقتها نشوة الحلم الداهب
... يوم رآته بجانبها كأنه ... كأنه عريس ... وانتبه حامد على
وقع أقدامها ... وهى تخطو وتخطر في ليونة واسترخاء ... وألقى

بعينيه صوبها ... فرآها ... كأنها حورية من حوريات البحر ...
عشقت في الحلم ... باكورة من بواكير الشباب البرى ... خلقه
الله للعشق والأحلام وتناولت بيديها عوداً أخضر ... ثم قالت له :
يا حامد ... تعمل إيش

- أسقى الزراعة

- ويعدين ؟

- أروح

- لا ... مرواح مافيش ... تعال اقعد جنبى

(جنبى) ؟ ... لعلها ليست هى ... بل إن هذا هو المحقق
فلا يستقيم في العقل أن تقول ابنة سيده له .. (تعال والأدهى
من ذلك أن تردف هذا بقولها (اقعد جنبى) ؟ وفى هذه الساعة
من الليل ... لاسمح الله ...

- ولكنها أقبلت عليه لإقبال الربيع على الأرض المجدبة ومذت
يدها الناعمة ... فأمسكت بها يده الخشنة المكبودة وعلى البساط
الإلهى الأخضر ... أجلسته كما تجلس الأم طفلها الذى يهدف
نحو الصبا ..

إنه فى حيرة من أمره ... كيف يصدق ؟ وأنى له أن يصدق ؟
ومن له بأن يصدق ؟

— حامد

وأجابها - : نعم ياستى

— أنتم عندكو أرض كثير

— لا يا ستى .. أنا جُلت لسعادتك يوم ما كنت جاعد فى الأرض
الى غادى ... إن سيدنا خد منّا الأرض وبيشغلنا عنده عمال ...
« بعد لحظة » من غير أجر .

— وحياتك يا حامد ماتقولش « سيدنا » قول أبوكى

— عيب ياست

— عيب ؟ ... أنا بقول لك ماتقولش سيدنا

— أمرك ياست

— قوللى يا حامد ... وإذا الأرض رجعت لكو تانى تعمل ليه ؟

— ترجع لنا تانى . ؟ مِش معجول ياست .. وهو اللى راح يرجع ...

— إذا رجع ؟ ... انت مالك

— ياست والله دى تَبْجَى كرامه

— وإيه اللى هيرجعها .

— أنا

— إانتِ ؟؟ ! إانتِ ؟؟ !

ولم يتمالك نفسه .. فقد هب من مكانه هاتفاً .

- الله يخليكي ياست .. وبيارك لنا فيكى وف سيدنا .
- قلت لك بلاش سيّدنا دى ... اقعد يا حامد ... اقعد (بعد فترة)
- قوللى يا حامد ... أنت حبييت ؟
- أنا ياست حبييت ؟ حبييت يعنى آه ؟
- يعنى حبييت .. ما تعرفش الحب يعنى إيه ... يعنى عمرك ماشفتش
- واحد ... وقلبك ... يعنى طبّ لما شافها
- والله ياست ... أنا شفت كتير ... لكن
- وقلبك ماطبش .. ؟ !
- دِلْوَجِت بَسْ ... قلبي طب
- (باسمة) عاوز تقول لما شفتنى
- (فى ضحكة خفيفة ساذجة) مش جَادِرْ أجول ياست
- انت مش عارف اسمى ... نادينى باسمى ... قول لى ياناظك .
- ما اجدرش
- لأ قول يا حامد ... أنا حبييتك ... من يوم ماشفتك فى الغيط
- الثانى .. بتاكل ... بتاكل (تبكى)
- ياست ... دَاخِر من عند الله ... نحمله ... (واغرورقت عيناه
- بالدموع) ويتناول حامد بيديه المعروقتين يلها البضة ... وفى

نشوة صوفية حاملة يطبع عليها قبلة يودّع فيها كل مافي شبابه
المحروم من حب نائم وأشواق ناعسة وحنان كريم ... وفي سبيحة
روحية ناسمة ... تطبع هي على شعره الفاحم الذي باركته شمس
الكنانة قبلة محمومة واجفة يهتز لها وجوده .. وتنتشي من خمرها
أصلا به ... وترجف من حرارتها روحه الظامئة ونفسه الصافية
وقلبه المحروم .

* * *

لم يعد حامد ذلك الشاب الفارغ البال ... التافه الأحلام الضائع
اليوم بين أكل وعمل وحديث .. فقد استحوالت دنياه إلى دنيا
أخرى ... دنيا تملؤها الآمال والأمانى ... وخلق الحب منه إنساناً
يحس ويشعر ... وإن كان لا يستطيع أن يعبر عن إحساسه
وشعوره بالتافه من القول أو النزر اليسير من الحديث ... وجرفته
موجة عاطفية عاتية ... فيها كثير من العزة والكبرياء والأنفة ...
وكيف لا يكون كذلك ... وقد استأثر من دون الناس جميعا
بهذه الدرّة اليتيمة في كنوز الجمال والجلال ... « ناظك » وما
أجمل الاسم وما أجمل صاحبه ... وما أقوى شعوره بنفسه ...
وإحساسه بعظمته ... حين ينظر إلى من حوله من الناس ... فلا
يجد إنساناً مثله ... في متعته الوافرة . يحب ابنة الحاكم ...

تلك التي تتنازع هي والشمس عرش السمو والجلال ، ولم تعد
ناظك ... تلك الفتاة الناعمة بالحياة وحدها ... بل أصبحت
الفتاة الناعمة بالحياة والحب .. السعيدة في كليهما ... وللحب
نوع من القدرة على الخلق ... وفيه كذلك إرادة فنانة ... تحيل
الجماد الجامد إحساساً يحس وشعوراً يشعر ... وما هو فوق
الإحساس والشعور .

لقد وجدت بجانبها قلباً بكرّاً ... لم تستأثر به من قبل امرأة
أياً كانت هذه المرأة ... قلباً عذرياً نمته طبيعة عذراء ... طاهراً
كالندى الباسم فوق خدود الورد والياسمين ولئن كان
صاحبها شقيّاً في حياته ... معذباً في عيشه فذلك رزقه المقسوم
وحظّه المقدور ... وحسبها هي منه هذه البضعة من اللحم والدم التي
تندفق فيها سيول الإنسانية التي تهى من فوق سبع سموات ...
على أنها قد بنت له في نفسها قصوراً من الأمانى تخيلته صاحبها
وشاركته فيها بالفكر والعاطفة والشعور وعلى هذا أصبحت
وأمت لاهم لها ولاشأغل إلا دنياها الجديدة التي انتقلت إليها
على أجنحة الحب والغرام .

ورأتها أمها ذات صباح تُحدّ النظر إلى مكان قريب ... وتأتى من

الإشارات ذوات المعاني ما عجبت له ... ووقر في نفسها أن الفتاة
ممسوسة ... فاستطارت فكراً ...
وسألت الفتاة :

- ناظك ... إليه إشارات ... حركات
- إشارات إليه يا ماما
- إشارات إليه ... عمى في عينك ... أنا شايف
- ما في إشارات يا ماما
- ما في ... طيب ... أنا أشوف

وعطفت بعنقها المجدد إلى خارج الشرفة ... فلم تجد غير خلاء
عريض ... يقف في جانب منه فتى طوال ... في يده أرغوله المرنان
ينفخ فيه من حرارة الوجد أنفاساً تستحيل في الجو أنغاماً يهتز
لها قلب الوجود ..

وعطفت بنظرها إلى وجه الفتاة .. فعجبت للشحوب الطارىء عليه
وفهمت الأم كل شيء ... واستدارت على عقبيها مهمومة وجلة ...
تدب على قلبيها كأنها ملسوعة .. وعاودت الأم سؤال الفتاة ... فألقى
الحب على لسانها من نور البيان ما محت به من نفس الأم ظلال الشكوك ...
وحدث في المساء ما حدث في الصباح .. فاستحال الشك إلى
يقين ... دعم أركانه في نفس الأم سهوم الفتاة ووقفة الفتى طوال

اليوم أمام الشرفة وإن كان من بعيد ...
وأذن مؤذن الفجر ذات يوم... فأجاب ندائه المؤمنون من أهل
القرية ... وأفاق الحاكم من نومه نائرا ممتعضا . فقد آذاه صوت
الأذان كما آذاه من قبل ... ولكنه اليوم ... وبعد أن نفذ آخر
سهم في جعبة الصنبر . فلا أقلّ من أن ينزل ليمنع المؤذن من أذانه .
وله الفضل والمنة إن لم يمنع الناس من إقامة الصلاة ..
وأسرع إلى خارج القصر فلها له ما رأى.... ابنته «ناظك» واقفة بجوار
القصر ... وبجانبها « وحش آدمي » من هؤلاء الفلاحين «العبيد»
هو حامد المنكوب في دنياه . والذي يوشك أن يكون منكوبا في
آخره ... لم يتمهل جناب الحاكم ... بل أقبل على المسكين
كالإعصار الأخرق ... وأهوى على رأسه بكلتا يديه ... فنذت عن
الفتاة صرخة جامحة ... أوهنت من عزيمة الحاكم وجعلته يترك
المسكين بعد أن أجهدته بقسوته وعسفه .. وفرّ البائس إلى حيث
يخفى نفسه عن الناس جميعا ... ولتفتح عليه السماء بعد ذلك
مغاليق اللعنة أو الرحمة الأبدية .

وفي جنازة صامته رهيبة .. شيعت القرية كلها .. شبابها وشيبيها
جثمان العاشقة ... المحرومة من بعد أن كتبت في قصة الحب سطورا
من دموع ودماء .. ولكنها دموع الطهر... ودماء الشباب المسموم ..

ذهب و تراب

« هكنا قال فلاح مصرى فى يوم
عرف فيه نفسه ، وقدر يؤسه »

هنا الكوخ

كله نعيم ... وكله جحيم

وهذا هو الوادى المخفض بالعبس

ينبسط أمامه كأحلام العذراء فى فجر الهوى

والقمر الأهر ..

يطل علينا من خلل السحاب كأنه وجه الدرهم الجديد

وقد استدارت جوانبه استدارة الرغيف الطازج ..

وعن اليمين يقوم القصر المشيد

قصر السيد الغنى ... صاحب المزرعة .. ورب نعمتنا ...

وهو قصر نعرف ما فيه بالتوهم

لأننا محرمٌ علينا دخوله

خوفا على بُسطه الناعمة من أن تتأذى بوطء أرجلنا الشقية

الملتئة بالأخاديد

وهذه ابنتى الصغيرة « سعاد »

يعلم الله أن حياتها على النقيض من اسمها
ترتدى قميصا من القطن الخشن
نسجته يد البلى
فهو لا يقوى على مسّ الراحة
وفي يديها عودٌ من قصب الأذرة
أرهقته من طول ما امتصّت منه رحيقه
الذى لا يسمن ولا يغنى من ظمأ ولا جوع
ترى فيم تحلم هذه المسكينة ؟
اقتربي يا بنيّ ... وتعالى إلى
قالت الفتاة ... وفي عينيها دموعٌ تريد أن تنسكب :
أبتاه ..

وتهاوت على الأرض
كانها دمة يتيم جائع
وانفجرت شفتاها المرتجفتان عن كلمة مالت سماعها
لأنها تذكرني بما أريد أن أنساه
قالت :

لقد أقبل العيد يا أبتاه .. وليس عندي رداءٌ جديد
قلت وقد مزقت سمعي شكواها المرأة

من قال لك يا بنيّ إن العيد قد أقبل
قالت .. وقد زادها إنكارى إصراراً على الشكوى :
لقد سمعت ابن سيدنا يقول لأخته :
إنه سيذهب إلى القاهرة بعد يومين ليقبس ما اشتراه له أبوه من
أكسية .

قلت يا بنيّ ... إن هؤلاء لا يعرفون للعيد يوماً واحدا .
فكل أيامهم أعياد
أمّا نحن
وأمسكت عن الكلام
فقد أقبلت زوجتى « أم الخير »
لعنة السماء على يوم عرفت فيها
فقد كان يوم سوء لا زلت أذكره .. ففيه بعث فيه آخر قيراط من
الأرض تركه لى أبى .

لا لشيء إلا لأنّ نصف دينى كما حدثونى
ولأنّ نصف دنياى كما عرفت فيما بعد
ونفضت « أم الخير » رداها وفيه لقيمات
لأنّ قيم صلب الطفل المترنح على يدها من ألم الجوع
وأمسكت بطرف رداها المهلهل

لتمسح به عيني الطفل الرمدانتين
 ولم تزد على نظرة ألقتهما على وعلى البنية
 ثم أخذت تخطف في سيرها إلى شاطئ التربة القريبة
 وغمرت الطفل في مياهها الراكدة
 ثم أخرجته كقطعة اللحم الغريض
 بعد أن أزال ما كان عالقا به من أقذار ، لتابسه ثوبا من الطين جديدا
 وعادت جذلانة الوجه قريرة العين
 كأنما أتتني بهدية
 ثم تمطت في الهواء بيلبها الناحلتين
 فخيّل إلى أنها تريد أن تأخذ السماء من أقطارها
 لتلقى بها في حجرى
 قلت يارعناء ... إلى أين ؟
 قالت : إلى قصر سيدنا
 أمسح البلاط ... وأغسل الأواني ... وأحلب الأبقار
 ثم أعود إليك كما تشتهى أن أعود
 قلت في نفسى :
 فلتذهب إلى الشيطان .. على شريطة أن تعود

وفي يديها من مائدة الآلهة ما يصلح طعاما للعبيد

وانطلقت تعدو

وانطلقت في إثرها أمان ثلاث

هي أمانينا

أنا ... والفتاة ... والطفل

جلباب ... وقميص ... ولقيمات

٢٣ مارس سنة ١٩٤٦

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣	أنا وأنت	٧٧
تقديم المراجع	٥	كانها الحزين	٨٠
مقدمة المحقق	٧	عزاه	٨٢
هذا الديوان	٧	لحن الليل	٨٣
البيئة العامة	١١	إلى الجيد	٨٧
البيئة الخاصة	١٨	ذكريات	٩٠
مولده وأسرته	١٩	كتابها	٩٣
مهد طفولة	٢١	وستان	٩٤
طفولته الأدبية	٢٤	الفتنة الغرساء	٩٩
في التعليم العالي	٢٧	كأس وكأس	٩٩
في عالم التدريس	٢٩	هجرة وميثاق	١٠٢
الحنه	٣١	الإنسان والمعركة	١٠٣
في البيت الجليل	٣٦	المهنون	١١٢
مع الأدباء	٤٨	لوعة	١١٣
مكتبته	٥٠	الذكرى	١١٤
في عالم السياسة	٥١	عيد شعري	١١٩
شخصيته	٥٧	نجوى	١٢٢
عملية الإنشاء عنده	٦٦	من الغرب	١٢٣
الشعر	٧٠	في مآثم الصعيد	١٢٤
الجزء الأول : أهداف الشاطيء	٧٣	يا حبيبى	١٢٦
أخيه العجبر	٧٥	من أحلام الصيف	١٢٧

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٣٥	بئيل	١٢٩	آمال
٢٣٦	القنان	١٣٠	من وحى الرباب
٢٣٩	<u>الجزء الرابع : في موكب الحرمان</u>	١٣٥	<u>الجزء الثاني : الأمواج</u>
٢٤١	ذبول	١٣٧	المعجزة
٢٤٣	لحقة	١٣٩	سهاد
٢٤٤	ليلة وصال	١٤٢	تشبيه الصفاء
٢٤٦	بعد حين	١٤٨	سكرة
٢٤٨	عتاب	١٥١	بيننا
٢٤٩	قوة الحب	١٥٣	إلى سائل : من هم الناس ؟
٢٥١	نشوة	١٥٤	أوهام
٢٥٢	غريب في الربيع	١٥٩	دنياي
٢٥٩	رحلة	١٦٢	الشعوب
٢٦٠	أنهى	١٦٣	ابن الطريق
٢٦٥	هجاء	١٦٥	غريف
٢٦٧	<u>الجزء الخامس : وطنيات</u>	١٦٨	فكر
٢٦٩	اهلاء	١٧١	خاتمة
٢٦٩	بنت السراب	١٧٢	حرمان
٢٧٠	من وحى الشهداء	١٧٨	سراب
٢٧٤	قولوا لهم	١٨١	يا حبيب
٢٧٦	قلب	١٨٥	<u>الجزء الثالث : نسيات وأحاسير</u>
٢٧٩	مجد الفنانير	١٨٧	نسيات وأحاسير
٢٨١	ماتم نهر الرين	٢١٧	أطيان
٢٨٥	<u>الجزء السادس : أفاضيص</u>	٢٢٢	تحت الأتقاضي
٢٨٧	من أحلام الصيف	٢٢٥	قيس
٢٩٠	شجن	٢٢٧	ملاك لمحب
٢٩٢	أحلام الكوخ	٢٢٨	زوج باليسر

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
روح الجهاد	٣٠٥	روح الجهاد	٣٠٥
الجنة الحمراء	٣٠٧	الجنة الحمراء	٣٠٧
الجزء السابع : أسفار ورسوم	٣١٣	الجزء السابع : أسفار ورسوم	٣١٣
المتجربة	٣١٥	المتجربة	٣١٥
يا خاتمي	٣١٦	يا خاتمي	٣١٦
المرأة ... لعيتها الرجال	٣١٨	المرأة ... لعيتها الرجال	٣١٨
ميعاد	٣١٨	ميعاد	٣١٨
دعني	٣١٩	دعني	٣١٩
السياسيون القدامى	٣٢٢	السياسيون القدامى	٣٢٢
المواكب	٣٢٣	المواكب	٣٢٣
من الماضي	٣٤١	من الماضي	٣٤١
يا ليلي	٣٤٥	يا ليلي	٣٤٥
امرأة	٣٤٧	امرأة	٣٤٧
المثل	٣٤٩	المثل	٣٤٩
الجزء الثامن : ظلال وألوان	٣٥٣	الجزء الثامن : ظلال وألوان	٣٥٣
الأصناف	٣٥٥	الأصناف	٣٥٥
حورية المصيف	٣٦٠	حورية المصيف	٣٦٠
أحلام خجيرية	٣٦٣	أحلام خجيرية	٣٦٣
د س ، ج ،	٣٧١	د س ، ج ،	٣٧١
فرحة	٣٧٢	فرحة	٣٧٢
أحلام الصيف	٣٧٣	أحلام الصيف	٣٧٣
صلاة	٣٧٥	صلاة	٣٧٥
الأمانى	٣٧٩	الأمانى	٣٧٩
الشاعر	٣٨٤	الشاعر	٣٨٤
أشواق	٣٨٧	أشواق	٣٨٧
الفرقة المهجورة	٣٩١	الفرقة المهجورة	٣٩١
نيمان	٣٩٣	نيمان	٣٩٣
الرجية	٣٩٧	الرجية	٣٩٧
قلوب بلا حب	٣٩٩	قلوب بلا حب	٣٩٩
البعث	٣٩٩	البعث	٣٩٩
كأس	٤٠٣	كأس	٤٠٣
الجزء التاسع :	٤٠٥	الجزء التاسع :	٤٠٥
البعث	٤٠٧	البعث	٤٠٧
السراب الخالد	٤١٢	السراب الخالد	٤١٢
صرخة الميلاد	٤١٨	صرخة الميلاد	٤١٨
نشيد ذكرى شوق	٤٢٦	نشيد ذكرى شوق	٤٢٦
يا ليت	٤٢٧	يا ليت	٤٢٧
يا أخى فى الله	٤٢٣	يا أخى فى الله	٤٢٣
يا عيد	٤٢٧	يا عيد	٤٢٧
تهنئة	٤٣٠	تهنئة	٤٣٠
حياة	٤٣٥	حياة	٤٣٥
عيد الهجرة	٤٣٦	عيد الهجرة	٤٣٦
ذكرى المولد	٤٣٣	ذكرى المولد	٤٣٣
الصلين	٤٤٠	الصلين	٤٤٠
ابن عمى	٤٤٣	ابن عمى	٤٤٣
يا قللى	٤٤٧	يا قللى	٤٤٧
الجزء العاشر :	٤٥١	الجزء العاشر :	٤٥١
أنا فى شعري	٤٥٣	أنا فى شعري	٤٥٣
إليها	٤٥٤	إليها	٤٥٤
صلاة الشمس	٤٥٩	صلاة الشمس	٤٥٩
خمسة وعشرون عاما	٤٦١	خمسة وعشرون عاما	٤٦١
حياتي	٤٦٦	حياتي	٤٦٦

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
روحانيات	٤٧٠	عاد الريح أو أين أنت	٥٣٢
من دموي	٤٧٧	سلوى	٥٣٣
شاعر الحب والمجد	٤٧٩	يا وافي	٥٣٤
طال الطريق	٤٨٥	أنا	٥٣٧
حظوظ	٤٨٧	لولا .. ولولا	٥٣٨
دهرية	٤٨٩	قومي	٥٤٠
أطلال واقصة	٤٩١	قطرة خمر	٥٤١
علي صفاء الجحيم	٤٩٧	قلب حائر	٥٤٣
نحية تقدير	٥٠٠	انحنى	٥٤٤
من وحى رمضان	٥٠٢	أشواق	٥٤٥
وبأعيد	٥٠٥	عودة	٥٤٧
أنا ... وأنت	٥٠٩	أعطوها حقها	٥٤٩
عهد علينا	٥١١	عبرى	٥٥٠
البلر	٥١٢	صمت الظلال	٥٥٣
الجزء الحادى عشر: مع الريح	٥١٧	قبلة	٥٥٤
سكرتى	٥١٩	يا شرق	٥٥٥
الأنهى	٥٢٨	اعتذار	٥٥٧
أنشودة الغرياء	٥٣٠	الحكمة	٥٥٨

استدراك

وقعت في الديوان أخطاء طباعية نوجه نظر القارىء إلى بعضها

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٥	٢٤	في ذلك هو	في ذلك الوقت هو
٩٣	الأول	لقاء	لقاء
١٠٥	١٦	بل أحياء بالتحمد	بل أحياء بالتحميد
٤٨٢	٨	سحر المواق	سحر المَوَاتِ
٤٨٤	٨	أنت لازلت	أنت ما زلت
٥٠٣	الأول	وأبكي معهم	وأبكي مَعَهُمْ أو مَعَهُمْ
٥٠٥	٤	ملء سمائي	ملء سمائي
٥٠٥	٩	ملء الحمى	ملء الحمى
٥١٣	الهامش	الصمداني : اسم من	الصمداني : منسوب إلى
	رقم ٦	أسماء الله	الصمد وهم لإسم سن
			أسماء الله
٥١٩	٢	كأس	كأس

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٢٨	١٤	التُّواس	التُّواس : بفتح النون المضعفة في لغة العوام وصوابه أبو نواس ، والشاعر يقصد ما أثبت
٥٢٩	٨	فلن تحرق مني إلأ ما	فلن تحرق مني (م) إلأ ما
٥٢٩	١٦	تالى مني	لن تنالى مني
٥٢٩	الهامش	اللجنى	اللجنة : هى الظلمة
	رقم ٢		
٥٣٠	٢	وما أحب	وما أحب
٥٣٨	١٤ ،	وأنه ، وأننى	ولأنه ، ولأننى
	١٥		
٥٤٣	٨	وجنبى	وجنبى



صالح الترنوبى

أنا في شحري وشحري هفتي كنت في جسمي ولا في رسمه
 بين كليك وجودي خلفك وفؤادي غارقا في دمه
 ويح لي منه ويا ويح له ولن يسبح في عياله
 وبما أحزنني في فوحي وشسوت اللحن في عاله

● ولد الشاعر في ٢٦ من شهر مايو سنة ١٩٢٤ ، وتوفي في يوم ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٩ .

● درس في المعاهد الدينية حتى حصل على الثانوية الإلزامية ولكنه خرج قبل أن يتم دراسته العالية ، لأنه كان يطمح إلى دخول كلية دار العلوم ولكنه لم يوفق إلى ذلك .

● أنشد دواوينه في الفترة ما بين ١٩٤٤ و ١٩٥٩ وهي « أهداف الشاطئ حبرات .. سباحات .. بسعات » « الأمواج » .. « نسيمات وأعاصير » .. « في مركب لمرمان » ... « وطنيات » .. « أقاصيص في الحب والحياة » .. « أشعار ورسوم » .. « ظلال والألوان » .. والآخر « مع الريح » ..

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

